

# جامع التواريخ

تاريخ غازان خان



دراسة وترجمة  
الدكتور فؤاد عبد المعطي القيصار

تأليف  
رشيد الدين فضل الله الهمداني

الدار الثقافية للنشر

# جَامِعُ التَّوَالِيخِ

تاريخ غازان خان

تأليف  
رشيد الدين فضل الله الهمداني

دراسة وترجمة  
الدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد

الدار الثقافية للنشر

Jam'ie Al-Tawafiqh

عنوان الكتاب: جامع التوافيق الممكّن

Dr. Fouad Abdal-Monsty Al-Sayad

ترجمة ودراسة / د. فؤاد عبد المنصلي السيد

17 x 24 cm. 446p

١٧×٢٤ سم. ٤٤٦ صفحة.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٩/٢٢٨٨

الترقيم الدولي: ISBN: 977-5875-70-6

اسم الناشر: دار الثقافة للنشر

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م

كلية حقوق النشر والطبع محفوظة للنشر

دار الثقافة للنشر القاهرة



ص.ب. ١٢٤ بالقاهرة - مكتب وفكس ٤٠٢٧١٥٧

Email: sales@thakafia.com

Website: www.thakafia.com

## المقدمة والدراسة

## كيفية نطق الحروف الفارسية

### المستعملة في هذا الكتاب

(١) الحرف الفارسي (پ) ينطق مثل حرف (P) في اللغة الإنجليزية.

(٢) الحرف الفارسي (چ) ينطق مثل حرفي (CH) في اللغة الإنجليزية.

(٣) الحرف الفارسي (ژ) ينطق مثل حرف (J) في اللغة الإنجليزية.

(٤) الحرف الفارسي (گ) ينطق مثل حرف (G) في اللغة الإنجليزية.

في مثل كلمات: Big - Gun - Garden

أو مثل الجيم المصرية في اللهجة المصرية.

مُقَلَّمَةٌ

هذه ترجمة كاملة قمت بها لتاريخ غازان خان الذي يكون قسما مهما من كتاب جامع التواريخ، تأليف مؤرخ المغول الكبير "رشيد الدين فضل الله اهلنسي". ولا شك أن الترجمة ضرورة إنسانية وفكرية وحضارية لا غنى عنها لكل أمة حية تشد الكمال الإنساني أو الاقتراب منه في الأقل. كما أن ترجمة الآثار الفكرية من أجدى أنواع الترجمة وأهمها لأنها تفسح المجال واسعا أمام أبناء مختلف أسم الأرض للاطلاع على سيرات بعضها والإفادة منه وربما التأثير به أيضا<sup>(١)</sup>.

ولن يتسنى للشعوب وفي طبيعتها العرب أن تنال نصيبها من التراث الإنساني بشقيه العلمي والثقافي إلا عن طريق الترجمة؛ فهي الجسر الوحيد الذي نصير عليه إلى حياة علمية راقية<sup>(٢)</sup>.

وغير ما نذكره في هذا المقام هو ما سبق أن قاله أستاذنا المرحوم الدكتور إبراهيم أمين الشواربي: "لو استطاع كل متخصص في علم من العلوم أو فن من الفنون أن ينقل إلى العربية كتابا واحدا من أمهات الكتب المتعلقة بموضوع تخصصه، لكان للعربية من مجموع هذه الترجمات ثروة طائلة كفيلة بأن تجدد الفكر العربي واللغة العربية تجديدًا كاملاً، ينتهي بنا إلى نهضة كاملة شاملة كالتى حدثت في أوروبا عندما نقلت إلى لغاتها الكتب العربية والشرقية في سالف الوقت والزمان، ولاستكملنا بهذه الثروة العربية ما نقصنا في الفترة التى وقفنا فيه موقف الفنون والتكامل والتخلف والتواكل"<sup>(٣)</sup>.

كان رشيد الدين مؤرخا كبيرا وكتابيا موسوعيا أحاط علمه بكثير من أنواع المعارف والثقافات، ولكن شهرته كمؤرخ كانت تأتى في المقدمة دائما. وعندما حاول المستشرقون

(١) سياست نامه أو سير الملوك، تأليف نظام الملك الطوسي، ترجمة الدكتور يوسف حسين بككار، الطبعة الثانية، ص ٥. الفهرسة دولة قطر، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٢) مجلة الثقافة: مقالة الدكتور زهير عبد الوهاب بعنوان: حاجتنا إلى الترجمة، العدد الثالث، المجلد الرابع والأربعون، ص ١٠، عدد ربيع الأول ١٤١٦هـ - يولية أغسطس ١٩٩٥م. للعلامة العربية السعودية.

(٣) تاريخ الأدب فى إيران من القردوسى إلى السعدى، تأليف المستشرق الكبير إدوارد جرناتيل بسروان، نقله إلى العربية الدكتور إبراهيم أمين الشواربي، ص ٢٤، الطبعة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

دراسة دراسة متعمقة كان أول ما استرعى نظرهم كتابه جامع التواريخ. وكانوا على صواب فيما ذهبوا إليه، لأن كتابه التاريخي هو الذي أذاع صيته ورفع قدره وسجل اسمه بين النابغين الأخذاذ من أبناء الشرق الإسلامي.

ومن المتفق عليه أيضا أن القيمة الحقيقية لهذا الكتاب إنما تتجلى في المجلد الأول المتضمن تاريخ المغول؛ فعندما تحدث رشيد الدين عن هؤلاء القوم ذكر أصلهم ونشأتهم وقيادتهم وعاداتهم وتقاليدهم وفتوحاتهم على نحو دقيق ومفصل لم نشهده في أى مصدر آخر.

ولا شك أن الباحث يهجم عندما يتناول التاريخ المبكر للإمبراطورية المغولية أن يستطيع التمييز بين الحقائق التاريخية المقبولة وبين الأساطير. ثم إن المعلومات عن المغول الأول ليس جوهرية للطالب الذي يريد أن يتناول بإحكام علاقاتهم الخارجية فيبرز تأثيرهم في الجنس البشرى خارج حدودهم. كذلك تبرز أهمية الكتاب فيما تقرأه عن المغول في الأحداث التي كان يعايشها المؤرخ؛ فقد عاصر دولة المغول في أبهى فتراتهما، وشاهد حصار بغداد وفتحها على يد هولاكو خان، والتحق بخدمة أعظم سلاطين الإيلخانيين وبلغ أسمى المراتب في عهد غازان وأولجايتو وفترة من حكم أبى سعيد بهادر خان، ولعب دورا هاما في سياسة دولة المغول وإدارتها. فإذا جاء هذا المؤرخ وأرخ لهذه الفترة، فإنه يؤرخ لأحداث كان يعاشرها ويشهدها بعيني رأسه، وبصفتها وصف الثقافة الجبرية بشئون الحياة. كذلك استطاع الاطلاع على الوثائق المكتوبة والإفادة منها. وهذه ميزة كبيرة لم تتوفر لغيره ممن كتبوا عن تاريخ المغول من السابقين أو المعاصرين له.

لكل هذه الميزات لقي المجلد الأول من هذا الكتاب اهتمام المستشرقين والباحثين فخصوه بعنايتهم، وعكفوا على تحقيقه ونشره وترجمته إلى مختلف اللغات الأوروبية وجاءت هذه الترجمات مصحوبة بالشروح والتعليقات. وكان في مقدمة ما عنوا به القسم المشتغل على تاريخ الإيلخانيين "سلاطين المغول في إيران"، فهو عظيم الأهمية:

أولا: وبالثبات لمرض الأحداث التي وقعت في القرنين السابع والثامن الهجريين "الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين"، وشملت إيران وجورجيا وأرمينية ووسط آسيا وغربها.

ثانيا: للحدث عن الإصلاحات المختلفة التي قام بها غازان خان.



ولم تكن اللغة العربية بمعزل عن الاستفادة من هذا الأثر الخالد أيضاً! فقد شاركت المرحومين الأستاذين محمد صادق نشأت والدكتور محمد موسى هنتلوى في ترجمة النص المتعلق بتاريخ هولوكو خان، ونشر في القاهرة عام ١٩٦٠م تحت عنوان: "جامع التواريخ: رشيد الدين فضل الله الهمذاني: تاريخ المغول، المجلد الثاني - الجزء الأول - الإلهاماتيون: تاريخ هولوكو".

وهذا القسم سبق أن حقق نصه الفارسي المشرق الفرنسي كاترمير مع ترجمة فرنسية للتمن الفارسي، ونشر الأصل والترجمة في باريس عام ١٨٣٦م. وقد صاحب المتن كثير من الحواشي والتعليقات المستفيضة التي تدل على اطلاع واسع وعلم غزير. وصدرت هذه الطبعة بمقدمة باللغة الفرنسية ذات قيمة علمية كبيرة عن حياة رشيد الدين وأثاره. هذا وقد قام المرحوم الدكتور محمد القصاص بترجمة هذه المقدمة إلى اللغة العربية، تصدرت الترجمة العربية لتاريخ هولوكو خان على النحو الذي ذكرناه سابقاً.

كذلك شاركت الأستاذ محمد صادق نشأت في ترجمة النص المتضمن تاريخ أبناء هولوكو خان من آبا قاخان إلى كيخا توخان. وهذا النص سبق أن نشره بالفارسية المشرق "كارل بان" في براغ عام ١٩٤١م. وقد صدرت الترجمة العربية أيضاً في القاهرة عام ١٩٦٠م.

ثم فمت بمفردى بترجمة قسم آخر من هذا الكتاب بعنوان: "جامع التواريخ" تأليف "رشيد الدين فضل الله الهمذاني": "تاريخ خلفاء چنگيز خان من لوغتاي قاآن إلى تيمور قاآن، بيروت ١٩٨٣م. وذلك عن الطبعة التي نشرها بالفارسية المشرق الفرنسي بلوشيه " Blochet " في لندن سنة ١٣٢٩هـ - ١٩١١م ضمن سلسلة جيب التدكارية. وقد تم صدور هذه الأجزاء الثلاثة بإشراف أستاذنا المرحوم الدكتور يحيى الحشاش ومراجعتهم.

وعلى هذا يتبقى من تاريخ الإلهاماتيين قسم هام جداً، وهو الذي يتناول تاريخ غازان خان. ولعل هذا القسم هو أهم أقسام جامع التواريخ لأنه يتضمن الإصلاحات العديدة التي قام بها غازان وتناولت كل شئون الحياة من إدارة واقتصادية وقضائية وعمرانية. وقد قدر لهذه الإصلاحات البقاء الطويل بعد ذلك في الممالك الإسلامية. ولا شك أن هذه الجوانب تجذب أنظار الذين يؤرخون للحضارة الإسلامية. كما تحظى باهتمام الباحثين والدارسين.

وقد لوحظ أن المؤرخ رشيد الدين ذكر تاريخ "بابلو" ضمن تاريخ غازان خان لأن "بابلو" في الحقيقة تولى الحكم لفترة قصيرة جدا لا تزيد على ستة أشهر، من جمادى الأولى إلى ذى القعدة سنة ٦٩٤هـ أبريل إلى أكتوبر سنة ١٢٩٤م، فرأى رشيد الدين أن يكتب تاريخ هذا الإيلخان كجزء لا يفصل عن تاريخ غازان الذي حارب بابلو وانتصر عليه، وتولى الحكم بعده في سنة ٦٩٤هـ ١٢٩٤م، وذلك على النحو الذي يطالع القارئ في الترجمة.

هذا قليل من كثير مما حواه النص الفارسي لتاريخ غازان. ويرجع الفضل الكبير في تحقيق هذا القسم أيضا إلى الأستاذ العالم المشرق كارل يان "Karl Jhan" الذي قام بنشره بعنوان: "كتاب تاريخ مبارك غازاني: داستان غازان خان" تأليف رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير بسعي وإهتمام وتصحيح أفل العباد كارل يان، هرتفورد، إنجلترا سنة ١٣٥٨هـ مجرى مطابق ١٩٤٠مسيحي. وقد صدر المحقق هذه الطبعة بمقدمة كتبها باللغة الألمانية.

وفي عصرنا الحاضر نال كتاب جامع التواريخ حظا وافرا من عناية الأفراد والحكومات، وحدثت تطورات واتجاهات مختلفة، وكلها تؤكد ضرورة دراسة كثر من آثار الشرق التاريخي.

ونظرا للأهمية القصوى للمجلد المتعلق بتاريخ الإيلخانيين، استقر الرأي على أن يبدأ العلماء الروس بنشره اعتمادا على لوائح المخطوطات الخاصة بكتاب جامع التواريخ والمخطوطة بمكتبات العالم. ثم عهد إلى الأستاذ "عبد الكريم علي أوغلي علي زاده" بتحقيقه ونشره، وصدر ضمن منشورات مجمع علوم جمهورية روسيا السوفيتية الاشتراكية بآذربيجان معهد التاريخ، باكو ١٩٥٧م.

ولما كان هذا المجلد يضم قسما كبيرا يشتمل على تاريخ غازان خان، وكان لا يزال في نصه الفارسي، عقدت العزم على ترجمته أيضا إلى اللغة العربية؛ إذ رأيت أنه أصبح وادى بالقياس إلى غيره من الطبعات.

بقي أن نقرر أن رشيد الدين قد أنهى المجلد الأول من كتابه بتاريخه لغازان خان، وأنه لم يستكمل تاريخ الإيلخانيين؛ إذ لا يزال هناك آثان من كبار الإيلخانيين حكما إيران بعد

## أولاً : رشيد الدين وكتابه جامع التواريخ

هو رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير ابن موهب الدولة الغزنائي<sup>(١)</sup> كان جده موهب الدولة يمش مع الخواجة نصير الدين الطوسي في قلاع الإسماعيلية بفغانستان ثم التحق بخدمة هولاكو خان على أثر استيلائه على تلك القلاع<sup>(٢)</sup>.

ولد رشيد الدين في همدان سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م، وأمضى فترة شبابه هناك في تحصيل العلوم المختلفة وبخاصة الطب. وعن طريق مهنة الطب عمل طبيباً في بلاط أبها قاضيان (٦٦٣-٦٨٠هـ/١٢٦٤-١٢٨١م) ثم صار يترقى شيئاً فشيئاً إلى أن عين وزيراً في عهد السلطان غازان خان (٦٩٤-٧٠٣هـ/١٢٩٤-١٣٠٣م)، واستمر يتقلد أعباء هذا المنصب في عهد السلطان أولوجاتيو (٧٠٣-٧١٦هـ/١٣٠٣-١٣١٦م) وابنه السلطان أبي سعيد بهادر خان (٧١٦-٧٣٦هـ/١٣١٦-١٣٣٥م).

كان رشيد الدين من أصل يهودي<sup>(٣)</sup>. ثم أسلم وخلص إسلامه وكان يسير في حياته الرسمية سير المسلم الصحيح الإيمان الكامل العقيدة. وهناك علماء لا سبيل إلى الشك في حسن نيهم وكفاءتهم شهدوا بصحة عقيدته في كتاباته وفي حياته، وأن أعماله كلها كانت خيراً وبركة على الإسلام والمسلمين.

(١) انظر الزمرد من التفضيلات في كتاب: مورخ الملوك الكبير وسيد قديس فضل الله الغزنائي، الطبعة الأولى تأليف الدكتور مزاد عبد المعطي الصبيد، القاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م، نفس الدكتور داري في عهد وراثة رشيد الدين فضل الله غزنائي، تأليف دكتور عليم رجب زاده، تهران ٢٥٢٥ شاهنشاهي

(٢) انظر كتاب الملوك في التاريخ، تأليف الدكتور مزاد عبد المعطي الصبيد، ص ٢٢٢ وما بعدها، القاهرة ١٩٧٥م

(٣) انظر مزاد عبد المعطي الصبيد، مؤرخ الملوك الكبير رشيد الدين فضل الله غزنائي، ص ٩٤ وما بعدها، مجموعة خطابه هاي لطيفي في باره رشيد الدين فضل الله غزنائي، مقالة الأستاذ عباس روياب عويي بعنوان: سه نكه در باره رشيد الدين فضل الله، ص ١٢٢-١٣٥، طهران ١٣٥٠هـ. ش. جامع التواريخ رشيد الدين فضل الله غزنائي، به تصحيح وعناية محمد روشي، مصطفى موسوي، جلد اول، ص ٧٢ وما بعدها من المقدمة، تهران ١٣٧٣هـ. ش. (Walter J. Fischel Jews in Economic and Political life of Medieval Islam, Royal Asiatic Society Monographs, Vol. XXII, PP 118-125, London 1937, Encyclopaedia Judaica, Vol 13, P Rec. Second Printing, p. 1566, Jerusalem, 1973.

دكتور خويي يني اسلامي مؤرخه، دين ودولت در ايران عهد معوله، حكومت ايلخاني، بيرد ميان دو فرهنگه، جلد دوم، ص ٤٩٣-٤٩٣، چاپ اول، تهران ١٣٧١هـ. ش.

استمر رشيد الدين يعيش معززا مكرما. لكنه في أوائل عهد أبي سعيد وقع فريسة للدهاسيس والمؤامرات التي كان يمحكها له وميله في الوراثة "على شاه الجيلاني" وانتهى الأمر بقتله بعير حق بأمر أبي سعيد بالقرب من تبريز في جمادى الأولى عام ٧١٨هـ / ١٣١٨م، وهو في الثالثة والسبعين من عمره. وبذلك أنهوا حياة أحد عظماء الحكماء والأطباء والكتاب والمؤرخين والوراء<sup>(١)</sup>. وعلى أثر مقتله نهبت جميع أمواله وممتلكاته، وحُرقت محلة "الربع الرشيدى" التي أنشأها شرفى تبريز، وأُتلفت المكتبة التي كان يصممها هذا الربع، وكانت تحوى سبئ ألف مجلد<sup>(٢)</sup>.

كان رشيد الدين رجلا واسع الأفق عرير الثقافة، يعرف كثيرا من اللغات والثقافات العربية والفارسية والعربية والتركية والمغولية. وعندما تولى غازان خان عرش المغول، وعرف في مؤرخنا البوغ والدكاء ولمس فيه الإخلاص والوفاء، لم يكتف بتقليده منصب الوراثة حسب، بل كلعه بعمل أدبي كبير هو تأليف كتاب جامع في تاريخ المغول. ولكي تكتمل عناصر النجاح لهذا المشروع، وضع غازان خان تحت تصرف رشيد الدين خير المصادر وأندرها في الإمبراطورية المغولية كالوثائق والسجلات التي كان على رأسها "التون ديمتر" (الكتاب الذهبي) الذي يشتمل على التاريخ الرسمى للمغول. كذلك استطاع رشيد الدين أن يحصل على الكثير من الروايات الشفوية التي كان يدور معظمها على لسان غازان نفسه والأمير "بولاد جينگ سبانگ" سفير الحقائق في بلاط غازان خان. وكان كلا الرجلين قد اشتهر بمعارفه الواسعة وإحاطته التامة بتاريخ المغول<sup>(٣)</sup>. وهكذا نهأت الفرصة لرشيد الدين لأن يكتب كتابا مدعما بغير الوثائق، كتابا يمكن اعتباره فريدا في نوعه في تاريخ المغول منذ أقدم الأزمنة حتى عصر التأليف.

اهتم رشيد الدين بهذا التكليف عناية الاهتمام، ووضع نصب عينيه أن يجر مهمته على الوجه الأكمل. ورغم أنه لم يكن متفرغا تماما لهذا العمل الشاق استطاع أن يقطع شوطا بعيدا في تأليف هذا الكتاب الذي أطلق عليه اسم "تاريخ غازاني". وببما كان رشيد الدين

(١) على أكبر دمحمدا لغت نامه، سلسلة مسلسل ١٢٨، شماره حرف ر (بخش اول)، ص ٤٦٩، تبريز، روز دهم ١٣٤٦هـ.ش.

(٢) ادبيات ایران در زمان سلجوقيان و خواران، تأليف يونسوز "يان ريكا"، ترجمة دكتور بهنوب زاندي، ص ١٤٧، چاپ اول، تهران ١٣٦٤ هـ.ش.

(٣) انظر الترجمة العربية.

على وشك العراق من مهمته، مات فجأة السلطان غازان خان في شوال ٧٠٣هـ/١٣٠٣م، فتولى أخوه أوجلتايو عرش المغول، وأبقى رشيد الدين في منصبه، وكلفه بأن يحجر تاريخ المغول، وأن يستمر في إعداداته إلى غازان اعتراضاً بالخميل نحو ذكرى هذا الراحل الذي بفضلته كان التكريم في تأليف هذا الكتاب. وفي الوقت نفسه، كلف السلطان أوجلتايو وورثه رشيد الدين بمهمة جديدة هي أن يكتب مجلداً ثانياً يشتمل على تاريخ لجميع الشعوب التي اتصل بها المغول أثناء فتوحاتهم.

وهي هذه المرة أيضاً استجاب رشيد الدين لطلب السلطان، وأرخ للمغول التي قامت قبل الإسلام وبعده في الشرق والغرب، ورجع في استقاء مادته العلمية إلى مصادر متخصصة. كما استطاع بمساعدة العلماء الذين كانوا يقطعون تبرير والسلطانية في ذلك الوقت وكان منهم الصبيون وأهل التبت والأويعوريون والمغول والمرج أن يصرع من تأليف كتابه في سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م، وأطلق على العمل بأكمله اسم "جامع التواريخ"، فكان أقيم كتب التاريخ العامة. كما أن أهميته كبيرة في الكتابة التاريخية بأسرها. كذلك كان أول تاريخ عالمي معروف بالمعنى الصحيح، وأول مجموع منظم للتطور التاريخي لكل الأوطان التي تحتل قارة أوراسيا (أوروبا وآسيا) من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي يقول المستشرق الروسي بارتولد. "تجد مصنف رشيد الدين صورة موسوعة تاريخية ضخمة لم يوجد لها مثيل عند شعب من شعوب القرون الوسطى سواء أكان ذلك بأسيا أم بأوروبا وإن مجرد الاصطلاح يعتمد مشروع صحيح كهذا يستند على مجهود علماء من مختلف الشعوب ليضع مثلاً حياً للتأليف الإيجابية التي شخص عنها المرو المعولي حين ربط بين شعوب باعدت بينها الشقة واختلاف الثقافات، وحين تهيأت الظروف الملائمة لظهور شار ذلك وكان رشيد الدين على ثقة من أن الأجيال القادمة ستفيد كثيراً من مصنفاته"<sup>(١)</sup>.

(١) انظر بارتولد، ركستان من الفتح العربي إلى المرو المغول، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان خالص، الطبعة الأولى، ص ١٢٠، الكوكبت ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

## تقسيم كتاب جامع التواريخ:

يقع هذا الكتاب في مجلدين:

المجلد الأول: يشتمل على بابين:

الباب الأول: يحتوي على مقدمة وأربعة فصول في تاريخ الفسائل التركية والمغولية وأصولها مع تفاصيل مسهبة عن فروع الأتراك والمغول وأنسابهم وأساطيرهم.

الباب الثاني: تاريخ چيگيز خان وأجداده وأمهاته وأحفاده إلى غاراته.

المجلد الثاني: يشتمل أيضا على بابين:

الباب الأول: يحتوي على تاريخ أوجتاي، وهو مفقود من جميع نسخ هذا الكتاب.

الباب الثاني: ويشتمل التاريخ العام للعالم، ويقع في مقدمة وقسمين:

القسم الأول: في ذكر ملوك الفرس، وذلك منذ عصر كيومرث أول ملوك الفرس الأسطوريين حتى آخر عهد يردجرد الثالث آخر ملوك الفرس الساسانيين.

وهذا القسم يقع في أربع طبقات:

أ - طبقة الپيشداديين.

ب - طبقة الكيانيين.

ج - طبقة الإشكانيين.

د - طبقة الساسانيين.

القسم الثاني: وينقسم بدوره إلى الأقسام الثلاثة الآتية:

١ - في ذكر تاريخ النبي ﷺ وتاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين حتى آخر عهد المستعصم.

٢ - تاريخ الدويلات التي نُسأت في إيران على أثر ضعف

الخلافة العباسية. وهذه الدويلات هي: الغزنوية

السلجوقية الخوارزمية السلجورية (أتابكة فارس)

الإسماعيلية.

٣ - تاريخ الدول الأخرى مثل تاريخ "تووعوار" جد الأتراك -

تاريخ الخطا والصين - تاريخ يسي إسرائيل - تاريخ

الإفرنج والقباصرة - تاريخ الهند. وهذا القسم ينتهي

بمقالة طويلة عن الديانة اليهودية<sup>(١)</sup> ومؤسساها ساكيموني.

وكان من المفروض أن يكتب رشيد الدين عمدا ثلثا في جغرافية أقاليم العالم. وقد أشار

السُلطان لولجياتو على وريره بتأليفه أبصارا إلا أنه لم يشر عليه في جميع نسخ كتاب جامع

التواريخ. ويبدو أن المؤلف لم يكتبه أو أنه كتبه، ولكنه فقد.

---

(١) انشرت البوذية بدرجة كبيرة في الهند موطنها الأصلي، وانتشرت انتشارا واسعا في اليابان وكوريا والهند الصينية

وبها والبيت (انظر موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين، تأليف جورج بيلهام، ترجمة محمد غريب جودة،

ص ٢٦١، ملحقه للمصرقة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥م).

## أهمية كتب جامع التواريخ:

بعد رشيد الدين بحق أكبر للمؤرخين المعاصرين في الدولة الإسلامية وكان ينظر إلى كتابه على أنه أحسن وأكمل كتب التاريخ العام في الأدب المعاصر، وخير مثال للانجاء إلى التأليف في التاريخ العالمي الذي ساد العصر الذهبي؛ إذ كثرت فيه الموسوعات، وتعدد المكثرون من درس الموضوعات التاريخية المختلطة حتى ليصح أن يطلق عليه بحق عصر الموسوعات.

وعن هي الحقيقة إذا رحنا مكتب بالتفصيل عن أهمية كتاب جامع التواريخ والوقوف على قيمته الحقيقية، سوف نشعب الآراء وتطول الصفحات. ولهذا فصلا أن يقتصر على إبرر ما يميز هذا الكتاب بالنسبة إلى غيره من الكتب

أولاً: تبدو عقيدة المؤرخ رشيد الدين حقاً فيما كتبه عن تاريخ المول؛ فقد كشف عن تاريخ هذه الجماعة، وأزال ما كان يكتفه من إيهام وعموم. ولا شك أن الفصول التي تناول الحديث عن الأثر والقتال المعنوية وعن تشجيع حان وأحدا، والنساء معلوماً تحت لوائه والعبارة المسبوبة إليه، وغير ذلك من صروب البطولة والصراع لما يعطى قصة رائعة عن الحياة النبوية التي لم تشوه بصروب الخسائر والتي شير الرغبة الشديدة، وتلقى الأهمية الكبيرة لدى القراء الأثر<sup>(١١)</sup>.

يقول الأستاذ أحمد ركني وليدي : "احتص رشيد الدين الممول والترك لأول مرة في التاريخ بسينهم إلى مدينة أصيلة تجمعهم، وأصبح لهم مجالاً خاصاً بهم"<sup>(١٢)</sup>

وإذن فهذا الجزء الخاص بتاريخ المول ممتاز ورائع؛ حقق فيه مؤلفه كل ما وعد به. ويستطيع أن تشهد بأنه الكتاب الوحيد الذي عثر فيه على أصدى المعلومات عن حياة تشجيع خان وخلفائه وعن عهدهم<sup>(١٣)</sup>.

ثانياً: كان رشيد الدين من مؤرخي البلاط، والمشهور عن هؤلاء أنهم كان يهمهم قبل كل شيء إرضاء السلاطين والأمراء ومجاراتهم بما يريدونه، وكتابة ما يوافق أغراضهم

(١١) بارثولد مجلة العالم الإسلامي ٩٩ Mir Ismail

(١٢) دائرة المعارف الإسلامية، عالم الإسلام باللغة التركية، ج ٩٨، ص ٢٦، استانبول ١٩٦٣ م

(١٣) جامع التواريخ، المجلد الثاني، الجزء الأول، تاريخ حولاكو، مقدمة كاترمير، ص ١٠، القاهرة ١٩٦٠



ومبولهم؟ فكان لا بد أن يظهر في تأريخهم التحيز والتعلق وإخفاء الحقائق. فهل كان رشيد الدين على شاكلة هؤلاء، وهل استطاع ككتاب مسلم أن يتجرد من التعصب عندما كان يتصدى لكتابة تاريخ الأمم الوثنية واليهودية والمسيحية، والذي كان يتعارض تعارضا تاما مع نصوص القرآن ومبادئ الإسلام؟.

للإجابة عن هذا السؤال نقول: على الرغم من أن رشيد الدين كان مؤرخا للبلاد، فإنه انتزم الجهاد الربيه بقدر المستطاع؛ فهو معجب بالمعول، يشيد بأعمالهم، ولكن دون مبالغة ولم يمنعه قط اتصاله بالمعول من أن يقول فيهم كلمة الحق؛ فكان يمكنهم العظيمة وإسراهم في القتل. يقول في هذا الشأن: "لا يخفى على من تتبع التواريخ الصحبة وسلك الطريق المعقول أنه لم تكن البلاد مطلقا أكثر حراها مما كانت عليه خلال هذه السوات، خصوصا في النواصع التي وصلت إليها جيوش المعول؛ إذ إنه منذ ابتداء ظهور آدم حتى قيام چنگيز خان ودرجه، لم يتيسر لأى ملك مثل هذه المملكة المسبحة التي سخروها وجعلوها تحت تصرفهم، ولم يقتل أحد في العالم من الخلق مثما قتل هؤلاء المعول"<sup>(١)</sup>.

أما كيف أرح رشيد الدين للأمم غير الإسلامية فهذا أيضا مما يدعو إلى الإعجاب والتقدير، فرغم أنه يرهن على نسكه بالإسلام، إلا أنه كان يتجنب الططنة والتعصب وظل وثقا من نفسه طول الوقت؛ إذ كان يعتقد أنه من الضروري أن تعرض تقاليد كل قوم حسب الصورة التي يحفظ بها الناس هذه التقاليد. يقول في هذا الصدد "على المؤرخ أن يكتب تاريخ كل قوم كما يبدو من رعمهم، وليس عليه أن يزيد فيه أو ينقص منه، فإذا كان حقا أو كان باطلا، فليقل كما هو في اعتقاد كل طائفة؛ وذلك يلقي عبء مسؤولية الزيادة والنقصان والحق والباطل في ذلك التاريخ على أصحابه لا على المؤرخ. وإنى أعود وأكرر هذا المعى هنا أيضا حتى لا لأخذ على ما يبدو غير معقول وغير مستساغ، وحتى لا يمتد إلى لسان الطعن فأعتر في هذا المعى إن شاء الله الواحد العزيز"<sup>(٢)</sup> وعلى ضوء هذا الاعتراف الصريح يمكننا أن نقرر أن رشيد الدين لم يكن يعرف النقد التاريخي؛ ونعنى به

(١) انظر فترجة

(٢) جامع التواريخ، مخطوط مكتبة الأهلية بطهران، ص ٤٣٦.

النظر في التاريخ بمعنى النقد وبين ما قد يتصوره من المعالط والأوهام<sup>(١)</sup>. يقول هارتولد "حاول رشيد الدين تسجيل الروايات التاريخية كما سمعها من روايتها بدون تعبير؛ فليس كتابه من هذه الوجهة تاريخاً علمياً بالمعنى المفهوم اليوم، إلا أنه يشغل في آداب العالم مكانة متارة من حيث اتساع دائرته. ولم ير اجتماع علماء جميع الأمم المنحصرة في العالم القديم وجميعهم للروايات التاريخية المتصلة بالتاريخ العام في كتاب واحد لا قبل ذلك الزمان ولا بعده.

وقد كان علماء أوروبا حتى القرن التاسع عشر يرون أن يفهموا من التاريخ العام تاريخ أوروبا الغربية فقط ومن رواية أحد مساعدي رشيد الدين من كتاب المسلمين يتبين أنه منذ ابتداء القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) كان ينظر إلى تاريخ العرب والفرس كأنه "أحد الأنهر التي تصب في بحر تاريخ العالم العام"<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: أتيج لرشيد الدين فرصة الاطلاع على الوثائق المكتوبة واستخدامها على نطاق واسع في استقاء المادة العلمية لتأليف كتابه. أما سلفه عطا ملك الجويني<sup>(٣)</sup> فعلى الرغم مما كان يتمتع به كتابه "جهانگشاي"<sup>(٤)</sup> من شهرة كبيرة في التاريخ للمعول، كانت نقصه هذه المرة؛ إذ كان اعتماده على الرواية الشعبية. كذلك عندما أرح رشيد الدين لشعوب العالم المختلفة، كان يستقي معلوماته من أوثق المصادر، ومن أمواه العلماء النساب والمختصين في تاريخ كل أمة ومعنى هذا أن رشيد الدين اعتمد الرواية الشعبية أيضاً مصدراً من مصادر التعرف على التطورات السياسية والتاريخية. ولو لم يكن رشيد الدين ثقة

(١) انظر جرجي زيدان: تاريخ كتاب اللغة العربية، ج ٣، ص ١٤٨، القاهرة ١٩٣١م.

(٢) تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حسنة طيفر، الطبعة الثالثة، ص ١٢٩ - ١٣٠، نشر دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٥٨م.

(٣) انظر لازيد من التضميلات من هذا المزاج في المقدمة لظفر الله كنيها العلامة محمد بن عبد الوهاب القرطبي، حقق كتاب تاريخ جهانگشاي، ج ١، لندن ١٣٢٩هـ - ١٩١١م عطا ملك الجويني وكتابه جهان گشت تأليف الدكتور السبكي محمد السبكي، ص ٧ وما بعدها، القاهرة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م علاء طهس عطا ملك الجويني حاكم العراق بعد قتلها، الخلافة العباسية، تأليف الدكتور محمد السيد جمال الدين، ص ٥ وما بعدها، القاهرة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٤) أي فاتح العالم وفرد به يتنجز حلال.

في كل ما كتب لنا أشاد به معاصروه ومن جاءوا بعده، ولما قلده كثير من المؤرخين بعد مجتهده.

رابعا: - ترد بالكتاب إشارات جغرافية هامة عن مناطق كثيرة كانت مجهولة لديها؛ لأنها إذا لاحظنا أن الأقاليم التي استطاع رشيد الدين أن يجمع عنها المعلومات الإيجابية الصحيحة هي الأقاليم التي لم تكن معروفة لنا فقط، وهي الرقعة الممتدة من بحر قزوين حتى الأطراف الشرقية، وتحتل وسط آسيا جميعه، وتذهب حتى حدود الصين. وفي هذا العهد، كانت تلك الأقاليم تكون جرما من الإمبراطورية المغولية. وقد وصفها رشيد الدين أدق وصف وأصدق، وأصاف إلى ملاحظاته الشخصية القيمة ما استطاع أن يجمعه عن مواقع المدن وطبيعة الجو وحاصلات الأرض والعادات والتقاليد الخاصة. يقول كراشكوفسكي: "في العصر المغولي بلغ الأدب الجغرافي باللغة الفارسية أوجها، ويتبين لنا من خلال فحص مصف رشيد الدين المشهور "جامع التواريخ" الذي وإن كان في جوهره أثرًا تاريخيا صرفا، إلا أنه يمكن اعتباره بنسب القدر مصمما في الجغرافية التاريخية أخصا"<sup>(١)</sup>.

خامسا: - وفق رشيد الدين في إعطائنا معلومات مفيدة في بعض الأقسام التي يحتويها المجلد الثاني المتعلق بالتاريخ العام قد لا نجد لها في غيره من المصادر؛ فقد أفاد في الحديث عن طائفة الإسماعيلية، وذكر خلاصة وافية لكتاب "سرگزشت سيدنا"<sup>(٢)</sup> الذي يشتمل على معلومات قيمة عن تاريخ الحسن بن الصباح مؤسس هذه الجماعة. فكانت هذه الخلاصة إلى جانب الخلاصة التي كتبها عطا ملك الجويني في الجزء الثالث من كتابه تاريخ جهانگشاي في غاية الأهمية والقيمة<sup>(٣)</sup>. ولا عرو أن يكون القسم الذي كتبه رشيد الدين عن هذه الطائفة أحسن ما كتب عن الإسماعيلية<sup>(٤)</sup>.

(١) تاريخ الأدب الجغرافي العربي القسم الأول، نقله إلى اللغة العربية صلاح الدين عثمان عامر، ص ٣٧٥، القاهرة ١٩٦٣م.

(٢) أي "سيرة سيدنا" والرد سيدنا عنا الحسن بن الصباح مؤسس فرقة شيعة الإسماعيلية في إيران.

(٣) انظر تاريخ جهانگشاي، ج ١ ص ١٦٥ من مقدمة المحقق محمد بن عبد القويص القزويني، لندن ١٣٢٩ هـ - ١٩١١م.

(٤) انظر جامع التواريخ، قسمت اسماعيليان وعلويان ووزاريان ودايميان ورفيقيان، تأليف حبيب رشيد الدين عبد الله عمادي، بكوش محمد علي داني، بروك وحمد ميرسي (زنجاني)، ص ١٢ من مقدمة المحقق.

كذلك أمكسا أن يعرف من هذا الجلد معلومات مفيدة بهمتنا أن نحيط بها، فهناك مثلاً إشارات عن إقليم التبت واعتناق أهل البوذية وارتفاع شأن هذا الإقليم عند المول؛ لأن البوذية كانت تنتشر منه، وتجذبهم إليها<sup>(١)</sup>. ويقرر رشيد الدين أن كهان التبت كانوا أعظم كهان البوذية مكانة خصوصاً في عهد قوبلاي<sup>(٢)</sup>. كذلك يذكر هذا المؤرخ معلومات مفصلة عن من طباعة الكتب الذي كان معروفاً في إيران كما كان معروفاً في الصين منذ زمن بعيد.

وإذا انتقلنا إلى القسم الذي كتبه رشيد الدين عن الفرج، فإننا سوف نجد أنها يشتمل على معلومات مفيدة ومثيرة للدهشة في ذلك الوقت. يذكر أربري Arberry أن الجوانب العديدة لتقافة رشيد الدين كانت مذهلة بحيرة بالنسبة إلى دارس كان يعيش في العصور الوسطى؛ فهذا المؤرخ كان يعرف قصة الكفاح بين البابا والإمبراطور، وأن أسكتلندا تدفع الضرائب لإمجلترا، وأنه لا توجد ثعالب في أيرلندا<sup>(٣)</sup>. وأما كارل فان فيصرح قائلاً "بالرغم من أن تاريخ الفرج يتمتع ببراء كبير في التفاصيل الممتعة التي ذكرها رشيد الدين، يمكن أن نقول بوجه عام من وجهة النظر التاريخية: إن ما كتبه لا يكاد يأتي بمعلومات جديدة أو غير معروفة تمهد البحث في تاريخ أوروبا في القرون الوسطى. ومع ذلك فإن هذا الكتاب في نظر المحققين، يصف بدقة الإنجازات الخاصة بالعالم كما كان يتصورها المسلمون المتحضرين في القرن الرابع عشر الميلادي (الثامن الهجري)، وهي صورة تدل بوضوح تام على أن وجهة نظر المسلمين في ذلك العصر هي الجغرافيا والتاريخ كانت تتمتع بالنسبة والافتتاح يوفق بكثير وجهة نظر الأوروبي<sup>(٤)</sup>.

كذلك عندما تحدث رشيد الدين عن تاريخ الهند يسطر الحديث في جغرافية هذه البلاد، وشرح مختلف العادات والتقاليد والأديان التي كانت تسود هناك<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر حاشية الماروف الإسلامية، الجلد الرابع، ص: ٥٣.

(٢) انظر جامع الفروع، جلد دوم در تاريخ باد شاهان مول از نوگهای دکان تاتپور قلان، تحقيق بلوشيه، ص: ١٥٠  
الترجمة العربية لهذا القسم، ص: ٢٩٨.

(٣) Classical Persian Literature, P 156 on Rashid al Din, London, 1958.

(٤) تاريخ فرج يافعلی از جامع الفروع، تأليف خواجه رشيد الدين فضل الله وروبر همنلي، با مقدمه وحوالي ولفارنس يكوشتي محمد دبير سيالي، ص: ١١١، مدخل "كارل فان"، تهران ١٣٣٩ هـ. ش. ١٩٦٠ م  
مجموعة خطابه هاي فقهيني در باره رشيد الدين فضل الله همداني، مقاله كنيها "كارل فان" باللغة الإنجليزية بمركز  
Rashid ge of Europe, PP. 9 25, Tehran, 1971.

(٥) انظر نفس المصدر السابق، مقاله كنيها بالإنجليزية K.A.Nizami، بمركز.

وعلى هذا النحو يكون رشيد الدين قد سيج في تأليف كتابه بهجا خلاصاً؛ إذ لم يتبع النهج الذي سار عليه بعض المؤرخين من العرب والعُرس الذين كانوا يعرفون أن التاريخ العام هو التاريخ للأُمم الإسلامية فقط، بل إنه كان يرى بحق أن التاريخ العام يجب أن يشمل وقائع الحياة لجميع أُمم العالم المعروفة في العصر للمولى، فيكون مشتملاً على تاريخ الشعوب ابتداءً من العرب حتى الصين في الشرق<sup>(١)</sup>. وإذن مرشيد الدين مؤرخ لا مثيل له في تعدد مصادره واتساع ثقته، وإن تلتقى بمؤلف مثله لا في هذا العصر، ولا في العصور التالية بهامج تاريخ العرب والعُرس باعتباره "جسولاً من الجسول العديدة التي تصب في بحر التاريخ العالمي"، ويعمل جاهداً في ترويب مادته من وجهة النظر هذه<sup>(٢)</sup>. وعلى هذا يمسك أن يشارك دون مشقة مقدار الخدمات الجليلة التي أداها رشيد الدين للباحث حين قدم لهم هذا السمر الضخم المشتمل على التاريخ الصحيح لجميع البلاد المعروفة في العالم حتى ذلك الحين. فهذا المؤلف يجمع بين سعة المعارف التي لا حد لها وحاسة النقد المستمرة ويستعصي عن الأُخار الأمطورية التي كانت شرة الجهل والسداجة بأخبار صادقة ولذلك يجب أن يحرص على قراءته بشغف كل أولئك الذين يرغبون في تحصيل المعارف الحققة، ويعملون ذهب الحقيقة على طريق الرائب والأخطاء<sup>(٣)</sup>.

سادسا عدل رشيد الدين عى التاريخ حسب نظام الحوليات، وتحت حشد جملة من الأحداث توصل تحت كل سنة، وتتصل بدول وشخصيات مختلة لا تجمعها رابطة، ولا تقوم بينها صلة؛ تأتي معثرة مشتتة لا يحصل منها على غرض. وفي بعض التواريخ قد نطلى أخبار الوفيات على الحوادث السياسية حتى لتتصاعل هذه، وتقتصر في الغالب على جمل قليلة مقتضبة؛ فيترتب على هذا أن تصبح مهمة الباحث شاقة عسيرة إذا أراد تقصى الموضوع والإفهام بأطرافه من كل جوانبه. أما رشيد الدين فقد أرح حسب الموضوعات وتناول تاريخ كل دولة وفقاً لترتيبها التاريخي. وهذه الطريقة أقرب إلى الدقة وحسن التنسيق. كما أنها تساعد الباحث في الحصول على المعلومات التي يريدها في يسر

«Rashid-al-Din Fadi Allah and India, PP 36-53.

(١) تاريخ إيران از دوران باستان تا پایان سبعة هجدهم ميلادى، تأليف ن. ويكولوسكايا وأنجريس

فرحنا كريم كشاورز، ص ٣٠٥، تهران ١٣٥١ هـ ش.

(٢) تاريخ الأدب الفارسي الفرسى، تأليف كراتشكوفسكى، نقله إلى اللغة الفريية صلاح الدين عثمان هاشم،

القسم الأول، ص ٣٩٦، القاهرة ١٩٦٣ م.

(٣) جامع الفوائد، المجلد الثاني، الجزء الأول، تاريخ هولانكو، مقدمة كترمس، ص ٩٦، القاهرة ١٩٦٦ م.

وسهولة وإذا كان قد وجد قبله من المؤرخين من دونوا التاريخ مفصلاً متصلة، فإنه يمتاز عنهم بالوصوح والدقة في توثيق الموضوعات، ووضع العهارس وإدراك الجريئات إدراكاً دقيقاً والتوفيق في ربط الحوادث وتسيق الوقائع التاريخية هذا فضلاً عن أن كتابه - كما سبق أن رأينا - سجل جامع لأخبار اسم للشرق والغرب، يتحدث عن الحوادث والكائنات من أول الزمان متتابعة، يظل بعضها بعضاً إلى وقت تأليفه.

سابعاً: يتميز كتاب جامع التواريخ أيضاً بسلاسة الأسلوب ووضوح العبارة وحسن التعبير والبعد عن التصفيد والغموض؛ فرشيد الدين لم يحاول أن يقحم في كتابه أساليب البيان والصنائع البديعية، تلك الآفة التي ابتلى بها التاريخ، فأخرجته في كثير من الأحيان عن الغرض الذي وضع من أجله. عظماء فعل مصاصره وصديقه "وصاف الحضرة"؛ فعلى الرغم من أهمية كتابه "تاريخ الوصاف" في التاريخ للعصر المملوكي في الفترة ما بين فتح بغداد وأواسط عهد السلطان أبي سعيد أي حتى سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م، نراه قد أفرط في استعمال الصاعكات اللغظية وحشد كتابه بأبيات الشعر وأبيات القرآن واقتباسات من عبارات البلغاء والأدباء فقلل ذلك كثيراً من قيمته والاتصاع به<sup>(١)</sup>. أما من يقرأ كتاب رشيد الدين، فإنه يستطيع أن يحصل على مراده في يسر وسهولة، ولا يشعر بسأم أو ملل هذا ويلاحظ بصفة عامة أن أسلوب جامع التواريخ يجري على نسق واحد في أغلب أجزائه. أما عندما ينقل مؤلفه أو يقتبس من كتب المؤرخين الإسلاميين فإن الأسلوب يتأثر قليلاً، وينتهي مشابهاً لما هذه في المصادر، ولكن هذا كان يحدث في نطاق صيغ ومحدود، ويبقى بعد ذلك طابع أسلوب رشيد الدين هو الطابع المألوف يقول المستشرق ريكا: "كتاب جامع التواريخ الذي كتب بأسلوب سهل سلس له أهمية علمية. والمجلد الأول المشتمل على تاريخ المغول الذي يعرض جريئات أكثر والمطالعات أوفى وأجمع، يعادل في قيمته سائر الكتب المشابهة لا سيما الكتب الصينية والمغولية"<sup>(٢)</sup>.

(١) لثلاثي هذا فخص قام الأستاذ عبد الحميد آبي في طهران بعرض شكر عليه إذ صلي تاريخ الوصاف من كل أنواع هذا الحظوة، والمصدر على الرواية التاريخية فقط، وذلك في دفة بالغة فأعدي بذلك للعلم عنة جلية، وشكر هذا الكتاب تحت اسم غرر تاريخ وصاف، طهران ١٣٤٦ هـ ش.

(٢) أدبيات إيران در زمان سلجوقيان ومغولان، ترجمة دكتور بطروب لؤسد، طهران، ١٤٨ هـ ش. تهران ١٣٦٤ هـ ش.

بقي أن نقول في صراحة إذا كان كتاب جامع التواريخ قد سلم من التكلف والتعقيد فإنه قد طمى عليه سيل جارف من الألفاظ المعلوية والتركية تتعلق بالإدارة ونظم الحكم وعادات الملوك وتقاليدهم، شأنه شأن غيره من الكتب التاريخية التي ألقت في تلك الفترة. وفي الحقيقة بدأت تلك الألفاظ تنسرب إلى اللغة العارسية منذ عهد السلاجقة والأتراك الغز والقراخطائين وآل أفراسياب. ولكن هذا التأثير كان محدوداً في عهود هذه الدول بالقياس إلى ما صار عليه الحال في العصر المملوكي<sup>(١)</sup> ولا شك أن هذه الألفاظ المعلوية والتركية الكثيرة نحتاج من المترجم مزهداً من اليقظة والدقة حتى يصل إلى تحديد معناها الدقيق باللغة العربية وفي سبيل تحقيق ذلك، عليه أن يطلع على المزيد من الكتب والمعاجم المتخصصة.

ثامناً: لم تقتصر قيمة كتاب جامع التواريخ على الناحية التاريخية والجغرافية محسب، بل صارت له قيمة همة كبيرة؛ إذ أن ازدهار من التصوير يرجع إلى حد كبير إلى هذا المؤرخ بل إن أكثر صور المدرسة المعلوية توجد مجمعة في مخطوطات كتابه جامع التواريخ وتبدو أهمية هذا الكتاب من الناحية الفنية على وجه الخصوص إذا ما لاحظنا أن أكثر مؤرخي العرب والعرب قبل رشيد الدين كانوا يعولون في تعريف أبطال التاريخ على الأوصاف المخردة من إطرأ لو إعجاب، ويمدو أن يسيروا إلى وصف المظاهر الطبيعية أو الصناعية أو الأبنية أو غيرها من المراتب ولا كانوا يصورون المواقع ولا الرجال لكرامية الإسلام للتصوير؛ فترتب على ذلك نقص هام في التصوير العربي لخلو كتبه من الخرائط أو الرسوم أو الصور المنقولة من الطليعة<sup>(٢)</sup>.

أما إيران فكانت هي طليعة الأمم الإسلامية التي لم يؤثر فيها تحريم التصوير تأثيراً كبيراً على الرغم من أن الفقهاء في هذا البلد، كانوا يكرهون التصوير والمصورين. ويرجع تركيز التصوير الإسلامي في إيران إلى أن الإيرانيين شعب مبال إلى الفن بغيره، وإلى أن أكثر الإيرانيين كانوا من دوى المحيط العقلي الواسع والأفكار الحرة والتسامح الديني؛ إذ كانوا يرون أن تحريم التصوير في حجر الإسلام إنما كان يقصد به محاربة عبادة الأصوات. أصب إلى ذلك أن الإيرانيين ورثوا عن أسلافهم أساليب فنية في النقش والتصوير. والواقع أن كتاب

(١) حساس إقبال تاريخ متصل لإيران، طبع لأول مرة مجلة جنكسر لتشكيل دولت نيموري.

ص ١٥٠. طهران ١٣١٢ هـ.

(٢) انظر جرجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٣، ص ١٥١، فقرة ١٩٣١.

جامع التواريخ بعد من أُلِّف المخطوطات التي تشتمل على صور دبية. هذا إلى جانب ماطر القتال والمعارك، والمناظر التي تشتمل حكام الملوك بين أفراد أسرهم وحاشيتهم<sup>(١)</sup>.

وأكثر دليل على اهتمام رشيد الدين بالفنون بصفة عامة والتصوير بصفة خاصة أنه أنشأ بالقرب من تبريز ضاحية جديدة أسماها "طريق الرشيدى"<sup>(٢)</sup> أقام بها المنازل والحوانيت ومصانع الورق والعاقد والمستشفيات، ومكتبة صحت ٦٠ ألف مجلد من الكتب العلمية والعمية باللغات المختلفة. واستقدم رشيد الدين إلى صاحبه الجديدة رجال الفن وأرباب الصناعات من مختلف الجنسيات. ولقِيت أيضاً من "أهل العلم" مساكن احتشد بها عدد يتراوح بين ستة آلاف أو سبعة آلاف سمة من الأساتذة والطلاب وكانت فنون الكتابة بصفة خاصة أحب الفنون إلى رشيد الدين. وعهد إلى مهرة الخطاطين والمصورين بمسح عدد من المؤلفات المختلفة وتصويرها. وهي مقلتها جميع مؤلفاته<sup>(٣)</sup>. هذا ويذكر صاحب تاريخ الوصاف أن رشيد الدين أُنْعِمَ أكثر من ٦٠٠٠ دينار على السخ والنحرير والرخمة والتصوير والنجليد<sup>(٤)</sup>. ولم تقف جهود المؤرخ عند هذا الحد، بل إنه راح يوقع

(١) انظر دون الإسلام، تأليف الدكتور ركني محمد حسن، الطبعة الأولى، ص ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، المجلد ١٩٤٨  
تصوير وأفلام العصور في الإسلام، مقالته لنفس المؤلف، ص ٩، هذه المخطوطات السنية يعود  
نواح جيدة من الثقافة الإسلامية، المجلد ١٩٢٨م.

(٢) للحصول على مزيد من التفاصيل عن طريق الرشيدى انظر مكاتبات رشيدى، حررها نواجه رشيد الدين  
فصل في طب، يسخى والشمس وتصحيح محمد شعيب، ص ٥٢-٥٦، ٢٣٥-٢٣٧، ٣١٧، ٣٢١، لا صور  
١٣٦٤هـ-١٩٤٥م ترجمة القلوب، تأليف حمد الله مستوفى قزوینی، بما مثاله وحواشيه وعلقات ومهارس  
بكوشش محمد دبیر سیاهی، ص ٨٧، مهرا ١٣٣٦هـ. في الكتاب المذكور (بإضافة) لتخليد ذكرى  
"كیشةای" مقالته محمود عرفان بدو. "زرگزارین نیاد عیر در ایران"، ص ١٨-٢٠، بهیای ١٩٤٨م  
مجموعه خطابه های خلیفای در سلوة رشید الدین فصل في خلیفای، مقالته بهیای وشمس، بهیای  
"رشید الدین وریح رشیدى"، ص ١١٢-١٢٢، طهران ١٣٥٠هـ. في عبد القلیسی کازنگ  
آثار باستانی اثر باستان، جلد اول. آثار وأهلیة تاریخ شهرستان تبریز، ص ١٦٢ وما بعده  
تهران ١٣٥١ هـ.

(٣) انظر كتاب الفنون الإسلامية، تأليف م. س. ديباند، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم الدكتور أحمد فكري  
الطبعة الثالثة، ص ٤٧، المجلد ١٩٨٢م.

(٤) انظر كتاب تاريخ الوصاف، تأليف أمين شرف الدين عبد الله بن فضل الله شيرازي، المجلد بوصاف المعصرة،  
ص ٥٢٩، طبع بهیای.



على الربع الرشيدى الأوقاف الكثيرة من أملاكه وثوراته الطائلة للصرف على المؤسسات التي يصفها هذا الربع وعلى نزلاته من مختلف الطوائف والطبقات، وسجل كل هذا بنفسه بعناية الدقة والتصيل في سجل وقفية الربع الرشيدى "وقفصة ربع رشيدى"، وذلك وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية. ولحسن الحظ سلمت هذه الوثيقة من الصباغ، وأمكن تصوير نسخة منها نشرت في طهران بإشراف عالين فاضلين هما مجتبی ميسوى ولهرج افشار سنة ١٣٥٠هـ. ش ١٩٧٢م.

وفي الحقيقة لم يكن رشيد الدين مؤرخاً محسوب، بل كان كذلك عالماً أدبياً له مؤلفات عديدة امتدت إلى كثير من أنواع المعارف الإنسانية؛ فقد ألف في الطب ومضى علم الأحياء والاقتصاد الزراعى والدين والأدب، وترك في كل ذلك آثاراً قيمة إلى جانب مؤلفه التاريخي، مما يهبط دليلاً قوياً على عظمة هذا الرجل وعمق تفكيره<sup>(١)</sup>. تقول "دوروتيا كرافولسكي": "لم يكتب رشيد الدين في التاريخ فقط، بل ترك أعمالاً ذات طابع كلامي وفلسفي. وهو يظهر في هذه الأعمال سبباً متشدداً"<sup>(٢)</sup>.

وإلى جانب هذا التفوق العلمى البارز - الذى كان يزيمه خلق طيب كريم - عرف عن رشيد الدين براعة التخطيط وحس الإدارة وتقديره للعلم والعلماء. ونحن لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا إن رشيد الدين كان آخر عجم لمع في سماء دولة الإيلخانيين؛ فقد صارت الأمور بعد رحيله تخبطي سريعة نحو الاختلال والتدهور ثم الانهيار.

بهذا يكون قد انتهيا من الحديث عن رشيد الدين وكتابه جامع للتواريخ، ونستقل في الصفحات التالية إلى الحديث عن رشيد الدين وتاريخ غازان خان.

(١) للحصول على معلومات مفصلة عن مؤلفات رشيد الدين انظر: جامع للتواريخ، تاريخ للصوفى المجلد الثامن، الجزء الأول الإلهاميون: تاريخ هولاسكو، مقدمة كاترمير، ص ١١٢ - ١٦٥ ترجمة الدكتور محمد المنصاف، القاهرة ١٩٦٠م مؤرخ للصوفى الكبير رشيد الدين فضل الله اجملى، ص ٣٧٣ وما بعدها؛ وقفصة ربع رشيدى، نشر رشيد الدين فضل الله بن أبى نصر بن عالى اجملى، مشتهر به رشيد الطيب؛ روى عنه مجتبی ميسوى - لهرج افشار، ص ٢١-٢٢، تهران ١٣٥٠هـ. ش.

(٢) مسالك الأهرار من مسالك الأنصار - دولة للملك الأول لایس فضل الله الميرى دراسة وتحقيق دوروتيا كرافولسكي، مشهد ص ٢٣، الترجمة العربية

## ثانياً : رشيد الدين وتاريخ غازان

كان عصر المغول أحصل العصور بالمؤلفات التاريخية. ومن المسلم به أن جامع التواريخ هو أحصل وأجمع هذه المصادر. وقد لورد رشيد الدين معلومات قيمة بعيدة عن العرض والموى والتعصب بقدر المستطاع، واتبع غاية الثقة في وصف المسائل السياسية والاجتماعية. فهذا المؤرخ الذي كان يعمل في خدمة المغول لا يستطيع أن يخفي وحشية جنكيز خان وقسوته. وكان لا يتردد في الكشف عن الجوانب المظلمة والمجمعة بحق الأرقام المغلوبة على أمرها. وإذا كان ينسب على جنكيز خان وأحفاده؛ فإنه يبدو من الواضح أن هذا لم يخرج من مراعاة موقفه الدقيق الذي يقتضيه أحياناً أن يعمص عيه عن الحقيقة المؤلمة وفقط يبدو أن مدحه وشأه على غازان كان نابعا من صميم قلبه وحقيقة شعوره نحو هذا العاهل المغولي<sup>(١)</sup>

وإذا كانت عبقرية رشيد الدين كمؤرخ قد تجلت في تأريجه لجنكيز خان، فإنها لتتحلى أيضاً بصورة أنه وتشمل في تأريجه لغارات خان يبدو ذلك واضحاً في إحاطته الكاملة بجميع أطراف حياة هذا الرجل منذ ولادته حتى وفاته، وتنبع ما تم في عهده من إصلاحات؛ فالأقوال التي وردت في هذا الشأن لم تذكر في أي مصدر آخر على نحو ما نراه في مؤلف رشيد الدين من الإفاضة والتصيل.

وهي الحقيقة حيسا أراد رشيد الدين أن يؤرخ لغازان خان، محسّ أنه قد أخذ على عاتقه تسجيل هذا السلطان؛ ورأى من واجبه الأول أن يبرر تلك الشخصية في صورة كاملة من شتى جوانبها، فكان فيما كتبه عنه موقفاً عزيز المادّة. ولقد مهدّ له منصبه الرسمي - الذي كان يشغله - أن يكون على علم تام بكل التفاصيل والتنظيمات المعمول بها في حكومة المغول. وعندما ذكر قصة إصلاحات غازان خان، كان على مقربة منها، وواقعاً على دقائقها وتفاصيلها وشاهد عيان لكل ما تم من إنجازات، ومشيراً بالرأى السديد والتفكير والعقل الراجح كي تؤتي هذه الإصلاحات شأها الياقة وتغفق ههنا المشود. وهكذا كتب رشيد الدين قصة الإصلاحات هذه بدرجة تفوق المادة العريضة التي كتبها في الأجزاء الأخرى من كتابه، وبصورة حية صادقة قلما يصادفها في العصور الوسطى بين المؤرخين في آسيا وأوروبا<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر مجموعة خطابه حاي تقيي در باره رشيد الدين فصل الله صديقي. مقالته بعنوان: بررسی اوضاع اجتماعی ایران از خلال جامع التواريخ بقلم د. خرمي جاني، ص. ٦٠، طهران ١٣٥٠ هـ.

(٢) بارتولد، مجلة العالم الإسلامي، ١٩١٤، ص. ٥٤.

وعى في الحقيقة لا يستطيع أن يأخذ على رشيد الدين ما كتبه عن عازان بذلك الصورة التي قد لا تخلو أحياناً من البلية، وذلك لسبب بسيط هو أن مؤرخين من "العاصرين أو اللاحقين" قد أجمعوا على توحيد عازان خان والإشادة بما قام به من إصلاحات وذلك من قبيل الوصاف والباكني وحمد الله المستوفي القروبي ومحمد ابن علي الشيبانكاري ومحمد بن هندوشاه البخجواني وميراجواند وحوالدمير هؤلاء قد أثروا على عازان خان أثناء عاظرًا وأشادوا بما قام به من إصلاحات. أما للمستشرق الفرنسي جروسيه<sup>(١)</sup> "Grousset" فقد راح ينتهم رشيد الدين بالتحيز لعازان إلى أقصى حد؛ إذ رغم أن هذا المؤرخ كان مبدوراً على إحقاق عيوب هذا الإلهام، وعلى العكس راح يطرئ بحماسة بمبالغة تامة. وعى لا نوافق جروسيه على هذا التعميم.

أول ما نلاحظه على تاريخ عازان خان هو أن مؤلفه رشيد الدين كان يستشهد بالعديد من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وأبيات الشعر العربي والأقوال المأثورة لتأييد وجهة نظره. وكان يصح كل ذلك في موضعه المناسب. ولا عرو فقد كان رشيد الدين يجيد اللغة العربية، ويؤلف بها، وبعد من المتأخرين من أصحاب اللسانين الفارسي والعربي. وإذن فليس بصحيح ما ذكره الأستاذ عباس الحلوي<sup>(٢)</sup> من أن عربية رشيد الدين كانت ركيكة ضعيفة. ولما كان عازان خان يعرف جيداً تفوق رشيد الدين في اللغة العربية، كان يصحبه في حملاته على الشام ليحرر المنشورات بهذه اللغة، بحث فيها المدافعين عن المدن والقلاع على المبادرة بالتسليم حقاً للعلماء؛ فكان هذا يحدث أثره الفعال ويحقق عازان غرضه المنشود دون قتال<sup>(٣)</sup>.

أما عن الموضوعات الرئيسة التي اشتمل عليها تاريخ عازان خان، فإنه يمكن حصرها في الأقسام الثلاثة الآتية:

(١) إسماعيل بن سحران، ترجمة عبد الحسي ميكله، چاپ سوم، ٦٦٨ هـ، طهران ١٣٦٨ هـ.

(٢) الفريديف، بنالزويش (١) في عهد النعمان وفتر كسان (٦٠١ هـ - ١٢٠٤ م) - ٩٤١ هـ - ١٥٣٢ م.

ص ١٤٦، بغداد ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

(٣) انظر الترجمة العربية

**القسم الأول-** يختص بحياة غازان خان منذ ولادته ونشأته وتربيته تحت إشراف جده أباقا خان، وإعداده للمهمة الخطيرة التي تنتظره. وقد عهد به إلى أحد كبار العلماء من الخطا يشرف على تربيته ويعلمه الخط المولى الأيوبرى والعلوم والآداب. وفي مدة خمس سنوات، استطاع أن يتقن تلك المعارف. وبعد أن حصل هذه العلوم، شرع في تعلم العروسة والرماية، وخفف بالصيد والفنص والرماية والتفغل والإرغال.

وقد شب غازان على البوذية قبل اعتناقه الإسلام، وشيّد لها عدة معابد في خراسان. وكان يسر كثيرًا بمصاحبة الكهنة الذين ينتمون إلى هذا الدين والذين كانوا قد وعدوا إلى إيران في جماعات كبيرة مد عرس المولى سلطانهم على هذه البلاد<sup>(١)</sup>.

ولما اعتلى أرغون والد غازان عرش إيران، اختار ابنه ليكون نائبًا عنه في حكم إقليم خراسان، وعهد إلى "بوروز" بأن يكون ملازمًا لغازان ومساعدًا له في إدارة هذا النفر اعام. ولكن بعد مدة خرج سوروز على طاعة غازان، وجهر بالتمرد والعصيان. فما كان من غازان إلا أن حاربه بشجاعة واستبسال. ولما وجد سوروز أنه لا يقوى على مقاومته، أعلن الخسوع، وقدم فروض الطاعة، فعما عنه غازان وضعه إلى صفه، وصار واحدًا من أخلص أتباعه إلى أن حقد عليه غازان بعد اعتلائه العرش وعمل على التخلص منه.

كذلك مما يسترعى النظر في هذا القسم أن رشيد الدين قد أبرز شجاعة غازان عندما وصل رسل جيخاتو خان (٦٩٠ - ٦٩٤ هـ / ١٢٩١ - ١٢٩٤ م) ومعه عدة أجمال من أوراق النقد "الچاو"<sup>(٢)</sup> والأدوات الخاصة به من الورق الأبيض والأختام وغير ذلك بقصد ترويح هذه العملة في خراسان. وكان غازان في ذلك الوقت نائبًا ونائبًا عن عمه جيخا توحان في إدارة هذا الإقليم، وهو نفس المنصب الذي كان يشغله في عهد أبيه أرغون، فقال غازان: إنه لا بقاء للأدوات الحديدية والأسلحة في ماربردان وما جاورها من مناطق بسبب جوها الشديد الرطوبة، فكيف يمكن أن يبقى الورق دون أن يطفأ؟! .. ثم أمر بإحراقه شامًا، وامتنع عن تنفيذ قرار السلطان جيخاتو<sup>(٣)</sup> كذلك تعصم هذا القسم نزاع غازان مع باينلو وقيام الحرب بينهما.

(١) الدعوة إلى الإسلام، تأليف سير توماس، و فرولند، ترجمه إلى العربية الدكتور حسن إبراهيم حسن وآخرون، ص ٢٦٢، الطبعة الثانية القاهرة ١٩٥٧ م.

(٢) انظر المزيد من التفصيلات من هذه المسئلة الورقية في كتاب الفخر الإسلامى، ص ٢١١ وما بعدها (٣) انظر المرجع.

ولعل أهم ما اشتمل عليه هذا القسم أيضاً هو أن رشيد الدين رَوَّد الفارسي جمعيات واجبة عن الحدث العظيم الذي يمرّ حياة عاران ومن جاء بعده من حكام المعول في إيران، ألا وهو اعتناقه الإسلام بناءً على مشورة موروز وانخاضه هذا الدين - لأول مرة - ديناً رسمياً للدولة المعول في إيران.

والتواقع أنه قبل غازي خان، كان في الإدارة الإيلخانية بإيران تيارات يتنازعان حول الصورة التي ينبغي أن تكون عليها الدولة الباعضة. أما التيار الأول فيريد إنشاء دولة مركزية قوية المسيطر فيها الإيلخان وكبار موظفيه وضباطه. وأما التيار الآخر فإنه كان لا يزال متعلقاً بنظم الأرستقراطية البدوية المعولية إبان حركة چنگيز خان الكبرى. ولا شك أن الموظفين الإيرانيين الكبار في الدولة كانوا من أنصار التيار الأول لما فيه من تدعيم لمكانتهم ومن محافظة على ثقافتهم المدنية ومدنهم ومجتمعهم. وقد غار هذا التيار بالفعل بوصول عاران إلى العرش. ومع تحول عاران خان إلى الإسلام، سقطت القواصل القائمة بين الحاكم وشعبه<sup>(١)</sup>.

وهكذا لم يكن هناك بد من أن ينهض الإسلام من تحت أنقاض عظمته الأولى وأطلال مجده التائه، كما استطاع بواسطة دعائه أن يجذب أولئك الفاتحين الشريريين ويحملهم على اعتناقه. ويرجع الفصل في ذلك إلى نشاط الدعاة من المسلمين الذين كانوا يلاقون من الصعاب أشدها لمهاجرة ماضين قومين كانوا يحاولون إحرار قصب السبق في ذلك المضمار. وليس هناك في تاريخ العالم نظير ذلك المشهد الغريب، وتلك المعركة الحامية التي قامت بين البوذية والمسيحية والإسلام، وكل ديانة تسعى الأخرى لتكسب قلوب أولئك الفاتحين الفساة الذين داسوا بأقدامهم رقاب أهل تلك الديانات العظيمة ذات الدعاة والمبشرين في جميع الأقطار والأقاليم<sup>(٢)</sup>.

ونتيجة لاعتناق غازان الإسلام، كان لا بد من تغيير سلوك المغول وقواعدهم ومفرداتهم؛ إذ لم يعد هناك مفر من العنول عن العمل بقواعد الياسا التي وضعها چنگيز

(١) انظر كتاب الحرب وإيران - دراسات في التاريخ والأدب من منظور الإثنولوجي تأليف دوروث كرغولسكي، ترجمه من الألمانية الدكتور وصويان السيد ص ١٨٨ - ١٨٩، الطبعة الأولى، بيروت ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

(٢) الدعوة إلى الإسلام، ترجمة هريه، ص ٢٥٠.

حان<sup>(١)</sup>، وترك عادات اللغول وتقاليدهم القديمة. وكان هذا مما دفع عاراك إلى وضع ياسا جديدة عرفت بالياسا العازنية<sup>(٢)</sup>. وليس هناك شك في أن هذه الياسا التي وصحها وشرحها بالتفصيل المؤرخ رشيد الدين هي أرقى وأنسب للحياة الجديدة، وما ذلك إلا لأنها واقعة تحت تأثير الحضارة الإسلامية ووجود ورير مثل رشيد الدين فصل الله<sup>(٣)</sup>.

ولكن نارت شكوك وشبهات حول إسلام غازان خان في عصره وبعد عصره؛ غير أنه لم ينهض دليل قوي في سيرة هذا الإلهخان يؤيد هذه التراجم بل على العكس رأينا قد أخذ على عاتقه المحافظة على شعار هذا الدين في حماسة وشجاعة طوال عهده<sup>(٤)</sup>؛ حتى أنه وهو على فراش المرض قبل وفاته، لم يسأل أن يوصى الخاضعين بالتمسك بأهلاد الدين الحنيف والمحافظة على الإصلاحات التي قام بها، والتي كانت من وحى اعتناقه للإسلام، ونتيجة مباشرة له كما حثهم على الالتصاف حول أخيه وولي عهده "تولجانيوز". وأخيراً نصحبهم بضرورة الاتحاد والتآزر وبهد الخلافة<sup>(٥)</sup>.

ورشيد الدين ورير غازان ومؤرخ عصره يؤيد بالبرهان صحة عقيدة غازان ورسوخ إيمانه فيقول "وكان ظني أكثر الناس أن سبب إسلامه، يرجع إلى ترغيب بعض الأمراء والمشايع وحثهم له على ذلك. ولكن بعد التمعن، علم أن ذلك الظن خطأ؛ لأنه أثناء الخلوة بي أنا العبد الضعيف مؤلف هذا الكتاب قرر أن هناك عدة ذنوب لا يهملها الله عنها أكثرها أن يسجد شخص لخصم؛ إذ إنه من المؤكد والمقطوع به أن الله لن يعمر ذلك الدنس وأن المساكين من الناس المتبلين بالجهل هم الذين يسجدون للأصنام، وأنا أيضاً كنت مثلهم. ولكن الحق تعالى وهبني النور والعلم، فنجوت وتطهرت من ذلك الإثم بهداية

(١) انظر لمصطلحات عن هذه الياسا في كتاب اللغول نسي التاريخ، تأليف الدكتور لؤي عبد المطلب الصباد، ص ٣٣٨ وما بعدها، القاهرة ١٩٧٥م.

(٢) خلاصة تاريخ سياسي واجتماعي ومرعشي إيران ناهايان عهد صفوي، مجموعة مقالات دكتور ديبج الله صفا (٢)، ص ١٨٨، طهران ٢٥٣٦ شاعشلي.

(٣) مجموعة خطابه حاي تحقيقي درباره رشيد الدين فضل الله مصلاني، مجلة بتوان، انكسار لوزاع اجتماعي در آثار رشيد الدين فضل الله بقلم د. غلامحسني يوسف، ص ٤٢٢، طهران ١٣٥٠هـ.ش.

(٤) الفتح الإسلامي، ص ٢٥٣ وما بعدها.

(٥) تاريخ وصاف، ص ٤٥٧-٤٥٨، طبع بمسكني عبد الله الفتاشي، تاريخ لوجسايوز ص ١٣-١٤، طبع طهران ١٣٤٨هـ.ش.

حصرة الحق تعالى. وتوضيح هذا الكلام أنه ليس هناك شيء قط يحمل الإنسان إلى المحيم سوى الجهل؛ بل إن الجهل نفسه هو جسيم لا يمكن الخروج منه. فكيف يستسيح العقل السجود أمام حماد؟! إن هذا الإقدام دليل على الجهل الخفى<sup>(١)</sup>.

وفي موضع آخر من كتاب تاريخ عاران خان يؤكد رشيد الدين هذا المعنى ويبيّن عن اللبس والإيهام بقول: "إن غازان كان صادق المشهور في اعتناقه الإسلام، ويكرر وينقّى أن يكون سبب اعتناقه هذا الدين تأثير بعض الأمراء والمشايع، بل كان يهتدى من الله إذ إنه من المغرب أن المسلمين إذا أجبروا أقل الناس شأنا على أن يكون ملكاً أو حاكماً عليهم، فإنه حسب ميله هو نفسه يدين بعقيدتهم. فإذا وجد الفرصة سانحة في تلك الولاية أو في ولاية أخرى فإنه يرجع إلى عقيدته الأولى. وإذا فاته حاجة تصطر مثل هذا السلطان الرفيع القدر، الباطش القوي إلى الالتفات إلى كلام شخص من الأشخاص في مثل هذا الأمر الخطير، فيتحول عن مذهبه أو يختار دينا آخر مكرهاً لا سيما وأن آباءه قد استولوا على ممالك العالم في زمن كفرهم!"

وبناءً على هذه المقدمات علم أن آخره يكون في هذا الأمر مثل أجر إبراهيم الخليل - صلوات الله عليه فقد أدرك منذ البداية بفضل نور الهداية الربانية صلال عبادة الأوثان، فحطم صممه وعرف الله بإيمانه الوجداني. كذلك كان إسلام السلطان على هذا السؤال. ورغم عظمة الملك وجبروته، فإنه عندما تحول عن عبادة الأصنام واعتنق ديس الإسلام، حطم كل الأصنام التي كانت بلاد إيران وخرب تحريماً تاماً كل بيوت الأوثان وحلّ المعبودات غير الشرعية، وأدخل في الإسلام جميع عابدي الأصنام والكفار الذين كانوا يريدون على عدد الرمال؛ بحيث إنه لم يضطر إلى قتل أي مخلوق. ولا بد أن هذا يكون له ريادة في الأجر<sup>(٢)</sup>.

وللصنف من الباحثين الأوربيين دافعوا عن عقيدة هذا السلطان وأثبتوا أن إسلامه كان عن صدق وإخلاص لا عن تظاهر وبفاق<sup>(٣)</sup>.

كذلك تحدث رشيد الدين في هذا القسم عن الدسائس والمؤامرات التي كانت تحاك ضد غازان وصعد كبار معاويه من القواد والساسة، وبيان ما اتصف به من حرم وشدة مجاهدة هذه المشاكل والتغلب عليها. وكان يقول في هذا الصدد: إن قتل شخص من

(١) انظر الترجمة

(٢) انظر من المصدر.

(٣) انظر فرق الإسلام، ص ٢٥٦ وما بعدها.

الأشخاص أمر صعب على جنك، ولكن إذا لم تراع السياسة والحرم في المحافظة على القضايا الكلية والجزئية فإنه لا يمكن تدبير الملك<sup>(١)</sup>.

القسم الثاني: يتخصص التاريخ السياسي للفترة التي حكم فيها غازان خان، كما يتخصص شرحاً للحروب التي خاضها، والفتوحات التي تيسرت له. ولعل أهم ما اشتمل عليه هذا القسم أيضاً يتمثل في نكبة "توروز" نائب غازان خان، وأكبر شخصية في عهده، فمن المعروف أنه مد أن تصالح بورور مع غازان، وتعهد له بالأمان، ولكنه لم يوف به. وكان له فصل كبير في حبه على اعتناق الإسلام. كما شجعه على ضرورة مقاومة بايبدو والانتزاع العرش منه. والحق أن "توروز" بذل جهوداً كبيرة في هذا السبيل حتى تم لعازان النصر على خصمه بايبدو، واعتلى عرش المغول في إيران في نهاية سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٥م

ولو كان بورور يفكر في عيانة غازان وطمعه من الخلف والتخلي عنه مرة أخرى لانهزم فرصة إقامته الجبرية عند بايبدو، وانضم إلى صفه بعد أن بدلت معه محاولات عديدة من وسائل التهديد والإغراء، وما ذلك إلا لأن "توروز" في نظر بايبدو وأتباعه هو الساعد الأيمن والعقيلة المصكرة التي ترسم لعازان الخطط وتوجهه التوجيه الصحيح، وأن استقرار البلاد موط بالاعتماد بين بورور وبايبدو<sup>(٢)</sup>. ولكن هذه المحاولات كلها باءت بالفشل، ولم تفلح في إقناع توروز بالتخلي عن موقفه المؤيد لعازان. وأخيراً لجأوا إلى أخيه "لغري" الذي كان من حملة أسراء بايبدو في ذلك الوقت لعله يفلح في إقناع أخيه بالتخلي عن غازان والانضمام إلى صفوفهم، ولكنه فشل في مهمته. وكان رد توروز القاطع في هذا الشأن يتلخص في هذه الكلمات الصريحة: "يا أخى! إننى منذ ثلاثة أشهر في موضع "شورغان"<sup>(٣)</sup> قد حلقت بعد العصيان والطمعان أيماناً مغلظة، وقطعت الصهود لعازان بألا أخالعه بعد هذا ما دمت حياً، ولا أسلك معه سبيل العدا، وإن أكون صديقاً لصديقه وعدوا لعدوه. فبأى وجه أنقص العهد وأنتك للميثاق. أتريد أن أكون ملوماً ومذموماً في الدنيا ومستولاً ومعاقباً في الآخرة؟!". كما أن رابطة المحبة والمودة هي ولاتى وخدمتى لغازان هي بدرجة من الاستمرار والديموم والاستحكام بحيث لا تنفصم إلى نهاية العمر

(١) انظر الفرحه.

(٢) انظر كتاب الفرق الإسلامى، ص ٢٣٦

(٣) تكذب أيضاً شيوركمان، وتغلغلها العامة فضول شيركان. متبعة طيبة من الجورجان قرب بلخ، ويسمها وبس أثير مرحلة من جانب الجنوب وكانت عبارة لفظة أيام الغزو للمغول، بقصدما التجار ويمعون فيها الأمتعة الكثيرة

(مجموع البلدان، ج ٣، ص ٢٢٢، ندر صافر، بيروت ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م بلقان الخلافة الشيركية، ص ٤٦٨)



وانقضاء الحياة؛ لأنه اليوم الحقائق بالاستحقاق والملك على الإطلاق، وإني أرى من واجبي أن ألتزم بطاعته في كل أمر، فليس لوروز أمير أو ملك سواء، وليس لي شأن بالآخرين". ولما وجد لگزى أنه لن يستطيع أن يؤثر على أخيه، قال له: "يا أخي! أنت ما دمت مصرًا على هذه العقيدة، ومتسكًا بهذا الرأي؛ فلن تأمر على نفسك من هؤلاء الرهط". فرد عليه نوروز في ثبات وإيمان قائلاً: "رغبنا بقضاء الله وقدره. فأى شيء صوره الزمان ولم يمحى، وس الذي عاش ولم يموت. وإذا قدر الله أجلى على هذا النحو فمن الذي يمكنه رد ذلك أو دفعه؟". وإذا لم يقدره سبحانه، فلست أخشى مائة ألف عدو قاهر<sup>(١)</sup>.

ولكن بعد هذه الجهود الجبارة التي بذلها نوروز في خدمة غازان، بدأت عناصر الشر تتجمع وتدير المؤامرات ضده، فأوحوا إلى غازان أنه كان يتصل سرًا بسلطان مصر، وأنه أطمعه في انتزاع الملك من المعول في إيران. ولحقك هذه المؤامرة زوّرت عدة رسائل على لسان نوروز تؤيد هذا الاتهام؛ فصدر قرار الإلهخان باستئصال شائقة جميع أفراد أسرة نوروز وأتباعه، ومعذ هنا على المعول<sup>(٢)</sup>. كذلك كلف غازان قائده "قتلج شاه" بمحاربة نوروز والقضاء عليه، ولكنه لاد بالقرار بعد أن انقص حنوده من حوله، وسار هائمًا على وجهه إلى أن لجأ إلى حماية "فخر الدين كرت" ملك هراة الذي توسم فيه نوروز خيرًا إذ كانت تربطه به صلة قرابة من جهة. كما كان يطلوqe بمتته وأقصاده الكثيرة من جهة أخرى. ولكن الملك فخر الدين تكرر لكل هذا، واحتفل نوروز وأرسله مكيلًا بالقيود إلى القائد المعول قتلج شاه<sup>(٣)</sup>.

ويتحدث رشيد الدين عن هذه الواقعة فيقول: "سأل قتلج شاه "نوروز" لم فعلت هذا؟ .. أجاب: إن غازان يستطيع محاكمتي لا أنت. وكلما سئل بعد ذلك، لم يجب على الأسئلة الموجهة إليه. وسبب ذلك أنه لم يرتكب دنيا قط، وأنه لا إثم عليه". ثم أمر قتلج شاه بقتله واحتز رأسه وأرسله إلى غازان. وكان هذا في ٢٢ من ذي القعدة سنة ٦٩٦هـ<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر رشيد الدين: تاريخ بيارك غازاني (دستخان غازان خان)، عتق كارل بلا، ص ٧٣-٧٤.

(٢) حمد الله المستوفي القزويني: تاريخ كزيمده، بالمعصم دكتور عبد المحسن بولسي، ص ٦٠٩، تهران ١٣٣٦-١٣٣٩هـ.ش.

(٣) انظر كتاب الفرق الإسلامي، ص ٢٨٣.

(٤) انظر الترجمة.

إذن رشيد الدين هنا يعترف اعترافاً صريحاً بمرارة نوروز من التهمة الموجهة إليه. ولكنه يعود ويتناقص مع نفسه، ويذكر في أكثر من موضع من تاريخ غازان أن نوروز عمد إلى الحياة عدة مرات، وكان السبب في تخريب خراسان، وأنه يعمل على تبييد الأموال. وليس هذا بصحيح لأن "نوروز" استمر على إخلاصه لغازان كما سبق أن ذكرنا. ولم يبد على تصرفاته ما يؤخذ عليه.

وعلى هذا يكون رشيد الدين قد وقف إلى جانب غازان يؤيده ويبرر أعماله بهير حق لأنه في مركز القوة والسلطة ولا يسعى أن يفسد إلى جانبه شخص آخر يمكن أن ينافس. يقول بروكلمان: <sup>(١)</sup> "صطبح غازان في عرض سلطانه على دوى قرباء وعلى أمراء الملوك أبلغ القسوة وأقبح العنف، وحتى الأمير نوروز الذي كان له الفصل في ارتقاء العرش لم يلبث أن ذهب ضحية هذه السياسة".

والواقع أن تمتع غازان حان بالسلطة المطلقة التي لا تقف عند حد تكون أحياناً مصدرها في إزبال הכבאות والمصائب على رؤوس مرعوبيه خصوصاً أولئك الذين يقتربون منه. يقول دوسود (٢): "لا توجد صفحة من كتاب جامع التواريخ في اجراء الذي يتناول الحوادث التي وقعت في عهد غازان لم يتحدث فيها المؤلف عن قتل هذه الشخصية أو تلك من الشخصيات البارزة".

ورغم كل هذا يرى رشيد الدين يدافع عن غازان ويجرده من كل عيب! فيصاها مثلاً قوله: "وإذا حلف المظلمون على بواطن الأمور بالأيديان المعلقة أن سلطان الإسلام حلد ملكه لم يقتل أحداً مطلقاً إلا ذلك الشخص السيئ الخلق، ولم لم القصاص عليه، وأن وجود الأشرار هو عين الضرر للعالمى فإن إيمانهم صحيحة لا نستلزم الكفارة"<sup>(٣)</sup>. فهذا القول لا يخلو أيضاً من مبالغة، ويخالف الحقيقة. ولما أن تسامح! إذا كان الشخص المعادي لغازان يستحق العقاب فما ذنب إخوته وأفراد أسرته وأنصاره وأتباعه إذا كانوا أبرياء؟ للأسف كان يقضى عليهم أيضاً. وهذا ما كان يحدث في عهد غازان وغير غازان من ملوك الملوك

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية الدكتور به لى فارس وسير الجليلي، ج ٢، ص ٢٧٤، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٤٩م

(2) Histoire des Mongols, IV, P.200

(٣) انظر الترجمة العربية

السابقين. فحين لا ننسى مثلاً نكبة الجوهنيين في عهد والده أرغون خان<sup>(١)</sup> وأساساً الجوهانيين في عهد أبي سعيد<sup>(٢)</sup>. ففي شريعة المغول أنه ما دام الشخص - كائناً من كان - قد نكب، يعنى أن ينكب كذلك كل من يتصل به من قريب أو بعيد. وهذا لا شك ظلم فادح وتصرف جائر بعيد عن الحق والعدل، ولا يمكن تبريره مهما حاول رشيد الدين. وإذا فالأمر الذي لا شك فيه أن غازان خان على الرغم من أنه يعد أكاماً سلاطين للمغول في إيران، وأنه رزق القدرة الكتابية على إدارة شئون الحكم، كان قاسياً ومتشدداً إلى أقصى حد، ولا يقيم ورثاً لأى شخص مهما كانت مراتبه، وحتى أقاربه ودووه لم ينجوا من بطشه وقتله. روى أنه خلال شهر واحد قتل خمسة من أسراء الأسرة الحاكمة وسبعة وثلاثين من أسراء المغول الآخرين<sup>(٣)</sup> وكما يقول هورث "Howorth"<sup>(٤)</sup>. "برهن عازان بذلك على أنه ليس أقل من أبيه (أرغون) جرأة على سبك الدماء".

وهي موضع آخر جاءت كلمة الحق على لسان رشيد الدين؛ وذلك عندما أهرر - من غير قصد - السرعة الديكتاتورية المفرطة في شخصية عازان خان، إذ يقول عنه "لم يكن يدع سبيلاً لأى أمر لو ورنى كى يعترض ويتحدث عن شأن من الشؤون، ولم يكن يقيم ورثاً أو اعتباراً لأى واحد يعرض فكره أو رأياً، بل يظل الجميع منتظرين ومترقبين إشاراته لتتبع ما يأمر به إلى حد أنه لم يترك عالماً لمخلوق كى يسأله حتى عن يوم الرحيل" ويضاف رشيد الدين مبرراً هذا التصرف، فيقول: "وهي الحقيقة لم يشق ذلك على أى شخص منهم لأنهم جميعاً شاعروا أن نفسه هي الأكمل ورأيه هو الأصوب من كل الوجوه وكذلك حركاته وسكناته مُرته إلى أقصى حد، فلا جرم أن رأوا أنفسهم لا شئ بالقياس إلى كفاءته"<sup>(٥)</sup>.

كذلك من الموضوعات الثلاثة للظفر والجنديرة بالتأمل في هذا القسم الثامى، الحملات التى شنها غازان على القوات المصرية والسورية فى بلاد الشام، والتى انتهت بهزيمة على يد المصريين والسوريين، وتخليص الإقليم السورى نهائياً من سيطرة المغول

(١) الشرق الإسلامى، ص ١٥٣ - ١٦٠.

(٢) نفس المرجع، ص ٤١٨ وما بعدها.

(٣) انظر كتاب فوجيات مغول، تأليف ج. ج. ساندرز، ترجمة طيو فنداس جانت، ص ١٣٤، تهران ١٣٦٣ هـ.

(٤) History of the Mongols, Vol.3, PP.404-405.

(٥) انظر الترجمة

قام غازان خان بثلاث حملات على الشام؛ ففي المرة الأولى وجد هذا السلطان الفرصة ساحة محاربة للمالِك بحجة الدفاع عن الإسلام والمسلمين في هذا الإقليم فتقدم الجيش المصري بفؤده السلطان الناصر محمد بن قلاوون، والتقى الجيشان عند "مرج المروج" شرقي حمص حيث دارت معركة عبقة في ١٧ من ربيع الأول سنة ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م أسفرت عن انتصار المغول.

وعندما أُرِّخ رشيد الدين لهذه الحملة لاحظنا أنه راح يكيل المدح للسلطان غازان وصار يطرئ شجاعته وبطولته؛ يذكر أنه وقف في القلب كأنه جبل شامخ، وكان المصريون محتشدين إلى أقصى حد على عددهم وعنتهم، غير أنهم لم يكونوا يتركون أنهم وضعوا أقدنهم على أذنان الحيات، وأيديهم على الأشواك. ولما فتح العرب الكيس على المعول كانت القنرات المولوية تقف لهم بالمرصاد، فملعتهم وشئت شملهم، وسمع سلطان الإسلام صوته من الوادي الأيسر يقول: لا تخف نجوت من لقوم الظالمين<sup>(١)</sup>، فكان لتلك البشري أثر قوى في نفسه الماركة، وصار يرجس كالأسد المحصور، ويتمزق صموف الأعداء، ويجسد أبطالهم بظمن السان. ثم صاح على حوده ففزلوا وأمطروا الأعداء برابل من السهام، وشوا عليهم هجومًا كاسحًا. وفي لنهاية حُرِم المصريون. ثم يسترسل رشيد الدين في مدحه وثائله على غازان وإبراز تفوقه على أعدائه<sup>(٢)</sup>.

بعد ذلك ينتقل رشيد الدين إلى الحديث عن الحملة الثانية سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م فيتصق مع غيره من المؤرخين على عدم حدوث التحام بين المعول والمصريين نظرًا لسوء الأحوال الجوية، وهطول الأمطار العزيرة وكثرة الوحل واشتداد البرودة، بحيث إن قائدين من قواد المغول لم يستطع أحدهما أن يتصل بالآخر وهلك كثير من ذويهما بسبب الوحل والبرد. فما كان من غازان إلا أن أرسل قائده ثالثًا على رأس عشرة آلاف جدي حتى ينقلوا المحاصرين بدوابهم. وعندما وصلوا إلى هناك، استطاعوا أن ينفذوا أنفسهم بمشقة كبيرة. ولما رأى غازان هذه الصعوبات قرر العودة من حيث أتى دون قتال<sup>(٣)</sup>.

أما عن الحملة الثالثة التي قام بها غازان على الشام، والتحت قواته بقوات الناصر محمد ابن قلاوون في الثاني من رمضان عام ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م عند "مرج الصمر" فقد أسفرت

(١) قرآن كريم، سورة القصص، آية ٢٥

(٢) انظر الترجمة العربية

(٣) انظر نفس المصدر

عن انتصار القوات المصرية والسورية انتصارا ساحقا على قوات المغول. وبصعوبة بالغة بما من الهلاك القائدان المغوليان قطع شاه وچوهران، وقليل من الجيود. وانتصار المصريين في هذه المعركة تكون قد فشلت ثلاث محاولات للمغول في إخضاع سورية، ويمكن المبالغة من قهر أعظم وأشد علو واجهته مصر ضد ظهور الإسلام<sup>(١)</sup>.

وهنا نلاحظ أنه عندما تحدث رشيد الدين عن هذه الحملة، اختصر الحديث وتغلب على صفة الحياد التي تحتم على المؤرخ أن يذكر الحقائق مجردة عن كل غرض أو هوى في حالتي النصر والهزيمة. ولا شك أن رشيد الدين سلك هنا السلوك محافظا على شعور غازان الذي يود أن يراه منتصرا دائما.

وبعد انتهاء المعركة، أسرع القائدان المغولي "فبلغ شاه" في العودة حيث قابل غازان حين في "كشاف"<sup>(٢)</sup>. ومن المحتمل أن يكون هو أول من أبلغ السلطان بآثار كارثة الهزيمة وعن رد العمل ضد غازان وسامعه هذه الأخبار المرعبة، وكيفية استقباله فبلغ شاه، لم يقل رشيد الدين كلمة واحدة<sup>(٣)</sup>. كذلك نلاحظ أن هذا المؤرخ لم يحدثا بشيء يذكر عما تم في المجلس الذي عقده غازان في مدينة الإسلام "أوجان" في السادس من صفر سنة ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣م للتحقيق في الأخطاء التي ارتكبتها قوات الجيش للمغول، وكانت سببا في الهزيمة العسكرية التي لحقت بهم وكل ما قاله في هذا الصدد هو أن المحققين كانوا يستجوبون المنهجين على سوء الملاحظات التي أبدعها غازان، وأن قواعد الياسا الكبرى قد طبقت في كل الشئون الحربية<sup>(٤)</sup>. وإذن فالمغول بعد إسلامهم لم يتخلوا عن التمسك بأحكام الياسا كلما وجدوا في ذلك مصلحة لهم هذا على حين أننا إذا نظرنا إلى مؤرخ آخر هو أديب شرف الدين عبد الله بن فضل الله الشيرازي الملقب بوصاف الحصرة، والذي كانت تربطه برشيد الدين علاقة ود وصداقة<sup>(٥)</sup> فإننا نراه يسلك مسلكا آخر مختلفا لرشيد الدين؛ إذ يعطينا تفصيلات وافية عن معركة "مرج الصمر" في كتابه "تجربة الأمصار وتزجية

(١) تاريخ سورية ولبنان، تأليف الدكتور مكيه حني، ج ٢، ترجمة الدكتور كمال البارزجي، الطبعة الثانية، ص ٢٧٢ بيروت ١٩٧٢.

(٢) كشاف، بالضم، موضح من رباب الرضوي (بأقوت: صميم البلباء، ج ٤، ص ٤٦١).

(3) The Cambridge History of Iran, V.5. Dynastic and Political of the Il-Khans, by Boyle, P.394, Cambridge, 1968.

(٤) انظر الترجمة العربية.

(٥) انظر مؤرخ للمغول الكبير رشيد الدين فضل الله اجماسي، ص ٢٢٣

الأعصار"، والذي اشتهر باسم "تاريخ وصال"<sup>(١)</sup>. ومنه يعلم أن عدد قتلى الممولى بلغ عشرة آلاف جندي والأسرى عشرين ألفاً<sup>(٢)</sup>.

كذلك يروى الوصاف بمعلومات عما تم في المجلس الذي عقده عازان شاهكة المسؤولين عن الجريمة وكان في مقبعتهم قطع شاه وچويان. وقد تبادل هذان الإنسان الاتهام في حصرة عازان وبدأ چويان بالحديث هادئاً أن قطع شاه لم يتم بحمايته كما ينبغي، ولم تطفأ قذعة أرض الحركة لمساعدة الجيود الذين كانوا معرضين للدمار. مرد عليه قطع شاه مدافعاً عن نفسه؛ فزعم أن الوقت لم يكن مناسباً للهجوم، وأن چويان قد خالف الأمر. ولهذا كان كارها لتصرفه، وبناء على هذا رأى من المصلحة تجنب عوص الحركة إلى جانب چويان في ذلك الوقت<sup>(٣)</sup>. فلما سمع عازان هذا، أمر بتوقيع العقوبة على المقصرين ومنعهم من دخول المعسكر عدة أيام. ولم يستش من العقوبة چويان نفسه، إذ صرب بالمراوة ثلاث ضربات<sup>(٤)</sup>.

شيء آخر يشير الإعجاب ويحمد للوصاف باعتباره مؤرخاً، هو أنه على الرغم من اشتغاله بحملة الممولى وخصه باتعابهم وقربهم، كان لا يستطيع أن يتمي شعوره الذي ظهر

---

(١) بعد هذا الكتاب، وأخيراً من أهم المصادر في تاريخ القتل في إيران، وروايته في وصف المولات قطع عما جاء في كتاب معاصره رشيد الدين؛ مما يدل على أن كلا المؤلفين قد اعتمد على مصادر مستقلة عن تلك التي اعتمد عليها الآخر. هذا فضلاً عن أنه يحصى على أخبار لا توجد في رشيد الدين وقد أخذ عنه النصارى مثل ميرخوندا غير أن أسلوبه رديء جداً. وقد كتم الوصاف كتاب الجويني وبالإضافة إلى هذا تحدث عن الأطراف مثل فارس وكرمان وشبكتار. ولا شك أن مصادر التاريخ العلمي كذلك قد أخذت عن تاريخ الوصاف.

Spuler: Die Mongolen in Iran, P.9, Leipzig, 1939.

(٢) انظر التفصيلات في كتاب تاريخ وصال، ص ١٠٩ - ١١٣، طبع بمبای.

(٣) يقول بيرس للتصوري. وأخبرونا بأنهم لما صال بهم الأمر، وأحاط عليهم المعسكر حوطة انحصار، جاء چويان أحد مقدميه، إلى قنطر شاه، وقال له: لئلا أن تطبق عسكرياً الجمع به على الناس، قد وافقه على ذلك فعليه وقال له: أئت الذي حررتنا وسقتنا إلى هنا هذا، وعاشت ما رسم لك به فإني ذنبه لم يأمرك بالقدم إلى هنا المكان، بل أوصاك أن تقيم بحسب ولا تصدق ولا تنفذ إلى مكان سواها، وصرب عرس وول عه. وجمع أصحابه وحملوا على حميد، وولوا من الجبل طليق طريق الرحلة (انظر الأخبار). تاريخ الدولة الأيوبية ودولة السلجق البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ، ص ١٢٦، حققه الدكتور عبد الحميد صاغ حيدان، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٤) تاريخ وصال، ص ١١٤، طبع بمبای.

يوضح في أسلوبه حينما تحدث عن ملوك الأطراف البعيدة عن إيران. فقد كان كبيره من الناس لا يزال يقيم على المول ويرى فيهم قوما طاعة جبارين سفاكين للدماء، تكبت بهم الأمم الإسلامية، فكان يتوق إلى أن يرى هذه الأمم تنهض من كبوتها وتسترد مجدها وتستطيع أن تستدل هؤلاء القوم وتعليهم على أمرهم. وقد ظهر هذا الشعور بوضوح عندما راج الوصاف يشرح أحوال ملوك مصر من الأيوبيين والمماليك، ويصف الحروب التي اشتبك فيها المماليك مع المول، تلك الحروب التي أسفرت عن نصر محقق للمماليك واندحار تام للمول<sup>(١)</sup> تقول دوروثيا كرهولسكي: 'لكن الوعي بالتنافس الذي لا يبدو واضحاً في عمل رشيد الدين التاريخي يظهر في عمل مؤرخ فارسي آخر هو شرف الدين عبد الله بن مصل الله الشيرازي (عاش بين ٦٦٣ و ٧٢٠ هـ تقريباً / ١٢٦٤ - ١٣٣٠ م) الملقب بوصاف الحصرة، والذي كان يحظى بدعم رشيد الدين وتأيده فقد نجراً وصاف الحصرة، فأشاد بإسلام المماليك ودولتهم وانتصاراتهم على المول أعداء الإسلام أملاً أن يأتى اليوم الذى يستطيع فيه المسلمون التحرر من وحشة المول وحكمهم غير الإسلامى'<sup>(٢)</sup>

كذلك الحال عندما تحدث المؤرخون العرب<sup>(٣)</sup> عن الحروب التي دارت رحاها بين عرآن من جهة وبين التناصر محمد بن قلاوون من جهة أخرى، نلاحظ أن مؤلفيها حرصوا

- 
- (١) تاريخ وصاف، ص ٨٣ - ٨٤، طبع بسبأى مؤرخ للمول رشيد الدين مصل الله التمشقي، ص ٢٢٤  
 (٢) ممالك الأيوبيين في ممالك الأيوبيين دولة المماليك لآب مصل الله المصري. دراسة وتطبيق كرهولسكي، الطبعة الأولى، ص ٢٣ - ٢٤ من المجلد الأول، الفرقة العربية، بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٦ م.  
 (٣) من هؤلاء المؤرخين على سبيل المثال لا الحصر، أبو القاسم القزويني حيد الدين: المختصر في أخبار البشر، المجلد الثاني الجزء الثالث، ص ٤٢، ٤٤، ٤٨، ٤٩، نشر مكتبة التقي، القاهرة بدون تاريخ، ص ٢١٦ - ٢١٨  
 ٣٥١ - ٣٥٩، المملكة العربية السعودية، بدون تاريخ، عن المؤلف، نسخة المملوكية في الدولة التركية: تاريخ دولة المماليك البحرية في القاهرة من ٦٤٨ - ٧١١ هـ، تحقيق دكتور عبد المجد صالح حيدان، ص ١٥٦ - ١٦٦، ١٦٣ وما بعدها، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.  
 نفس المؤلف: مختصر الأخبار - تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢ هـ - تحقيق دكتور عبد المجد صالح حيدان، ص ١١١ - ١١٤، ١٢٣ - ١٢٧، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.  
 أبو بكر عبد الله بن أبيك القزويني: كسر القدر وجامع القدر، الجزء التاسع، وهو الدار المأخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق هاشم زويرت زويرت، ص ١٥ - ٢، ٤٥، ٤٧، ٥٨، ٨٨ =

على أن يردودها بمعلومات صحيحة، ولم يحاولوا إخطاء الحقائق وراحوا يكشفون عن الثغرات التي وجدت في صفوف المصريين والسوريين وكانت سبباً في هزيمتهم أمام قوات الممولى في موقعة مرج المروج. وهكذا جاءت رواياتهم صادقة وبعيدة عن العرض والموى وكان من الطبيعي أن تحدث هذه المصادر عن معركة النصر الحاسمة في موقعة مرج الصفر، وتشيد بكفاءة الجيوش المصريين والسوريين.

والواقع أن الجهاد الذي أدى إلى هذا النصر المؤزر على الممولى لمثل جانباً مهماً من تاريخنا القومي الذي نغفر ونعتز به على الدوام. وهناك حقيقة يجب أن نقرها، وهي أن المواجهة الطويلة نسبياً بين الممولى والمماليك، كانت حدثاً تاريخياً ترك آثاره الواضحة في أذهان الناس وسمي لديهم إحساساً عميقاً بالقومية العربية والإسلامية، وشعوراً غائباً بالصخر والزهر بالانتصارات الرائعة التي أحرزها المصريون والسوريون في مصر والشام اعتماداً على كفاح الشعوب في هذه المنطقة وخارجها كما أبرر فعالية الأبطال ودورهم اللامع المشرق في التاريخ<sup>(١)</sup>.

هذا وقد شك بعض المؤرخين في إسلام عاركان مستلهم إلى أنه كان في حروب مستمرة مع المماليك الذين كانوا يمدون في ذلك الوقت حماة الدين الإسلامي، والذين كانوا يمدون لواء الزعامة للبلاد الإسلامية. هذا من جهة ومن جهة أخرى كان عاركان يرحب بتعاون المسيحيين معه ضد هؤلاء المماليك. وعلى هذا لم يتردد في التحالف مع المسيحيين الأوروبيين في سبيل القضاء على عتوهما المشترك<sup>(٢)</sup>. ولكن خاب ظن هؤلاء وهؤلاء بانتصار المماليك انتصاراً حاسماً في موقعة مرج الصفر على النحو الذي ذكرناه سابقاً.

- قصيدة ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م نقلها أحمد بن علي القرطبي. الملوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق الدكتور محمد مصطفى ريادة ج ١، ٢، ص ٨٨٧، ٨٩٥، ٩٢٣، ٩٣٨، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٧٠م أحمد بن أحمد بن أبي الحسن بن علي بن زعفران في وقائع الدهور، الجزء الأول، القسم الأول، تحقيق الدكتور محمد مصطفى، ص ١٠٣، ١٠٤، ١١٢، ١١٦، الطبعة الثانية، ليدلة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(١) انظر صلاتك الأضواء في عمالك الأمصار - دولة المماليك الأولى لابن نسل الله المصري (٧٠٠ - ٧٤٩هـ / ١٣٠١ - ١٣٤٩م) دراسة وتحقيق كركرلسكي، الطبعة الأولى، ص ١٢ - ١٣ من المعهد للعلوم، ترجمة الدكتور وصوفان السيد، بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

(٢) انظر دكتور حبيب لوى - تاريخ اليهود في بلاد - جلد سوم، ص ١٠٦، طهران ١٣٣٩هـ - ١٩٦٠م سبيل راسمات تاريخ الحروب الصليبية ترجمة الدكتور السيد الجار الفرنسي، ج ٢، ص ٧٣٦ - ٧٣٧، بيروت ١٩٦٩م.



ورثنا على هذا الادعاء نقول إن عازان كان مسلماً مخلصاً في إسلامه ما في ذلك من شك. وإذا كان قد حارب الممالك المسلمين فما ذلك إلا استجابة للطبيعة البشرية التي جبت على حب العظمة والظهور والليل إلى السيطرة والتوسع والرغبة في الغزو والفتح. كذلك أقدم عازان على اتخاذ هذه الخطوة تحقيقاً لسياسة جرى عليها أسلافه من قبل لمدة طويلة دون أن يحققوا أهدافهم إذ لحقت بهم المزاليم المتكررة، ويريد هو أن ينتقم لهم. وما يحس في العصر الحديث مثلاً بمجد الأوربيين رغم اتحادهم في الدين قد اضطرتهم المصاعبات السياسية والعوامل الاقتصادية إلى ش الحروب بعضهم ضد البعض، فجزوا العالم إلى حربين عالميتين، عانى العالم من وبلاهما مدة طويلة وإذا كان غارك قد اتحد مع المسيحيين ضد المسلمين، فما ذلك إلا لأنه وجد نفسه في حاجة إلى مساعدتهم. وأن التحالف معهم إنما هو وسيلة أملت عليها السياسة فحسب، وليس للدين دخل فيها لا من قريب ولا من بعيد<sup>(١)</sup>.

القسم الثالث: فيه يتحدث رشيد الدين بالتفصيل عن أربعين حكاية الحكايات الست الأولى منها تتضمن مختلف المعارف والتفاعلات التي اطلع عليها عازان خان، والخيرف والصاعقات التي مارسها ممارسة فعلية، ويان ما اتصف به من خلق طيب كريم وما صير به من فصاحة وبلاغة وصبر وجلد وسخاء وكرم. غير أن قيمة هذا القسم تلعب الدروة علما يتحدث المؤرخ بالتفصيل عن إصلاحات عازان خان؛ تلك التي تشمل جوانب الحياة المختلفة من إدارية واقتصادية وعمرانية واجتماعية. وهذه الواحي هي التي يهتم بها مؤرخو الحضارة كما تغطي بحاية الباحثين والفلاسيف؛ خصوصاً من يدرس العصر الممولى لندى ذاع عنه أنه عصر تخريب وتدمير وتحطيم للحضارة والمدينة وتشريد للعلماء والأدباء.

وفي الحقيقة عندما اعتلى عازان عرش الممولى في إيران، ولعل الإسلام دينا رسميا للدولة قضى على القوة السحيقة التي كانت تفصل بين الحكام والمحكومين. بسبب اختلاف الدين، ومع الجميع بأخوة الإسلام، فإزيلت الحواجز الجسدية والطبقية التي كانت تفصل بين هؤلاء، مما ساعد على اندماج الممولى في المجتمع الإسلامي، واشتد تأثيرهم بالبيئة الحضارية الإسلامية. وفي الحقيقة كان إسلام غازان خان نعمة كبيرة، وسعادة لا حد لها بالنسبة إلى إيران؛ ذلك أن الحكومة الباطشة المبيقة القاسية، نصير محبة بل كارثة تحمل

(١) انظر المصنف العربي، تأليف مجموعة من أساتذة كلية الآداب بجامعة عس شمس، الطبعة الأولى،

بالرعايا المظلومين. ولا شك أن النكبة تكون أشد وألكني إذا كان دهن الحكام يتخالف دهن المحكومين؛ خصوصاً إذا علما أن الكثيرين من أفراد هؤلاء الحكام كانوا يصمرون عداوة صريحاً وحقيقياً للمسلمين. ومن هنا عدت حكومة المعول في إيران - قبل غاران حان- أقصى وأضعف الحكومات، عبر أن كل هذا قد تغيرَ تعيراً كاملاً بفضل إسلام غاران حان<sup>(١)</sup> كذلك في عهد هذا الحاكم المعول غنجد موقت الدولة من الأقليات غير المسلمة التي كانت تغطي منهم بالكثير من العطف والرعاية على حساب المسلمين؛ فقد انتهت هذه السياسة إلى غير رجعة، وهرضت على هذه الطوائف الجربة بصورة منتظمة، وحددت مكانتهم في المجتمع الإسلامي كأهل ذمة لا يرقون إلى مستوى المسلمين<sup>(٢)</sup>

ومما هو جدير بالذكر أيضاً هو أن حكم غاران قد هباً للمعول فترة هدوء كموا فيها أهدمهم إلى حد ملموس عن القتل والفسادة، وعادوا إلى الحالة الطبيعية مراد تأثرهم بمصاراة المظلومين، وحلوا في إصلاح ما أحدثه أبائهم وأجدادهم من تخريب وتدمير وصاروا أكثر استعداداً للمساهمة بصبغهم في إنهاء الحصار الإسلامية من كيوتها وهي الحقيقة لم يكف غاران بصنع حياته الخاصة بالصعبة الإسلامية، بل تعدى ذلك إلى رفع المظالم عن طبقات الشعب الكادحة، ومحاربة صروب الفساد في مختلف شئون الحياة، وذلك كله طبقاً لما تنص عليه الشريعة الإسلامية<sup>(٣)</sup>.

لقد كان هدف غاران هو استقرار الأمور السياسية الداخلية ووضع علاج حاسم للجراح الدامية التي كانت قد وجدت قبله في الجسد العليل بل المستهلك لبلاد إيران. وفي الحقيقة كانت تسود البلاد كلها حالة من العوضى والفساد؛ فكان لا بد من القيام بسلسلة من الإصلاحات الواسعة التي تهدف إلى الترميم من الرعية والعمل على استئصال الداء من جذوره. ولقد رأى باقرب فكره أن يستعين بالكُتّاب ولُرباب القلم ورجال السياسة المحكيين من الإيرانيين؛ وذلك من أجل تنفيذ برنامج الإصلاح الشامل، فنصّب رشيد الدين الذي

(١) انظر برون. تاريخ تدوين إيران في سنة ثمان مئتين مائة ألف من شهر محرم (في سبند تاجلي) ترجمة علي أمير حكمته ص ١٧، طهران ١٣٦٧ هـ ق ١٩٤٨

(٢) الدكتور محمد صالح فقرز الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة الفارسية، ص ٢٩٤ - ٢٩٥، تشيف ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

(٣) انظر الدكتور مصطفى طه بدر حول إيران بين الشيعة والإسلام، ص ٣٧، القاهرة بدون تاريخ.

كان طبيباً ومن أبرز أهل القلم، ومن كبار العلماء والمثقفين، مصته وزيراً لكل الممالك التي يحكمها عاران، فعمل هذا الوزير مع من شاركه في منصب الوزارة على إيجاد حكومة قوية ثابتة ومقتدرة في ظل السيطرة الكاملة والاعود المطلق للسلطان عاران وذلك بهدف تقوية أساس دولة الإيلخانيين، فكان رشيد الدين بذلك، العامل الرئيسي في تعهد كل الإصلاحات التي نصت في هذا العهد.

وهكذا بفضل مساعدة رشيد الدين وجهوده ورأيه الصائب أحرزت جميع الإصلاحات التي كان يتوق عاران إلى تحقيقها في مختلف شئون دولته<sup>(١)</sup>. ونتيجة لهذه الجهود المتسمرة أصلح الجهاز الإداري الذي كان يشمل الفنون المختلفة كما أدخلت تعديلات جوهرية على جهاز القضاء، وأصبح يسير شاملاً وفق أحكام الشريعة الإسلامية. كذلك أحدث عاران نظاماً جديدة في الجيش. ولم تقف جهوده عند هذا الحد، بل إنه سعى سعياً جدياً في تثبيت حقوق الملاك والمزارعين، وعمل على اتساع رقعة الأراضي المروعة، وذلك بشق الترع والقنوات، مما أدى إلى ازدهار الزراعة<sup>(٢)</sup> وإصلاح الحالة الاقتصادية في البلاد وتحسين أوضاع الناس. ومن الإنصاف أن يذكر أن عاران حان أعاد كذلك النظام والأمن والأمان إلى مختلف المناطق التي تعرضت لكثير من المقتاتل والحرائق العنيفة. كما أنه بذل جهوداً جبارة في سبيل أوضاع الطبقات الفقيرة، والقضاء على المظالم التي تعرضوا لها في عهد أسلافه من حكام الملوك.

وهكذا رأها عاران حان بمجرد أن اعتلى العرش، أحد يسعى سعياً جدياً في أن يجبر النفس الذي حدث في كل أجيال الدولة نتيجة لأخطاء السالفين؛ وذلك بما كان يبدله من طاقة جبارة وعزيمة قوية، وبمساعدة ورثائه الأكفاء، وفي مقدمتهم رشيد الدين. وفي الحقيقة سعى عاران بإخلاص في تسيير معالم الحياة المختلفة المليئة بالمعيبات إلى معالم أخرى

(١) انظر كشور داري في عهد زارت رشيد الدين فضل الله هفتابي، تأليف دكتور هاشم رجب رانده، ص ٧ - ٨.

تهران ٢٥٣٥ خليفاني

(٢) من الإصلاحات التي تضمنها النظر في ترجمة القبرية للحكايين السادسة والثلاثين والسابعة والثلاثين وتلخيص على مراد من التفصيلات انظر كتاب كشور داري وسننات لرحمة في إيران عهد ملوك، تأليف إيلا باولو مع بطريركسكي،

ترجمة كريم كشور داري، جلد أول، طهران دوم، ص ١٥٢ وما بعدها، تهران ٢٥٣٥ خليفاني

مشقة تعيد الأمل والاستقرار للناس، وتؤمنهم على حياتهم وأرواحهم وأعراضهم وممتلكاتهم ومن البدهي أن عازان ظل طوال فترة حكمه يتمتع ببيعة قوية لا تغتر. ولم يتخل عن عزمه على تحقيق مآربه. وعندما يرى الحقيبات تقف في طريقه، وتحوّل دون الوصول إلى أهدافه، كان لا يتردد في اللجوء إلى الشدة التي تبلغ حد القسوة يستدل على ذلك بأحداث القتل التي لا أول لها ولا آخر؛ وذلك على العكس من عمه كينغاثو خان (٦٩٠ - ٦٩٤ هـ / ١٢٩١ - ١٢٩٤ م) الذي كان تنقصه الشجاعة والجرأة؛ إذ كان في أغلب الأحيان يمتنع عن تنفيذ أوامر القتل والإعدام. وفي عهد عازان بأكمله بذلت جهود كبيرة مرهقة، وشت حملات متعددة ورغم الجهود المضنية التي بذلها عازان في سبيل الإصلاح، لم تنجح له الفرصة كي تخرج أفكاره كلها إلى حيز التنفيذ؛ فسرعان ما لبست فترة حكمه القصيرة ثوبا حريّا ووضّع موته المبكر حدا فاصلا لهذه الجهود الجبارة التي قام بها والمساعى المتواصلة التي بذلها في سبيل إصلاح دولته فالخزون عليه، وقبل هذا على مصير بلده الذي كان في أمس الحاجة إلى حاكم قوى مثله<sup>(١)</sup>.

وإن الروايات التي ذكرها رشيد الدين في كتابه، وشملت الأحداث المعاصرة له لتدل بوضوح تام على أن هذا المؤرخ لم يكن متفرجا غريبا عن هذه الحوادث، أو على أنه المؤرخ الذي يؤرخ فقط، ولكن تدل أيضا على أنه هو الذي يلعب دورا هاما في هذه الأحداث ويشرح على عازان بالرأى السديد، ويساعده على تنفيذ مشروعاته وإصلاحاته، مما يثبت أنه الرجل الذي يهتم بكل التفاصيل التي تتعلق بشئون الدولة. ولا شك أن هذه الإصلاحات هي بمثابة مرآة تبدو عليها حياة الناس ووقائع عصرهم، وتعتبر أسلحة تاريخية قيمة جديرة بالدراسة والبحث ولقد تبه الباحثون إلى أهمية دراسة النواحي الحضرية في حياة الشعوب ولأنها النتائج الحقيقية الواقعية لمسيرة التاريخ البشري. ونس إذا عرفنا أن المصادر التاريخية غالبا ما تهتم بالجوانب السياسية والحربية في حياة الشعوب، فإنه ينبغي أن نشكر ضام التقدير ما كتبه رشيد الدين عن عازان خان الذي استطاع في سنوات قليلة أن يعيد الحياة والازدهار إلى ربوع البلاد التي كان يحكمها.

(١) شوبلر تاريخ مدول در إيران سياسته حكومت وفرهنگ دوره پهلستان، ترجمه دكتور محمود نصيب، ص ٩٧ - ٩٨، تهران ١٣٥١ هـ ش.

والواقع أن حديث رشيد الدين عن الإصلاحات التي تمت في عهد غازان والتي سجلها بقلمه أروع تسجيل في كتابه جامع التواريخ، لا يصادف مثله - على هذا النحو من التفصيل والوصوح - في كتابة أى مؤرخ آخر. وهي الحقيقة عندما أراد هذا المؤرخ الرسمى أن يكتب شيئاً عن السلطان الذى كان يحكم فى ذلك الوقت اعتبر رفع شأنه واجبه الأول. وهو فى الحقيقة جدير بأن يال هذه الدرجة الرهبة عند مؤرخه رشيد الدين.

ما نلاحظه على هذا القسم لثلاث هو أن رشيد الدين عندما تحدث فى الحكاية الأولى منه، والتي كتبها بعنوان "فى فنون كمالات سلطان الإسلام وعلومه ومعرفته الصناعات المختصة، ووقوفه على أسرارها" راء قد تناول الصفات التي اتصف بها غازان، والصناعات التي عرفها ومارسها؛ فذكر أن هذا العاهل كان يحب صحة الأدباء والحكماء والمصلاة والعقلاء المتأربين وبالسهم ويعطرح الأسئلة عليهم ولا يترك مجالاً لأى محال أو مرور يتحدث فى حصرتة بكلام فيه خداع ورياء. وكان على اطلاع تام على الأدبيات والمثل والحل، وواقعاً على معتقدات كل طائفة بحيث إنه عندما كان يتباحث مع أئمة تلك المذاهب، يعجرون عن الإجابة عن واحد من عشرة أسئلة يوجهها إليهم. وأما عن اللغات المختلفة؛ فكانت المعولية لغته الأم. وكان يلم بالعربية والفارسية والهندية والكشميرية والتبتية والمخطائية والترجمية وسائر اللغات<sup>(١)</sup>.

وكان يعرف أيضاً تاريخ السلاطين المنقذين والمتأخرين، ويقف على آدابهم وعاداتهم ونظمهم. وأما عن الحرف المختلفة فإنه لا توجد حرفة قط لم يمارسها بيده؛ وذلك من قبيل الصياغة والحدادة والحجارة والنقش وصب المعادن والخراطة. كذلك مارس صنعة الكيمياء ووقف على طريقتها فى مدة وجيزة، وأحاط أيضاً علماً بالصناعات الدقيقة الظرفية. وقد اطلع على علم الطب وعرف الأدوية ووقف على أكثر خواصها، واكتشف الأعشاب الطبية، وعرف فوائدها. كذلك امتد نشاطه إلى المعادن وكيفية استخراجها وصهرها، وصار يحيط بما يحويه منها كل موضع من الجبال والصحارى التي يراها. وأما التعاير فإنه يعرف

(١) يقول ابن حجر العسقلاني "كان غازان يتكلم بالفارسية مع خواصه، وهم أكثر ما يقال باللسان الفريسي"

(الدرر الكفاة فى أيمان ثلاثة أئمة، ج ٢، ص ٢١٢، نشر دار الجبل، بيروت ١٣٥٠هـ).

مها ما بقرا لكل آفة. وأخيرا وليس آخرا فإنه كان يحيط أبها بأسرار علم النجوم والهيئة. وبهذا يكون عازان قد حصل نصيبا من كل علم يتصور. وقد صرح في النهاية بأن خلاصة العلوم علم الإلهيات. وإلى الآن ما زال عازان يشغل نفسه دائما بالتعليم والتعلم.

وإنا لتسائل حقا: هل يمكن لمرد واحد مهما أوتي من ذكاء وعقوبة أن يحيط علما بكل هذه المعارف والثقافات والصناعات؟<sup>١٩</sup> ولم لا يكون رشيد الدين قد قال هذا على سبيل التملق والتزلف والبالغة؟<sup>٢٠</sup>

في الحقيقة يرى رشيد الدين معه بشر بهذا المخرج، فيسرع بالدعاع من وجهة نظره دفاعا مطلقا مستشهدا بالمعاصري له والقريسي من مسرح الأحداث يقول: "وأهل هذا العهد واقفون على تلك الحقائق، وهم شهود على أن الحال يجري على هذا السؤال، وذلك حتى لا يطمس القراء في كلامي قائلين. لقد حدثت مبالغة فيما كتبت"<sup>٢١</sup>.

بعد ذلك تنقل إلى الحديث عن أهم الإصلاحات التي قام بها عازان، والتي كانت صادرة من وحى إسلامه وصعاه نيته. وكان مهتديا فيها بتعاليم الإسلام السمحة ومبادئه القوية؛ فدفعه هذا إلى القيام بهذه الإصلاحات التي رعت مركزه إلى مقام كبار المصلحين والمشرعين، على أن بين بوضوح إلى أي حد وفق رشيد الدين في عرض هذه الموضوعات بعيدا عن المبالغة والتعاق والرياء؟<sup>٢٢</sup>

في الحكاية السابقة بعنوان "في إبطال الديانة الوثنية وتخريب معابد الوثنيين" نعلم أنه عندما اعتنق عازان الإسلام، أمر بتحطيم كل الأصنام ومعابدها، وهدم بيوت النار والمعابد الأخرى التي لا يجوز وجودها شرعا في ديار المسلمين. كذلك أجاز عازان البودين على الدخول في الإسلام، وهدد المنافقين منهم الذين يتظاهرون باعتناق هذا الدين، ويحرمهم من أمرين: إما أن يرحلوا إلى بلادهم وإما أن يظلوا ثابتين على ما في قلوبهم وصماثرهم بشرط ألا يحاولوا تلويث الدين الإسلامي بغائلهم. وهددهم بأنه سوف يجعل للمخالفين منهم طعنة للسياق ويعلق رشيد الدين على هذا الموقف الحازم من جانب عازان حين قائلا: "وهي وقتنا هذا فإن القليلين منهم الذين بقوا في إيران لا يجدون فرصة مواتية لإظهار عقيدتهم

أو مذهبهم، وذلك مثل أقوام الجيوس والملاحدة الذين يستوطنون هذه البلاد منذ زمن قديم، ولكنهم ينفقون معتقداتهم".

وفي الحكاية التاسعة بعنوان: "في شجاعة السلطان وإعبد الجند للحرب" يرى المؤرخ رشيد الدين بطرى شجاعة غازان ويرى مقدرته الفائقة في قيادة الجيوش وبشى على مهارته في غرض غمار المعارك، وبصوره على أنه قائد محكم يرسم لجسوده الخطط الكفيلة بالصمود أمام أعدائهم والانتصار عليهم. كذلك يؤكد ضرورة إرسال الجواسيس بصفة مستمرة لتفحص الحقائق عن العدو والاطلاع على أحواله وجمع المعلومات عنه وبعد جمع هذه المعلومات توصل كل الأفكار والخطط والأعمال موضع التنفيذ وإلا فإن النصر فى الذى يقوم على غير هذا الأساس يكون كالملاكمة فى الظلام.

إلى جانب هذه الصفة المادية لا يسى غازان الصفة الروحية، وهى الأخرى ضرورة لازمة للثبات أمام العدو، وإتقان الطريقة به؛ على حالة معاداة الجيود قواعدهم، عليهم أن يتوجهوا دائما بنية طيبة، وأن يشتغلوا بذكر الله تعالى، وأن يطهروا أنفسهم فلا يرتكبوا أفعالا سيئة، وأن يكونوا محبين لمواطنيهم ووطنهم، وعليهم ألا يظلموا أحدا حتى يثق الناس بهم، ويذلوا همهم الطيبة فى سبلهم، ويدعوا لهم بتصرع فيستجاب لهم؛ إذ إنه ليس للجند ذخيرة قط أفضل من دعاء الخير والهمة الطيبة

وهى ختام هذه الحكاية يعطى رشيد الدين على مصوغها بقوله "وعلى هذا التوال كان السلطان يصح جماعة الأمراء والجيود، وظل يتصحهم، بل إنه تحدث إليهم بكلام كثير أدق من هذا لم يبق فى الذاكرة وإننا لو رحنا نشرح كل ما قاله لأدنى ذلك إلى التلويح. وحيث إن المقصود هو إبراز شواهد وأمثال، يكون هذا المقدر كافيا خاصة وأن الزوائد والإضافات معلومة وعققة للجميع.

وأما الحكاية الحادية عشرة، فقد جاءت بعنوان "فى مع سلطان الإسلام الجيود وغيرهم من النعماء بكلمات الكفر؛ إذ لاحظ غازان خان أن بعض الأمراء والجيود وغيرهم يطلقون ألسنتهم بالفر والتباهى بأرائهم الصائبة كما دأبوا على التلمظ بالمعاط قد تؤدى إلى الكفر. وكان يلاحظ على الجند بصفة خاصة أنهم إذا ما تم لهم النصر على العدو ووقفوا فى حياتهم، سبوا كل هذا إلى أنفسهم، وأطروا شجاعتهم. أما إذا هزموا فى إحدى المعارك أو أنهم لم يوقفوا فى عمل من الأعمال، قالوا: "إن هذا قضاء الله وقدره، وإلا فقد سعيًا وبدنا الجيود الجبارة".

والحلولة دون الوقوع في هذا الخطأ أصدر عازان مرسوماً هي فيه على أن من يتفوه بهذا الكلام يكون مذمماً، وعليه أن يتقن أن الحسنة من فضل الله وأن السيئة إساءة هي نتيجة الأفعال المستهجنة التي يقدم عليها الإنسان. وغازان في إيجرائه هذا إساءة يسترشد بها جاء في القرآن الكريم: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا﴾ (١).

الحكاية الثالثة عشرة: "في أبواب البر التي أنشأها سلطان الإسلام في تبرير وهمدان والبلاد الأخرى، والأوقاف التي وضعها، وتنظيم المساجد".

هذه الحكاية تنصص أعمالاً باررة قام بها عازان. وهي أيضاً من وحي الإسلام ومنفعة مع تعاليمه السامية لأنها تحث على فعل الخير، وتدعو إلى العطف على الطبقات الفقيرة التي هي في أسس الحاجة إلى المساعدة والأخذ بيدها حتى تهضم من كبرتها، وتستطيع أن تسير ركب الحياة في المجتمع بطريقة سليمة كريمة بعيداً عن الانحراف والسلوك المشين.

هذه الجهود تتمثل في الأوقاف (٢) الكثيرة التي وضعها عازان على المؤسسات الخيرية القائمة في الولايات المختلفة للقيام بأعمال الخير والإحسان. ويتضح ذلك في الإنفاق على المساجد والمدارس والمؤسسات الخيرية والمستشفيات ودور الكتب والقضاء والجماعات والجرايم والأيتام والأرامل والمسنين وذوي العاهات، وإغاثة المغموسين والمستحقين. وكذلك في سبل الإشراف على تربية الأطفال اللقطاء الذين يلقي بهم في عرص الطريق هؤلاء يحملون العناية والرعاية، ويعهد بهم إلى الموصعات التي يوم لم كل ما يحتج إليه حتى يبلغ الأطفال سن الرشد والتميز وهذه العناية تشمل أيضاً الإنفاق على دفن الموتى من الغرباء الذين يموتون في تبرير، ولم يكونوا يملكون مالا يفي بإجراءات دفنهم. وفي صراحة وتواضع راح عازان يقول: "مع أنه ليست لنا مرتبة الصالحين، لكن تشبهاً بهم عمدنا إلى إنشاء أبواب البر كي تكون مثوى لأغرتنا. وبذلك نصير لنا خيرات وصلوات جارية، وبركات تلك الخيرات، تأخذ بيدنا رحمة الله تعالى، ويدعونا لنا ثواب دائم. وإنه من

(١) سورة النساء، آية ٧٩.

(٢) انظر مقالة بعنوان "توقف مسيرة مشرفة في التاريخ الإنساني للتصولة الإسلامية" كتبها إبراهيم بويري في مجلة النافذة الصادرة في شوال ١٤٢٨ هـ. يناير ١٩٩٨ م، العدد الماشر المجلد السادس والأربعون، ص ٢٠٢، للمعلمة للملكة العربية السعودية.



المفضل إلى أقصى حد أن سرع في إنجاز هذه المؤسسات في الوقت الذي منحنا الحق تعالى القدرة، وهباً لنا الفرصة حتى تتم هذه الأعمال بمن التوفيق<sup>(١٦)</sup>

ومما يذكر أيضاً بالخير والثناء على عازان هو أنه لم يقتصر على تقديم مساعداته للإنسان، بل امتدت رعايته إلى الحيوان؛ فقد أمر بأن تنثر الحبوب فوق أسطح المنازل في أشهر الشتاء الباردة في إيران عندما تشتد البرودة ويزل الثلج، فتلتقط الطيور هذه الحبوب آمنة مطمئنة، ولا يحارل أحد قط اصطحابها. وكل من يقصدها بسوء نحل عليه لمة الحق تعالى وسخطه، وعلى المتولي وسكان تلك البقاع أن يمتنعوا المعتدين ويردعوهم وإلا يكونوا آتسين.

كذلك شمل عازان بمطلقه الفتات المطلوبة على أمرها من العالمان والجنواري والأطفال الذين يكلمون بقل الماء، وتكسر ألوانهم والكيران التي يحملونها أثناء نقل الماء إلى المنازل، ويغشون عقاب ساداتهم، فإن التولي يوصفهم عنها ألوانى جديدة، وذلك بعد أن يتحرى الحقيقة.

ونتيجة لإيمان عازان العميق واعتماده على الله وطلب المعونة منه، أنه في كل ولاية حل بها، ورأوده أمل، وعن له مراد ومست حاحة مسترة لجأ إلى حضرة الحق تعالى، وأقضى إليه بسره، والتزم بذرا وأدى صفة

وهكذا ملأ الإيمان قلب عازان، فكان يمر دائماً إلى الحق تعالى بحاجاته، وهو متأكد - دون أدنى شك - من أنها مقصبة لدى الحضرة الإلهية بمصل الخيرات والصدقات والتفوق، ولا يضيع أجر ذلك أبداً.

وفي النهاية يعلق رشيد الدين على أعمال الخير والبر التي قام بها عازان ورصد لها المبالغ الطائلة، ووقف عليها الأوقاف الكثيرة، فيقول على سبيل المبالغة "ولا شك أن أي مخلوق لم يمر في أي عصر ومن أي سلطان مثل هذه الخيرات الكثيرة والمبرات والإنعامات والصدقات الجارية". وأخيراً يدعو رشيد الدين لعازان قائلاً: "فليصح الحق - جل وعلا - هذا السلطان العادل الكريم مريداً من التوفيق على هذه الخيرات، وليوصل بركاتهما ومشروباتها إلى أيامه المباركة"<sup>(١٧)</sup>.

(١٦) انظر الترجمة

(١٧) انظر نفس المصدر

خصوصاً بما تم في هذا المجال في عهد ملكشاه ووريره الكبير نظام الملك الطوسي، فعازان مفتتح ضامناً بأن ما صممه هو عين الصواب؛ ولذلك رأى أن يسير على مواسمهم.

ولما كان رشيد الدين هو المستشار المخلص الأمين لعازان، والذي يساهم بعقله وتفكيره فيما يقوم به المعامل المعول من إصلاحات، نلاحظ أن هذا المُرُوح كان معجباً بالسلاجقة مشيداً بمجهودهم البارزة في شتى المجالات، لا سيما في مجال القضاء؛ إذ كان يرى فيهم المثل الأعلى في تحقيق العدالة بين الناس، وإصدار الأحكام وفقاً لتعاليم الشريعة الإسلامية. وعلى هذا راح رشيد الدين يذكر صراحة أن عازان اقتدى بالسلاجقة في عدم النظر في القضايا التي مصى عليها أكثر من ثلاثين سنة، كما اقتدى بهم فيما يتعق بالأوقاف وضرورة مراعاة شروط الواقفين وعدم إتاحة الفرصة للتلاعب والتزوير، وتوقيع العقوبة على المخالفين والدليل على إعجاب رشيد الدين بالسلاجقة أنه عندما أرّخ لهم في المجلد الثاني من كتابه جامع التواريخ للمشتغل على التاريخ العام، راح يمدحهم ويذكرهم بالحير. يقول: "ثم بكى من هؤلاء السلاطين أعظم، وعلى الرعية أشفق، ولرعاية الحق أجدر من ملوك السلاجقة رحم الله الماصين منهم ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَا يَشَاءُ﴾<sup>(١)</sup>. وقال جل ذكره: ﴿وَبِكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ مِنَ الْخَيْرَةِ﴾<sup>(٢)</sup>. وما ذلك إلا أنه قد ظهرت في عهدهم خيرات وميركات كثيرة من إحياء معالم الدين، وتشيد قواعد الإسلام وإن مآثرهم التي أقاموها من بناء وإشياء للمساجد والمدارس والأربطة والقناطر والأسبلة والأوقاف والخيرات، وما أنفقوه من أموال على العلماء والصالحين والقضاة والسادات والزهاد والعباد والأحبار والأبرار، لم يوجد مثلهما في أي عصر، ولا تزال آثارها بالية إلى الآن في الممالك الإسلامية

تلك آثارنا تدل عليها فانظروا بعدنا إلى الآثار<sup>(٣)</sup>

(١) قرآن كريم. سورة البقرة، آية ٢٤٧

(٢) قرآن كريم. سورة القصص، آية ٦٨

(٣) رشيد الدين فضل الله. جامع التواريخ، جلد ٢ جزء ٥ ذكر تلويح في سلجوق، بسعي وإعتمام أحمد كاش،

ص ٣ ٤، مقبرة ١٩٦٠م.

كذلك رأى غازان ضرورة تحرى الدقة في اختيار القضاة نظراً لعظم المسؤولية التي يتحملونها، وحتى يضمن القيام بواجبهم على الوجه الأكمل. وبذلك تتحقق العدالة على أيديهم أثناء نظر القضايا التي تعرض عليهم. وفي نظير ذلك قرر مسح القضاة امتيازات خاصة من قبيل إعفائهم من الضرائب، وإعطائهم مرتبات مجزية حتى لا يبدؤوا أيديهم إلى غيرهم فيقبلون الرشا والهدايا. وكان يحافظ على كرامة القضاة وتوفير الحماية الكافية لهم في قاعة الجلسة. وفي سبيل تحقيق ذلك، كان يعهد إلى الشحنة بتوقيع العفوة على من يرفع صوته لتشويش على القاضي أثناء انعقاد الجلسة أو محاولة التأثير عليه. كما أرم القضاة بتنفيذ أحكام الشرع بكل دقة، وعليهم أن يمتنعوا النظر في المحاصر المزورة والعسكوك والسجلات المموهة، ومحاولة تقصي حقائق الأمور والأحوال حتى يصلوا إلى عورها.

• وبالإضافة إلى ما سبق، أرم غازان القضاة بصرف مراعاة الدقة المتناهية وشدة الاحتياط في الاستماع إلى شهادة الشهود التي يترتب عليها صدور الحكم في القضايا المختلفة؛ فقد رأى غازان شائب فكره أن القضاة يفلون تساهلاً في هذا الشأن ولا يجتهدون في تحرى الحقيقة، ودون أن يتطرق الطمعتان إلى نفوسهم أو يطلب النظر ويعطى الشك في صحة الشهادة وسلامتها؛ يترتب على هذا الإهمال ضياع حقوق الأبرياء من المتقاضين ومن المعروف أن شهادة الزور هي المذنب الإسلامي تعد من أكبر الكبائر؛ فقد ورد في الحديث الشريف عن أبي هريرة: "أكبر الكبائر الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وشهادة الزور" وعنى هذا يقف القضاة عاجزين أمام شاهدين، ولا يجنون مغبة هذا الإهمال. ومن المعروف أن ثبوت الحق شرعاً، ولو أنه متوقف على شهادة شاهدين؛ إلا أن الشهادة مقيدة بشرط توافر العدالة والعدالة أمر عظيم لا تتوافر إلا في أفراد البشر وعلى سبيل التندرة؛ إذ إن هوى النفس يستولى على أكثر الخلق. إذن يجب على القاضي أن يهكر دائماً في أن شهادة زبد أو عمرو لا تغلو من هوى النفس أو اغيار إلى إحدى الجهات أو مراعاة شخص من الأشخاص، ولا يجوز أن يتخذ هذا القاضي لجرد أن الشاهد يسو في سمت الرجال الصالحين، ويزين ظاهره بزخرف القول.

وما دام الأمر على هذا النحو، كان على القاضي أن يسعى بسلامة التفكير ولطائف الخيل وصفاء الذهن؛ فيسأل كلا من الشاهدين على انفراد كي يتبين التناقض في أقوالهما

ويستمر في سؤال كل منها عدة مرات حتى توضح الحقيقة، فلما الصحة التي يمكن الاعتماد عليها وإصدار الحكم بموجبه، وإما الشبهة التي توجب التوقف عن إصدار الحكم؛ فيكون ذلك سبباً في النجاة من ورطة الحكم بالباطل. ونتيجة هذه الإصلاحات الباهة صارت الأمور الشرعية والقضايا الدينية تهرم وفقاً لأوامر الله تعالى ورسوله عليه السلام. وبذلك استقرت حقوق الخلق في مواضعها الصحيحة.

وأخيراً بين رشيد الدين على لسان غارات الهدف الذي يهدف إليه من وراء إصلاحه القضاء يقول: "إنه لا يخلص على الجميع أن غايتنا من تنهيد هذه الأوامر ليست إلا رعاية جانب الحق جل وعلا وتقوية الشرع الإسلامي لا راق معظماً وبسط العدل وراحة الرعية كما أن من التنبه هو أن يقتضى القضاة آثار الحق والعدل. وإن غرضنا من تكرار التحذير والتخويف هو جبر لخال الإنسان وليس تحطيمه، ورفع قدر القضاة لا إخطائهم، وتكريمهم لا إهانتهم. وإذن فالأولى أن يستمع القضاة لهذه التعليمات طائعين وأن يتنصعوا بما جاء فيها وأن يتأكدوا من أن كل من يعمل بها ويرجع جانب الحق ويصون منصب الشرف من شئ<sup>(١)</sup> التليس، ويتخذ الاحتياطات التام في الفصل في القضايا سوف يكون مشمولاً بمعظمتنا إلى جانب الآخر الخزييل الجميل<sup>(٢)</sup>.

وهي الحكاية السابعة عشرة بعنوان: "في الخلعة على الرعايا ورعايتهم ودفع الظلم عنهم" ملاحظ أن غارات كان يسعى سعياً جدياً في سبيل أن يعيش الناس دائماً في راحة تامة وقد صرح بأن العاقلة من حاصل عمر المراه في الدنيا إنما تكون في تحقيق الصالح للناس وعلى هذا الرم نفسه أن يجد ويجتهد إلى أقصى حد في هذا المجال لتدارك العيوب. ومن الإنصاف أن يذكر أن هذا الصاهر قد مجع بجاحا باهرا في إعادة الأسس والنظام إلى ربوع هذه البلاد التي تعرضت للفلاقل والمهزلات. كما أنه بذل جهوداً جبارة في سبيل تحسين أوضاع الطبقات الفقيرة والأخذ بيد العناصر المطلوبة على أمرها والقضاء على اللظام التي تعرضوا لها في عهد أسلافه من حكام المغول، ويريد ألا تتكرر هذه المأساة في عهده. ولهذا يتوجه بكلام صريح وواضح إلى أفراد الهيئة الحاكمة من أسرته، ويعلنهم على

(١) الذين القبح وخلاف الرى. حال ذاته. شيا شرحه وعلاه (المجم الوسيط، ج ١ ص ٤٠٤)

(٢) انظر الترجمة

سياستهم التي تقوم على التعالي والغطرسة اعتمادًا على أنهم هم السادة المسيطرون، وأما غيرهم فهم المبيد المطيعون.

يقول هؤلاء مهملًا وعثرًا: "لأننا لا نحاسب التاريخ (السكان من الإمبرانيين) وإذا كانت هناك مصلحة لأن نغير على الجميع، فليس هناك من هو أكثر مني على القيام بهذه المهمة ولكن إذا توقعتم مني بعد ذلك زائدًا أو طمعًا، أو التمستم هذا أو ذاك، فسوف أغلظ لكم في القول، وأخذكم بالشدة والنعيم. وبمعي أن تفكروا جيدًا هي أنكم لو أنقلتم على الرعية، وأكلتم لحوم أبقارهم، واستوليتهم على بنورهم وعلالهم فما عساكم تفعلون بعد ذلك؟" ١٩. كما أنكم إذا صرتم ساءهم وأطعالم وأديتموه؟ فإن عليكم أن تفكروا كيف أن ساءوا وأبأنا أعزاء علينا، وأن حال فلذات أكبادهم تكون هي نفس حال أطفالنا، وهم أيضًا آدميون مثنا ضامًا. وقد قرص الحق تعالى أمرهم إياها، وسوف تُسأل عما يصيبهم من خير أو شر فكيف يجب؟ ونحن عندما يؤذهم نكون جميعًا شبي ولئ يعود علينا ضرر نتيجة وجودهم. فما الداعي إذن إلى إيذائهم وإحقاق الضرر بهم وأية عظمة وشهامة تحصل لنا من وراء ذلك؟! .. ومادًا نحني غير الشؤم الذي سوف يريق بنا نتيجة سوء عملنا، ولن ننجح في أي عمل نقوم به. يجب أن يظهر فرق واضح بين المطيع والعاصي من الرعية. والفرق بين الخائض هو أن الرعايا المطيعين في أمان من الحاكم والعصاة غير آسئس وإن فكيف يجوز ألا تؤمس المطيعين هيكوسون منا هي عذاب ونصب؟! لا بد أن نستجاب دعوتهم بلعنا والدعاء بالسوء علينا. وعلى هذا يعني التصكير في هذه الأمور. وأنا دائمًا أسدى إليكم هذه النصائح وأنتم عنها عاقلون"

وهكذا نتيجة لأمثال هذه النصائح بقي واحد من ألف من تلك المشاعب التي كانت تلحق بالرعايا قبل هذا؛ فلا غرو أن تزداد جمهورهم في مختلف الممالك توجهًا بالدعاء للدولة. فليكن هذا الدعاء مقروئًا بالاستجابة بحق الحق وحرته<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن ما جاء على لسان غازان من نصائح غالبية لأبأه قومه وتحذيرهم من مغبة سوء معاملتهم الرعايا لما ينادي به الإسلام الذي يدعو إلى المساواة ويحث على فعل الخير دائمًا.

وهي الحكاية السادسة والعشرين بصوان: "ففي مع إقراض المال بالربا والتقصاء على التعامل بالربح الفاحش" تحدث رشيد الدين عن الأصرار التي لحقت بالجموع نتيجة التعامل بالربا، وكشف عما جرت به عادة المذمومة من مشاعب ومشكلات على مختلف الطبقات، وما سببه من إفساد الدم وغريب الضمائر، الأمر الذي أدى إلى تحجج الكبار المخلصين من ماصيهم وإجبارهم على ترك أعمالهم حتى يفسحوا المجال للعابثين والسهازلين للفرص في الاستغلال والإفساد، وحتى لا يكونوا عتبة أمام هؤلاء الضالين المضلين. فكانت النتيجة المتوقعة أن عمت العوصى وكثر النصب والاحتيال، وأدى الأمر إلى إفلاس الكثيرين. وصدق الحكماء الذين قالوا: "إن الملك يتنحل ويبرول عندما يحس الأشخاص الإكتماء عن مراوغة الأعمال المناسبة لهم وتسند إلى غير الأكفاء".

عطى السلطان عازن بعد نظره ونقّب فكره إلى أن أس كل هذه المعاسد هو التعامل بالربا؛ فإذا منع ذلك؛ فإنه يكون قد قوى الشرع الإسلامي من جهة وأخرج الخلق من ورطة الضلال إلى حادة الملهية من جهة أخرى.

ولما اقتنع عازن بأنه لا بد من وجود علاج حاسم لهذا الوضع الذي أدى إلى الإفلاس والحسار، أصدر مرسوماً في شعبان سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م يقضى بتحريم التعامل بالربا ولكن وجدت معارضات هي بادئ الأمر، فلم يصح إلّاها وأصر على رأيه. وكان يرد على المعارضين قائلاً: "إن الله تعالى والرسول عليه السلام يعلمان مصالح العالم أصل ما وهذا ما أمر به الله<sup>(١١)</sup> ورسوله وإن أسمع قط كلاماً يخالف ذلك".

ونتيجة لهذا الموقف الحازم والإصرار على الرأي الصحيح، رالت كل الأضرار التي كانت تحدث، واستقامت المعاملات، وعم الإنصاف كافة الطبقات. ثم بحث رشيد الدين للأمر حتى لا يتهم بالمبالغة فيصرح قائلاً: "ولا شك أن أهل هذا الزمان يتركون قيمة هذه الأمور إذ إنهم شاهدوا هذه الفاسد. أما الذين يعيشون بعد هذا ولم يروا حقيقة ما حدث فأنى لهم أن يدركوا عائدة هذا القانون؟"

(١١) إشارة إلى قوله تعالى في الفرقان الكريم: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ رِبَاً لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَصْعَلُ الْعِظَامَ مِنَ النَّارِ﴾ ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فس جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فانقلب أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿ (سورة البقرة، آية ٢٧٥).

وأخيراً يدعو رشيد الدين لعازان بقوله: "قلوبك الحق تعالى هذا السلطان كى يقصى دائماً على هذه الرسوم المدمومة، وحتى يجعل قواعد الشرع الشريف مهيئة وراسخة"  
وهى الحكاية السابعة والعشرين بعنوان: "فى منع المعالاة فى صداق الزواج" بين رشيد الدين كيف عالج عازان حال موضوعاً اجتماعياً مهماً يتعلق بالعلاقة بين الرجل وروجه ومضى هذا أنه كان للأسرة أيضاً نصيب كبير من عنائته فهو يرى بحق أن الحكمة الإلهية فى تشريع الزواج أن يكون هناك تناسب وتوافق بين الأدميين للحفاظ على النوع البشرى واستمرار الحياة. وعلى هذا لم يدخر عازان وسعاً فى اتخاذ الوسيلة الكفيلة بالحفاظ على الأسرة، والعمل على ترابط أفرادها.

ومن هذا المنطلق حرص عازان على أن تقوم العلاقات الإنسانية بين الرجل وروجه على أسس سليمة من التفاهم والمحبة. فإذا تعرضت هذه العلاقات لخطر الخلاف والسراع، وتعددت التوفيق بين الطرفين، فإنه من الأفضل أن يفرق الزوجان. ولكن عازان رأى بحق أنه فى هذه الحالة قد يقع الصداق المعالي فيه عقبة كئداء تحول دون التفراق فتتحول الحياة الزوجية إلى جحيم لا يطاق

والواقع أنه إذا روعيت بين الزوجين طرق المحبة والوفاق فإنه لا يستطيع أحد أن يفصلهما الواحد عن الآخر. وإذا لا يكون للزوجة نفع من المعالاة فى الصداق ولا يتصور أن يقع صرر على الزوج من هذا الإجراء. أما إذا لم يحدث بين الجانبين اتفاق واتحاد، فإنه عندما يكون الصداق كبيراً، لا يستطيع الزوج أن يطلق زوجته لأن ذلك يتطلب المزيد من المال، وهذا من شأنه يؤدى إلى استمرار الخصام والفتراع بين الزوجين، ويجر فى النهاية إلى زيادة الكراهية والحقد والمضب، فيقتضى كل منهما حياته فى ضجر وحمه. أما إذا كان الصداق قليلاً، فإنه بالطلاق يلعظ الطلاق تنتهى المراجعة بالمفارقة، ويتخلص كل من الزوجين من شر النزاع والجندال، ويبحث كل منهما عن روج آخر يناسبه<sup>(١)</sup>. والله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾<sup>(٢)</sup>

(١) عزالدين. حبيب السر، ٢٢، ج ١، ص ١٦٨.

(٢) قرآن كريم، سورة النساء، آية ١٣٠.

تتبع عاران إلى تلك المعادلة في الصدقات، ورأى أنها لا تتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية التي تقول على لسان النبي صلى الله عليه وسلم: "خير الكاح أسرته وخير النكاح أقله كلفة"<sup>(١)</sup>. وما دام الرسول صلى الله عليه وسلم قد استحس المهر القليل في الزواج، ينبغي أن يخص الناس الصدقات إلى أقصى حد؛ بحيث إنه لا تجب عليه الزكاة.

بناء على هذا أصدر غازان أمره بتقليل الصدقات، فجعل حده الأقصى تسعة عشر ديناراً ونصف، وكلف القضاة بالآل يصدقوا على عقود الزواج إذا راد على هذا المبلغ. ولا شك أن مسألة تحديد الصدقات هي من شؤون الحياة الموكولة لمعظمها إلى اجتهد المفسرين والمصلحين. ومن رأى الحاكم تحديد ذلك بقدر معلوم يتلاءم مع مصلحة جميع الناس، فإنه جائز قطعاً، وليس في الشرع ما يسمه إذ هو من المصالح التي تتفق مع مقاصد الشارع كما جاء في الحديث الشريف: "يسروا ولا تعسروا"<sup>(٢)</sup>.

وفي الحكاية التاسعة والعشرين بعنوان: "في منع الناس من احتساء الشراب" يتحدث رشيد الدين عن تخريم غازان خان على الناس احتساء الخمر في الطرقات والأسواق بسبب ما كان يحدث من عريضة ومشاجرة بين السكارى، وإلحاق الأذى والضرر بالناس، غير أن عاران لم يمنع شرب الخمر منعاً تاماً؛ لأنه على حد قوله: إذا فعل ذلك فلن ينعته أحد وللمحافظة على حرمة المساكن أصدر أمراً بالآل يدخل أي مخلوق مارل الناس للبحث عن السكارى حتى لا يسلط العسس سلوكاً يتجاوز حد الاعتدال، وحتى لا تحمل المتعصب والمشقات بالخلق. وعلى سبيل الاحتياط قرر أن يعرض عليه الموضوعات المهمة التي تتعلق بشؤون الدولة في حالة صحوه وبفقطته. وقد اتبع هذه القاعدة داخل إيران وخارجها فتحن بعلم أنه بعد أن انتصر غازان على قوات الناصر محمد بن قلاوون في موقعة مرج المروج سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م واحتلاله مدينة دمشق، خرج إليه ابن تيمية في "مرج راضع" لهشكو له ما جرى من التنازع بعد أسائه، فلم يمكنه الاجتماع به لشغله بالسكّر، فاجتمع بالوزيرين سعد الدين ورشيد الدين فقالا: "لا بد من المال" فانصرف<sup>(٣)</sup>.

(١) الفتح عبد الله بن ربه آل محمود نسبة تحديد الصدقات، ص ١٠، دولة لفرط، طبعة ١٣٩٦هـ.

(٢) نفس المرجع، ص ١٩.

(٣) السلوك ج ١ ص ٣٠١، ص ٨٩٢، الطبعة الثانية، تحقيق الدكتور محمد مصطفى ريانه، القاهرة ١٩٧٠م.



ورغم هذا يرى رشيد الدبي يدافع عن عازان. وفي مبالغة واضحة راح يعنى عنه نقبصه عيابه عن وعيه أثناء تناوله الشراب؛ بحيث إنه لا يستطيع أى مخلوق أن يموء عليه على سبيل التحايل والتليس والمغالطة<sup>(١)</sup>.

والواقع أن شرب الخمر حرام ومنهى عنه فى الإسلام سواء أكان هذا فى الأسواق أم فى غيرها. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأُرْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾. إنما يريد الشيطان أن يوقع بكم المداوة والنمضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متتهون؟<sup>(٢)</sup>.

وعنى الحكاية الثامنة والثلاثين بصوان: "صلى الله عليه وسلم" بإقامة دور خاصة للرسول فى البلاد ومع الشخص والحكام من الرسول فى منازل الناس" يتحدث رشيد الدبي عن جانب آخر من الجهود التى كان يبذلها عازان. كان فى سبيل راحة الناس والقضاء على أسباب شكاوتهم، وذلك بالمحافظة على ممتلكاتهم وأعراضهم وإعادة الطمأنينة إلى نفوسهم. وهذا مبدأ قويم يدعو إليه الإسلام، ويحرص على ضرورة مراعاته والتمسك به. وكاتب العادة قد جرت فى عهد الرسول أن يوعد الحكام وكبار رجال القبيلة الرسل مرودين بالأحجار المطامة إلى الإبلخان وكبار الشخصيات. ولكن قبل عازان، خرجت المسألة عن هذا الهدف إلى ضروب من سوء الاستغلال إلى أن وصل الأمر إلى حد الاعتداء على حرمة المساكين؛ إذ كان الشخص والحكام يتركون هؤلاء الرسل فى بيوت الناس، وذلك عن طريق الأدلاء الذين كانوا يصحبونهم إلى بيوت الرعايا قائلين لأصحابها: "إن هؤلاء الرسل يتركون صيوها عليكم". وفى مقابل ذلك كانوا يأخذون من هؤلاء الرسل نفوداً نظير تأدية هذه الخدمات. وكان هؤلاء الأدلاء لا يكتفون بذلك، بل يأخذون أيضاً السجاجيد وملابس النوم وأدوات المطبخ. وأكثر هذه الأدوات كان يستولى عليها إما الرسل وأتباعهم، وإما الأدلاء؛ بحجة أن الرسل قد استولوا عليها ولم يردوها ولو عرض وأعيد بعضها فأبى قيمة لما بعد أن ظل الرسل يستعملونها مدة طويلة. ولقد كانت المنازل التى يزل فيها الرسل أحسن المنازل وأفضها وفى اليوم الذى ينفذ فيه رسول أحد المنازل، كانوا يحملون آخر محله، وما ذلك إلا لأن الرسل كانوا دائماً يصلون تبعاً ولا ينقطعون.

(١) انظر الترجمة العربية

(٢) قرآن كريم. سورة الناقة، آية ٩٠، ٩١.

وقصارى القول أنه علما يزل رسول في إحدى الغلات، كان السكان هناك يقعون في عذاب ومشقة؛ إذ إن علمان هؤلاء الرسل وخدمهم يدخلون منازل الجيران عن طريق أسطحها، ويستولون على الأشياء التي تصادفهم من مأكولات ومشروبات وأصناف علف الدواب. ومهما كان الملاك يصرعون ويوحون كان صياحهم صرخة في واد، لا يمكن أن تصل إلى أى من الأمراء والوزراء. ولدهى وأمر من كل هذا أن هؤلاء الرسل كانوا يدخلون بيوت الناس ويرتكبون أعمالا شائنة محلة بالآداب، كما تروى قصة هذا الشيخ الحرم الذى قدم ذات يوم إلى الديوان، وصار يخاطب الأمراء والوزراء في صراحة تامة قائلا: "إننى رجل هرم ولئى روجة شابة ولولادى مسافرون، وقد ترك كل منهم روجة شابة حساء. كما أنى بنات. وها هم الرسل قد احتلوا منزلى، وجميعهم من الشباب القوي الشيط ويتصنعون بحال الوجه. وقد مضى عليهم زمن يقيمون عدى عيشاهديهم أولئك السوء ولئى يستطيع أن يفتن بى وبأولادى المسافرين، وأنا عاجز عن مراقبة كل ما يحدث ليلا ونهارا ثم يصيف الرجل في حيرة وألم ميبا أنه إذا كانت الأمور تجري على هذا النمط من الاحتلاط المعيب، فإنه لعدة سنوات أخرى لن يوجد طفل شرعى في هذه المدينة وسيكونون جميعا أبناء أتراك غلطى.

فلما وقف غازان على أطراف هذه المشكلة أمر بأن يكفى بإيقاد رسول واحد، وأن يكون ليعاده لتصرير مصالح الملك الضرورية. وإذا كان يراد إبلاغ السلطان أخبارا مهمة فإنه يختار لهذا العرس الرسل العدائيون وسعاة البريد. كذلك مع معا باتا تروى هؤلاء الرسل في مساكن الرعايا، وأمر بتشييد دور خاصة لهم على أن تزود بالمعدات اللازمة من فراش وملابس وكل ما يحتاجون إليه كذلك رصدت مبالغ تنفق بصفة مستمرة على هذه الدور وتعميرها. وبالإضافة إلى هذا، أصدر غازان مرسوما يقضى بأن يقيم الحكام لأنفسهم ولأتباعهم منازل خاصة بهم أو يستأجرونها.

وبهذه الإجراءات الحاسمة زالت تلك المتاعب، وقضى مهالها على الوسطاء فاستراح الناس، ونسوا ما كان يمل بهم من عذاب ومشقة أما جمهور الفائيين من السكان الذين كانوا قد نرحوا عن أوطانهم، وصاروا يتنقلون مشردى من مدينة إلى أخرى، فإنهم جميعا قد أخذوا يهودون إلى منازلهم وديارهم الأصلية وذلك بمحض اختيارهم، وألستهم تلجج بالدعاء من صميم قلوبهم وبإخلاص تام فليستجيب الله دعائهم

وأخيراً هي الحكاية الأربعين التي كتبها رشيد الدين بعنوان: "معي حظر إقامة الجوارى بالقوة في دور البغاء" نراه يذكر هذه الحكاية من بين إصلاحات غازان خان الاجتماعية التي تهدف إلى عبارة الرديلة بشتى الطرق وكلفة الوسائل. وكانت العادة قد جرت قبل تولى هذا المعامل أن تغير المعاهرات على السكى في المدن الكبيرة بجوار المساجد والخوانق ويوت الناس. وكان التجار والمستغنون يملسون الجوارى من أطراف البلاد، ويفضلون يمين لأصحاب بيوت الدعارة أكثر من غيرهم؛ لأن هؤلاء الناس الذين لا خلاق لهم كانوا يدفعون أشياء خيالية، خصوصاً للجوارى الجميلات؛ مما يحقق هؤلاء التجار الكسب والإثراء سريعاً وبأسط الطرق وأهم السبل.

ولقد رأى غازان بحق أن تصح هذه المواقير وإجبار المعاهرات على السكى فيها لممارسة الرديلة، أمر عظيم ومهموم، وغالب لأحكام الشريعة<sup>(١)</sup> ولهذا يسعى المبادرة بعلاج الموضوع، والعمل على علق هذه البيوت ولكنه رأى أن هذه العادة كانت متبعة منذ قدم الأيام، مما يتعذر معه مكافحة البغاء دفعة واحدة. فلا بد إذن من الحذر والتأنى والصبر مؤثراً على هذا المأزوم. وإذن فالسبل إلى تحقيق هذا الهدف هو المدرج في علاج فلوباء.

وبناء على هذا صغر مرسوم غازان خان الذي يقضى بأن كل جارية لا ترعب في ممارسة الرديلة في بيوت الدعارة، لا تباع إلى جماعة للشرع عليها. وأما من يقس في تلك البيوت، فإن كل من تريد أن تغادرها لتعيش عيشة شريفة، لا تسع من ذلك، ويحدد لها شئ تشتري به، وتزوج من الزوج الذي يقع عليه اختيارها<sup>(٢)</sup>.

هذا قليل من كثير مما حواه تاريخ غازان خان، صاغه بقلمه وزيره ومؤرخه رشيد الدين فضل الله. وقد لاحظنا أن هذا المؤرخ كلما شعر بأن كلامه قد يحمل على سبيل التهويل والمبالغة، والإغراق في المدح والثناء على غازان خان، يسارع إلى الاستشهاد بالمعاصرين هؤلاء قبل غيرهم شهود على ما أحدثه غازان خان من إصلاحات عظيمة وهم وحدهم يستطيعون أن يحكموا بصحة ما كتبه عنه هذا المؤرخ.

(١) يقول الله تعالى في هذا الشأن: ﴿لَا يَكْرَهُوا ضَيْقَكُمْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ إِذْ لُودَ لِحَبْلِهِ فَمَبْصُرًا حَرَمَ الْخَبِيرَ﴾ ومن يكرهه فإن الله من بعد إكرهه غفور رحيم ﴿١﴾ (قرآن كريم، سورة النور، آية ٢٣).

(٢) انظر شرحه.

ولكن رشيد الدين محتاط للأمر ولا يكفى بالروايات الشفهية، بل يشير أيضاً إلى الوثائق والسجلات المكتوبة التي هي خير دليل على صدق ما يقول. وعلى هذا رأياه في الحكاية السادسة التي كتبها بعنوان: "في بدل سلطان الإسلام وعطائه وجوده وسحائه على الوجه المستحسن القائم على أساس المعرفة"<sup>(١)</sup> يتحدث بالتفصيل عما قام به عاران من مجهودات في سبيل إصلاح شئون المال والاقتصاد، وتروحه للعدالة في فرض الضرائب وتخصيلها<sup>(٢)</sup>. وهي نهاية الحديث عن هذه الإصلاحات يصرح رشيد الدين بقوله: "لا بد أن الناس يحصلون كلامي هذا على سبيل المبالغة ويقولون: من الذي رأى الملوك السابقين، ومن وقف على أوضاع خزائنتهم حتى يستطيع القيام بهذه المقارنة؟! لكنني أشاهد على هذه الأمور هي سجلات الدخل والخرج لخزائن السابقين، وكلها محفوظة في دار المحفوظات، ولا يرآل قسم منها موجوداً حتى الآن.

فأي شهادة في هذه الدنيا أكثر عدلاً وصدقاً من السجلات والدعائر التي لم ترها عين، ولم تخطر على بال أحد؟! ولكن عند مطالعتها يتضح صدق هذا المقال أو كذبه"<sup>(٣)</sup>

والأمر الذي لا شك فيه أن ما قام به عاران خان من إصلاحات، كان نتيجة اعتناقه الإسلام عن إخلاص وإيمان؛ فلقد أخذ على نفسه أن يعمل بتعاليم هذا الدين ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. وما نحن نراه يوضح الهدف الأول من وراء هذه الإصلاحات حين يقول: "هو تأكيد تلك الأحكام، حتى يحقق الرفقاء من شدة عتاجنا واهتمامنا باستقامة أمور الدين، فتزول من العوس نقيصة التساهل والتهاون في شئون الشرع، ونحل محلها قصيلة الصلابة والحيات"<sup>(٤)</sup>.

ولقد صدق المستشرق الإغليزي بولون حين قال: "على الرغم من أن عاران لم يكن أول سلطان مغولي يعتنق الدين الإسلامي، فإنه في الحقيقة كان أول شخص يعيد إلى هذا الدين الحنيف عظيمته وجلاله"<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر الترجمة

(٢) حبات الفروخ المكتشفة في آس وآنسرة والرقابة إلى عهد خلفاء غازي مصطفى لما قاله رشيد الدين عن هذه الإصلاحات (انظر بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ج ٢، ينقله إلى العربية الدكتور بيه أمي فارسي وسير الطيكني، الطبعة الأولى، ص ٢٧٤، بيروت ١٩٤٨م).

(٣) انظر الترجمة

(٤) نفس المصدر

(٥) تاريخ كادي إيراني أربعة قرن ختم تا آخر قرن هشتم هجري. عصر استيلاي مغول وبارك، ترجمة وحواشي بقلم علي أسير حكيمته، ص ٢٠، طهران ١٣٢٧ هـ - ١٩٤٨م.

هذا الخلق المتنى وهذه الأعمال المجيدة والإصلاحات المفيدة التي شملت جميع نواحي الحياة لا يمكن أن تصدر إلا من رجل قلبه عامر بالإيمان، يفظ الصمير، بعيد النظر يخشى ربه، ويعمل بأوامره، ويتفقد تعاليمه. ومن هنا كان لنا أن نقرر أن هذه الإصلاحات قامت على أسس إسلامية خالصة<sup>(١)</sup>.

وبناء على هذا لا يوافق على رأى المستشرق الألماني شپولر ( Spuler ) الذى يزعم أن نظم عازان فى كثير من النواحي تسير على النمط المتبع فى العرب؛ فالاحتاجات متشابهة والأساليب متشابهة، وأجهزة الديوان فى عهد عازان تستند إلى أساليب شرقية قديمة مأخوذة من إدارة إمبراطورية روما الشرقية<sup>(٢)</sup>؛ إذ إنه من الجلى الواضح أن هذه النظم سواء فى الديوان أو فى المصالح الأخرى تستند كلها إلى أحكام الشريعة الإسلامية.

وهى الحقيقة بعد أن اعتنق عازان الدين الإسلامى صار واحداً من المؤمنين الذين حصلت نيتهم وصفت سريرتهم، واتجهوا بكل ما فى طاقتهم إلى رعاية آداب هذا الدين وإقامة شعائره على أحسن وجه. يقص علينا ابن العمولى ضمن أحداث سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م أن عازان توجه إلى بغداد، ودخل المدرسة المستنصرية من الدار المجاورة، وكان يسكن بها نظام الدين محمود شيخ المشايخ. وكان المدرسون والفقهاء قد جلسوا على عادتهم، والربعات للشريعة فى أيديهم فلما عاينوه قاموا وخدموه؛ فأمر رشيد الدين أن يقول لهم: أنتم مشغولون بقراءة كتاب الله عز وجل كيف جاز لكم تركه، والاشتغال بغيره؟ فقال أحد المدرسين: السلطان ظل الله فى أرضه، وطاعته وتعظيمه والانتقاد له واجب فى الشرع. فدخل خزانة الكتب ولجها، ثم عاد إلى الدار المذكورة، مات بها<sup>(٣)</sup>.

ورغم أن المستشرق الفرنسى "جروسيه" يرى أن حكم عازان يحدد اللحظة التى تحول فيها هؤلاء البدو البدائيون شيئاً فشيئاً إلى الحياة المستقرة فى إيران، إلا أنه راح يهدى أن هذا الاستقرار لسوء الحظ لم يتم دون أن يكون له مضار؛ لأن هؤلاء الملوك عندما خرجوا عن تسامحهم العام إلى اعتناق دهن خاص هو الإسلام، وإلى اعتناق مذهب خاص فيه لم يلتزموا أن يفتقدوا جنسيتهم، وأن يفتقدوا معها مميزاتهم، وأن تركوا أنفسهم للوسط الذى

(١) الشرق الإسلامى، ص ٣٤٠.

(٢) تاريخ مغول در إيران، ترجمة دكتور محمود مير كفتاب، ص ٢٩٢، تهران ١٣٥١هـ.ش.

(٣) الحوادث الجسيمة والهجرات الخاصة فى اللغة السجدة، ص ٤٩٢ - ٤٩٣، تحقيق مصطفى جواد، بغداد ١٣٥١هـ.

همهم وشربهم وأتباعهم. ولكن لم يكن الوقت قد اتسع ولا الوسيلة قد تهيأت لظهور هذه النتائج الصارة في أيام عزازن الخازم<sup>(١)</sup>

ونحن لا نوافق على هذا الرأي؛ لأنه إذا كان "جروسية" يتحدث عن التسامح العام للمغول؛ فإننا نرد عليه بأننا نرى أغلب المغول قوما متعصبين ضد الإسلام والمسلمين فجعفای بن چنگیز خان مثلا كان أشد أباء للعامل للمغول قسوة وأكثرهم بطشا. وكان يشرف على تعيد أحكام والده وقوانينه كما نصت عليها الياسا. وقد لاقى المسلمون منه الأمر؛ إذ كان ينزل بهم أشد العقاب على لقل هفوة. وكثيرا ما يكون العقاب الرهيب هو الإعدام<sup>(٢)</sup>؛ فشلا من يبيع الحيوان على الطريقة الإسلامية كان جغتای يأمر بقتله على الفور، لأنه خالف طريقتهم التي ألفرتها الياسا<sup>(٣)</sup>

والحقيقة أن ما حدث للمغول في إيران من الضعف والتعصب والاضلال ثم الغاء حدث أيضا في جهات أخرى مثل الصين وروسيا وغيرها من الجهات التي كانت تخضع للمغول. والسبب الرئيسي في ذلك هو تفرق أمراء المغول بعد أن كانوا وحدة متماسكة. وسرعان ما دب الصراع والقتال بينهم؛ فكانت النتيجة المحتمة لكسل هذا هو السقوط والانهيار. وبذلك أثبتت الحفريات أنها لقوى من سلطة المغول الجمعية<sup>(٤)</sup>.

وهناك أسباب أخرى كان لها أثرها المباشر في ضعف المغول وانهيارهم، نحن لا نرى الصراع الرهيب الذي نشب بين أفراد الأسرة حول ولاية العرش والحرب الطاحنة التي دارت بينهم في سبيل الوصول إلى كرسي السلطنة؛ تلك الحروب التي طالت أرواحهم منها جلعهم الأعلى چنگیز خان؛ فقد كان يصحهم دائما بالاتحاد والتآزر.

يروي أنه عندما كان على فراش الموت، جمع أولاده وقال لهم: "اعلموا يا أولادي الجهاد أنه قد قرب سعى إلى دار الآخرة ودا أجلى. وأنا بقوة الإله والتأييد السماوي استخلصت

(1) Grousset: des Steppes, P. 457

الرحمة القاسية لهذا الكتاب، چاپ سوم، ص ۶۲۵، تهران ۱۳۶۸ هـ.ش.

(۲) انظر الجورجاني حقیقت ناصریه جلد دومه عشق عبدالمی حبیبی، ص ۱۵۶ - ۱۵۷، کابل ۱۳۱۴ هـ.ش.

(۳) انظر التفری. المخطوط، المجلد الثالث، الجزء الأول، ص ۱۴۶ - ۱۴۷

(۴) هارولد لام چنگیز خان وجغایل للمغول، ترجمة منری نسبی، مراجعة وتقديم الدكتور وکی محمود،

ص ۱۵۵ - ۱۵۶، القاهرة ۱۹۶۶م.

مملكة عربية فسيحة، حيث يملك من وسطها إلى طرف منها مسيرة مئة من أجليكم أنتم يا أولادى وهياتها لكم. فوصيتى إليكم أنكم تشتعلون بعدى بدفع الأعداء ورفع شأن الأصدقاء، وتكونون جميعا على رأى واحد حتى تعيشوا فى نعمة وعمر ودلال، وتتمتعوا بالسلطة والجاه»<sup>(١)</sup>.

هذا ويذكر الدكتور ركى محمد حسن ميبا آخر لانهيار دولة الإيلخانيين هو أن حلماة هولاء لم يعطوا فى بداية الأمر إلى ما فى شو النظام الإقطاعى فى إيران من عطر على دولتهم؛ فطرق إليهم الانحلال، وانقسمت إيران بعد سقوط هذه الأسرة إلى دويلات محلية ظلت قائمة حتى فصى عليها تيمور لنگ فى نهاية القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) حين استقر له الأمر فى بلاد ما وراء النهر، وبدأ سلسلة فتوحات أخضع فيها إيران وجرما من جوبى الروميا والمقد، وهرم بايريد سلطان الأتراك العثمانيين عند أنقرة سنة ٨٠٤هـ / ١٤٠٢م<sup>(٢)</sup>.

ونظرا لمرارة المادة العلمية التى كتبها رشيد الدين عن عاران بوجه عام وما قام به من إصلاحات فى مختلف ميادين الحياة بوجه خاص، صار ما كتبه متعبا ومرجعا مهما لمعاصريه ومن جاء بعده من المؤرخين. وعنى شخص من هؤلاء بالذكر محمد بن هندوشاه النخجوانى فى كتابه "دستور الكتاب فى تعيين المراتب"<sup>(٣)</sup> وعنوانه هو كتابه "حبيب السير"<sup>(٤)</sup>

(١) رشيد الدين فضل الله جليل قزوینى، ج ١٦، نشر ونجف، ذكرته بهى كرى، ص ٢٨٥ نهران ١٢٢٨هـ-ش.  
(٢) قصود الإيرانية فى العصر الإسلامى، ص ٢٨، منشور دار الفکر العربى، بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.  
عن المؤلف: تصویر فى الإسلام عند الفرس، ص ١١، منشور دار الفکر العربى، بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.  
(٣) مؤلف هذا الكتاب هو حسن بن محمد بن هندوشاه النخجوانى المعروف بنسب للنسب الله سنة ٧٦٠هـ وقدمه إلى السلطان لویس الجلائرى (٧٠٧ - ٧٢٦هـ) وأقسم بما فشتل عليه الكتاب بمثل فى مجموعة من الإسنادات والوثائق والمراجع المروعة من الأصال إلى السلطان والأسراء على شكل رسائل تعلق بالحدود الاقتصادية المختلفة من ردة وغارة وتقسيم للأرضى وروافدها وكذلك الأرفاف والإقطاعات الخاصة بالأسرة الحاكمة والأعمال والكتاب على هذا النحو يشتمل على موضوعات مهمة تحصل بصفة خاصة بالتاريخ الاجتماعى والاقتصادى والسياسى لبلدان الشرق الأدنى والأوسط كما أنه مفيد أيضا لتاريخ كبرى جهان. قام بتحقيق هذا الكتاب عبد الكريم طلى توغلى رنده، ونشر فى موسكو عام ١٩٦٦.

(٤) النظر مؤرخ للقول الكبير، ص ٢٢٤ وما بعدها

أما الأول فقد تأثر بما كتبه رشيد الدين عن إصلاحات غازان بصفة خاصة، فتراه في أكثر من موضع من كتابه ينقل عبارات رشيد الدين بنصها أو بتفسير طفيف. فعلى سبيل المثال عندما تحدث غازان إلى الأمراء الخوّل يقول ينصحهم بأن يعاملوا رعاياهم معاملة حسنة ويحذّرهم من الإساءة إليهم، ويذكرهم بأنزال أشد أنواع العقوبات إذا لم يكفوا عن إيذائهم نرى الخوجواني يعقب على ما ذكره قائلًا: "يقول الوزير العادل الشهيد الخواجه رشيد الدين فصل الله طاب ثراه الذي دون أخبار السلطان السعيد المغفور: "إنه بواسطة استماع هذه النصائح، صار يحدث واحد من ألف من المتابع التي كانت تحدث قبل هذا من المنطيين والمعتدين بالنسبة إلى الرعايا الضعفاء. وقد اشتمل جمهور الرعايا في الممالك بالدعاء للسلطان السعيد نور الله مرقده"<sup>(١)</sup>. كذلك تراه في صفحة ٢٠٣ تحت عنوان: "الوع السادس: في معج المكاريين وأمثالهم من إيذاء الرعايا" يتأثر بما ورد في كتاب رشيد الدين إلى حد كبير؛ فالعنوان هو بعينه العنوان الذي كتبه رشيد الدين تقريبًا في "الحكاية التاسعة والثلاثين". "في معج المكاريين والجملالين والسعاة من إيذاء الناس"<sup>(٢)</sup>. والعبارات مصوغة في أسلوب يختلف قليلًا عما ورد في كتاب رشيد الدين. وكذلك فعل الخوجواني في حديثه عن الإصلاحات الاقتصادية التي شئت في عهد غازان خان<sup>(٣)</sup>.

وأما "خواتمير" مؤلف كتاب حبيب السير، فقد راح هو الآخر ينقل عن رشيد الدين. وكان يصرح بهذا في أكثر من موضع؛ فهو مثلاً عندما تحدث عن أحلاق غازان خان وإصلاحاته تحت عنوان: "ذكر شمة از محاسن أوصاف ومحمد آثار عاراني، وبيان قوانين يستنبطه آن"<sup>(٤)</sup>. تراه يمدح هذا المعامل ويثنى عليه، ويكشف عن نواحي العظمة في شخصيته. ويذكر أنه لم يقصر في تأسيس بناء الدولة وتجهيز مراسم العدل والاهتمام بشؤون الرعية. وقد اختصر خواتمير الحكايات الأربعين التي ذكرها رشيد الدين في عشرين حكاية لتكون دليل صدق وشاهد عدل على إثبات ما يدعيه، واعترف بأنه نقل هذه الحكايات من كتاب جامع التواريخ<sup>(٥)</sup>.

(١) دستور الكتاب في تعيين المراتب، ص ١٩٩ وما بعدها.

(٢) نظار فترحة العربية

(٣) دستور الكتاب، ص ٣١٦ - ٣١٧.

(٤) حبيب السير، ج ٢، ص ٩١ وما بعدها

(٥) خواتمير: حبيب السير، ج ٢، ص ٩١.



وهكذا فإن من يدرس تاريخ الموعول يرتاح حقاً عندما يتحول فجأة من قراءة ما اقترحه هؤلاء القوم من مفاتيح تشعير لغوا الأبدان، وما سمكوه من دعاء يهجر حساب إلى أسس المواطن الإنسانية وأنبيل المشاعر الرقيقة التي أعلنت عن مصها في سلوك عازان وأعماله المجيدة وإن المرء قد تنزهه الدهشة وتسلطه الحيرة، لأن هذه الإنجازات كلها قد نمت على يد عازان الذي كان جده الأعلى هولاءكو غازنا جباراً ساعاً للدعاء ونحن لا يمكن أن ننسى أنه عظم الخلافة العباسية وقاتل الآلاف للؤلؤة من الأضواء البرقة. ولكن ما تلت أن تزول الدهشة وتنتهي الحيرة عندما يعلم أن هذا التحول الكبير إنما يرجع أولاً وقبل أي اعتبار إلى الإسلام الذي اعتنقه عازان عن التنازع وإخلاص، وآس به إيماناً راسخاً صادقاً، ومقد تعاليمه فكانت النتيجة هذه الإصلاحات العظيمة التي قامت على أسس إسلامية قديمة<sup>(١)</sup>.

وإذا عازان رغم قصر مدة حكمه بعد دون شك واحداً من أكبر السلاطين في الشرق، وذلك بواسطة القواعد والقوانين التي خلقها والإصلاحات التي قام بها. ونحن لا نعدو الحقيقة إذ اعتبرناه أيضاً واحداً من السلاطين المشهورين في إيران من حيث السياسة التي انتهجها ومن حيث التنظيم والإدارة، فهو من هذه الوجهة بعد أكبر سلاطين الإيلخانيين على الإطلاق.

ولكن يجب أن نضع في الاعتبار أن ما ناله عازان من فخر وعظمة وسمعة طيبة إنما كان بمعونة وريرة المعمرى القدر رشيد الدين فضل الله المماني الذي كان من جهة يدير الممالك الواسعة لغازان بكفاءة وتدير. وكان من جهة أخرى الساعد الأيمن لعازان في الترميز من الرعية وإصلاح الشؤون الاقتصادية وتشييد الأبنية والآثار الخيرية

ونحن لا ننسى جانباً هاماً آخر هو أن رشيد الدين خلّد - على صفحات الدهر - في كتابه الدائع الصيت "جامع التواريخ" محامد عازان وأعماله المجيدة ووقائع أيامه بقلمه السلس الجذاب. وبالإضافة إلى هذا يهي ألا نفضل ذكر النخبة الممتازة من العلماء والأدباء والفضلاء الذين اجتمعوا حول رشيد الدين في ترميز نتيجة شغفه بالعلوم والآداب وتشجيعه الأدباء والعلماء والمصلين الذين بدّل كل واحد منهم جهداً مشكوراً في هذا

(١) الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين (أسره هولاءكو عازان) ص ٣٤٠

السهيل؛ بحيث إنه يمكننا أن نقول: "إن عصر عازان ولؤلؤجاتيو وأبى سعيد يعد من أكثر العصور إشراقاً في تاريخ إيران"<sup>(١)</sup>.

والآن أكتفى بهذا القدر من الدراسة، وأترك المجال للقارئ كي يحكم على قراءة الترجمة بأكملها، ويستخلص منها ما يشاء. وأنا على ثقة تامة من أنه سوف يظهر بمتعة عقلية كبيرة، ويجد في تاريخ غازان المزيد من العظات والعبر، ويتأكد أنه إذا توافر للإنسان العزم الصادق واليقين الراسخ، فسوف يتخطى العقبات ويحقق الأهداف.

لقد أعجبتى كلمة الكاتب الصحفي الكبير الأستاذ "رجاء النقاش" التي يقول فيها عن التاريخ: "عندما نقرأ التاريخ نشعر بالمتعة؛ فالتاريخ هو ملخص الحياة، وفيه مواقف وشخصيات وصراعات ومغامرات، وفيه أيضاً ألوان متعددة من حسن الحظ وسوء الحظ. والذين يحبون قراءة التاريخ لا يتوقفون وهم يقرؤون عن المقارنة بين ما جرى في الماضي وما يجري في العصور الحاضرة، بل كثيراً ما يقارن قارئ التاريخ بين أحواله الشخصية وبين ما يقرؤه من شخصيات قديمة وأحوال ماضية وهذا هو ما يصاعف متعة التاريخ في نظر قرائه وعشاقه، فهم يستمتعون مرتين. مرة بمعرفة ما حدث وما جرى في عصور سابقة، ومرة أخرى بالتفكير والتأمل والمقارنة بين ما حدث في الماضي وما يحمله الحاضر من أحداث. والتاريخ آخر الأمر هو فن، ولكنه أكثر من كل الفنون قدرة على التأثير في النفوس؛ لأننا ونحن نقرؤه نعرف أنه حقيقي وصادق ويبعد عن الخيال"<sup>(٢)</sup>.

(١) عباس إقبال: تاريخ مفصل إيران، جلد أول. طر حلقه چنگیز تالشكيل دولت نيموري، ص ٢٨١ - ٢٨٢.

طهران ١٣١٢ هـ.ش.

(٢) صحيفة الأهرام، ص ٢٤ بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٩٦.



**الترجمة العربية**

**لتاريخ غازان خان**



## غازان خان بن أرغون خان بن آبا قاخان بن هولاكو خان ابن تولوى خان بن چنگيز خان

وهو يشتمل على ثلاثة أقسام:

### القسم الأول:

في تقرير نسبه العريق، وذكر أحواله منذ مولده المبارك حتى عهد جلوس أرغون خان على عرش السلطنة وذكر روجاته (نحواته) وأولاده، وشجرة نسبهم الشريف.

### القسم الثاني:

في مقدمة جلوسه اليمون، وصورة العرش والنحوتين "والأمراء الأنجال"<sup>(١)</sup> والأمراء وجلوسه على عرش السلطنة، وتاريخ حكمه، والحروب التي قام بها، والفتوحات التي نيسرت له.

### [ص ٢٤٧]

### القسم الثالث:

في سيره الحميدة، وسجاياه المضمومة، وآثار عدله وإحسانه وخيراته ومبراته وهون أدابه ومستحب عاداته، والكليسات التي قامها في كل سنة على وجه التحقيق وسبيل التدقيق والأحكام المحكمة والقوانين المبرمة المشتملة على رعاية مصالح كافة الخلق، والتي بعدها في كل شأن من شئون الحياة، ونوادر الحكايات والأحوال التي لم تذكر في القسمين السابقين. وهي نوعان:

أحدهما: ما كان موبيا. وهو عبارة عن أربعين حكاية.

وثانيهما: ما يسجله القلم بصورة مصرفة حسب القضايا والحوادث المختلفة.

(١) ترجمة لكلمة خاندان كان للتعبير عنها ومن كلمة "خاندان" من غير أبناء القزاق

## القسم الأول

في تقرير سبه العريق، وذكر أحواله منذ مولده المبارك حتى عهد جلوس أرغون خان على عرش السلطنة، وذكر حوائنه ولولاده، وشجرة نسبهم الشريف

عاران خان هو الابن الأكبر لأرغون خان الذي تزوج، وهو في الثانية عشرة من عمره من والده غازان المسماة "قولتاي" ابنة "يتكجي" الصغرى من قبيلة "دوربان". وكان أرغون قد خطبها من "كرك تيمور" الذي كان أخا "لأرقتو" و"مولاي" وكان الأمير "تيس" قد تزوج من أختها الكبرى المسماة "أشلون".

كانت "قولتاي" في غاية الكمال والجمال. وكان أرغون يحبها حباً شديداً لدرجة أنه أراد أن يستقبلها، ولكن منعه من ذلك الأميران "سرتاي" و"جوجان". ولشدة تعلقه بها صعد برج القصر، وجلس فوق سطحه، وصار يشاهدها من بعيد

وصغوة القول أنه بعد إتمام مراسم الرفاف والرواح، تكونت مواد العصر الشريف لعاران، واستقر صدف مشيمة ذلك القمر للملكي في در البحر الخاقاني. وبعد تسعة أشهر وهي أسعد ساعة [ص ٢٤٨] من فجر ليلة الجمعة التاسع والعشرين من ربيع الأول سنة ٦٧٠هـ / ١٢٧١م الموافق (بمير بيكو ميسج آي) عام الحروف جاء من كنه العدم إلى حير الوجود، طالع غازان المبارك أقدم في "تسكون"<sup>(١)</sup> من بواحي مازندران، وذلك وقت طالع السعد برج العقرب، وسهم السمادة وسهم الغيب، فأضاء عين الدنيا بجماله

ووقت ولادته رصد الكواكب جماعةً المجسم المهرة الذي كانوا حاضرين واستخرجوا في احتياط تام طالع المولود، عوجوه مسعوداً للعابة. فقال كل منهم (شعر فارسي في الأصل ترجمته):

لقد نظرت إلى طالعك فرأيت

إنقطاعك سيكون ماله ألف نفس

(١) أبسكون جزيرة صغيرة منزلة على بحر قزوين. اشتهرت في التاريخ بأنها أعمر ممالك آسيا  
السلطان علاء الدين محمد غورغانشاه فلزاً من جماعات الملوك، ومات فيها ذليلاً في سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م.  
(الطر: كي لسترج بلدان الخلافة الشرقية نقله إلى العربية، بشر عرسيس وكوركيس مولد، ص ٤٢٠  
بمعد ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م الدكتور فتوح عبد اللطيف الصبيح المسؤول عن التاريخ، ص ١٢٢ ١٢٣  
القاهرة ١٩٧٥م).

ثم عهدوا به إلى مرسعة حسنة الخلق تدعى "معالين"، وهي روجة رجل خطائي اسمه "إيشك"، وكانت قد جاءت مع "قولتاي حاتون"، وعرف عنها أنها امرأة عفيفة، محمودة السيرة، تلبق بترية أبناء الملوك. وكان أبها "هدو" على قيد الحياة.

وصورة القول أن مرسعته الرحمة، صارت تربيته في جحر الشفقة. وكذلك انطلق لسانه في عهد المهدي بالأغماظ للبلحة والكلمات المصيبة طبقاً لما يقول الشاعر:

(شعر عربي في الأصل)

في المهدي ينطق عن سعادة جده      أنسر النجاسة ساطع البرهسان

بحيث إنه حير الجميع

ولما كانت عادة الملوك ألا يسمحوا لبعولة مرضعات أبناء الملوك أن يقربوا منهم ولأن "إيشك" الخطائي جامع روجته في ذلك الوقت، فحملت منه - أصيب الأمير عازان بإسهال نتيجة تعير لئس مرضعته. ولهذا السبب استردوا الأمير منها، وأركبوه جواداً وهو في الثالثة من عمره، وسلموه لأُم حسن الذي كان أميراً على طاقعة "توقجيان" من قبيلة "سولتوس"، واسم والده "حسن آشتو" واسم والدته "آشتاي". وكان لآشتو ولد آخر يدعى "تولاي" يعمل ساقياً وطاهياً.

وعندما بلغ الأمير عازان الثالثة من عمره، أرسل أروعون الأمير "قتلغ شاه" من مشتى مازندران إلى حضرة آبا قاخان لإعجاز بعض المهام، فحظي بالثول بين هدى الحصرة في "موغان"<sup>(١)</sup>، فاستفسر آبا قاخان عن أحوال الأمير عازان فرد "قتلغ شاه" بأنه في الثالثة من عمره ويركب الجواد. فأظهر آبا قاخان ميلاً شديداً إلى رؤيته.

وعند عودة "قتلغ شاه" قال له آبا قاخان: لقد بلغت من الكبر عتياً وتطوف بخاطري - من وقت لآخر فكرة الرحيل إلى الأخيرة. وإذا كان ولدى أروعون بحسب ابنه عازان حياً

(١) مرغان: تكتب أيضاً موقان. مدينة بخرسان من أعمال طوس. ولها سوق وسور حصص. وبها تجار كرماء وصياح وعلف. ولها حصص منبح. ويوجد بها قبر علي بن موسى الرضا. ويحمل موقان معادن فضة وفضة والذهب. وبها كذلك كثير من أحجار الفيروز. وكانت موقان دار الإساءة بخرسان إلى أيام الظاهرية ثم انتقلت منها إلى بسلور. انظر كتاب الروض للسلطان في غير الاقطار، تأليف محمد بن عبد اللطيف الحسري حققه الدكتور إحسان عباس، الطبعة الثانية، ص ٥٦٦، بيروت ١٩٨٠ م)



جاء، ولا يريد مفارقتها لأنه وحيدته فبقي أتوق إلى أن يرسله إلى حتى يلهو باليواسق<sup>(١)</sup> والصفور.

فلما بلغ قطع شاء تلك الرسالة لأرعون، قال: ليس لي غير هذا الآن، فكيف أستطيع أن أرسله إلى والدي؟! . غير أن الامتنال لأوامر الأب واجب على. وإذا فالمصلحة تقتضي أن أتوجه بنمسي إلى حصرة والدي، واصطحب ولدي معي.

وفي أول شهور فصل ربيع من عام ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م، غادر أرعون مازندران قاصدا زيارة حصرة والده [ص ٢٥٠]، واصطحب معه ابنه، ومثل يس يديه في "توقور أولانگ"<sup>(٢)</sup>.

وعندما سمع آبا قاخان غير قدومها، باندر باستقبالهما، وذلك لفرط شغفه بلقاء الأمير السجل غاران وما أن رآه حتى رعه عن صهوة الجواد وأجلسه على مقدم سرجه، وبتنهج برؤيته

وحيث إن آبا قاخان كان يشاهد على عازان أبيه لذلك وشمال السلطنة صرح قائلا "إن هذا الولد جدير بأن يبقى معي، وأن تقوم بنفسى بتربيته" ومع أنه كان يحب ابنه أرعون حبا شديدا، فإن حبه له قد ارتد، ورسخ في قلبه أكثر من ذي قبل، وذلك بسبب تعلقه بهاروان.

وهي تلك العترة من الإقامة، وتبعها بوصول ذلك السجل، صار آبا قاخان مشغولا بأسباب المتع واللعو واللمح وكان يمل الإنعامات والمطايا للجميع وبعد عودة أرعون قال آبا قاخان: "ليبق الابن غازان عندي هنا حتى أقوم بنفسى بتربيته" ولما لم يكن لبولغان خاتون الزوجة الكبرى لآبا قاخان ولد ذكر، قال أرعون: إذا صدر الأمر، فإني أقدمه إليها على سبيل العبودية والمخدمة. فأعجب بذلك آبا قاخان. وكانت بولغان خاتون قد توجهت

---

(١) لفرد "باشق" وهو نوع من جنس البازي، من فصيلة الطياف السريعة وهو من الجوارح يشبه البعشر ويصير جسم طويل ومشار قصير ينادى القوقس (جمع القنة العربية طليح القوسيط، ج ١، ص ٨٠).

(٢) "توقر أولانگ" الاسم للقول للمدينة التي شرع من إنشائها السلطان أرعون خان، وأنها السلطان أولانگاتو وأطلق عليها اسم "السلطنة" وذلك في سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٥م. وجعلها عاصمة الدولة الإلخانية (انظر كسي لسرتج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشر فرميسين وكوركيس عواد، ص ٢٥٧، بغداد ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م).

إلى ناحية "سورلوق"، فتبعها أرعون مسيرة مرل واحد ولدى لما التحبة والولاء، وسلم لها عاران، ثم عاد إلى خراسان. هسرت بولغاخ حاتون سرورا شديدا، وقالت. إن هذه كرامة، وهدية لى من الله، وهو مثل ولدى من صلى.

ولقد ترك أرعون لابه عاران عشرة من الخدم، هم: حس وكوكا وما جار وأدرم وبوقا وفردغميش وفلجاي والتون وبوقا وتقاچى وهم من قبيلة اويككوت. [ص ٢٥١] ثم صرح أبا قاخان قائلا. ليق عاران فى هذا المخيم، ويسب إليه، ثم يشول إليه من بعدى، ويقوم مقامى.

وجمل القول أن الأمير عاران كان يقم فى مقر "بولوغاخ حاتون"، وملارما لحصرة أبا قاخان ولأن عاران كان طفلا، كان أبا قاخان يحبه أكثر من ابنه الصغير "گيخاتون"؛ بحيث إنه كان يؤخذ گیخاتون إذا ما صابى عاران أثناء اللعب.

وعندما كان أبا قاخان يعمل ترحام الناس وصحيحهم، وفى الوقت الذى يطلب فيه روجنه "توادى حاتون" التى شغف بحبها، كان يرها على بعد ما يقرب من نصف فرسخ من المعسكرات ولم يكن أى مخلوق من الإخوة والأبناء يقى هناك ولكنه لمرط حبه لعازان، كان يهرل بجوارها، وكان يصحبه فى سكره وصحوه ولوفات صيده وظعنه وإقامته وفى أى وقت يشاء. ولم يكن يطئن صبرا عن بعده لحظة واحدة. وكان يصرح دائما بأنه تتجلى فى رأس هذا الصبي السعادة، ويدو عليه الإقبال التام.

ولأن عاران كان عافلا إلى أقصى حد، صار فى أول سن الطفولة يجمع الأطفال والأتراب، ويعلمهم القواعد والقوانين، وأساليب الصراع والنزال. كذلك عيى أحد أقاربه من بين كبار أفراد الأسرة، ومن الأصدقاء المقربين؛ بحيث إنه لو تجاوز شخص حده، فإنه كان يؤاخذ طيقا لقواعد الهاسا<sup>(١)</sup>، ويعاقبه بالزجر والتعنيف ولم يصرف إلى اللعب واللهو شأن الأطفال الآخرين، بل كان من عادته فى اللعب أن يأمر بأن تحاك له من الثياب واللياب "دمى" على هيئة الأدميين والخيال ثم يدججها بالسلاح، ويعملها تواجه بعضها بعضا كجيشين متحاربين الواحد منها فى مواجهة الآخر. [ص ٢٥٢] ثم يشير بيده الحرب والظن.

(١) للحصول على معلومات مفصلة عن الهاسا التى وضعها ينگغر حان انظر كتاب لشول فى التاريخ لصرحم ص ٣٣٨ وما بعدها، الفقرة ١٩٢٥م.

وعندما بلغ غاران الخامسة من عمره، عهد به جده أبا قاحان إلى "ماروق بنحشى" الخطائى حتى يشرف على تربيته، ويعلّمه لفظ المولى والأويجورى والعلوم والآداب. وهى مدة خمس سنوات، أنقضى تلك العصور. وبعد أن حصل هذه المعارف، شرع فى تعلم الفروسية والرماية.

( شعر فارسي في الأصل ترجمته )

بىما كانت لا نزال رائحة اللبى تفوح من فيه

جاءته الرعية فى الظنى بالسيف والرمى بالسهم

وكان دائما يطارّد الحيوانات، ويكرى الخيل بطريقة أدهشت البشر.

وفى سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م عندما توجه أبا قاحان إلى خراسان لمقاومة جنود القراوة الديس كانوا قد حاربوا فارس، اصطحب معه "بولوغان خاتون" وغاران، فقدم أرغون لاستقبال أبيه. وهى سمان<sup>(١)</sup> لحن بالحصرة، وجند الأب والابن اللقاء ولما عادر الجميع سمان، مارسوا الصيد عند الجبل الواقع بين سمان ودامغان<sup>(٢)</sup>

وفى ذلك الوقت بلغ الأمير غاران الثامنة من عمره. وهالك شعل بالصيد<sup>(٣)</sup>. ولما كان هذا أول صيد له، مكث ثلاثة أيام فى دامغان من أجل طلاء يده بالشحم<sup>(٤)</sup>. وقد أقيمت الولائم وحملات اللهو ثم عمس "بوقا" صاحب السلاح "قورجى" - الذى كان "مركانا" بمعنى أنه يجيد الصيد - يد الأمير غازان فى شحم للصيد

(١) سمان. تقع بين دامغان وقرى على طريق خراسان جوها معتدل، وتستخدم مابعد من شهر وهى مدينة حسنة ومتوسطة بها أسواق وصناعات، وتنتج القمح والقمح، وتربى بها غلبة الجمود (انظر محمد الله المستوفى القرويسى رحمة القلوب بكرش محمد ديس سبكي، ص ٢٠٠ فروغى للمطار، ص ١٢٢١ بشأن الخلافة الشرقية، ترجمة الفرياد، ص ١٠٧).

(٢) دامغان تقع بين قرى ويسايور، وهى أقرب إلى ويسايور ولقد أطلق عليها العرب أيضا اسم قومس. يصل جوها إلى الحمرارة، وهى قليلة الماء. ومن نواحيها الكشبرى المجيدة (انظر رحمة القلوب، ص ٢٠٠ فروغى للمطار، ص ١٢٢١ بشأن الخلافة الشرقية، ص ١٠٥).

(٣) كان للأولاد الصغار حرص يظهر من ميلهم من الصيد، ويبدو عدم اكتراثهم بما قد ينجم من ذلك من أخطار. وفى الحين كان الصيد يفترب الصغار على مطاردة الأعداء الأعمى ووضعهم فى مركز حرج (انظر بىگىر خان وجنات المولى، تأليف مارولد لاد، ترجمة منى أنس، ص ٥٥، القاهرة ١٩٦٢م).

(٤) جرى العرب عند المول أن يوضح شحم الصيد الذى يبيده الصبي لأول مرة على إصبعه الأوسط وكذلك يملون مع من يقدم أول رأس لقتل تحت العلم فى اللركر.

وعندما كان آبا قاقاخ يهاجر دامغان، أمر بأن تسافر يولجان خاتون ومعها عازان عن طريق مارميران؛ ولأن الوقت كان أول الربيع لم يكن العلف قد توافر بعد. وسلك هو طريق بسيط ثم اتحدت يولجان خاتون ومعها عازان طريق "شهر ك بو"، ولحقا محصورة آبا قاقاخ في "مرعزار رادكان" ثم رحل آبا قاقاخ إلى كيتو جام وهرقة، وسير ابنه أرغون إلى ناحية غور وعرجه لصد القراوية. [ص ٢٥٣] وعندك قال غاراج لجدته آبا قاقاخ: لو أذنتم لي فأتى على استعداد للسير كي أكون في خدمة والدي فاستحسن آبا قاقاخ منه ذلك، وأمر له بزي من الشراب الخاص حتى يلحق بأبيه أرغون. ثم اصطحبه إلى موضع "باج حبي" مما يلي طوس حيث قام بتوبيخه ثم قفل راجعا.

بعد ذلك أوفد آبا قاقاخ "سالحوق خاتون" إلى ناحية دماوند وأعاد معها عازان أيضا. ثم استدعى "مايجو بحشي" والد الأمير "تارملر" ووالدته "توكال تي"، وقال لهما "بني ألق بكما ثقة مطلقة وأودعكما عازان كاني لكما، وسوف يكون معكما "باروق بحشي" أيضا. وعليكم أن تذهبوا مع "سالحوق" إلى مصيف "دماوند" حتى يتوافر لعازان الحظ السعيد. وهكذا أمضوا الصيف هناك.

ولما عاد آبا قاقاخ وقت الحريف، لحق بمحصرته عازان في ورامبي الري وكان آبا قاقاخ لمرط حبه الشديد لحيده، لبس قلسوة عتيقة في بعض الأحيان، ثم يأتي متكررا إلى مخدع غاراج، ويلبسه وهو مستلق في ثياب النوم. وكان يعربه، ويأمر "تمشتا ايكاجي" بالألا يضع وسادة تحت رأسه وكذلك لم يسمح بأن يصعوا وسادة على سرج فرس غازان جريا على عادة أبناء الملوك، بل يجلسوه على سرج بلا عطاء حتى يصير متقشفا.

وكانت توقعات خاتون تكرر قولها. "لست السلطان بهي عازان كولد لي أنباه، إذ إنه ليس لي ولد. ولكن لما كان آبا قاقاخ يحب زوجته يولجان خاتون حبا جما، ويريد أن يجعل مفرها حاصا بهازان، كان يجيها بقوله: "إن والده أرغون قد وهب ليولجان خاتون كاني لها [ص ٢٥٤]. فكيف يمكن استزاده منها؟! وكان دائما يصرح بأن آيات السعادة والإقبال تبدو على جبين هذا العلام وكان يضرب لذلك مثلا مغوليا يقول: "كالضرس بين الكرشمه. بعي الكرشمه اللينة التي يست منها ضرس، وكان يدعو بهذا الاسم "كرشمه" مدحبا.

وهي سنة ٦٨٠هـ / ١٢٨١م عندما عاد آبا قاسخان من بغداد، وتوفي في همدان، كان غاران في العاشرة من عمره، فبكي على جده بكاء حاراً، فكللت الخواتم والأمراء جميعاً برفقون لواجبه وعويله. ولما عاد أروعون خان من خراسان، ولحق بالمعسكرات في مراجه رجع بعد جلوس أحمد على العرش. وكان غازان لا يزال مقيماً عند بولوغان خاتون كما كان مقرراً من قبل.

وهي سنة ٦٨١هـ / ١٢٨٢م عندما كانت بولغان خاتون تعصى الشتاء في بغداد، كان معها الأميران نيكخاتو وغازان. وكان أحمد في أرا<sup>(١)</sup>. أما أروعون فقد قدم من خراسان إلى بغداد، ومكث هناك خلال فصل الشتاء. وهي وقت الربيع توجهت بولوغان خاتون إلى خراسان، فتروح منها أروعون خان، وأدخلها في حبالته<sup>(٢)</sup> ولكن ظل غازان في معسكرها جرباً على الفرار والقاعدة.

وعندما توجه أحمد إلى ناحية خراسان، أراد أروعون أن يعود من حيث أتى، وذلك على النحو المذكور في تاريخ أروعون. ثم أوفد أروعون ابنه غاران إلى أحمد ثانية، فأدركه باحبة سمان. وقد لاحظ عليه أحمد أمارات الملك، وشمله بعطفه، وأطرى شجاعته كثيراً. ثم أدن له بالانصراف من بسطام. وعندما قدم أروعون إلى أحمد - الذي كان معه ابنلار - صار أحمد يقول كلاماً سعيها في مواجهة أروعون مرد عليه غازان، وأبدى فصاحة وبلاغة، بقي الجميع حيارى مذهوشين لحسن جوابه وسؤاله.

وبعد أن نصر الحق تعالى أروعون وتمقب أحمد في آذربيجان، سارت بولوغان<sup>(٣)</sup> خاتون أيضاً متوجهة إلى تلك الواحي. أما غاران فقد تركه في خراسان ليحل محل أبيه، وتركوا له أكثر المخيمات. وكان برفقه الورراء الكبار، وأيضاً "أيس بوقا" الذي كان أميراً لذلك المعسكر [ص ٢٥٥]، كذلك بقيت الخزان كلها هناك لغازان.

ولما توفيت بولوغان خاتون، تزوج أروعون بعد مدة من سيدة تحمل نفس الاسم "بولوغان خاتون" وهي موجودة الآن، وقد أسكنها محل الأخرى. وعندما شاهدت خزان

(١) أرا<sup>(١)</sup> ولاية واسعة وبلاط كثيرة منها جسر "نجه". ومن آذربيجان وأرا<sup>(٢)</sup> سهر يقال له لهرس وأرا<sup>(٣)</sup> أيضاً قلعة مشهورة من أراضي قزوین (مجم البلدان، ج ١، ص ١٣٦).

(٢) جرباً على عادة الملوك التي تهب للأبناء الزواج من زوجات آبائهم ويستثنى من ذلك أمهاتهم.

(٣) يكتب هذا الاسم برشتان أو بولوغان أو بلغان.

بولوعان خاتون المتوفاة، اختارت منها لتعصها قليلا من الثياب وأتوات الذهب والفضة. وقالت عن الباقي: بموجب فرمان آبا قاخان تكون الخزانة والموطن والمجيم ملكا لعازان يصحى أن تختم هذه الأشياء ويحافظ عليها. وقد أجمع الدين شاهدوا هذه الخزانة على أن مثلها لم يتح لأى شخص آخر مطلقا؛ إذ كان يوجد بها الكثير من الجواهر واللاقي الثمينة بحيث لا يمكن وصفها ويرجع السبب في ذلك إلى أن آبا قاخان - لمرط حبه الشديد لبولوعان خاتون، كان كلما ذهب إلى الخزانة، يأخذ منها جوهرة ثمينة، ويعطيها إياها في الخفاء. ولكن بعد أن توفيت بولوعان خاتون، مد الخزانة أبهى الخيانة إلى محتويات هذه الخزانة. فعلم بذلك عازان، وكان دائما يؤاخذهم على خيانتهم. وحتى لا تحدث هذه السرقات كانت تلك الخزانة تختم بالختم.

ولما توفى أرسون خان، نروج جيخاتو من بولوعان خاتون رغم إرادتها ولم يدع عازان يذهب إليها، كما سبق أن ذكر في تاريخه<sup>(١)</sup> ثم أعادها جيخاتو من تبرير متأثر تأثرا شديدا لتلك الحالة وكانت تصير دائما على هذا الوضع. وقد استمر الأمر على هذا الموال حتى مقتل جيخاتو وانتصار عازان على بايدو، وصار سلطانا، فتزوج من بولوعان خاتون وهي لواخر دى القعدة سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م وصل الحق إلى مستحقه. وفي الوقت الذي قدم فيه أرغون خان إلى خراسان، وجلس على العرش وترك عازان هناك دائما، لم يتح لها اللقاء بعد ذلك. وسوف يذكر أحواله في خراسان خلال تلك المدة في قسمين إن شاء الله تعالى.

(١) انظر جامع التواريخ، المجلد الثاني الجزء الثاني. تاريخ أبناء حولاغو من آبا قاخان إلى جيخاتو خان نقله إلى العربية محمد صادق مشأت وفازاد عبد السطى قصيد، ص ١٢٠. القاهرة ١٩٦٠م.

## ذكر زوجات غازان وأبنائه

[ص ٢٥٦] تزوج غازان هي البداة من "بیدی قورتقه"، وهي ابنة مكو تيمور گوركان من قبيلة سولدوس وكانت والدتها طوقلغشاه بنت مبارکشاه بن قراهورلاکو بن یسوتوی بن موآتوکان بن چغتای. وبعد ذلك تزوج من بولوغان خاتون اكراسانية بنت الأمير تسوگا. وكانت والدتها بنت أرغون آقا. ثم تزوج من آشیل خاتون بنت توفتمور أمير التومان (عشرة آلاف جندي) ابن موقای بارغوچی. ومن بعدها تزوج من كوكاجی خاتون التي جیه بها من مغولیا، وهي من بین قریبات بولوغان خاتون الكبرى، والتي أنزلها هي عیم توقور خاتون وثوقیتی خاتون. ومن بعدها تزوج من بولوغان خاتون بنت اوشان بن أغی آبتای بویان. وقد أحب منها ولدا اسمه "آلمو"، توفي في صغره. كذلك كانت لها بنت اسمها "لوجلای قلع" روجتها من ابن أخيها. وبعدها تزوج من "بیدی خاتون" ثم من "كرمون خاتون" وهي بنت قتلک تيمور بن آبتای بویان. وقد أحلها محل كوكاجی خاتون.

ما ذكرناه هو قصة زوجات غازان، وقد تم شرحها. أما جفول شعبة الشريعة لأبائهم فهو على هذا النمط الذي نشته.

## القسم الثاني

### من تاريخ غازان

**في مقدمة جلوسه المبارك، وصورة العرش والأمراء الكُتُبال  
والأمراء عند جلوسه على عرش السلطنة، وتاريخ عهد حكمه  
والهروب التي قام بها، والفتوح التي تبصرت له**

**مقدمة جلوسه المبارك ابتداءً من ذلك العهد  
الذي اختاره فيه أرغون نائباً عنه في خراسان  
إلى أن تطلب على يده**

ودلك القسم عبارة عن عدة حكايات:

**حكاية حلقه في خراسان في عهد والده:**

لما بما أرغون خان بعون الله تعالى من يد أحد، وتعبه إلى ديار آذربيجان، وجلس على عرش الملك، ترك الأمير غازان نائباً عنه في خراسان، ومعه تلك البلاد مع جيوش كثيرة، وعهد إليه بتلك المنطقة التي تعد من أعظم الثمور وظل يقيم هناك طبقاً لأوامر والده. وكان يرعى مصالح تلك البلاد، ويرتب شئونها وكانت الرسل تتردد دائماً من أجل إيراد مختلف المهمات. وظل الأمير موروز يلازمه. وكان عازماً يبدل الجهود والمساعى في تصريف شئون الجسد والإمارة.

وفي شهر ذي الحجة سنة ٦٨٧هـ / ١٢٨٨م، عندما عاد غازان خان من مشنى مرو وكان موروز في خدمته، توجس هذا خيعة بسبب قتل صديقه بوغا وأتباعه<sup>(١)</sup>. [ص ٢٥٨]

---

(١) الأمير بوغا كان شخصية كبيرة في عهد أرغون وقد غفران. وكان قد عهد إليه بالإمارة والموروز وذلك مكافأة له على حوره البار في القضاء على سلطان أحمد تكودر وتولية أرغون عرش النور في إيران. ثم تقم عليه "أرغون" بسبب طغيانه واستبداده، فقصى عليه وعلى جميع أتباعه. ولما كانت تربطه بسوروز صلة صداقة، خاف سوروز على نفسه وشرف على غفران وحاربه. (انظر كتاب الشرق الإسلامي -



فما كان منه إلا أن استأذن عازان قاتلاً: "تصل أثياء عن الثمردين، فأريد أن أعود إلى ديارى، وأشاهد الآلاف من أثياعي. وإذا دعت الحاجة، سوف أرحب بـ"الحيش". فلما حصل على الإذن عاد إلى دياره. ثم ترك زوجته الأميرة طوعاً مع والدته "سرميش" وإخوته "يراتاي عازان" و"حاجي" و"تارين حاجي" وأباه أخيه في ملازمة الحصرة.

بعد ذلك أرسل أروعون الأمير "تككا" على رأس الأمراء بصفته معاوناً لعازان هي حكم خراسان ولكن لم ترق لعازان عادات "تككا" وسيرته. ولما لم يكن ذلك مناسباً لطبعه لم يتيسر له أن يفعل ما يريد. وكان الأمير قتل شاه يويان قد عاد من ناحية أذربيجان، وأقام على حدود "خوجان" بسبب اعتلال صحته.

أما بورور فقد سار إلى "وادی جز" حيث للمقر الشوى لجماعته، وأمضى الأمير "كيشو" فصل الشتاء في هراتة تبعاً لحكم المرسوم. وعندما حل الربيع، رحل الأمير عازان من مرو إلى ناحية سرخس<sup>(١)</sup> حيث مكث عدة أيام. ثم قدم إلى "قراية" سرخس حتى تسنى الدواب وأنصرف إلى اللهور والرمي. ولخوف بورور من أروعون بسبب نهمة يوقا صار يرسل تباعاً، ويتحلى الأعذار قاتلاً. "إن ما أصابني من وجع هي قذمي هو المانع من وصولي إلى الحصرة". ثم أحضر أمراء السرايا من هم تحت إمرته وكذلك أتباعه، وقال لهم: "سمعت أنه قد وصل أمر من أروعون إلى الأمير النجل عازان يقضي بأن "تورور" وأتباعه كانوا يتآمرون مع يوقا، فيسبى اعتقالهم وإعدامهم جميعاً. ولما كان الأمير "كيشو" قد تزوج من أخت "تورور"، أرسل إليه أيضاً رسالة بهذا المعنى، بحيث إنه خوفه وحلمه، وجعله متحداً معه. وفي تلك الأيام القريبة، وصل "ساداق ترخان" و"بيكلاميش" اللذان أرسلهما عازان إلى حضرة أروعون. ثم لقيا مدة شهر هي "قراية" وهكذا دأب على الأعداء شرد بورور وقتته. وفي تلك الأثناء، وصل أيضاً الأمير قتل شاه.

<sup>١</sup> في عهد الإلخانيين لمسة هولاكو خان، تكلف الدكتور مؤلف عبد المظفي الصبيح، ص ١٦٠ وما يصف مشهورات مركز تونلوك والقرى ذات الإنسانية بجامعة قطر. المجلد ١٠٧ / ١٦٩٨٧.

(١) سرخس، يفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الحاء للمجدة، وأمره سبي ههله. ويقال سرخس بـ"سرخس". والأول أكثر. مدينة قديمة من بومبي خراسان، كبيرة واسعة. وفتح بين سياتور ومرو هي وسط الطريق. وتكثر فيها مراعى الإبل والأغنام. ولو أن ما يروى من أراضيها محدود المساحة بسبب قلة مياهها ولأنها سهابة من صنع للفلاحين والصيداء للقبضة للذهب (انظر معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٠٨ بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٣٨).

بعد ذلك استأذنت "سرميش" والدته نورور والأميرة طوغان وكذلك إخوته وأبناء إخوته في المسير بحجة أن "نورور" قد روج ابنته من "ساربان بن بيكي"، وأن الجميع في انتظارهم كي يقيموا مراسم الزواج والأعراس على أن يعودوا بعد حملات الزفاف فلما ذهبوا لحقوا بنورور

وفي أوائل ربيع الأول سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م رحل غازان من "قراته"، وصار إلى ناحية طوس وراذكان<sup>(١)</sup>، ثم أرسل "ساداق" برسالة إلى نورور يقول فيها: "إنا قد ارتحلنا، لحق بك هناك فيبقى أن تقابلنا عند مهر فرعانة أي عند "كشع رود". فلما وصل "ساداق" إلى نورور، اعتقله وفيه، ثم استجوبه بصرب العصي والمراوات قائلا: "لقد كنت في خدمة أروع، فصارحتني ما حكمه علي؟" فأجاب: "خير وحسي". وعندما هم نورور بقتله تحدث بصح كلمات مضطربة خوفا على حياته، غير أن والدته "نورور" "سرميش" والأميرة طوغان حالتا دون قتله، فراح به في السجن ثم سار به في الطريق. وهكذا شرع نورور في إثارة الفتنة والاضطراب. لما غازان فقد برل بعد ذلك في منطقة "كشع رود" عند "سد معين".

وفي يوم الخميس ٢٧ من ربيع الأول سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م [ص ٢٩٠] قدم نورور بالجيش الذي معه، ليدلهم العسكر المعظم لغازان. واتفق أن يوقا وتكنا وكورك والأمراء الآخرين كانوا قد برلوا عند السهر، واجتمع جمع غفير وعسكر الجيش عند حافة ربوة خارج وادي النهر.

ولما كانت الساعة الربانية ترعى غازان، أدرك نورور ذلك التجمع، وطمأن تلك الجحافل تابعة لغازان حان، محاصره؛ فأعدوا يهتلون ويصيحون جريا على عادة المغول وبسبب اللطف الإلهي، استيقظ غازان مبكرا، وغسل وجهه، وحضر المقربون إليه، وركب الأمير قتلغ شاه استعدادا للقتال، وأرداد الصبيح. كذلك ركب غازان. وكان الأمير قتلغ شاه في خدمته. وقد سارا إلى ناحية رباط "سگ بست" على طريق نيسابور. وبذلك بما

(١) راذكان أو راذكان. قرية من قرى طوس. وصل بلدة تقع في نصف الطريق بين خوشان وطوس بحرج منها جلبة وقرية من لعل الطم. وقيل إن القرية من نظام لذلك كان منها (صميم البلاد. ج ٣، ص ١١٢) بلان ثلاثة القرية، قرية القرية، ص ١٢٤.

من تلك العارة المفاجئة بفضل العون الإلهي. وقد أعتق "نورور" الأمير يوقا<sup>(١)</sup> وتكسا وكورك وأمر بإجلاء الجنود من المعسكرات ومنازل الأمراء جميعاً، وأرسلهم إلى "بزاوكان" ثم نهوا كل ما وجثوه، وقتل "نورور" يوقا، وكان يحتفظ بتكسا والأمراء الآخرين مسجونين عنده.

وعندما بلغ غاران يسابور، كان هناك الأميران ساتلميش ومولاى فالتحقا بخدمته. ثم اعترم غازان السير إلى مارندران ونصادف أن الدرع الذى كان فى غاية الحسن والجمال قد أسقطه السياس من العينة<sup>(٢)</sup> وبثثوا عنه مدة، فلم يثروا عليه.

أما سبب عزيمة غازان على التوجه إلى مارندران، فيرجع إلى وجود الأمير "هولاجو" بها. وكان يشاع أنه متفق مع نوروز. وكان نوروز يكتب الشورات إلى الولايات بهذا المعنى [ص ٢٦٩]، فأراد غازان أن يعتقل "هولاجو" قبل أن ينضم إلى نوروز، فسار بسرعة فائقة، بحيث إنه ركب من يسابور، فبلغ ظاهر "شهرك نو" خلال خمسة أيام وبقى الأمير "كورتشور" بمعهده. وقد انضم إلى المحصرة أمراء جيش مارندران. وكان هولاجو فى ظاهر مدينة جرجان<sup>(٣)</sup> على مقربة من "كورداغى".

وفى يوم الجمعة السابع من ربيع الآخر، داهموا "هولاجو"، وطلقوا بهلولون ويصيحون قبل أن يصلوا إلى دياره. وكان "هولاجو" يشكو من ألم فى قدمه، فخرج مسرعاً قبل أن يلبس بعله، وعزم على الفرار. وعندما وصل الجنود إلى مرله، ولم يجثوه تعقبه الأميران مولاى وباهجار وقبضا عليه بالقرب من "سگ سواد"، وأحصراه. ثم سبب الجنود دياره ولما اقتادوه إلى المحصرة، وسلوه عن أحوال نوروز أنكروا وقال: ليست لدى معلومات عن أحواله، وإنسى لم أكن متواطئاً معه، ولم تخطر بهال هذه الفكرة قط.

(١) يوقا هنا شخص آخر غير الأمير يوقا وزير لرغون السابق ذكره.

(٢) العينة واحد من آدم ونحوه، يكون فيه الشاح. الجمع عيب وعيب (انظر للمعجم المرسط، ج ٢، ص ١٦٢٩)

(٣) جرجان مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان، ليس لها نظير فى أراضيها. والقباب على أعمال جرجان الجبال والقلل، ويعرف عن أهلها الرفق والبررة واليسر. وفيها مائة كثيرة وضياء واسعة. وليس بالشرق بعد منورة العراق، مدينة أصح ولا أظهر حساً من جرجان. وفيها الفرنج والهنود والجور والفرمان وتصب السكر والأثرج وفيها نهر الإبريسم ويمتلئ إلى كل الأوقات. وقد خرجت جرجان كثيراً من العلماء والأدباء (معجم البلدان، ج ٢، ص ١١٩ - ١٢٠ القروى للطبر، ص ١٦٠ - ١٦٢).

وفي ذلك اليوم نزل غاران على مقربة من جرجان. وفي اليوم التالي، أرسل "هولاجو" إلى حصرة أرعون رسالة، وذلك على يد "تايمور" أما غاران فقد أقام يوماً، وتفقد الجنود ومن هناك تحرك إلى جانب غيوشان<sup>(١)</sup> وطوس وراذكان لمواجهة نوروز؛ بحيث إنه في اليوم السابع، وصل إلى موضع "سلطان ميدان كلندر" الذي كان على بعد شائين فرسخاً. وفي آخر النهار، وصل حير من الخراسان بعد أنه يبدو ظلي جيش المتصدين، فعسدر الأمر بأن يتسلح الجيش كله. ولما رأى المتصرون [ص ٢٦٢] الجيش المصور من بعيد، ساروا إلى ناحية راذكان. وفي تلك الليلة ظلت الرهائن السلطانية في "سلطان ميدان". ثم هطل مطر غزير أثلف معظم الشروع وسروج الخيل.

وفي الصباح الخامس عشر من ربيع الآخر، توجهت الرهائن السلطانية إلى راذكان في طلب نوروز، فالتقوا به في موضع يسمى "أبحكه سو". واصطف العريقان، فأسرع الجيش المظفر إلى مداهمتهم، وذلك لمرط شجاعته، وقاتل الحشد قتالاً عيباً؛ لا سيما الأمير قتلغ شاه. ومن الجانب الآخر لب كيشو ونوروز وتكتا.

وفي نهاية الأمر طهر وهن في جنود هذا الطرف (أي جنود غاران) هولوا الأديبار مهريين وكذلك توقعت الرهائن السلطانية مدة طويلة في مواضعها. ثم أمر غاران الأمراء قتلغ شاه وساتلميش وسوتاي بجمع فلول الجود. ورغم ما بدلوهم من جهد لم يستطيعوا جمعهم. وعدلد تحركت الرهائن السلطانية إلى "جويس"<sup>(٢)</sup> عن طريق أرميان وعقب أمراء الجيش، وصل أيعورنای وغاران والأخرون. ومن كل ولاية جويس لم يقدم أي مخلوق إلى الحصرة سوى "مهرت نجيب الدين الفرائش" الذي خرج على الفور عندما وصلوا إلى قرية

(١) غيوشان أو جرجان. مدينة تقع في المستعمرات التي تخرج منها سبها لترك يسافر من طوس. سمي رستاقها "استو" وقد عرف القصبة لرسه، وأعيد هولاجو هناك بناء غيوشان من الثلاثة السابعة (الثالثة عشرة). ثم وسع حليده أرعون هذه المدينة كثيراً وبنسها متحفل. وهي تشع القسح والقفس وفواكهها كثيرة. وقد وسع حليده أرعون هذه المدينة كثيراً (بذلك الحلافة الشرقية، فخرجة القرية، ص ٤٣٥)

(٢) جويس. اسم ولاية على طريق القوافل من بسطام إلى سمنور. وجميع قرىها متصلة واحدة بعد الأخرى. وأكثر سكانها من الشافعية، وستمه جويس مباح من الفنون، وحاصلاتها متنوعة. وإلى جويس يسب شق كبير من الأكمة والطساء (انظر مجمع البلدان لياقوت، ج ٢، ص ١٩٢ - ١٩٣، بيروت ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م، ترجمة القنبر، ص ١٨٤، تهران ١٣٣٦ هـ.ش)

"زير آباد"، وقدم أكمل فروص الطاعة وعسى بالخيل عاية فائقة، وقام بالخدمات الجلية الثلاثة من كل نوع؛ فلا جرم أن سلطان الإسلام عندما تربع على عرش السلطنة، شمله بعطفه، وسحه كثيرا من الامتيازات، وجعله من حملة المقربين إلى المحصورة. [ص ٢٦٣] وسحه قرية "زير آباد" التي كانت من أملاكه الخاصة. كذلك سحه مرسوم الترخاية<sup>(١)</sup> وموضع إليه الإشراف على الخزانة، وإدارة الخانقاه التي بناها في قرية "بهرنجرد" من أعمال همدان. وهي عبارة عن عمارة مرتفعة وبهاء رائع وقد لوفف عليها أوقافا كثيرة من الصباغ والعقار، وجعل ولايتها له ولأولاده وأعقابيه، وصار ملحوظا بنظر المايه والعاطمة السلطانية.

وعلى هذا لا يخفى أن كل من يؤدى للسلطان خدمة جليلة ومرصية لا بد أن يحس نتيجهها وشرتها، ويكون موقرا ومحترما في نظر الجميع وحتى هذا الوقت في عهد السلطان أوجاثير خلد الله سلطانه كان هذا الشخص لا يزال يباشر هذه الأعمال ويتمتع بما كان له من توقير واحترام.

والحق أنه رجل شريف ومرتب، طيب القلب، حسن السيرة؛ فلا عرو أن يكون جديرا بملازمة السلامي، وبإلزامهم دائما بالخيرات والميرات. وهكذا فإن كثيرا من الناس من الصباحاء والعلماء وسائر أصناف الطوائف ينعمون في وجود عازان بالراحة والرفاهية. وصورة القول أنه عندما وصلت الرايات السلطانية إلى مكان قريب من جاجرم<sup>(٢)</sup> نشاوروا في الأمر، وقالوا: إن للمصلحة تقضي بأن نذهب إلى حصرة أرغون خان أو أن

(١) الخزان هو رجل للمي من الصرافين، ويكون له حق الاستحواذ على ما يتم في الحرب، ويسجل على الخزان الأعظم دون استئذان، ويخصص له عدد من الخيول والأضياع يكرمون تحت تصرفه، ويغطي من الخواب والمسير والتفولات ما لا يدخل تحت حد وحصر، وبعض من السابلة من الخواب التسعة الأولى التي تركبها ويكون لأبيه أيضا حق التسع بهذه الامتيازات. وتكون الخزانة خاص بهذه الطبقة (انظر عطا ملك الجرجسي تاريخ جهانگشاي، جلد اول در تاريخ چنگيز خان وحقانقار لو تانكوك خان، ص ٢٧ - ٢٨، بسى والحسام وتصحيح محمد بن عبد القهاب القزويني، ليدن ١٣٢٩هـ / ١٩١١م).

(٢) جاجرم يدلل له أيضا أرغون، بلدة لما كورة وقعة بين سايور وجرجان تشمل على قرى كثيرة وهي بلد حسن والتبر مساكها بالمعاهدة تتج الصبح، وتكثر بها الفاكهة (انظر مصمم القليل، ج ٢، ص ١٩٢ نزعة القلوب، ص ١١٨٤ بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٣٣ - ٤٣٤).

نقيم في كاليوش. فرد عليهم عازان بقوله: حيث إننا قد أرسلنا الرسلين: بعميش وأرمنى بلا، يعني أن نصر حتى نعرف ما عساه أن يحدث. ثم توقف في كاليوش. ولما كان بها موطن "المورتاي عازان"، وكان مطلعاً أيضاً على الأوضاع في سارتندران، قدم هناك خدمات جليلة. بعد ذلك عين غازان طائفة من الحراس ليرابطوا حتى صمقان وجرمقان.

وفي تلك الأيام وصل نظام الدين يحيى من ولاية "يهق"<sup>(١)</sup>، وأحضر معه كل ما تحتاج إليه المحصرة السلطانية، وما يلزم للمسكر من الخيول الفبقاجية والآلات النحبية [هـ ٢٩٤] والفضية والمحيبات والسرادقات والأواني والبعال والإبل. كما قدم للأسراء خدمات مستحقة، ثم عاد إلى يهق حسب الأمر الصادر إليه كي يعد الأموال والميرة للمجدد.

وقبل الاشتباك مع نوروز يومئذ، هاجم الأمير "إلادو" وطائفة أسراء الفروانياس ديلر نوروز، وسبوا كل ما فيها. فلما وقف نوروز على ذلك الأمر تعقبهم أما كبشو والآخرون فقد أقاموا في رادكان وكما هي عادة القرونة، انقسموا - بعد تلك العارة - إلى فرقتين أو ثلاث فرق وانفصوا من حول الأمير "إلادو"، وانضم بعضهم إلى الأمير نوروز، وسار بعضهم إلى ديارهم، وشرعوا في إثارة الفتى والاضطرابات. وعندما شاهد "إلادو" تشتتهم وتمرقهم، نقل خياله إلى حدود "بلاغيد" في واد حصي وانضم إلى المحصرة، فشملة عازان بقائه عطفه ورعايته، وأقام مدة أربعين يوماً في "كاليوش". وعندما قدم الجلود من حضرة أرغون، يتقدمهم الأمير بابلو، ونوروزي أقبا وابيه انصموا إلى محصرة غازان، وشعلوا عدة أيام بإقامة الزلاكم والاحتفالات. ثم رحل عازان من هناك - بطالع السعد إلى "خبوشان" عن طريق سمنقان.

وعندما علم نوروز بوصول الجلود من ناحية العراق، وعرف أنهم يقصدونه، نقل خياله وأمتته إلى هراة، وقدم هو نفسه إلى حدود جرمقان. وعندما رأى أنه لا طائفة له بالمقاومة

(١) يهق: ناحية كبيرة وكورة واسعة، كثيرة البلدان والعمارة من أراضي بسايور. تشتمل على ثلاثمائة وأحدى وعشرين قرية بين بسايور وقوس وجوى. وكانت فصبتها أولاً بحسب جرد ثم صارت سرور. وقد خرجت يهق عندا كبيرا من الفصلاء والعلماء والفنهاء. والقباب على أطلالها مذهب الشيعة الفصلاء. انظر مجمع البلدان، ج ١ ص ٥٢٧ - ٥٢٨ تاريخ يهق، تأليف تقي الحسن على بن زيد البيهقي المعروف بابن شريك. مفاصلة العلامة محمد بن عبد الوهاب القزويني، ص ٥ وما بعدها، طهران ١٣١٧ هـ. ش.

عاد من حيث أثنى، فصار الجيش المنصور يتعقبه حتى حدود جام. وفي موضع "بحار سراي" التي تلى جام [ص ٢٦٥] دخل في طاعة غازان "تولجيتو" مع جماعة القروية وشاجي بن بكه يندون من أتباع بورور ولما بلغوا "خرحرد جام" كان بورور قد ساق كل الدواب التي وجدها في خراسان، سواء أكانت له ولجوده أم كانت للعرب والتركماني وغيرهم. وكان يأخذها معه.

ولما وصل الجنود المنصورون متعاقبين، شاهدوا ابتداء من مدخل جام حتى مدخل هراة الحرون<sup>(١)</sup> والسهول وكلها تمتلئ بالدواب التي تركها وراءه بورور وجوده. وفي عدة أماكن أخرى شوهد كثير من الدواب قد نفق. ونظرا لشدة العقوبة، أصبح السير متعذرا فكان المفلول يأخذون تلك الدواب، ويمسرون بها. وفي القري كانوا يبيعون كل خروف بدينار واحد. وحيث إنه كان قد صدر أمر بالآلا يهتموا بالصائم، لم يمرؤوا على أن يأخذوا منها المزيد. وقد حمل بورور كل ما خفف حمله من المتاع ثم سار مع الأميرة "طوعان" وعائلات الإخوة وعدد معدود عن طريق فره وسيروار وهي منطقة صحراوية قاحلة

ولما كان الوقت صيبا، لم ير غازان من المصلحة في شيء أن يرسل الجند في إثر بورور وأقام عند باب هراة على ضعف مهر "بول مالان". ثم أرسل الأمراء إلى بادعيس لاستدعاء "كيشو" والجيش المعظم. وعلم كيشو بهذا الأمر، فخرج مع سائه وأطعماله وأتباعه إلى جبال العمور وغرجستان. أما أمراء العسكرية المعظم ونكسا وجنود القراوية الذين كانوا معه فقد رحلوا جميعا إلى هراة. ومما يدل على ثبات "كيشو" وسكونه وأمانته - خلال تلك المدة - أنه لم يستول على دينار واحد من الخرائق الخاصة أو الأموال والدواب التابعة لبيوت الأمراء الذين كانوا هناك، ولم يتصرف فيها. بل إنه في الواقع أدى خدمات جليلة.

[ص ٢٦٦] وبعد عدة أيام رحلوا من هراة، واتجهوا إلى ناحية "رادكان" ومن هناك سير غازان إلى حصرة أرغون "ابهورتاى غازان" في صحبة تكنا ليشرحا له أحوال جيش خراسان. وعلى الرغم من وجود المزيد من الفسق والاضطرابات التي كانت تحدث في خراسان، لم يكن غازان يعقل دقيقة واحدة قط عن مراعاة قواعد العدل والإنصاف. وكان

(١) مراد حزن، ولغزون من الأرمي. ما غلط ومن الدواب ما صحت ريشته ومن الناس من عشت معانته للمحم هوسيط، ج ١، ص ١٢١.

يبدل قصصري جهده هي رعاية شئون الرعية. وكان قد سن قانونا يقضى بالآلا يدع أى مخلوق من الجود أو غيرهم الدواب تلتف مزارع الناس وبساتينهم. وقطعا لا يطعمونها العلات، ولا يمشون في اللوليات هداة، وألا يشقوا قط على الرعايا.

بعد ذلك تحرك عازان من رادكان إلى "شتركوه" مع طائفة القزولوة الذين كانوا قد تركوا في ناحية "جام"، وذلك كي يصطاف. وهناك شعلوا باللهو والشراب. وقد أكرمهم عازان غاية الإكرام

وفي مساء ذلك ورد بأمر من الحراس يفيد أن العصاة قد ظهوروا، فتحركت الريات السلطانية إلى ناحية رادكان وكانت تلك الإشاعة كاذبة. وبسبب إيمان عازان الشراب اعتلت صحته. ثم قدم الجمع من هناك إلى خيوشان. وقد ظل عازان مريضا ما يقرب من أربعين يوما. وبعد ذلك استرد صحته.

وخلال تلك المدة وفد الأمير "شيكور لقا" و"طوعان" من لدى حصرة أرغون، وأوصيا الصيف والخريف مع أتاعهما في منطقة خيوشان ورادكان وشتركوه. فلما صار الجو باردا، استقر الرأي على أن يمضوا الشتاء في تسانور. أما عازان فقد مضاه في "مويدى" ومضاه الأمير بايلو في موضع "شامكان" الذي يقع بين بيهق ويسانور. ولقد اشتد البرد في ذلك الشتاء، ومنزل الثلج بعمرارة فهلك أغلب الدواب، وبقي أكثر الناس مترجلين [ص ٢٦٧].

ولما حل ربيع سنة ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م قضوا الصيف في مناطق رادكان وخيوشان وشتركوه. وفي هذا العام كان الأمن مستبأ في كل الجهات. وقد أحصروا الأموال من لدى أرغون، وقسموها على الجود. بعد ذلك سار طوعان حتى منطقة بادعيس ثم عاد. وفي أوائل الصيف بسبب عدم توافر الميرة في خراسان، صدر الأمر بأن يعود الأمير بايلو ومن كان معه من الجود الذين كانوا قد ساروا من العراق وأذربيجان، وأن يلازمه "تورين". ثم قدم عازان إلى ناحية بام وأرخيان لتوديع بايلو، وعاد بعد ذلك.

وفي ذلك الصيف تغيرت نبات طائفة من القزولوة، ودخلوا ولاية جويس، بتقدمهم "دانشمد بهادر"، وصاروا يهربون ويخربون، فبعث عازان الأمير "مولاي" لمقاومتهم واستمر عازان طوال الصيف والخريف يشغل بالصيد والنزعة في مطقتى خيوشان



وراد كان. كما عهد إلى الأمراء بتنظيم الجيش، وإلى أصحاب الدومان بضبط الأموال وإعداد الميرة للجنود. ثم أمر بقضاء الشتاء في "مزن بلورد"، وإقامة سد على النهر الذي يدعى "كال تزن"، وعمر عدة قرى.

وفي ذلك الحريف، وصل المدعو "خوارزمي ترخان" من لند أرغون خان لضبط شئون خراسان وتدير الأموال في هذا الإقليم. كذلك أمر غازان بأن يباشر الجميع أعمالهم وفقا للفرمان السابق وبموجب الفرمان أيضا أمر باعتقال نواب طوغان في قهستان وإحضارهم إلى الحضرة. وأما الكتاب والعمال في خراسان، فقد زوج بهم في السجن، وحقق معهم.

وفي آخر الشتاء شرع جمع من القروية في التمرد هي ناحية سرخس وساروا إلى جهة سر [ص ٢٦٨] ثم تحركت الرمايات السلطانية إلى "وادي مرغنه". وقد سير غازان "الإدوميون" لنقضاء على فئة القروية، فحاربهم إلى أن أخضعهم وألزمهم الطاعة. بعد ذلك أقام غازان مدة في ناحية "آرجاه" و"شوكان" ومن هناك سار إلى سرخس، ثم برل "بقرايه" التي تسمى "شورسيل".

وفي شهور سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م وصل نأ يقيد بأن "تورور" سوف يصل قاصدا خراسان بجيش معه ضمنا ومعه ساربان وأيوكان أغول ولور كيمور وقواد يساورور. وكان سبب ذلك هو أن "تورور" عندما هرم قبل ذلك في منطقة هراة، مر هاربا، وسار إلى قاندا<sup>(١)</sup> وبعد أن قدم له خدمات كثيرة، انتمى منه أن يمدد بجيش فأجابه إلى طلبه وأرسل إليه جيشا، وسير أيضا ابنه "ساربان" على رأس جيش آخر لمساعدة تورور. فما كان من غازان إلا أن أرسل "تمرتو" مع طائفة من القواد لاستطلاع الأخبار، فساروا إلى "مرغاب" ثم عادوا وقالوا: إن للتمرد سوف يصل حقيقة على رأس جيش كبير.

(١) قانداو: هو ابن ناشي من لوغكاي نأ أن من چنگيز خان (نظر جامع التواريخ. تاريخ خلقة چنگيز خان من لوغكاي نأ أن إلى تيمور قاندا. نقله إلى العربية الدكتور مؤلف عبد اللطيف الصبيح، ص ٣٦١ - ٣٦٢، بيروت ١٩٨٣ رحلات ماركو پولو، ترجمها إلى العربية عبد العزيز توفيق جيلوف، ص ٢٥١ - ٣٥٢، القاهرة ١٩٩٧ مارنوله تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، ص ٧٠ وما بعدها الكويت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م الشرق الإسلامي، ص ٤٢).

ولما لم يكن جنود غازان مجتمعين، رحل الحاضرون منهم إلى موضع آخر حيث مرعاه وكشف رود، وصاروا ينتظرون حتى يصل الأمير قلع شاه والجند الذين كانوا يمهضون الشتاء في هراة كذلك أرسلوا الأمير "كوجيك" لاستدعاء جنود مازندران. وعندما وصلوا إلى "جسر معين" "بول معين"، استأذن الأمير مولاي، وسار إلى قهستان حتى يحصر الجند من هناك. وكانت أخبار المتمردين تصل ناعا، ومرحل غازان من هناك، [ص ٢٦٩]، ونزل في أعلى المشهد الرضوي، وظل في انتظار الأمير قلع شاه وأساء النهار وحمل "قيان احتاجي" من ناحية آذربيجان موقعا من قبل الأمراء الذين كانوا قد أثاروا الفتنة هناك، وفتنوا جوشي ونوردقيا وسعد الدولة، ثم أرسلوا قيان حتى يصرم بار الفتنة في خراسان مع مر من المصلدين كذلك أخبر أن جيوش آذربيجان والعراق سوف تصل من لدن أرموون حان أما غازان عان فقد عرف بما كان له من فحاسة وكياسة - أن ما يقوله "قيان احتاجي" كذب ولكن لما كانت الأخبار تصل ناعا عن تحرك المتمردين، لم يتحصص حقيقة الأمر.

وفي اليوم التالي، وصل الأمير قلع شاه، وصرح بأن جيوش مورور للتمرد، قد وصلت إلى رباط "سنگ پست"؛ فعمله غازان بقطعه، وألبه قباهه الخاص، وأعاده ليلا كي يحصر الجيوش صباحا إلى المحصرة في موضع يلي المشهد المقدس، وذلك لخصوص عمار المعركة. وفي منتصف الليل ورد نيا من الحراس يعيد بأن العصاة احتاروا جسر معين "بول معين"، فانقضى الرأي العالي أن يسير الجيش الأعظم ليلا بمعقلاته مع الخوارج إلى "أسفرائين"<sup>(١)</sup>

وفي صباح عرفة ربيع الآخر سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م تحرك غازان من هناك وكان في صحبته الأمراء. موري آقا والإدو واهورنای غازان وغيرهم ثم لوخل إلى ناحية تقع أسفل المشهد الرضوي، ومكث هناك ساعة واستعرض الجيش، وظل منتظرا وصول الأمير قلع شاه كي يحارب المتمردين. وفي وقت الظهيرة قدم "جمجمة" من قبل قلع شاه، وقال:

(١) أسفرائين وتكتب أيضا أسفرائين. بلدة حصينة من أراضي هسايور على منتصف الطريق من جرجان واسفها القديم "مهرجان" سماها بذلك بعض الملوك لحصرتها وحاربتها. وفيها أسواق وسباه جارية وخانات. وهو أزا رطب وتكثر فيها الأعشاب والقمح. (انظر مجمع البلدان، ج ١، ص ١٢٧، القروس للخطار، ص ١٥٧، بلدان الخلافة القديمة، ص ٤٣٤ ٤٣٥)

عندما وصلوا إلى "سنگه هست"، كانت الجيوش كلها قد سارت على طريق "وجنك" و"اسحاقباد" إلى يسابور [ص ٢٧٠]. وعلى أثره جاء الأمير قتلغ شاه إلى الحصرة وبعد ساعة ظهر سواد الجيود ولما كانوا كثيرين - على حين أن جنود هذا الجانب (أي عازان) كانوا قليلين - تشاور الأمراء في الأمر، ورأوا أن المصلحة تقتضي بتجنب الحرب وعدم خوض غمار المعركة. كذلك صرح "إلادو" بقوله: إنه ليس من صالحنا مواجهتهم. ثم صرب هذا الشلل المعوي الذي يقول: "إن الالتحام بجيش العدو المتسرد أسر سهلاً أما التخلص منه فأمر عسير". وأنتم تعرفون أنهما كثيرة نجبيون فيها على أرغون. أما جواب هذا اليوم فعلى أننا.

وأخيراً استقر الرأي المبارك على أن يتريث الحاصرون، وهمودوا، ويرابطوا في أحد المواضع حتى تتجمع الجيوش بأكملها. ومن هاك تحرك عازان إلى ناحية "زادكان"، فصار المتمردون يتعقبونه. وفي آخر النهار داهم عازان بقواته جنود المتمردين بالقرب من طوس وتحاربوا. ثم أرغل في اليوم التالي، ورابط في عدة مواضع. ولم يتصادف حدوث ذلك ثم برل في "سلطان ميدان" ليلاً، ولرغمل صاحبا. وقد عرض "إلادو" قائلاً: "ما دام القتال ليس ميسراً. وقد سار أهلي وعشيرتي وأكثر الجيود إلى ناحية "جوي". فلو أدن لي قائد، فإني سوف ألحق بهم. فصرح له عازان بذلك، وذهب "إلادو" إلى حال سبيله. كذلك قال "ازاتمور" و"الد شيرين أيكاجي": لقد ذهب أهلي وجودي أيضاً إلى ناحية يسابور، فلأذهب، وأتي بهم ممصى هو كذلك. أما ابهرتاي غاران فكان يحب روجه تورميش خاتون ابنة الأمير ماركشاه. وكان قد سيرها مع أهله إلى "كبود جامه" وفي بيته أن يأخذها ويهضم إلى نورور [ص ٢٧١]، فطلب هو أيضاً الإذن بمجة أنه سوف يذهب إلى دياره حتى يعي جنود مازندران، ويحافظ على تلك الخلدود. فأذن له هو الآخر ورحل. أما الأمراء نوريس آقا وقلع شاه وسوتاي فقد ظلوا ملازمين للحضرة.

بعد ذلك تحرك عازان سالكا طريق أرغيان وكانت أخبار الأعداء تصل تباعاً. ثم توقف برهة في مدينة إسفراين، ومن هاك و برل في قرية "كسرغ"، من أعمال إسفراين وفي منتصف الليل علم نوريس وقلع شاه وسوتاي أن طلائع القراوة الذين كانوا في "هراره"، وجيء بهم إلى المعسكر كي ينضموا إلى "باتاي" يترون إثارة الفتن. وقد تشاوروا

فيما بينهم، ثم استقر رأيهم على أن يتمردوا، وبعثوا أدراجهم. عرصوا تلك الحال على عازان، ورأوا من الصالح أن يعادروا ذلك اللوصع على أن يبقى الأمير قتل شاه ليقتب على حقيقة الأمر. ثم تحركت الزبائن المباركة إلى ناحية "جوريد"؛ بحيث إن عازان وصل إليها في الصباح. ثم عاد ذلك الجمع من هناك، وهاجوا ديار "كوجك" و"قتلغ خواجه" وبقية الحرم وبهوا كل ما وصلت إليه أيديهم، وانصموا إلى المتمردين. وكذلك كان جمود الأعداء يأتون في إثرهم حتى بلغوا "جوريد".

فلما وصل السلطان إلى هناك، أمر بترحيل أسر قاجير بن سرناني وسوفار وسواتو والقراوة الآخرين الذين كانوا قد ملأوا هناك في ناحية جاجرم وبسطام<sup>(١)</sup>، وأقام عازان هناك إلى آخر النهار. وعندما وصل الأمير قتلغ شاه، وعرض الأخبار عن وصول المتمردين برل عازان في جاجرم حيث أقام تلك الليلة، وعاد نوروز من جندد وإن ما حدث في تلك السنة بحراسان من صروب القتل والسلب والتخريب ليعوق حد الوصف والبيان؛ فلقد حاصروا مدينة يسابور، ولكن يمين عازان وإقباله، وفي الحق تعالى هؤلاء المسلمين شر الكفار<sup>(٢)</sup> [ص ٢٧٧] فلم يسيطروا عليهم لكنهم مع هذا أغاروا على القرى، وأسروا كثيرا من السكان. ثم قصد المتمردون "بارونقي" من موالحي يسابور حيث يوجد محاربون أشداء.

ولما كان اللوضع حصيا للغاية، لجأ كثير من الناس إليه بأموالهم ودوابهم. ثم ذهب المتمردون إلى أحد الوديان، فحاصروهم السكان وسلبوا عليهم الطريق من فوقهم، وقتلوا ما يقرب من ألف فارس من الكفار. ثم عاد المتمردون من هناك، وذهبوا إلى مشهد طوس وانتزعوا أربع كرات فضية، كانت قد وضعت كحلبة في أعلى الصريح ولقد قتل الأهالي

(١) بسطام أو بسطام. بلدة بقوس على جادة الطريق إلى يسابور بعد دفينان بر خاتين. منها أبو يزيد البسطامي الزاهد. وبها نواح جيد يصل إلى العراق وسجيم الهند. ج ١، ص ٤٦١. انظر كتاب بسطام وباريد بسطامي نكوش قبائل بختياري ص ٨، ص ١٧، طهران ١٣٦٧ هـ ش.م.

(٢) من اللا حظ هذا أن رشيد الدين بلخني يظن على عازان ورفاقه اسم مسلمين ويحذر أفعالهم ككفار. هذا على الرغم من أن العكس هو الصحيح؛ إذ إن عازان وأتباعه كانوا يدينون بالبودية في ذلك الوقت. أما عنوه نوروز فكان يعني الإسلام.

كثيراً من هؤلاء الجيود؛ بحيث إن الأعداء عندما وصلوا إلى حدود بادعيس<sup>(١)</sup>، واستعرضوا الجيش، لم يجدوا ما يقرب من خمسة آلاف فارس. ولهذا السبب اعتبروا "مورور" مدبهاً ومقصراً، وضربوه بالعصا.

وفي اليوم التالي ارتحلت الرابات الملكية عن طريق بسطام ودامغان. وكان جميع الأمراء قد علموا بوفاة أرغون، ولكنهم يخفون ذلك عن عازان. فلما وصل إلى بسطام، أقام بها يوماً؛ لأن الخواتين كن هناك. ثم اتجه إلى دامغان. وكان قبل ذلك قد أرسل "أيشقا" آخا إلادو برسالة إلى حضرة أرغون، ولكن لأنه كان قد سمع بوفاة، توقف في دامغان. وكان جميع سكانها قد خرجوا من المدينة، ومضى بعضهم بصحبة "شاه ابلدور" إلى "گردكوه"<sup>(٢)</sup> وبعضهم إلى حصص "دس مايان"، وهو مكان حصص. ولهذا السبب عاد "أيشقا" من دامغان [ص ٢٧٣]. ووصل إلى الحصرة في بسطام وعرض على عازان أحوال سكان دامغان وعندما وصلت الرابات السلطانية بدمغان، لم يتقدم لاستقباله مخلوق قط، ولم يكس الأهل قد أعدوا الهدايا والعنف ولليرة، فعصب عليهم عازان. ولما كان الأكابر والأعيان هناك في حصص مايان، أمرهم بالخروج، فأبوا، فأمرهم بمحاصرتهم. وبعد حرب استمرت ثلاثة أيام بلاليتها، طلبوا الأمان، ودخلوا في الطاعة وأعطوا عازان أموالاً كثيرة من النقود والأمتعة وقدموا للجيش المؤن والأبقار والأغنام، فسمح عازان - لحرص عطفه ورحمته - عن دبوب هؤلاء المجرمين. ثم أشار بتخريب القلعة. وبعد جلوسه المبارك أمر بتحصينها

(١) بادعيس أو بادعيس. عبارة عن بلدات وقرى كثيرة ومرفوع يتواحي هرة وأصلها بالفارسية "بادعير" أي أيام الرياح أو جوب لريح لشدة الرياح بها (الزوم البلدان ص ١٤١ بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٥٦).

(٢) گردكوه قلعة تقع على بعد ثلاثة فراسخ من دامغان في وسط الجبل برضا الوقت بدمغان. وبطلان عن هذه القلعة أيضاً اسم "در جبهان" أي قلعة القبة. وحرف رسالتها الخشب بتصوير أباد، وروايتها وحصولاتها وبرة وگردكوه إحدى قلاع الإسماعيلية التابعة التي كانت تسيطر عليها طائفة الإسماعيلية في إيران. وقد قاوم الدافعون عن هذه القلعة قوات النور بلقاعة حولاً كثر متلومة حينما استمرت ٥ ربي سنة إلى أن سقطت في أيديهم في عهد أبا طاهر جامع قنوربيع، جلد سوم، من عيسى والفتاوى فارسي بسني والاعتماد عبد الكريم على أولي على راند، ص ٣٥ - ٣٦، ياكو ١١٩٥٧ نزعة القنور، ص ١٢٠١ بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٠٥. ولتوقوف على مزيد من التفصيلات عن التطور التاريخي لهذه القلعة انظر كتاب "قلاع إسماعيلية در رشتة كوههای البرهه" تأليف دكتور منوچهر ستوده ص ١٤٦ وما بعدها، تهران ١٣٤٥ هـ.ش.

بعد ذلك سار إلى ناحية سمنان. وحلال تلك الأحداث، كان معين الدين مستوفى الديوان الأعظم، وجمع من الكتاب يسرون إلى يسابور فقص عليهم، وسبقوا إلى الحضرة فلم يلتفت إليهم غازان إلى أن صدر الأمر باسترداد المراسيم (برلمها) والأختام الحمراء (آل ضعها) التي كانت في عهدهم. ثم أدن لهم بالانصراف، فانصرفوا.

وعندما وصل غازان إلى سمنان، شاور الأمراء، فأحاطوه علما بوفاة والده أرغون. فقدم الأمير مراسم العزاء وجريا على عادة المول أمر بانتزاع الرهشة من قلاتس الخاضعين. ثم قدم الأمير "مولاي" من قهستان إلى سمنان عن طريق الصحراء، وانضم إلى الحضرة فاختصه غازان بأنواع العطف والرعاية. ثم صدر الأمر بتزويجه من شقيقة الأمير سائلمش. ولما عاد "ايورتاي غازان" من "سلطان ميدان" متجها إلى "كيود جامه"<sup>(١)</sup> وجرجان كانت ترواذه فكرة فاسدة؛ فاصطحب معه "ترميش"، وقدم حتى حدود "سلطان دوس" واستراياد وصاح قائلا: إن تلك الولاية ملك قايغو [ص ٢٧٤] وحاصر يشق على جود المول الذي كانوا يقيمون في تلك المناطق، ويدأب على إثارة الفتى. ولما لم يكن كبار الأمراء حاضرين، اتفق سابعان إياجي وماملاق وآخرون، وهجموا عليه فجأة، وطاردوه من هناك، وصاروا يتعقبونه حتى أخرجه من حدود جرجان وكيود جامه. مهام على وجهه مع نفر قليل ومضى إلى حال سبيله. وكان قبل ذلك يشق كثيرا على جماعة السادات والأهالي والرعايا في مشهد طوس. والسلام.

(١) كيود جامه. ولاية توجد وراء مدينة استراياد التي تقع على إقليم جرجان قرب حدود سائران. وفي كيود جامه بكسر الحاء والقلم والكسرة. وهي كثيرة الفتى والخيما إلا أن الحراب حق بها في حروب تيمور في ثلاثة فترات (الرابعة عشرة). (زخمة القلوب، ص ١١٩ بلدان الخلافة الشرقية، ص ١١٦)

## أحوال غازان خان بعد وفاة أرفون خان حتى وقت رحيله إلى ناحية آذربيجان في عهد جيخاتو خان ثم عودته من تبريز إلى خراسان

بعد ذلك سكنت الزابات السلطانية عدة أيام في سمان. ثم تحركت نحو فيروزكوه<sup>(١)</sup> وسار حتى حدود دماوند بالقرب من ميشان حيث لُقِمَ عدة أيام. وهناك أصبحت بلغان خاتون الخراسانية ولداً لكنه توفي. ثم قدموا إلى فيروزكوه. وقد ورد بها يعقوب بأن جيخاتو قادم من الروم. أما الأمراء الذين أثاروا الفتنة في المعسكرات فقد تعرفوا، وانضم بعضهم إلى جيخاتو، ووافق بعضهم "بابلو". وقد مر "طوعان" من بينهم، وقدم إلى خراسان ولهذا السبب أمر غازان باعتقال "مولاي" وسجنه. وعندما ورد بها اعتقال طوغان، أطلقوا سراح مولاي بشفاعة الأمراء.

ولما تحقق بها اعتقال جيخاتو<sup>(٢)</sup> العرش، أوفد إليه غازان الأمير قطع شاه برسالة عرصى فيها أحوال التخريب في خراسان، وشئون الجيش هناك. ثم أرسل الأمراء "هورقدان" و"قرا بن جاورجي" [ص ٢٧٥] وخلع تيمور وأخبره إلى خراسان. وهي صيف سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م بموضع "السيران" الواقع بين فيروزكوه وسمان والذي يدعى مصيف "نكاتو" كان غازان يشتغل دائماً بالصيد والأخد بأسباب الفتنة. فلما علم على حين أن أصحاب الديوان كانوا

(١) فيروزكوه قلعة حصينة في جبال فرجستان بين هرة وخرنة اتخدا المورينيون عاصمة لهم. وقد استولوا في الحكم إلى أن اكتسح المغول بلادهم، وسقطت عاصمتهم في يد چنگيز خان سنة ٦١٩هـ / ١٢٢٢م بعد أن أنزل بها الحراب والدمار (انظر معجم البلدان، ج ٤ ص ١٢٨٦ بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٥٩).

(٢) كان التقليد يلقب بقطبى انصار الأكبر سنا خلافة الإيلخان القرغى، لكن الأكبر سناً يمكن أن يكون الأخ الأكبر للعومي. وبالمثل كان جيخاتو خان هو الأخ الأكبر لأرغون وقد غزاه كما يمكن أن يكون أكبر أبنائه. ولم يكن هناك حرف بعد متى ينتمي لسلالة الجبل الأصغر عمل الجبل الأكبر في تعاطي السلطة وكان الاعتقاد أن ينتصر الأكبر والأقرب علي مرص منه وسيطرته في حالة تقدم النسب كمرشحي لنزول السلطة. ويتم ذلك الاحتكام إلى السلاح. وانظر دوروتيا كزافولسكى: العرب والبربر، ص ٦٩٢ - ١٩٣، فترحة العربية، بيروت ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

يقومون بجمع المؤن للجود وتبدير أموال الولاية. وقد وصل الأمر قتل شاه إلى حضرة  
 گيخاتو هي اران، وعرض عليه حقيقة الأوضاع في خراسان. ونظرا لاشتعال گيخاتو  
 بالثقة والبهجة واللهو والأس، لم يعبأ به كثيرا، فرجع هو أيضا من حيث أتى، وقدم إلى  
 حضرة عاران. وبعد ذلك حلت الرهات السلطانية بناحية دامغان وبسطام ثم هناك اتجهت  
 إلى كالبوش، وأرسلت "قتل حواجه" و"لالا" إلى ناحية يهق لاستدعاء "نظام الدين يحيى".  
 لأن هذا الشخص قد جاور حده كثيرا بخراسان؛ إذ قتل جمعا من الأكابر رغم أنهم كانوا  
 تابعين له، واعتصب من الناس أموالا طائلة ولهذا ظل متوجسا خيفة، وتقاعس في البقي. بعد ذلك دخلت الرهات السلطانية جرجان عن طريق قلعة "جاشك"، وقصت ذلك الشتاء  
 في "سلطان دوين استراباد".

ولقد أرسل گيخاتو إلى غازان حاكم الأمير النجل أنبارجي والأمراء "فولاداي"  
 و"قوبچيغال" و"التمور" لإمداد جيش خراسان، فحفظوا بشرف المؤن أمام حصرة غازان في  
 "سلطان دوين". ثم صدر الأمر بأن يصعد الشتاء في ناحية "قراوغان". وفي أواخر الشتاء  
 أشيع أن "نوروز" قدم إلى يسابور فاصدا "جوين" حتى يخرج نظام الدين يحيى [ص ٢٧٦]  
 من قلعة "أندمد". ولما كان الجو لا يزال باردا والندوب هريفة، تحركت الرهات السلطانية  
 إلى "كالبوش" حيث مكث عدة أيام. ثم أرسل غازان الجواميس إلى الأطراف والنواحي  
 ورجع مع عدد قليل ناحية "جوين" ثم رجع. بعد ذلك عادت الرهات الملكية إلى جرجان  
 حتى تسكن الندوب.

وفي أول ربيع سنة ٦٩١هـ / ١٢٩١م سير غازان الأمير أنبارجي مع الجيود الذين  
 كانوا قد قدموا معه، وذلك عن طريق "دهستان" و"مارر" و"سا" و"مبيورد"، وأرسل معهم  
 "مورافدائي" لإعداد المؤن وما يحتاج إليه حتى لا يحدروا على البلد ويغربوه. كذلك  
 تحركت الرهات السلطانية. وفي تلك السنة حلت بخراسان صائقة شديدة بسبب الفلادل  
 والاصطرابات؛ بحيث تعذر وجود من من العلة بمائة دينار، فعين غازان الصاحب الأعظم  
 الخواجه سعد الدين على رأس أصحاب الديوان لإعداد المؤن للجيود، وتبدير الأموال في  
 خراسان وماربلوان والري. وفي تلك الرحلة، كان طعام أكثر الجنود من لحوم الصيد. بعد  
 ذلك برلت الرهات السلطانية على صفاء نهر هرة الذي يسمى "جوقجور". وبسبب  
 عزلة المياه عبروا بمشقة بالغة. ثم سار إلى الحصرة الأمير النجل أنبارجي وأمراء العراق.



بعد ذلك وحصل نيا من الحراس يفيد أنهم رأوا ظل للشعردين. هرقلت الرايات السلطانية إلى ناحية بادغيس، ولقائمت هي "بولنك بادغيس"، فأرسل عازان الجواسيس إلى الأطراف ولكن لم يكن هناك أثر أو خبر عن العصاة في موضع قط. ولأن مؤن الجند قد بعدت صار الجنود يسرقون حيول بعضهم البعض [ص ٢٧٧] وبماكلون لحومها وبسبب عدم وجود الأعداء وقعوا في مشقة بالغة. وها ذكر الأمراء أنهم على مقربة من هرة حيث توجد مناطق يصح فيها الشعر، وأنه من المصلحة أن يذهبوا إلى هناك وعلى هذا رحلوا قاصدين تلك الجهة، وروا على جسر مالان "بول مالان". ولكن صدور هرة وأكابرها لم يكونوا في المدينة بسبب العث والأصطرابات وكان الملك "شمس الدين كرت" يقيم في قلعة "غيسار". ومن المعروف أن هذا الملك كان قد سجن ابنه الأكبر "مهر الدين"<sup>(١)</sup> بسبب تأله منه وعصبه عليه. أما ابنه الأصغر "علاء الدين"، فقد أرسله إلى حصرة عازان ليكون ملازما له.

ولما كانت ولاية هرة قد خربت بسبب المتاعب والأصرار التي نتجت عن عبور الجيوش، ولم يحدث فيها عمران، عطف عازان على الأهالي هناك. ولم يثق عليهم.

أما سكان فوشج<sup>(٢)</sup>، فلأنهم كانوا قد لجأوا إلى القلعة عندما وصلت إلى هناك حيوش العراق، ولم يقدموا المؤن المطلوبة، وشنوا الحرب، غضب عليهم عازان بسبب نصرهم هذا وأصدر أمرا بمحاصرة القلعة، واستولى الجنود عليها بمشقة بالغة، وأخرجوا منها الدواب والثيران والأغنام والمؤن الوفيرة، وأسروا أغلب السكان هناك.

وعندما عادت الرايات السلطانية هرة، وصلت إلى فوشج. وها عرض سكانها ضعف حالهم؛ فعطف عليهم عازان، وأصدر أمرا بإطلاق سراح نسائهم وأطفالهم الذين كانوا قد أسروا، وطيب خاطرهم. ثم ركب بطالع السمند، وقدم ناحية رادكان. ولأن كجبحاتو لم يرسل أموالا إلى جيش غرامان، احتشد هناك جنود كثيرون، وتمرصوا لكثير من

(١) انظر كتاب الفتوح الإسلامي، ص ٢٨٢.

(٢) فوشج أو فوشج، مدينة بها وبي هرة عشرة فراسخ. وتقع في ولا كثير الشعر والنفواكه وهي تصح القصب بأشواها الكثيرة للصلح. وأكثر حيرات مدينة هرة بحلوبة منها، وطواحيها كلها تسمى بالفراء. ومن هذه المدينة خرجت طائفة مشيرة من أهل القطم. (معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٥٢ - ٤٥٤ ترجمة القلقوب، ص ١٨٨).

المنشقات والشعاب؛ فصمم عازان على التوجه إلى مخيمحاتو، ليسى له حقيقة الأوصاع مشاهقة، ولكنه عدل عن عزمه، وقدم إلى "شتركوه".

ولطرا لانقطاع أخبار العصاة، وصاد المؤن، استأذن جنود المراق وأدريجان من الإصراف ثم أمضى عازان الصيف في شتركوه وشيد بها "جوسق مراد"، [ص ٢٧٨] ولم يكن السلاطين قد أقاموا عمارة في تلك الجهات وفي هذه الأيام وصل باميد أن الأوغاد والسفلة (رمود ولوباش) قد اجتمعوا، وقتلوا أولاد ملك رورن<sup>(١)</sup>، وطائفة من عظماء تلك الولاية، واستولوا على إحدى القلاع؛ فصدر الأمر بأن يسير الأميران سوتاي ومولاي للقضاء على هؤلاء المجرمين. وعندما اقتربا من القلعة، كان شاه علي ابن ملك سجستان قد جاء من قهستان طمعا في الاستيلاء على "غوال"، وقام بحصار القلعة مداعمة الأميران فجأة، وقتل أغلب أتباعه، وسطوا على أموالهم ودوابهم. غير أن شاه علي خلع نفسه بصعوبة بالغة، ولاد بالفرار. وبعد ذلك أحضر الأميران المقاتلين في تلك القلعة، وقتل المشاعين ومثري الفتنة، واستمالا الرعية ثم عادا.

وفي شعبان سنة ٦٩١هـ / ١٢٩١م صدر الأمر باعتقال "علي عماد الدين" خطيب بيسابور الذي كان رجلا عظيما، غير أنه كان يتدخل لصالح بورور، وكثرة الحديث عنه اعتمادا على صيته؛ فأحضره من بيسابور وأغتموه. وفي ذلك الصيف لم تحدث وقائع تذكر. وعندما دخل الشتاء أمضاه عازان في "سلطان دويس استراباد". ثم أوعده الأمير بوروي إلى سمنقان وشقان.

وفي أوائل الربيع أشيعت أخبار عن ظهور المتمردين، فحركت الرهائن السلطانية إلى ناحية خرجان و"شهرك نو" و"مورجا باد" ثم وصل الأمير "تورين" إلى حصرة عازان. وفي أوائل شهور سنة ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م رحل من هناك، ومكث عدة أيام في "سمنقان" وأرسل الجواسيس إلى مختلف النواحي. وقد اتضح أن الأنباء عن ظهور المتمردين كانت كاذبة. ومرة أخرى راودت عازان فكرة العودة إلى ناحية أدريجان. والسلام.

(١) رورن بضم أوله وقد يفتح. مكررة واسم من بيسابور وهرات ويسمونها في أصل بيسابور. وهي شقة مهمة من نظام الطرق ومن أصلها ملكة ولربيع وعشرون قرية. وفيها بيت من للمجوس. كانت رورن تعرف بالحصرة الصغرى لكثرة من خرجت من القلاع، والأدياء، ولعل القلعة تسمى بضم اللام، ج ٣، ص ١١٥٨. بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٩٨.

## حكاية

### توجه غازان إلى ناحية ألتاغ<sup>(١)</sup> بقصد مقابلة كياتو

#### ثم عودته من تبريز وهزيمة نوروز

تشاور غازان مع الأمراء، وعقد العزم على الرحيل إلى آذربيجان وكلف الأمير الكبير "قتلغ شاه" وبقية الأمراء بالحفاظ على خراسان ثم عاد من سمرقان وكان في حصرتهم الأمراء بوريس وساتلمش وسوتاي؛ الذين دخلوا عن طريق "شهر كيو" ومازندران. كذلك قدم إلى حضرة الأمير قتلغ شاه، وسار حتى موضع "شمشه" حيث يقسم غازان. وفي هذه الليلة تزوج الأمير قتلغ شاه من ابنة "جبرعوتاي"، وعاد بعد ذلك. أما الراهبات السلطانية فقد سارت من شمشه حتى شوربيل من نواح مازندران؛ حيث كان المعسكر العظيم. وقد قطع غازان في ليلة واحدة ما يقرب من واحد وثلاثين فرسحاً. وحدث أن أحد رعماء مازندران خاف ولم يحضر إلى الحضرة؛ فاتهم بالتمرد. ولكن غازان لم يمسأ بذلك وعقد العزم على الرحيل إلى العراق وآذربيجان، وسلك طريق "شاه دز" متجهاً إلى "عمروكوه" وأقام عدة أيام في دماوند. وفي هلاك عهد إلى الأمير "ساتلمش" والتواجه سعد الدين بتحصين أموال خراسان ومازندران وقومس والمرى وإدارة شئون تلك المناطق والحفاظ على الولايات وتعيين مؤن الحد. ثم توجه غازان إلى تبريز، وكان بوريس آقا يرافقه وقبل ذلك سير "بعميش" إلى كياتو للإعلام بوصول، ثم عاد إلى منطقة أبهر، وصرح بقوله: "إن كياتو يتساءل. ما الداعي إلى مجيء غازان؟... كان ينبغي أن يعود إلى خراسان، وأن يرسل جماعة من قبله لإيجار المهجمات، وتقديم التماسات. فكان رد غازان: "حيث إنا وصلنا إلى هنا، كيف نعود، دون أن يرى الواحد منا الآخر؟" ١٩ \*

وعلى هذا توجه غازان إلى تبريز، وسير الأميرين "إلادو" و"مولاي" لتصريف المهجمات وتوجه هو إلى تبريز. وعند قطرة رده [ص ٢٨٠] وصل إلى الحضرة السادة: محب وعبر ورمضان من خواص أرغون خان وعندما وصل غازان باليمن إلى تبريز، مكث عدة أيام.

(١) ألتاغ: تكب أيضاً "ألتاغ"، وفيها تكثر البلداء ونشود مزارع القطن، وتصدد مساقط الصيد وقد أقيم فيها لرغون خان قصرًا كان يسمى به أكثر أيام الصيف. (زبدة القلوب، ص ١١٨).

وكان رسل جيخاتو يصلون تباعا كي يعود عازان. وفي نهاية الأمر وصل "كمجو" و"باردو"، وصرحا لعازان بقولهما: "إن جيخاتو بأمرك بالعودة أيضا هي نفس هذا اليوم وقد أرسل إليك هدايا قليلة. علم بلغت إليها عازان، ورد عليهما قائلا: "حيث إن جيخاتو لا يريد لقاءنا فحق أيضا لا يريد لقاءه مائة مرة".

بعد ذلك عادر عازان نهر بطلع السعد، وأقام في "بوز آعاج" حيث تزوج من "أشيل حاتون" ابنة الأمير "توتشور" وهناك أقام حفل الزفاف. وقد وصل إلى الحصرة الأمير "محمد الهادي" الذي كان على رأس إمارة إصمهان، فقدم الهدايا الفاخرة، وحظي بأنواع الرعاية والتكريم، وصار ملازما لفازان<sup>(١)</sup>.

وبعد شهر توجهت الرابيات السلطانية إلى حراسان. وهي مدينة "أبهر"<sup>(٢)</sup> تقدم إلى الحصرة الخواجة<sup>(٣)</sup>، وطلقة من الرسل قدس كان أرغسون خان قد أرسلهم إلى حصرة آغا آ<sup>(٤)</sup> لإحصار إحدى قرى بلعان حاتون الكبرى كي يتزوج منها<sup>(٥)</sup>، هجما بـ "كوكاجين حاتون" مع هدايا أخرى خطائية وصيبية تليق بالملك. وكان عازان مقيما في "أبهر" فتزوج من "كوكاجين"<sup>(٦)</sup>. وبعد إتمام مراسم الزفاف، أرسل إلى جيخاتو هدايا، كان من بينها بير وعدة أشياء أخرى.

بعد ذلك سار إلى ناحية دماوند وعلما برل عد حدود فيروزكوه، وصل رسل الأمير قطع، وبشروه قائلين: "لقد حاربنا (سورور)، هاندجر، وهر سهزما وراجلا إلى جبال هسابور. وقد استولى جودنا على كل الأموال والذواب والخيول المحملة بالأدوات والثياب. وعلى أثر ذلك غرقت الرابيات السلطانية إلى دامغان وبسطام وإلى بسطام وصل الأمير

(١) أبهر مدينة مشهورة في قزوین ورجان وستان من أراضي الجبل (معجم البلدان، ج ١، ص ٨٢)

(٢) هكذا في النص.

(٣) المقصود به قزويني لأن الذي كان يحكم في مدينة يكي حاصلة العصى (انظر جامع التواريخ تاجيك رشيد الدين فضل الله ايلخاني. تاريخ خلفاء چنگيز خان من لوگجاي تا ان إلى تيمور تا ان الترجمة الفريضة، ص ٢٣٦ وما بعدها) بمسعودي محمدا مسعودي، تاليف ربه كروسيه ترجمة عبد الحسي ميكنه، ص ٨٨٧ وما بعدها ج ١، ص ١٣٤٨ مشر)

(٤) انظر الطرق الإسلامی في عهد الايلخانیين (السيرة حولاكو خان) ص ١٩٧ - ١٩٩

(٥) لأن ليد أرغون كان قد توفي.

قتلغ شاه والأمراء ماأنعم عليهم غازان بالعناائم التي غمموها، واختصهم بأنواع الرعاية والتكريم [ص ٢٨١] ومن هناك دخلوا جرجان عن طريق خرمايه.

بعد ذلك نزل عازان "بسلطان دويس استراهاد"، وصار يمارس ضروب المتعة والعبيد. وبسبب إفراط الأمير قتلغ في الشراب، اعتراه مرض شديد؛ فلأزمه الأطباء وفقاً للأمر الصادر إليهم، حتى استرد صحته، وصارت كما كانت من قبل. ومنذ ذلك الوقت أقتلع عن الشراب وحتى وقتنا هذا لم يمتس الشراب أبداً.

أما عن "كبا صلاح الدين" فقد تخاضى مقابلة غازان عندما حل هو ومرافقوه بولايته وهم يقصدون آدريجان. وبعد أن عاد غازان من تبريز، ومثل بين يديه "كبا صلاح الدين" في الري وتشجع له الأمراء الآخرون، عما عه ولكنه عندما عاد إلى ولايته، رجع إلى العسايان مرة أخرى؛ فكلّف عازان الأمير "سوتاي" بالقبض عليه، فذهب هذا، وأعدمه وأحضر من هناك مالا وميراً ودواب عديمة، فورعها عازان على الجسود وهي ذلك الشتاء كانوا في ماريندك، ولم ترد أخبار من أبة ناجية.

بعد ذلك تحرك في الريح إلى ناحية دماوند، ثم سار عن طريق "چهار ديه"، ومكث شهراً في دماعان. ثم غادرها إلى هروركوه عن طريق "سلطان ميدان". وأوصى الصبي في دماوند. ومن هناك أرسل قائده من قوات الجيش هما مولاي وهورقداق إلى خراسان فأبلغاه بأن يعيد أن أهل نيسابور يتوون الخروج عن الطاعة، وليسوا مشغولين بالرحيل، فلم يعبأ غازان بذلك. ومن غاية لطفه النطري، سير الرسل مندوبين بالوعد والوعيد. ولكن دون جدوى؛ فتحرك بنفسه إلى تلك الجهة، ووصل إلى هناك في ذي القعدة سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م، ومرل في "موهدي" ثم أرسل الخواجه سعد الدين إلى المدينة ليحضر أهلها فاستطاع هذا بنصائحه ومواعظه أن يعيدهم إلى جادة الصواب، لأنه لبس من المستأخ أن يقتل الأتباع المخلصون التقدماء بواسطة جرائم حقة من المفسدين وعندما ذهب الخواجه سعد الدين إلى المدينة تقدم إليه القاضي صدر الدين والإهلوان عمر وأعيان نيسابور وقالوا: "نحن نفكر في أرواحنا فإذا تعهد الخواجه بأن يعطينا الأمان، فإنا سوف نخرج [ص ٢٨٢]، ونؤدى فروض الطاعة. فقبل الخواجه أن يمرض الأمر على الأمير غازان وقال لهم: "سوف أعمل ما في وسعي حتى لا يصيكم أذى. كذلك خرج من المدينة

القاضي صدر الدين واليهودان عمر مع طائفة من السكان، وتقدموا إلى الأمراء الكبار فأرسلوهم إلى الحصرة وكان عازان قد رحل من "موهدي" وحل بيسابور، وصرح قائلا: "إن نهر ملكنا ورعيتنا بسبب حصة من الموعاء؛ ينبغي أن يسلّموا طائفة المعسدين ومثري المقي وعمر الدين الرمس وحسام الدين أيك الخطائي، أبو بكر علي عاتشه وعثمان مشكاي وعمد عبد الملك وعلى السكان أن يؤدوا الخراج بصدق وأمانة؛ حتى يعود من هنا في أمن وسلامة. ولكنهم ماطلوا في تسليم تلك الجماعة وصدر الأمر بمحاصرة بيسابور فلجأ أهلها إلى مسجد حصص، ودخل الأمراء عليهم، كل منهم من ناحية ولما طوفهم الجورد، عجزوا عن المقاومة بسبب خوفهم وفرغهم ثم هب الجند الأحياء والأزقة وفصدوا المسجد، ونقبوا عدة أماكن فيه، وتسلبوا الجدران؛ فصاح هؤلاء للسائكن، وطلبوا الأمان. مصفح عازان عنهم لمرط رلته وشعفته وذلك على الرغم من كثرة دسوب المتحريين، ورغم أن بعض الناس الأبرياء قد قتلوا. كذلك أشار عازان على الجورد بالكف عن السلب والقتل.

ولكن لما كان الجورد قد هجموا مرة واحدة، لم يتيسر منعهم. وعندئذ ركب عازان خان بنفسه المباركة، وتحول في المدينة، وقتل واحدا أو اثنين من التوتجية، كما أمر بتعليق أعضائهم على البوابات.

وبهذا خاف الجورد وارتدعوا، وكفوا أيديهم عن القتل والنهب. وقد اعتقل الجماعة المذكورون الذين أثاروا الشعب والفتنة وأعدموا، ولم يسمح عازان بإخراج دابة واحدة من تلك الولاية. كذلك استمال الرعايا، فأمنوا على أنفسهم، واتجهوا إلى التعمير والزراعة. بعد ذلك تحرّكت الرمايات السلطانية إلى ناحية جرجان وقصى عازان ومرافقوه ذلك الشقاء في "سلطان دوين استراهاد". والسلام.

## خضوع نوروز، ودخوله في طاعة حضرة غازان مرة أخرى، وإقامة الولائم والحفلات وتقديم الهدايا

في أوائل المحرم سنة ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م، وصل غلام "نوروز" موقداً من قبله إلى غازان خان، وذكر أن "نوروز" يقول: "إني عبد وابن عبد قديم، ولكن بسبب افتراء الجيوش من الناس وبهتانهم شردت نفسي عن الخشوع للحضرة؛ فإذا عطفت على غازان، وصمحت عن ذنبي، وعما عني، وتباسي جرمي؛ فإني سوف أتوجه إلى الحضرة ثم أرحل على أن أقوم بتنفيذ شروط العبودية.

وسمياً لكمال شفقة السلطان وعدله، تخاور عن دنوب نوروز وقيل عنده كما شرعه بأجوبة سلطانة كريمة. وفي نهاية الرسالة التي عرضها "ساتلمش" على غازان، جاء فيها: "إذا تطلعت السلطان، وأرسل جدياً على سبيل اللدد إلى منطقة "مروجو"، فإن المبد سوف ينصم إليهم بعد معارقتهم هذه الجماعة. وإذا تعقبهم أحد، فسوف يكرهون مدداً للقضاء عليه؛ وذلك حتى أنال شرف العبودية بعصل إقبال السلطان. فأجابه السلطان غازان: "حيث إنه الآن فصل الشتاء وليست هناك أخبار واردة من الأطراف والجوانب، فإني سوف أتحرك بدائي المباركة إلى تلك الجهات باسم الصيد" ثم حص ساتلمش بأنواع التكريم والرعاية، وقفل راجعاً.

وكان جواب الرسالة هو أنه يبغى على نوروز أن يكون عند كلمته، ثم سار السلطان باليمن والبركة. وكان في ركابه الأميران الكبيران: موريس وقطع شاه آقا. وعندما بلغ ولاية "بازر" في موضع "كوشك"، ووصل من قبل نوروز أخوه "حسين حاجي" والتجمل من جاردو بهادر نفس العرض الذي كان ساتلمش قد جاء من أجله شملهما الأمير النجل بعظمه، ثم سار من هناك حتى سرخس وبعد أن استراح، رحل متخذاً طريق "دالان" قودون".

وعندما خرج الجمع من بين الجبال [ص ٢٨٤] والتلال، وظهرت في صحراء مرو وشورغان الديار والخيام والدنوب، صر الأمر بأن يتفحص أمرهم "باوداي" الذي كان

أسرا للمشرقي على تعبئة الجيوش. وقد عاد بعد مدة معه سائلمش غلام نورور، فخرضا معا على غاران قائلين: إن مورور قد نزل هناك ينتظر وصول الرهائن السلطانية؛ عوقف السلطان فوق ربوة فما كان من مورور والأمير للجل طعان إلا أن أسرعا، عوصلا إلى المحصرة، وتشرفا بقاء عازان. وقد مكث السلطان ثلاثة أيام في تلك القرية، وأقيمت الولائم والأفراح.

ولما كان الممار بعينا والشراب قليلا، أمر السلطان بأن يقيموا مراسم الصلح بشادل كتوس الماء. وهناك أمر بإقامة ناد يطلق عليه المقول اسم "أوبه"، وعفا عن دبوب مورور وحصه بأنواع الرعاية والتكريم. ثم عاد إلى ناحية "مروجوق"، وساروا إلى طريق "شاح". وقد اعترى "بورى أفا" ألم شديد جدا في قدمه، ونحى في تلك الرحلة مشقة بالغة. وقد انضم إلى المحصرة أمراء جيش القراوة "توعاي" وآخرون. ثم رحل عازان عن طريق "اندخوى"، وتشرف بالثول بين بدى المحصرة أباء عمر أعل ايكو وآخرون. ثم سار إلى طريق فارباب، واشتكت طلائعه بطلائع المتمردين، وقتلت منهم كثيرين، وقبض على بعضهم وسبقوا إلى المحصرة. وعندما سئلوا عن الأحوال، ذكروا أن جيش المتمردين يوجد في فارباب وجورجانه. وعندما برل بفارباب ترك المتمردون الخزائن والأمتعة والجمود الدين عجزت دوابهم عن السير هناك.

بعد ذلك تحرك غاران إلى ناحية شبورغان حيث الطريق مقعر للغاية، ولا ماء فيه. وأجرا وصل لبالا بالقرب من تلك المنطقة في موضع "أهجه سو" وأمر بالآ يشعل أى مخلوق نارا حتى لا يعلم المتمردون بوجودهم، وأن يهاجمهم فجأة عند الصباح فعلم المتمردون [ص ٢٨٥] أن الرهائن السلطانية قد وصلت إلى فارباب، فعادوا وخرجوا إلى طريق صان وجريك. ثم برل الجيش المنصور عد وادى نهر شبورغان وصدر الأمر بأن يتعقب المتمردين الأمراء الكبار قطع شاه والآخرون، ولقمت الرهائن السلطانية في تلك المناطق. ولما جود القراوة الذين كانوا قد التحوا إلى أماكن حصية عشية المتمردين فإنهم قدموا جميعا إلى المحصرة. ثم ساروا إلى ناحية سرخس بناء على الأمر الصادر إليهم هذا على حين أن الأمراء الذين كانوا قد تعقبوا المعصاة في مناطق جبل "صان" و"جريك" قد أدركوا هؤلاء المتمردين في أوائل ربيع الأول سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م وشوا عليهم حربا شعواء، وهرموهم، وقتلوا منهم كثيرين، ثم وصل هؤلاء الأمراء إلى المحصرة ومعهم أسرى كثيرين، وعائل لا حصر لها



وقد أقاموا عشرين يوماً في تلك المأطق. وشرع جميع الجنود الذين كانوا مرافقين لحصرة في نقل الحلال من المخازن، وصاروا يأكلون منها ويقطعون دوابهم. ونظراً لكثرة هذه الحلال لم يظهر نقص فيها.

وفي تلك الأيام انضم نورور أيضاً إلى الحصرة. وبعد ذلك رحل غاران من هناك فلما وصل هو ومرافقوه إلى "فراسران" كان هناك الأمير النجل "طوغان"، وأهل نورور؛ فأقاموا الولائم والاحتفالات عدة أيام، واحصروا هناك بمحدودة، وقدموا مراسم الخدمات من كل نوع. ومن هناك غرك غاران ومرافقوه عن طريق "سرخس" حتى إذا بلغوا "قراتيه" وصل "نوغداي إرداجي" من لندن كيخاتو، وأعلمه على عاتقه بالهند والأمراء كيخاتو، فلم يمس بهذا.

بعد ذلك استأذن نورور، وعاد إلى دياره بساحية "بادعسي". ثم توقفت الرهائن السلطانية عدة أيام، وسارت عن طريق "رجا" و"شوكان" وعندما وصلت إلى وادي "جر" حرمت على المسير إلى "مرج رادكان" لتصطاد طائر الحجلة كذلك وصل من قبل بالندو المدعو قتل شاه وطائفة من الرسل وعرضوا على غاران أسرار المراع بين كيخاتو وبالندو، وقالوا إن جميع الأمراء كبيرهم وصغيرهم وأفراد الأسرة الحاكمة وغواتي الأمراء [ص ٢٨٦] قد اتفقوا على أن يسير أمير العالم إلى تلك الساحية، ويجلس على عرش السلطنة التي يستحقها إرثاً واكتساباً. ولكن الأمير النجل لم يرد ذلك اهتماماً، وأعاد جماعة الرسل ثم تشاور مع الأمراء الكبار، وأرسل رسولا لاستدعاء نورور ثم أقام عدة أيام في "رادكان" و"جشمة" كلسب". ثم قدم ومن معه إلى "عبوشان". وغادرها بعد عدة أيام وعندما مرل "بلوير" لحق نورور بالحصرة.

ولأن العناد وأغلب الجنود والأمير النجل "سوكا" الذي قدم من قبل كيخاتو كانوا في مارندران، استقر الرأي المبارك على أن يذهبوا إلى "سلطان دويك". ومن هناك يقصدون العراق وآذربيجان. ثم قدم غاران إلى "شهر ك مو" في جرجان، ونزل في سلطان دويك استراةاد. وفي المعسكر المعظم انهمكوا في إقامة الولائم والأفراح واللهو والأنس. ثم أرسل أوردانمور إرداجي إلى بالندو قائلاً له: "بينا سوف يصل على الأكر". والسلام.

## حكاية

### توجه غازان من خراسان إلى العراق العجمي ومহারيته باهيو في منطقة هشتروند وقربان شيره

تحرك غازان خان باليس وطالع السعد من "سلطان دويس" فاصدا العراق وأذربيجان. ثم قدم عن طريق "چهار ده" إلى دامنغان. بعد ذلك أراد أن يتجول في قلعة "مگردكوه". لكن الأمراء قالوا: لأن أمامنا عملا خطيرا ليس من المناسب الآن التفاضل بلوح القلعة. ثم أمر بأن يعادر القلعة أباء تاج الدين الذي كانوا حراسا عليها، وذلك مع نسايتهم وأطفالهم [ص ٢٨٧]. وقد سلم مفتاح للقلعة للحاجة سعد الدين حبش، وعهد إليه بالمحافظة عليها.

وعندما قدم غازان إلى سعاد، وصل "أوردوبوقا" موهنا من قبل جيخاتو، ومعه عدة أحمال من أوراق النقد "چلانو"<sup>(١)</sup> والأدوات الخاصة به من الورق الأبيض والأخضر وغير ذلك. فقال غازان خان "إله لا يقاء للألوات الحديدية والأسلحة هي مايزيدان. وما جانورها من ماضق بسبب جوها الشديد الرطوبة؛ فكيف يمكن أن يبقى فيها الورق دون أن يتلف" ١٣... وأمر بإحراقه تماما. ثم قدم من هناك إلى طهران عن طريق فيروزكوه حيث تشرف "بورالعي" وأمراء العراق بلقاء الحصرة. ولما بلغوا موضع "حبل بزرگ" قدم ثانية "أوردانمور ايداجي" من قبل باهيو وعرض قائلا "إن باهيو قد رجع في كلامه، وظهرت في رأسه الرغبة في السلطة. وقد أثار الأمراء "طماجار" و"قوجقبال" و"دولاداي" وغيرهم الفس، ولراقوا دماء أوردونغا وجوشي وغيرهما. وبسبب خوفهم من حضرة غازان ووحشتهم منه، اتفقت كلمتهم جميعا على توليه باهيو الحكم، وهم يفكرون في إثارة الفس والشغب.

(١) انظر مریدا من التفصيلات عن التعامل بهذا النوع من العملة الورقية في كتاب "مجموعة مقالات عباس إقبال آشتياني، شامل يكصد ویک مقاله بافلسفه و صحیح نقای دکتر محمد دبیر سیلانی بصرف "چانو چنانچہ اسکاتس"، ص ٢٢٧ - ٢٣١، تهران ١٣٥٠ هـ. ش. الشرق الإسلامي، ص ٢١٢ وما بعدها.

ولما لم يكن عازان هناك بمكر في مخالفة بايندو، لم يحضر معه جسودا كثيرين، ولم يصطحب الفرقة المدرعة بأسلحة الحرب إلى حد أنهم تركوا هناك الطوق المبارك والطفل الخاص وقد تشاور مع الأمراء وبدافع الشجاعة السلطانية، لم يقتص إلى ما قالوه. ثم أرسل مولاي وبعميش برسالة إلى بايندو يقول فيها: "إننا سوف نصل بذاتنا المباركة فأين نقابل الواحد ما مع الآخر ١٩ . ثم استدعى "توركاوك".

وعندما قدم باليمن إلى "آل حواجه" من منطقة فروزين، وصل إلى المحصرة "شادي غوركاي" الذي كان قد أرسله بايندو والأمراء فتحدث بشئ الأقوال التي يتكلم بها أصحاب التخطيط والتخمين. وضموى هذه الأقوال التي جاءت على لسان بايندو: "إنه لم يكن لي تفكير ولا رغبة في الحكم. ولكن نظرا لعد الأمير السجل عازان، وقعت [ص ٢٨٨] العث والقتال بين الرعية. ولذا السب اتفق أفراد الأسرة الحاكمة على أن أعطى العرش. والحالة هذه فإن الأمير السجل سوف يجاب إلى كل ما يطلبه. وليس في ذلك مجال للمصافحة. ولكن ينبغي أن يعود عازان من حيث أتى"، غير أن هذا الأمير لم يعبأ بذلك وسار في طريقه فلما وصل إلى "توقور أولانگ"، قدم مولاي وبعميش، وأحدا يتحدثان بمثل هذا الكلام المزعوم. وفي نفس ذلك اليوم انعصل "تاوولدار" عن بايندو، ووصل إلى حصرة عازان، فشملة برعايته، واختصه بأنواع العطف والتكريم. ثم رحل عازان من هناك ونزل في طريق "رباط مسلم". ثم استدعى "شادي غوركاي" ورسل بايندو، وأنهم تأيها شديدا لدرجة أن شادي غوركاي يس من حياته بعد ذلك أرسل عازان رسائل شديدة اللهجة بخصوص تولي بايندو الحكم.

وفي الوقت الذي ذهب إلى هناك مولاي وبعميش، تموء الهندار - هي حالة سكره - بكلمات قال فيها لقد اتفقا مع أفراد الأسرة الحاكمة على أن يولي بايندو مقاليد الحكم فإذا لم يتفق مع الأمير السجل عازان في هذا الرأي، فإن المحصومة تقع بيما.

وأخيرا أدن للرسل في العودة. ثم كلف الأميرين الكثيرين. بورين وقطع شاه باستعراض الجنود والفتيش عليهم. وعلى الفور أرسل "ميسا بوقا" الكاتب برسالة إلى بايندو قال فيها: "نحن سوف نصل"، وعلى أثر ذلك سلك طريق "توكاتو". ثم عبر "سفيد رود"<sup>(١)</sup>. وفي

(١) "سفيد رود" أي النهر الأبيض تنسب روحه الكثرة أراضي أفريجهان الجنوبية الشرقية. ويؤلف معظم مجرى هذا النهر الحدود الفاصلة بين أفريجهان وإقليم الجبال. ويصب أخيرا في بحر قزوين بعد مروره بقلبيم جيلان (بلد في الخلافة الشرقية، ص ٢٠٣).

اليوم التالي الثلاثاء عرة رجب سنة ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤م الموافق الثاني من شهر "شون آي" وصل إلى باهيو بأ ووصول الأمير النجل غازان، فأرسل في الطليعة الأمير النجل الملدار والأمير المجلدائ وجميعك. وأما من هذا الجانب (المقصود به غازان) فكان على المهسرة الأمير قنص شاه وورين آقا، ووقف في القلب الأمير النجل "سوكا" و"بورالغي" و"بورور" والأمراء الآخرون الذين كانوا في حصرة غازان.

وعندما اقتربوا من باهيو، أوقفوا أمامهم يوفنداي اختاخي وتحدثوا في كل أنواع الكلام عن الصلح والمودة، وضرورة مراعاة صلة الرحم بين أفراد الأسرة الحاكمة، غير أن غازان لم يلتفت إلى ذلك [ص ٢٨٩]. واتنعم الجنود من الطرفين بعضهم ببعض. وكان الأمير قنص شاه في المقدمة كالمطود الثابت. ولما كان الأمير النجل "الملدار" قد نموه بكلام خطير اقتضى رأى غازان المعالي البائدة بتأديبه.

ولم تكن قد قرعت بعد طبول القلب إندانا بدء المعركة، وقبل أن يحرك جيود القلب من جانب العدو، هاجهم الأمير قنص شاه، ودحرهم بحملة واحدة؛ بحيث إنه عندما وصل الخبر إلى القلب في جيش العدو، كانت الجريمة قد حلت به، وقتل منه ما يقرب من ثلثمائة جسد، وانهرم الباقون وقتل "تماي" نائب "الملدار". ثم أحصر "أرسلان أوعول" إلى الحصرة مترجلا، وطلب أن يهجم جيود غراسان دفعة واحدة ليستأصلوا شاة أعدائهم ويمسوه. ولكن غازان حال دون ذلك مدعوعا بما فطر عليه من رحمة، وقال إن هؤلاء الجنود جميعهم عبيد آبائنا وأجدادنا وإذن فكيف تقتلهم بسبب حصة من المشاعيس ومثري العت؟ هم أولئك الذين ولوا "باهيو" الحكم؟ .. غير أن بورور وبقيّة الأمراء صاروا يبالغون مصرين على أنه ينبغي اعتنام الفرصة. فما كان من غازان إلا أن صاح فيهم وسهرهم فالتزموا السكون.

وعندما اعتقل "أرسلان أوعول"، وسبق إلى غازان، قال ابن عم بورلتاي: "بما أن "أرسلان" سز السيف في وجوه عبيد الدولة، فإنني سوف أقتله لو أدن لي السلطان بذلك غير أن غازان لم يلتفت إلى هذا القول. ثم أمر بأن يحضروا من خزائنه الخاصة قباء وقلنسوة ومنطقة (حرما) وحناء، ولبسوا الأسير هذه الأشياء، وأركبوه جوادا مخصيا من جياد الخاصة كما أمر بإحصار جرحى المعركة، وصار يضع المرهم على جروحهم، وكان

يسقيهم الأدوية المذابة في الشراب. فلا جرم أن الحق تعالى وصح أطراف الممالك وأكافئها في قصة سلطته جزءا وفقا لتلك العاطفة وهذه الرحمة

ولما رأى بائندو وأمروء أن "البلنار" و"توكال" اللذين هما أشجع رجائهم قد هربا، عرفوا أنهم لا طاقة لهم بمقاومة أعدائهم ملكوا طريق المسألة والشعاعة، وجاء بائندو وسط ميدان المعركة، ووقع على قمة ربوة مع الأمراء: طعاجار ودولاداي وفوجبقال. [ص ٢٩٠] ومع أن سلطان الإسلام قد خدطم وهزمهم، نجشم السير إليهم. وكان الأمراء سوروز ونوريز وقطع شاه وسوتاي ملزمين للحصرة وقد اتفق الجانبان على اللقاء، وسأل بعضهم بعضا وقالوا: "يبي أن يعقد بيننا عهد وميثاق نعهد فيه بألا يؤدي بعضنا بعضا. فصاح الأمراء من هذا الجانب (جانب غازان) قائلين: بمعنى أن نخسم أولا أمر الملك والسكنة. وبعد ذلك يرم العهد والميثاق.

والخلاصة أنهم أحصروا الشراب، واحتسوه في الكؤوس. أما المسلمون منهم فتصامحوا وانقسموا بألا يعكروا في الإساءة بعضهم إلى البعض. ثم قالوا: هذا يتقرر أمر الحكم والسلطة. ولما كان النهار قد انتهى، وأذن بالمغيب، عاد كل منهم إلى مقره. وفي تلك الأثناء انفصل عن بائندو أفراد أسرة الخاتون للعظيمة "بولوعان خاتون" منهم الشيخ "هورقاسون" وجمع آخر، وانصموا إلى الحضرة. ولما كان جود بعدد وموعان قد اقتربوا كان بائندو يرسل إليهم الرسل تباعا لاستدعائهم أثناء للمفاوضات وكان الأمراء يصلون مع جيودهم لحظة بعد أخرى، فظهرت لهم شوكة كبيرة آخر النهار. وفي اليوم التالي سار الجيشان حتى "قربان خيره" لمناوشة الواحد منهما الآخر. ثم دخل جيش السلطان غازان واديا ضيقا يبلغ طوله فرسخا. ولم يكن أمامه غير طريق واحد فأسرع "توكاتو بهادر" مع ألفي فارس، واستولى على مدخل الوادي. وكان فوجبقال يتبعه لبعابه. فلما علم بائندو ذلك، وعرف أن هذا التصرف يؤدي إلى الحرب، ألوفد على الفور رسولا بأمر أتباعه بفتح الطريق أمام جود غازان، ولا يمتنعونهم من الحروب؛ فغضب فوجبقال من ذلك التصرف.

وصلوة القول أنهم نزلوا في تلك الليلة بعضهم بجوار البعض؛ بحيث إنهم كانوا يشربون من عين واحدة على الرغم من أن جميع الجود كانوا يسكنون بأسة خيولهم مدججين بأسلحتهم، ولم يستريحوا في تلك الليلة. وفي اليوم التالي الإثنين السابع من رجب، أخذ جمع

من الساعين في الصلح يترددون بين الجانبين. [ص ٢٩١] وأخيراً استقر رأى الأميرين  
توتشيمور وسوتاي على أن يقام سدادق بين الطرفين على أن تحصر "توداي خاتون" التي يقع  
موطئها على مقربة من ذلك المكان، وتتخذ الصلح بين الطرفين. وفي تلك الأثناء قدم  
"قنجبال" وعرض قتالاً: "إذا كان المظفر من نصيب غازان، فإن الأمير "أقيوقا" سوف  
ينصني عليها. ولهذا السبب قتلوه في نفس ذلك اليوم.

وبعد حديث طويل تقرر أن يجتمع الأمراء وسط ميدان المعركة، ويقر الطرفان بصواب  
وجهة نظر الطرف الآخر. وعلى هذا ذهب من هذا الطرف (أي غازان خان) الأمراء  
بورور وبوري وقلغ شاه وتوتشيمور. ومن طرف بايغو قدم طغاجار وقونجبال ودولاداي  
وصاروا يتناقشون حتى منتصف النهار وكان جلود بايغو يصلون لحظة بعد أخرى  
فصار ث ترداد قوتهم.

ولما رأى الأمراء ذلك، استقر رأيهم على أن يرسل بايغو إلى حصرة الأمير النجل غازان  
المخيمات الخاصة بأرغون خان والختاتون المعظمة بولوغان وأوروك خاتون والأمير النجل  
خريمده مع الأمراء الأجنال الآخرين، وأن يُسلم له أسلحته وغراته. ويكون لغازان أيضاً من  
الجانب الآخر مناطق "سعيدرود" والعراق وخراسان وقومس ومازندران ونصف إقليم  
فارس مع كل أملاك الخاصة هناك. وعندما عرّضوا ذلك الأمر على حضرة غازان، طلب  
أن يسلموه طغاجار أيضاً مع عشرة آلاف من القراوية الذين هم من خاصة أرغون  
وبموجب هذا الاتفاق سهى الحديث عند هذا الحد ويعود. فأجاب بايغو بحضور الأمراء  
قائلاً: "إن الأمير النجل غازان يعلم أن أرغون كان يعزى أبناً له من صلبه، وكان يعين  
لكل ابن مشى خاصاً في جهة من الجهات في صحة أحد الأمراء. وكان طغاجار مع  
عشرة آلاف جندي من القراوية في صحبتي دائماً في بغداد. وما أنا أقر ذلك حسب أمر  
أرغون خان، فإنه هو الحاكم". وأخيراً استقر رأى السلطان والأمراء على هذا، وقالوا:  
"نكسب هذه المقررات لغازان حتى تعود". ثم أرسل بايغو "دولاداي" بحمل الطعام  
والشراب إلى الحضرة، فحظي بالإعزاز والرعاية، وبأوله قدحاً من الشراب.

بعد ذلك أشار السلطان غازان قائلاً: لنعد عن طريق "سيه كوه"؟ غير أن بايغو والأمراء  
لم يرضوا بهذا الرأي. والسبب في ذلك هو أن جيش القراوية كان مقيماً هناك، فخافوا أن

بصموا إلى غازان خان إذا ما قرّ في تلك الناحية [ص ٢٩٢] فنحدث الفتنة مرة أخرى ثم أوعدوا "بولاد چيگسانگ"<sup>١</sup> إلى المحصرة ليقيم غازان بالعودة من الطريق الذي قدم منه وفي اليوم التالي أرسل يابغو ابنه "قيجاق" مع طائفة من الأمراء إلى محصرة غازان لإبداء رعايتهم وإعزازهم له، ولتناول اقتراح الشراب، وليعلموه أن يابغو يقول: "إن الأمير النجل قدم إلى هنا باليس والبركة، وتمّ الصلح والاتفاق بيسا. فإذا ما انصرفا دون أن يرى الواحد من الآخر، ولو للحظة، فسوف يظن القريب والبعد أن الكفر لا يزال بيسا. وإذا ما أودى أن يجلس ساعة بعضا مع البعض لتجديد عهد اللقاء، ثم يعود الأمير النجل باليس والبركة". ولإبلاغ هذا الالتئام، قدم أيضاً الأميران سوتاي وتوقتيبور عدة مرات. وأخيراً تقرر أن تمتد دار يرل فيها كلا الجانبين مع عدة أشخاص من خواصه، ويقابل الواحد منهما الآخر. وفي ذلك اليوم تودد السلطان غازان إلى "قيجاق اعول" وشمله بمطعمه ورعايته، وحلج عليه، وأركبه جواده وأعاده. ثم تشاور مع الأمراء مورور ووريس وقتلج شاه فلم يروا المصلحة في هذا الاجتماع. كما أن المنجمين قالوا: "إنه يوم محس. فأرسل غازان "سوتاي" وتوقتيبور إلى يابغو ليقولا له "إن اليوم محس حسب قول المنجمين، وقد اقترب أيضاً وقت الليل، وعدك صباحاً سوف يقابل الواحد من الآخر ثم كلّف الأسيرين سورور وتوقتيبور بأن يقيما معه هذه الليلة، على أن يذهبا في الصباح إلى يابغو. وبعد ذلك يصرفان شئون الملك، ويسيران الجود. ثم رحل غازان ليلاً باليس والبركة بعد أن أوقفوا السيران في كافة البيوت، وسار في طريقه حتى إذا حلّ الصباح كان قد عبر نهر "سپهرود"، وانضم إلى المحصرة أمراء الجند الذين كانوا هناك. ثم خرج وسلك طريق "دبه منار"، وبات ليلته في زيجان.

وفي اليوم التالي أرسل غازان "كورتيبور" من "مسلم" إلى يابغو ويقول له: "لقد سرنا إلى ناحية دماوند، وتركنا هناك الأميرين مورور وتوقتيبور فيبقي أن تكون عند كلمتك فتسير الجود والخواصين، ونقسم أمر الملك بالمشاهدة". [ص ٢٩٣] ومن هناك مرّ غازان "بقوتقور أولنگ"، ووصل إلى موضع "كره رود" الذي يسميه المصوّل "ركان موران"

(١) كان يعمل سفيراً للعراق في بلاط إيران، وصنع بعتلة كبيرة بين المسلمين (انظر كتاب الفخر الإسلامي،

وهناك وصل إلى الحصرة "كشهر بحشى"، وأبلغه رسالة يابندو التى يقول فيها: "كان من المتوقع أن يجد عهد اللقاء، ونأتس لحظة بمجاورة الواحد منا الآخر. وحيث أن الأمير قد ارتحل فإن الصلاح يكون فى ذلك. والآن يبقى أن يبقى كل ما يوعده" فأعاد السلطان عاران "كشهر بحشى" بصحبة إبراهيم شكورجى (سكورجى) رسالة إلى يابندو يقول فيها: "يبقى أن نرى الأمور بأكملها مع مورور وتوقتيبور وكورتيمور، ونعهدهم فى أسرع وقت" ومن هناك توجه عاران إلى دماوند حيث أمضى الصيف.

وعندما رجع الأمراء: مورور وتوقتيبور وكورتيمور، ظهر أن يابندو قد أبدى اعتذاراً غير مقبولة فيما يتعلق بتصريف المهمات، وتفسير شئون الملك، وإرسال الخواتم والجنود، ولم يبق بما تعهد به مما أثار غضب عاران؛ فأمر بأن يذهب الأمراء جميعاً مع جودهم لإعطاء العلف وتسمى النوايا.

أما عى حال مورور ومن معه من الأمراء، فكان على هذا النحو عندما وصلوا إلى يابندو، واتسموا إليه أن يصدر مرسوماً بشأن البلاد والجنود والخواتم، توجس حيرة بسبب عودة السلطان عاران، فاعتقل رسله. ثم أرسل قو محبىال ودولادى وإلجيدى فى المقدمة لتعقب عاران، وتحرك هو نفسه فى اليوم التالى وفى يوم الأربعاء التاسع من رجب عبر عاران "سعيد رود". وفى يوم الجمعة الحادى عشر قدم "كورتيمور" رسالة وكان الأمراء يتبعون أثرهم حتى شرويان، ثم عادوا من هناك، واتصلوا بيابندو فى منطقة سجانس<sup>(١)</sup> ورحلوا فى يوم الاثنين الرابع عشر من رجب حتى ريوه شرويان ثم عادوا من هناك.

وأما عى يابندو فقد [ص ٢٩٤] تشاور مع الأمراء فيما يتعلق بالتصرف فى شأن نوروز وتوقتيبور، فأجابوا جميعاً: "لا يمكن أن نمسهما بموء". ما عدا "توكال" الذى كان يسعى فى إزاحة دم مورور؛ إذ قال عى هذا الصدد: "إن مورور هو الملجأ والظهير لعاران وإذن فقله يكون ضرورة لازمة". لكن طغاجار وأمراء آخرين لم يجبروا ذلك بسبب صلات

(١) سجانس أو سجانس بلدة تقع على بعد خمسة فراسخ غرب السلطانية، ويجاورها أكثر من مائة قرية أحب سكنتها من الملوك. وكان فى الجبل الجبلور لما قير أرغون محاد. وحرباً على عادة الملوك أعصى هذا القهر وكان الناس يملكون مشقة فى حوز تلك المنطقة إلى أن جاءت لولجاي حثرتى فأظهرت قهر أيتها وأقانت هناك حاقلة للفراروى. (برقة القلوب، ص ٦٩ ١٧ بلقاء الخلافة الشريفة، ص ٢٠٨)



القريبى والصداقة عماد تركال مهموماً لعدم الأخذ برأيه، ورحل إلى ولاية جورجيا "كرجستان" حيث موطنه، ولم يعد منها حتى حادث مقتل باينو وعن موقف طغاجار فظركاً للعلاء الذى يكنه له "توداجو" نمر من حكم باينو وكذلك الحال بالنسبة إلى "صنر الدين" ويرجع سبب ذلك إلى أن مصعب الوزارة لم يتيسر له عقد على باينو، وصار يحرص "نوروز" عليه، واتفق معه على مؤامرة عازان. كذلك أشار على سورور بأن يتظاهر بالموافقة على ما يراه باينو وأتباعه، وأن يهرم معهم عهداً على أى نحو يريدونه.

بعد ذلك شمل باينو "نوروز" بمعطفه. وأخيراً استقر الرأى على أن يعقد معه ميثاقاً يتعهد بموجبه بأن يرسل إليه عازان مقيلاً<sup>(١)</sup> وعلى هذا سمح باينو لسورور بالعودة، وخصه بمزيد من الرعاية والتكريم كذلك فوصت إمارة برد من قبل باينو إلى "سلطان شاه" مجل سورور، وحررت له حوالة على برد بعشرة آلاف دينار.

وهى يوم الثلاثاء الخامس عشر من رجب سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م أعادوا سورور ونوقتيصور والرسل الآخرين. وهى اليوم التالى عاد ايلجيدى الذى كان يتعقب عازان. ثم لوى باينو الناص، وسار صوب "سوعورلق" وفى يوم السبت التاسع عشر من رجب مرل فى موطنه الكبير يسوغورلوق. والسلام.

(١) يقول بيرس الفوائد فى كتابه ريدنة الفكرة فى تاريخ المجرى ج ٩، ص ٢٨٨ - ٢٨٩، تحقيق د. ريدنة محمد عطا للملكة العربية السعودية، بدون تاريخ "كنا اشتغل سورور من الأشراف الذين استسلموا، علم قازان بالمرحم، تنجهر نسو من عراسان، وبلغ باينو خبره فلجس عهدة منه، وذكر ذلك لسورور، فقال له أنا أكتيك لمره، وانفع عليك شره، وحتى وجهتى إليه نيت عتك حزيت، وهرلت جماعته وأرسلته إليك مربوطاً، فاستحلفه أنه لا يفرج عهده إلا ففعل من عهده ثم سرجه فصار إلى عراسان. وأخبر قازان بكل ما كان وغرجا مشاً لتقصه باينو وساراً طالعلى الأرندو وأرسل سورور به لندرك مربوطاً فى عهده. وقال "كند وجب بما قلت لك، وأرسلت قازان إليك مربوطاً بالوثاق، ولم أغير ما وقع به فقلتلك. غضب باينو لرسالة، وتنبه له مكره به من مقلته" انظر أيضاً الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين (أسرة جولاقو خان) ص ٢٣٨

## حكاية

### انفراج الصدر المبارك لسلطان الإسلام غازان بنور الإيمان واعتنقه الإسلام هو والأمراء بحضور الشيخ زاده صدر الدين إبراهيم بن حمويه الجويني دامت بركاته

عندما يكون الله تعالى وتقدس قد أراد من أول الأزل أن يخلق عبداً سعيداً، ويختصه بأنواع الثأيد، يجعل قابلية السعادة [ص ٢٩٥] في طيبته وجبلته محصورة ومركزة. وإن الألفاظ الدرية البوية الدالة على تحقيق هذا المص، وتصديق هذه الدعوى لدليل واضح وبرهان ساطع. "السعيد من سعد في بطن أمه"<sup>(١)</sup> وبعد ذلك يربيه مربى العناية الربانية في مهد التربية بيد العناية، ويوصله بالتفريج إلى مدارج الكمال، ويرشده بمرور الشهور إلى النظر في حقائق الأمور حتى يتأمل في أحوال الصور والمعاني، ويطلع بذلك على حقيقة كل شيء وبطلانه. وتتحول آثار سعادته من القوة إلى الفعل بفعل ذلك التدبر والتفكير ويتحقق ظهور كل ما تقتضيه سر الحكمة الإلهية القائمة عليه إرادة تلك السعادة، وفقاً لنص القرآن الكريم ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾<sup>(٢)</sup>

وبموجب هذه المقدمات، فإنه لما اقتضت عناية دى الجلال ومشية الأزل أن يتدارك الوهن والعتور اللذين قد تطرقا إلى أطراف المللة الإسلامية بتغلب الشهور والأعوام، وتعاقب الليالي والأيام على يد أحد خواص الصاد الذي يتولى حكم الأمصار والبلاد لذلك جعل ذات صفات غازان الملائكية مستعدة لتبصير أنوار الهداية والإلهام الرباني

---

(١) أخرجه البيهقي في المدخل والحرر في مسنده عن أبي هريرة. وجاء على هذا نحو "السعيد من سعد في بطن أمه" و"سفي من سعد في بطن أمه". وسند صحيح. وأخرجه الطبراني في الصغير متصديراً على "السعيد من سعد في بطن أمه" (كشف الحفاء وعزل الإلهاس عما اشتهر من الأحاديث على لسان الناس، تكميل إسحاق بن محمد المجلدوني الجرجاني، ج ١، ص ٤٨، حطب بطون تاريخ).

(٢) الآية بأصلها ﴿إنا كان على النبي من حرج فيما أمر الله له من الله في نفس مخلوق من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾ (سورة الأحزاب آية ٣٨).

ولما كان في أوائل طقوله يترى في رعاية جده الأعظم آياتاخان وكان ميالاً إلى طريقة الكهنة البوذيين، ومعتقداً معتقداتهم، عهد به إلى واحد أو اثنين من كبار الكهنة، وكنههما بأن يجدا في تعليمه إلى أقصى حد، وحثه على اقتباس مراسم طريقتيهما. وعلى هذا كانا بلازماته. ودالماً كانا يواظبان على تربيته في تلك الملة

ولكن الأمير السجل لمرط كياسته ودهائه وخطه دهنه وذكائه اطلع - في وقت قصير على عيوب تلك الطريقة "عُجْرها وُجْرها"<sup>(١)</sup>، ووقف على عوائص ودقائق أقوال تلك الطائفة وأعمالها وحرار درجة الكمال، بحث إنه صار متمقاً إلى درجة كبيرة في الطريقة البوذية<sup>(٢)</sup>.

غير أنه بتأثير العناية الأثرية، صار ينظر بمكره الناقب [ص ٢٩٦] ورأيه الصائب إلى أسرار البوذية كما كان يتأمل حقيقة الأديان والمثل؛ مسطمت ولملت أشعة أسرار الديانة الحميدة على ضميره المنير، وذلك بسبب فيص الإلهام الإلهي، وصار يظهر في خاطره العاطر الليل إلى هذه الملة الصحيحة.

ولكنه نظراً لتمكنه وتنشئه، ظل سائراً على تلك الطريقة البوذية. وكان في هذا الخيال متمكناً وثابتاً القدم. وبسبب غلوه في تلك العقيدة أقام معابد عالية للأصنام في "عجوشان" بحراسان. وكان يؤدي طقوسها بصورة جعلت جميع اللامات والرهبان متمعجين مذهشين من تلك الرياضات والشفقات. ومع هذا كان يجتهد إلى أقصى حد في البحث عن أسرار الحق، وتحقيق طرق الصواب إلى أن اجتمعوا يابلوا وكان الأمراء الحاضرون يرمون العهد والميثاق؛ فالمسلمون منهم كانوا يقسمون بالقرآن الكريم، على حين أن المول كانوا يقسمون بالذهب.

ولقد اعتمد نوروز هذه الفرصة، فعرض على عازان قوله: ماذا يحدث لو يقوى السلطان ملاد العالم الدين الإسلامي باعتناقه الإسلام والإيمان به؟ فرد عليه غاراد بقوله: إن هذه

(١) عُجْر وَجْر يقال عَجْره وَجْره وفي ذكر عيوبه ولغره كله ما أمضى منه وما أبدى. (المعجم الفوسيط ج ٢ ص ٥٨٥).

(٢) انظر دكتور طبريزي يائي (إسلامي منشور): دس وديولت در إيران عهد منول، جلد دوم، حكومت هيدائي سرد ميان دومرنگ، چاپ اول، ص ٤٤١ وما بعدها، تهران ١٣٧١ هـ ش.

الفكرة تحول مخاطر مد رمى. عندئذ أخرج مورور قطعة من الثعل للصقول النادر، وركع على ركبتيه وقال: "ولو أنه ليس للعبد سبيل إلى هذه الجرأة؛ بحيث يقدم هدايا لأبناء الملوك. ولكني أطمع في أن يتعطف السلطان على عبده، فيحفظ بهذه الهدية نفس عودتي من مهنتي ووصولي إلى الحضرة".

فلما قدم مورور وبقيّة الأمراء من لندن بانهدون أن يحجروا مهنتهم غضب السلطان وصار يهكر في تدارك الأمر. وما طرح مورور تلك القضية مرة ثانية بمحضور الشيخ زاده الأعظم صدر الدين إبراهيم ابن قطب الأولياء الشيخ سعد الدين حمويه - أعزه الله وقدهس نفسه - وكان بلازم السلطان في أغلب الأوقات، فيستمر معه عن الدين الإسلامي وحقائقه، ويتباحث معه في هذا الشأن، فيشرح صدره للإسلام<sup>(١)</sup>. ولقد كان نزول السكينة على صدره المبارك يقوى سطوع أنوار الإيمان في صدره، فيستوى عليه إمداد الهداية، فقال: "حقاً إن الإسلام [ص ٢٩٧] دين منين ومبين للعامة ويحتوى على كل العوائد الدينية. وإن معجزات - الرسول عليه الصلاة والسلام - مؤثرة في القلوب وباهرة وعلامات صحتها على صفحات النهر واضحة وظاهرة ولا شك أن المواظبة على أداء الترائص والواجبات والواصل تؤدي إلى الوصول إلى الحق. ولما عبادة الأصنام فإنها عديمة الجدوى، ويعيده كل البعد عن العقل والعلم. وعند أصحاب للرأى والكمالية يكون وضع الجبهة على الأرض أمام الحماد محض جهالة وحمقة، ويدنو أيضاً من وجهه نظر الحق - أمراً مكروهاً أمام الإنسان الذي هو سيد المروح والعقل. ولا يوجد أي إنسان كامل برصبي أن يصعب جبهته على الأرض أمام المصم. وعلى وجه الصديق، فإن صورة الصم تليق بعثة الباب، يطرؤها الناس بلقدهم دون مشقة. ثم إن اتفاق كافة الناس على الإسلام وإنكار عبادة الأوثان، أمر مقطوع به، وليس فيه مجال للتأويل.

وصورة القول فإن عبارات حان نطق بكلمة التوحيد في أوائل شعبان سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م بمحضور "الشيخ زاده صدر الدين إبراهيم بن حمويه"<sup>(٢)</sup>، ومعه كافة الأمراء وبهذه

(١) الآية القرآنية ﴿من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كلما يعتقده في السوء كذلك يجعل الله الرجس على الذي لا يؤمن﴾ (سورة الأنعام، آية ١٢٥)

(٢) هو الشيخ المصري فرامد والإمام الجليل صدر الدين أبو الجهم إبراهيم ابن الشيخ سعد الدين محمد بن المؤيد بن أبي بكر بن حمويه الجوهري الشافعي ولد سنة ٦٤٤هـ في أميل بطرستان، وتعلم على أكثر علماء عصره. وقد =

صار الجميع مسلمين. ولقد أقيمت الولائم والأفراح، واشتغل الحاضرون بالعبادة وشمل غاران برعايته جماعة السانبات والأئمة والمشايخ، وأجرى عليهم الإندرات والصدقات وبما يتعلق بتعمير المساجد والمدارس والخوانق وأبواب البر، بالغ في إصدار الأحكام المتعلقة بهذه المؤسسات. وعندما حلّ شهر رمضان، صار مشغولاً بالطاعة والعبادة مع طائفة الأئمة والمشايخ.

ولا يخفى على كافة العقلاء أن إسلام وإيمان سلطان الإسلام غازان خان إنما كان عن صدق وإخلاص، ومبرماً من شوائب الرياء والرعونة، وصافياً خالصاً إذ إنه لا يتصور أن يكون هناك إجبار وإلزام في اعتناقه الإسلام مع وجود عظمة السلطان وشوكة، وكمال القدرة على إبرام الأمور وتنفيذها. ومن المسلم به أنه في حالة عدم الاحتياج وعسر الاستعانة لا يمكن أن يكون هناك رياء ومراء. والله للوفيق.

---

رحل في طلب العلم والحديث إلى الهند من البلاد وفلسن العربية والإسلامية وفي سنة ٦٧١هـ تخرج من إحدى بناك للزورج القفري عطا ملك الجويني. وعلى يده أسلم السلطان غازان في سنة ٦٩٤هـ. ومال حظوة كبيرة في بلاط هذا السلطان. وقد تولى هذا العالم الجليل في سنة ٧٢٢هـ. ودفن في "قبر آباده" إحدى قرى جوين. انظر كتاب شه الأزر في خط الأزر عن روض القرار، تأليف محسن الدين أبي القاسم جند شيرازی، بتصحيح وتحشيف محمد ترويني ومحسن إقبال، ص ٢٧١ - ٢٧٢، حاشية ٧، طهران ١٣٢٨هـ. الشرف الإسلامي، ص ٢٥٠، ٢٥١، حقه ٣٦.

## توجه الرائيات المباركة لسلطان الإسلام إلى بايندو للمرة الثانية وخضوع أمرائه

بعد أن نطق غازان بكلمة التوحيد، وتبعه جمهور الأمراء [ص ٢٩٨] وأعلنوا إسلامهم، وصاروا مشغولين بالعبادة، قدم رسولاً بايندو: المدعو "قنلغ شاه"<sup>(١)</sup>، وطبع المشايخ "محمود"، فحدثنا عن كل أنواع الكلام عنه وسببه. وقد اغتتم الشيخ محمود الفرصة وعرض كلام الأمراء الذين في معية بايندو وقلوبهم مع غازان، وأبلغ رسالة كل منهم، وأخذ عليها الجواب مختوماً بالختم الذهبي. وفي اليوم الثالث أدن غازان للرسول بالإنصراف. ولما عاد الشيخ محمود، وأبلغ تلك الجماعة الإجابة المختومة بالختم الذهبي عقدوا البية على بصرة سلطان الإسلام، وانفتحت كلمتهم على الإخلاص له.

كذلك لأن "صدر الدين الرجائي" لم يبلغ غايته في عهد بايندو وذلك بسبب إسماعيل مصب الوزارة لجمال الدين المستجرداني، صار هو الآخر يمرض طعاجار على الخالعة والمساواة. ولهذا كان بايندو وأتباعه يتشكون مكائدها فشملوه برعايتهم الثامنة، ومحوه العرمان والبايرة، وغيوه حاكمًا على بلاد الروم. فلما اجتاز حدود "هشتروند"<sup>(٢)</sup> تفرغ بإحدى الحجج، وأرسل إلى تبرير أهله وأتباعه مع الأمير "باغلاقو" الذي كان في صحبته. ثم ذهب بنفسه إلى "سراو" بحجة أنه يريد قرضًا، وعرج من ذلك الطريق على "جبلان" ومن سوغورلوق عقد عزمه على التوجه إلى قزوین لإحطار أخيه قطب الدين بثلث الفكرة فخرج هو الآخر من المدينة متفرغًا بإحدى الحجج. ثم توجه إلى جبلان، وانضم إلى أخيه وذهب معًا إلى سلطان الإسلام غازان خان. وفي فيروزكوه تشرفا بتقيل الأرض بين يدي غازان، وبمحمود الأمير نوروز الذي كان قد قدم من خراسان منذ وقت قريب. وقد ذكر الأخوان أقوالاً مرصية نقلًا عن لسان طعاجار.

(١) "قنلغ شاه" هنا شخص آخر يحمل نفس اسم "قنلغ شاه" أحد أمراء غازان ولقد قوته للسلطة

(٢) هشتروند (الأنهار الشمالية) خرجها الجبال شرق مرانده ذات شبي وثلاثين طائلاً (بلدان الحفلة القديمة، ص ٢٠٤).

ولما كان مورور قد شمل برعايته جوده، وهياهم للقتال، أمر عازان بمشد كافة الجيوش. وقد جرت تلك الأحوال في شهر شوال. ولأن باهلو كان خائفاً حلقاً، أرسل "قتلغ شاه" مرة أخرى بالفرار نحو؛ غير أن سلطان الإسلام [ص ٢٢٩] - بمرط كياسته - عرف أن الأمر لا يخلو من كيد ومكر؛ فأمر بتعريضه، وبصره بالعصي والمراوات وبهدد تفحص منه حقيقة الأحوال. إذ راح يشرح كل أحوال باهلو وأمراته وجوده وتفكيرهم في إثارة الدسائس والفتن وتلئس العيوب. ثم أضاف قائلاً: لقد أرسلوني حتى أعلم إن كنتم ترون الرحف لو لا، فأمر عازان بتقييده وسجنه في قلعة استوبابيد بهلرود.

وفي يوم الجمعة منتصف شوال توجه عازان باليس والبركة صوب الري، وسار الأميران نورور وقطلع شاه في المقدمة، وصار مورور حرمياً على عادته. يذهب الأبناء عن كثرة جود عازان. وعندما وصل سلطان الإسلام إلى "بهلرود"، فر من باهلو الأمير جويان وقوروشى غور كان بن علياق، وانصبا إلى الحصرة، فسر سلطان الإسلام سروراً شديداً بوصولهما، واعتبر ذلك فائلاً ميموناً، وأكرمهما إكراماً بالفا، ومنح كلاهما قباء وقنسوة ومعلقة (حراماً) مرصعة ثم تحرك من هناك، ونزل عند وادي نهر "قووه" وأنقام عدة أيام. وقد انتهر الأميران جويان وقوروشى هذه الفرصة فقالا: لو يتعطف علينا سلطان الإسلام فسوف نرحل ونسير في المقدمة مع الأميرين الكبيرين نورور وقطلع شاه؛ فادن لهما بذلك وانصبا إليهما.

بعد ذلك ترك سلطان الإسلام عازان حاك ووجهه بولوعان الخراسانية هناك، وسار عقب الأمراء. وعندما وصل إلى آمد حولجه قزوين، قدم "أرعا بيتكجي" أحو بوعداى احتياجي من قبل نورور، وأعلى أن الأميرين طغاجار وبوعداى انفصلا عن باهلو وأنها يفصلان حضرة سلطان الإسلام. وقد انصبا إلى نورور. ثم سار السلطان من هناك عن طريق "سجاس" حيث وصل إلى خدمته الأمير الشجل خريده والأمير الشجل "البلدار". وعندما قدم غازان إلى بهستان على صمصام "سپهرود"، وصل إلى الحضرة الأمراء دولاداي ابداجي والشمور بن هلوغور مع طائفة أخرى. ثم رحل من هناك، ونزل "بيور آغاج" في انتظار [ص ٢٣٠] نورور وقطلع شاه اللذين خرجا إلى "نخجوان" و"لرس" يتعقبان باهلو وتوكل.

وبعد ذلك قدم غازان إلى أوجان، ووصل من قتل موروز وقتلغ شاه الأمير "بامجار" يعني أن بامندو قد أسر، وسبق من ناحية نخجوان إلى تبريز وهو يقول أريد أن أتحدث إلى السلطان بكلمة أو كلمتين. فما هو الرأي؟ غير أن السلطان قد عرف بمراسته أنه ليس لدى بامندو كلام معيد بقوله، وبما يبحث عن حجة يتدبر بها. وعلى هذا صدر الأمر بعدم إحضاره إلى المحصرة والخلاص منه هناك. وكانوا قد أخرجوه من تبريز، ووصلوا به إلى "بام بيكش" حيث أنهوا حياته في يوم الأربعاء الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م.

وعلى أثر ذلك، بعد حكم المرسوم الذي يقضى بتخريب كل معابد اليهوديين ودور الأصنام والكنائس والبيع في دار الملك تبريز وبغداد وسائر بلاد الإسلام. وقد شكر المسلمون الله تعالى شكرًا كثيرًا على هذا النعم المنيء لأن أهل الأزمان السالمة لم يالوا تلك الأمانة.

بعد ذلك عقد سلطان الإسلام الحرم على السير إلى دار الملك تبريز، فاستقله صدر الدين الرجباني الذي كان قد ذهب إلى المدينة لتدبير المصالح، ثم سار حتى بلغ "كندرو"، وكان يريد أن يطلق الناس على منزله وجعله، فصار يتعالى وينفطرس إلى حد الوقاحة. وكان يتحدث وهو عبي صهوة جواده وفي ذلك اليوم كانت النتيجة للأمر مولاي، فقال لصدر الدين الزجاني: ليس هذا السلوك هو سبيلك! فلا تتجاسر، والزم حدك". ولكن صدر الدين لم يعبأ به؛ فصره مولاي بالسوط عدة مرات على رأسه، وأقصاه عنه. ولهذا السبب ولأسباب أخرى انشط شأن صدر الدين.

وفي يوم الأربعاء الثالث والعشرين من ذي القعدة نزل سلطان الإسلام في عظمة ثامة بظاهر تبريز في السراي المبارك "بشم".

وبموجب فرمان أعدم المجهضين قوشجي دون محاكمة، وأعطى السلطان بولوغان الحراسانية ما يملكه. وبعد ذلك وصل موروز وقتلغ شاه وقدمت من "سوقورلوق" بولوغان خاتون والخواتين الأخريات. وفي جوسق المعادلة أقيمت الولائم والاحتفالات، وحقق مع فتحيبال وجيجك، وقتل قويعقال قصاصًا لدم آقوقا [ص ٢٠٩] ثم أسرع غازان من هناك إلى "قراتب"، وصرب جيجال بالمرلوة وأطلق سراح توداجو، وأرسل الأمير "نوريس"



على رأس جيش إلى غراسان ومارندران، ثم عاد إلى تبريز حيث وجّه هذا النداء ومضمونه أن على الجميع أن يراعوا مسلكهم، ولا يظلم بعضهم بعضاً، ولا يثيروا الفتنة والفساد، ولا يعطوا دافعاً دهنياً قط لأى مخلوق بنون حوالة مختومة بالختم النهي.

بذلك نال العالم والعالمين بهصل عدل سلطان الإسلام وميامن إنصافه الثرية والنظام والراحة التامة، ولججت ألسنة القريب والبعيد والترك والتاتريك<sup>(١)</sup> بالدعاء للدولة الممتدة أمانها، وتصيركا من الشكر لئلا هذه الموهبة العدة قدموا صفقات لا حد لها. ومن وراء حجاب الغيب، صاح هاتم الإقبال وقال:

(بیت فارسی فی الأصل ترجمته)

كان ملك العالم قد بنى بغير سلطان ورئیس

أما الآن وجاء سلطان جليل بأن يزين رأسه

بعد ذلك أرسل السلطان من تبريز الأمير مولای للإمارة والحكم في ديار بكر وديار ربيعة، ورعى الأمير موروز رعاية تامة، وأصدر مرسوماً يصح على أب تعوض إليه الوزارة لجميع الرعايا. وهو يقيم الآن في تبريز، ويصرف مصالح الناس ثم يجيء عقب ذلك إلى أركان

وفي يوم الإثنين ٦ من ذي الحجة سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م تحرك عاززان غان من دار الملك تبريز قاصداً مشتي "أران" وفي ماحية تبريز تزوج من بولوغان حاتون رواجاً شرعياً رغم أنها كانت صبيحة والده أرغون خان. ولكن حيث أن السرواج كان قد تم مع اختلاف الهدية في ذلك الوقت، وأن السلطان والحاتون في الوقت الحاضر، كلاهما على دين الإسلام، فإن هذا النكاح يعتبر نكاحاً صحيحاً شرعاً<sup>(٢)</sup>.

(١) كان الإيرانيون يؤمنون أن أطلق هذه الكلمة على العرب، ثم انتقلت إلى الصينيين، ويحصل أن يكون قد وصلت إلى الترك. ومن المعلوم أن دلالة هذه الكلمة قد تغيرت شيئاً على المثلث الحادي عشر ليلالاي كانت تطلق على غير العرب وربما على الإيرانيين. وأغلب الظن أن الأتراك أطلقوها على كل للشعوب إلى الديانة الإسلامية. ثم بعد ذلك على الإيرانيين خاصة، لأن الأتراك أكثرهم يعرفونهم أكثر من غيرهم من المسلمين. (انظر تاريخ الترك في آسيا الوسطى، تأليف المستشرق الروسي، و. بارتولد، ترجمة عبد الكريم السعيد سليمان، ص ٣٨، القاهرة ١٩٥٨م).

(٢) بخصوص رواج عاززان من بولوغان حاتون يقول في حبر الصفقاتي عن غزاري "فما أسلم قبل له إن دين الإسلام يحرم نكاح ساء الآباء، وكان قد استضاف ساء إليه إلى ساءه. وكان أجبر إليه بلوغان حاتون، وهي أكرم

وقد رف عليها باليمن والسعادة وجرياً على المعهود والعتاد أتيحت الأولائم والأفراح،  
وأظهروا البهاج والمسرات. ثم خرجوا إلى طريق "عمرويشكين"، واتجهوا إلى موغان، ومرل  
الموكب عند (أبو بكر آباد) بموضع "بول حسرو".

وبعد أسبوعين مال مورور التشرف بالحضرة، واجتمع في "قراهاغ" من أراي كافة  
الخنوايس والأمراء والأعمال والأمراء وأركان الدولة وأعيان الحضرة، واتفقوا جميعاً على تولية  
سليطان الإسلام الحكيم بلا رياء وبفاق، وحرروا مهنهم بقراراً مكتوباً شاهداً على ذلك.  
وقد احتاروا لجلوسه المبارك [ص ٣٠٢] يوم الأحد الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة  
١٢٩٤ هـ / ١٢٩٤ م الموافق الثالث والعشرين من شهر طوقسوج آي، فوبس بيل، وأجلسوا  
سليطان الإسلام على عرش الحامية بالطلع للمسعود. وقد ركن كافة الخنوايس والأمراء الأعمال  
والأمراء كل في مكانه وأداروا الكوس، وهأوا العالم بجلوسه المبارك وقالوا:

(بيت من الشعر الفارسي في الأصل ترجمته)

اسمح بنفسك واجتهد لأن الروح العالمية

مرتبطة بتلك الروح العزيرة التي سلكها أنت

---

حسبنا إليه، منهم أن يرشد من الإسلاماً فقال له بعض خواصه إن أبائك كان كسفاً  
ولم يكن يلدان معه في عهد مكاح صحيح، إما كان مسلماً بها، فاعقد أب عليها، فإنها تحمل ليلك  
تفضل ولو لا ذلك لأرشد من الإسلام واستحسن ذلك من الذي أقصد به فهدد الصلحة  
(القدر المكتبة ج ٣، ص ٢١٣، حيد ليلك قد كن، ١٣٥٠هـ)

## حكاية

### بدء تنظيم شئون الجيش والبلاد بأمر سلطان الإسلام بعد جلوسه المبارك

بعد إقامة مراسم الأفراح والأنس، اتجه رأى عازين - الذى هو زينة للممالك - إلى ضبط وتنظيم شئون المملكة وفى الأربعماء سلخ دى الجمعة سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م، أرسل الأمير طغاجار ليتولى إمارة الروم وحمايتها؛ وذلك لأنه رجل سريع التقلب. ومن المصلحة أن يكون بعيداً عن الحصرة. وفى يوم الجمعة سلخ المحرم سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م قدم الرسل من خراسان، وأخبروا أن الأميرين "دوا" و"ساربان" ابسى "قاهنو" انتهرا عرصة عياب الرابات السلطانية، ودخلا خراسان ومازمدران، وشرعا فى الذهب والذهب، فتشاور سلطان الإسلام مع الأمراء، واستقر رأى على أن يسير الأميران سوكا وبورور للقضاء عليهما. غير أن سوكا ذهب إلى دياره. ومهما حاولوا استدعاه كان لا يستجيب متعللاً بشئ الأعداء وأخيراً أرسل سلطان الإسلام "هورقدناق" لاستدعائه. ونحت وطأة السكر تفوه بعدة كلمات مثيرة للفتنة؛ فأوصلوا تلك الحكاية إلى السمع الأشرف؛ غير أن عازين لم يلتفت إلى ذلك لمرط ثباته ووقاره [ص ٣٠٣] وعندما وصل سوكا إلى الحصرة شمله عازان برعايته التامة وعينه على خراسان، وسير معه من أمراء التومان "بارولان" بن الخواجه بن يسور بوبان من قبيلة أولقونبوت، وكذلك أرسلان أغول من أعتقاد "جوجى قسار"، وأرسل فى الطليعة بورور وهورقدناق فى خدمة الأمير طاجار أغول، وعين للقيادة حاجى نارين أبا بورور واستلمش من أتباعه المقتضى.

وفى يوم الجمعة ٢١ من صفر غادر بورور وهورقدناق للمسكر. وفى يوم الإثنين ٢٤ من صفر سارا عن طريق العراق، وفجأة وصل نيا يفيد أن طرقاى گوركان أمير أويرات الذى كان فى ديار بكر، وتلك الساحية عزم على السير إلى ديار الشام مع الأميرين يسوتاي بن طاشنكو قوشجى وكوكتاي بهادر مع أهلهم وعتاعهم وأتباعهم من كتائب الأويرات عركب الأمير مولاي لمتهم، لكنهم هزموا ورحلوا وفى آخر ربيع الأول، وصل خير يفيد بأن "المدار" هرب مع ثلاثمائة فارس، فسار إليه شادى بن بوقور وأبوه بك أخو أشك

توغلي مع ثلاثة آلاف رجل، وحاربوه وانصروا عليه. وقد ظل محصيًا مدة في منطقة أرون الروم. وفي النهاية انتقلوه في إحدى القرى، وقتله إقبال بن لورغوتو بن إهلكاي بويك وكذلك في يوم الخميس العشرين من رجب قتل يسوتاي بن طاشمكو قوشجي الذي كان قد أنار العنق في ديار بكر. وفي السادس من ربيع الآخر أعدم بولارعي فتاي شكورجي الذي كان متصامًا في آخر عهد أرغون مع الأمراء الكثيرين للفتنة، وحتى يوم مقتله كان له دخل في كل ما حدث من قتال. والسلام

## حكاية

# شروع سوکا وبارولا فی المخالفة والتمرد ووضوح ذلك وتوجه الجيش للقضاء عليهما ومآل ذلك الحال

لما سار سوکا وبارولا من أربل تشاورا كثيراً مع الجود، فقالوا جميعاً: إنهم يرسلونا إلى حراسان كي يتقاسوا ساءاً وأطعماً ويزرعوهم على جود خراسان وعقب التشاور اتفقوا على أن يتخلصوا من نورور أولاً. وبعد ذلك يتلصقوا بالمسكرات، ثم يخلصوا سوکا على العرش وقد جرى هذا التدبير في موضع "كره رود" الذي يسمونه "تركان موراد".

لما علم نورور بذلك المأزفة داهم سوکا وقت الضحى، وقتل الطرفان قتالاً شديداً فقتل "بارولا" أولاً في تلك المعركة وهرب سوکا، واتجه إلى خرقان<sup>(١)</sup> وسأوه<sup>(٢)</sup>، فتعقبه هورقداق مع كوكبة من العرسان، وتم اعتقاله في ناحية خرقان، ثم جاءوا به إلى موضع "سركوی ری". فقال هورقداق لساتي بن لادای الذي كان متآمراً معهم: "أنت أنت سوکا". فذهب إلى السراشق كي يقطعه جريماً على العادة المكتبة في قتل أباء الملوك. ولكن سوکای طمس ساتي بمدينة في بطنه، فأرداه قتيلاً. عطفه دخل المدعو باتيمور من اتباع هورقداق، فانتزع المدينة من يده وأجهر عليه.

في ذلك الوقت كان سلطان الإسلام قد اعتزم صيد نوع من الأسماك اسمه "آق باق" من موضع "آبی بکر آباد". وفي الثامن من ربيع الآخر، قدم "ساتلمش كلجی" من قبل نورور وأبلغ غاران وهو في موضع الصيد نبأ صرد سوکا. وفي تلك اللحظة عاد

---

(١) خرقان: تقع على بعد أربعة فراسخ من بسطام في الطريق المذهب إلى استراباد وكان لها شأن كبير في الثامن السابعة والثامنة (ثلاثة عشرة والرابعة عشرة) ومولاًها طيب ومولاًها كثير ولها قبر قبل أبي الحسن المرقتي (بلدان الحلالمة الفرعية، ص ١٠٠).

(٢) سأوه: مدينة حسنة بن الری وهرمان، ويقربها مدينة يقال لها توه وسأوه مدينة شافيه، ونسبة إليها ساری وساروی. أما توه فأهلها شعبة إمانيه، وبينها نحو مرسى. وكان بها دار كتب كثيرة. وقد سب إليها طائفة من أهل العلم (معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧٩).

سلطان الإسلام، ويزل على حافة سد "متكو تيمور" [ص ٢٠٥] وكان في حصرة عاران الأميران قتلغ شاه وساتلمش. وفي الصباح أصدر غاران قراراً يقتضى باعتقال ابس بن قونقورتاي وقورمشي أخيه بارولا إذ كان لهما دخل في المؤامرة التي دبرها سوكا. وبعد المحاكمة قتل ابس تيمور و"جريك مغول" الذي كان أميراً على معسكره وكذلك قورمشي.

وقد اتفق الأمراء قتلغ شاه وجويان وساتلمش وسوتاي وإيلباسميش على تعبئة الجيوش. وفي أثناء ذلك وصل ياساميش أمير مولاييد من خراسان، وأخبر أن "نوروز" قتل سوكا<sup>(١)</sup> وبارولا، وأن الأمير "نوريس" اعتقل جيجاك ودولاداي في خراسان، وأن الأمور تسير وفق المراد، وهزم أغلب طائفة الأمراء. لما الجماعة التي بقيت فقد نصبت أرسلان أعول رئيساً لها، ثم قدموا إلى يلسوار<sup>(٢)</sup>، ومن هناك ساروا إلى جهة ساري المصورية، وقرية بايي (دبه بايي)، وأنقاموا بهما. وفي الحال كلف سلطان الإسلام الأمراء جويان وسولاميش وقورمشي وطغريلجيه وتايان وإيلباسميش بالسير بمجدهم للقضاء عليهم، هالتحموا في منطقة ييلقان<sup>(٣)</sup>، وحاصروا حرماً حامية وكان مع أرسلان أعول من الأمراء تولك ابن عم أوجان الذي كان أمير السلاح، وأبيه بك بن أشك توغلي من الجلائر وغران بن طايكو بهادر وموسى ترخان وسركيس بن مارين أحمد. وكانت هم العلية في ذلك اليوم. وقد أصيب من جودما طغر بلجيه بجرح بالغ؛ كاد يسقطه على الأرض، فرعاه قورمشي بن عيساق (ص ٣٠٦) ثم سار هورقوداي وباريم مع ألفي جندي لئلا حيشنا، ووقف الجيشان كل في مواجهة الآخر؛ غير أن جود الأعداء استسلموا وأعلنوا خضوعهم دون قتال، وبذلك لحقت الهزيمة بأمرائهم.

بعد ذلك عاد هورقوداي، واعتقل سركيس، وأحضره معه.

(١) ذكر النورج أن الذي قتل سوكا هو تيمور أحد أتباع هورقوداي

(٢) يلسوار تقع في سهل موغان. يقال إنها سميت بهذا الاسم نسبة إلى الأمير "يله سوار" الذي ولاه بنو بويه عليها.

ومضى اسمه "قمارس القصيد" (بغداد الحلافة الشرقية، ص ٢١٠)

(٣) ييلقان، مدينة قرب المدينة الذي يقال له باب الأبواب. تعد في أراضي الكري قرية من شروان. وقد عليها قوم

من لعلل أنان (مجمع البلدان، ج ١، ص ٢٣٢).

كذلك قام الأمراء الآخرون بتعقب المهزمين، واعتقلوا "تولك"، وأحضره معهم، ثم أعدوه مع سركيس. وفي يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م اعتقلوا أرسلان أعزل، وأحضره معهم ثم أعدوه. وعقب ذلك غلصوا أيضاً من غزان بن طاجمور بهادر.

وفي تلك الأيام اعتقل صدر الدين الزنجاني، وطالبوه بالأموال التي كان قد سجلها عليه جمال الدين الدستجرجاني<sup>(١)</sup>، ولكن محته بولوغان خاتون، وبما بشماعتها. ثم انتقل إلى معسكر قوتول. وفي يوم الخميس السابع من جمادى الآخرة، عزم غازان على زيارة الشيخ إبراهيم الزاهد. وبعد يومين قدم إلى المعسكر، وأرسل الأمير "هورقوداي" ليكون أميراً على إقليم فارس، وعهد إلى "باسامشي" بتصرف الشؤون وجمع الأموال.

وفي تلك السنة وقعت حرب بين نوقة ملك "أولوس" الفهجاقي وموقاي بن ثاتار، فقتل موقاي، وتفرق أتباعه، فقلعت إلى حصرة سلطان الإسلام "حبي خاتون" زوجة موقاي و"توري" ابنه الأصغر، وطلبوا المساعدة والمند قصاصاً لدم موقاي، فصار سلطان الإسلام يعطيهم حائلهما بلطفه، ويهديهم من روعهما. وفي ليلة الأربعاء السادس والعشرين من رجب روج سلطان الإسلام أخته "تولجاتيمور" [ص ٢٠٧] من الأمير قتلغ شاه، وكانت قبل ذلك زوجة لتوكال.

ولما كان وجود "طعاجار" أساساً للفن والفساد، وكان سلطان الإسلام يرغب في أن يقضي نهائياً على مصادر الفن، أرسل الأمير "حرمجي" في ذلك الشتاء إلى الروم كى يتفق مع يائو وعرب وأمراء جيش الروم على الخلاص من طعاجار. وعليهم أن يبادروا أولاً بتسليمه اليرليغ (الرسوم) الذي يتحصن استمالته والتودد إليه، ثم يتجهون الفرصة لقتله في السر حسب الأمر الصادر إليهم. ومع أن سلطان الإسلام لم يكن يميل إلى القضاء عليه؛ إلا أن مصلحة الملك وإدارة شؤنه حثت عليه اتخاذ هذا القرار. وفي تلك القصبة قال السلطان غازان للمقربين إليه: حدث في قديم الأيام في ولاية الخطا أن ملكي تجاربا فابهرم أحدهما، وتفرقت جوده، وحصار الجتود المتصورون بتعقبون المهزمين عدة أيام، حتى أدرك أحد الأمراء ذلك الملك المهزم. ولما كان هذا الملك في عاية السجز والصعب أشفق عليه

(١) انظر التفضيلات في كتاب الشرق الإسلامي ص ٢٢٠ - ٢٢١

الأمير، وأراد أن يخلصه، فصاحه حتى وصل به إلى بره في تلك المنطقة، وقال له: انزل في هذه البر حتى لا يراك جنودنا. ولما وصلت طائفة الجند المنصورين لم يستطيعوا العثور عليه لأن المنطقة كانت رملية، وثارت للرياح فمحت آثار الأقدام. فقال لهم ذلك الأمير: "إن الطريق ليس واضحاً، ولا يعلم إلى أية ناحية ذهب الملك وقد يمضي في طريق، ونحن نسلك مائة طريق. وإذن فكيف يمكن العثور عليه؟". الأول أن نعود. فرجعوا جميعاً. ثم خرج ذلك الملك من البر، وعاد إلى مملكته، وجمع جيشاً بالتسريح والثاني وعاد إلى شن الحرب مرة أخرى، واتصر على ذلك الملك الذي كان قد تطلب عليه في المرة السابقة وقتله واستولى على مملكته، وحصل الأمير الذي كان سبب نجاته - بأنواع الرعاية والتكريم وصار مقرباً إليه للعامة، وفوض إليه الإمارة الكبرى والنيابة المطلقة.

وكانت يوم قال أحد الأمراء للملك. إن هذا الشخص تكرر لحقوق مملكته، ولم يكن وفياً له، وكان هو السبب في هلاكه ووصولك إلى الحكم. فكيف يمكن تركه حياً؟ إنه عن قريب سوف يعكر في العرش بك. [ص ٨ + ٣] وكان الملك غاية في الذكاء، فاستمع لذلك الكلام، وأشار بقتل متفد؛ فصرح بذلك الأمير قاتلاً: إن لي عليك حقوق إيتادك والمحافظة على حياتك. فيكي الملك، وقال: إن الحق معك، وأنا لا أرفض عن فتلك مطلقاً ولكن لا معر من رعاية مصلحة الملك والحكم. ومن اللازم أن تقتل. ثم قتله وهو يكي.

وهكذا فإن شأن ضبط الأمور يمرى على هذا النمط. ورسم أن قتل شخص من الأشخاص أمر صعب على جد، فإنه إذا لم تراع السياسة والحزم في المحافظة على انفصائها الكلية والجبرية، فإنه لا يمكن تدبير الملك.

وجملة القول أن سلطان الإسلام ركب في أول الربيع من "بيلسوار" قاصداً دار الملك تبريز، وبرز بالهمس والبركة في سراي "شم تبريز" وفي السابع والعشرين من رجب قبح على أنه بك، وأحصر إلى تبريز. وفي يوم السبت التاسع والعشرين، قتل في الميدان هناك. وفي يوم الأربعاء العاشر من شعبان وصل الأمير "إلادو" من خراسان، وعرض أحوال ذلك الإقليم كما هي ثم عادر سلطان الإسلام تبريز إلى ناحية "مرغزار صان" الواقعة بين سربو وأردبيل. وفي يوم الأربعاء السابع عشر من شعبان عقدوا مجلس الشورى (القول الثاني) في تلك المنطقة، وانقص المجلس في التاسع عشر. والسلام



## حكاية

### أحوال نورين آقا وكراهية الأمير نوروز إياه وبعد اختلال وضع نوروز

كان نورين آقا من قبيلة قيات وكان بالنسبة إلى غارات شخصاً موثقاً به محترماً لديه وموضع اعتماده المطلق، وعزم أسراه. وكانت له سلطة كبيرة في خراسان وماربندان. وكان "أويرتاي" أخو نوروز تابعاً له واعتماداً على عظمة محمد نورين، كان لا يعبأ كثيراً بأويرتاي، فكان هذا يشكوه إلى أخيه نوروزاً فيقول بذلك الكثير والعور. ثم إن "نوروز" عندما وصل إلى منطقة خراسان [ص ٣٠٩] لرجع سبب تطلب المتمردين وسيطرتهم إلى تقصير نورين، وكان يفتابه بكلمات لادعة مرعجة في حضور أتباعه وغيابهم. وعندما وصل الإنسان إلى جرجان، كان كل منهما متأثراً من صاحبه. ثم وصل الأمير الجبل "طايجو" من طريق "تشيته"، فقال له نوروز مدحوراً بدافع العصب والتهور "لقد أمرت أن أسائل نورين. كيف ترك المتمردين يدخلون هذه البلاد دون أكثرات؟! والآن أسأل هذا السؤال بمحضور الأمير طايجو. فتصابق مع الجميع، واستكروا مع هذا الكلام

وكان أول حلل تطرق إلى وضع نوروز بسبب ذلك العاد والدجاج ثم قدم من هناك إلى حيوشان، واستعرض الجنود بعد ذلك قدم رسول من الطليعة يبيّن أن المتمردين قد شوهوا في مرج رادكان (مرعزار رادگان)، عسار إليهم نوروز للفصاء عليهم، ولكن عندما تخصص الأمر اتضح أن الخبر كان كذبة. ثم تشاور مع الأمراء في مشهد طوس قائلاً: "سوف أتحرك إلى مدينة هراة بأربعة آلاف فارس حتى أقف بعنق على أحوال العصاة ثم سار على هذا الحرم في السابع عشر من رجب، ولرسل غازان الأمير الجبل طايجو والأمير نورين إلى رادكان.

وفي يوم الخامس والعشرين من رجب عاد نوروز وزل في معسكر طايجو، وقال دون أن يعمل عملاً أو يبدل جهداً: سمعت أن روجي مريضة، وسوف أذهب إلى حضرة سلطان الإسلام، فاعتصموا أتمم بشتون الجيش وإعدادة؛ وذلك لحين وصولي. ثم سار على الفور قاصداً أذربيجان، وأعمل شئون خراسان وجيشها. كذلك سار عقب نوروز المدبوس الذي كان السلطان غازان قد أرسلهم معه، ليكفوا في مقدمة الجيش وقت الحرب.

وعندما عاد نورور، صار جمود خراسان يذيعون إشاعات كل يوم، فتطرقوا إلى هذا السبب إلى حد أنهم رحلوا جميعاً. وكان المدعو "سوم" أمير هراره<sup>(١)</sup> هو أول من هرب مع أربعمائة من رجاله، وعاد إلى حدود أردبيل<sup>(٢)</sup> حيث موطنه الأصلي. فلما سمع نورور في شروهار خبر فرار "سوم" ورجاله، ركب إلى سرقة دون أن يخبر سلطان الإسلام بذلك وهاجم ديارهم، وأرسل بهم الأصرار وعرضهم للمشقات. [ص ٣١٠] فأتى سلطان الإسلام بسبب رجوع نورور، وأرسل إليه رسولا يقول له: "عند أبي قواهدك". فرد قائلا: إن زوجتي الأميرة "طوعان" مريضة، فكيف يمكن أن أعود دون أن أراها؟.. فكان هذا الامتناع أيضاً سبباً في تعثر غازان عليه.

وفي يوم الحادي والعشرين من شعبان سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م قدم نورور إلى حضرة سلطان الإسلام، فاحتصر بالإعرار والاحترام. ثم جاء سلطان الإسلام إلى "لوجان". وفي يوم الاثنين ٢٩ من شعبان تزوج من "أنشيل خاتون"

وعندما أحس قطع شاه نوبان والأمراء الآخرون تغير نظرة السلطان إلى نورور، وتأثره به، عرضوا عليه قاتلين. ليس من المصلحة إرساله إلى خراسان. ومن الواجب التحري عن أحواله؛ إذ إنه من تصرفاته يمكن مشهدة أمارات الفتنة والفساد. غير أن سعة صدر سلطان الإسلام، كانت مثل البحر المحيط لا نهاية له، وحلمه ووقاره تُريد عما يدركه الوصف فقال: مع أن كلامكم صحيح؛ غير أنني لا أستطيع نقض العهد والحث في اليقين.

وفي يوم الأربعاء عرة رمضان عاد نورور إلى خراسان بناء على أمر غازان، وكان يصاحبه نظام الدين محيي باعتباراه نائباً له. فلما وصل إلى خراسان، كان أباء "نوقاي" يارغويي يفتقدون قتله في السر ففصلوا لدم أبيهم، فكان نورور خائفاً منهم. وحلال هذه الأحداث توهمت "طوعان" روجة نورور، وأخذت حاله في التدهور، ولكنه كان يتجملد ويكبد ويجهد. وفي الثامن من رمضان سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م نزل غازان خان على ضفاف

(١) المقصود قائد كنية جندها كلف جندي.

(٢) أردبيل، من أشهر مدن أذربيجان. وهي مدينة كبيرة جداً وأهمها بقوت في سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م خرجها تبع في قضاء فسح، وبها عدة أنهار ولكن من طرب حذاً لها لا تبت صفناً من الفواكه. فدمها للفول غيرة، وغربوها خراباً تباراً غير أنها سرعان ما عدلت إلى الازدهار في عهدهم. بسبب إليها كثير من أهل إقليم في كل من إسماعيل

البلدان، ج ١، ص ١٤٥ - ١٤٦

"ناوور دولاً" طريق تيرير، حيث شيد المحقة والجوسق المبارك. وفي تلك الأيام قدم سلطان "ماردين" وأعدى غارات مالا وهيرا من القود والجواهر، ثم عاد مشحولاً بالرعاية والتكريم التام، وبمرء من الانتهاج وفي الثالث عشر من شوال قتلوا "حسام الدين لر" في "هشروء". وفي السادس والعشرين كان الاحتفال بعرض "نوبدي" والدة الأفرنت. وفي الثامن من ذي القعدة قتلوا بابهوت بس شيرامون بس جورمانغون في "سه غنبدان". [ص ٣١١].

بعد ذلك قدم سلطان الإسلام إلى مراغة حيث تفقد المرصد<sup>(١)</sup>. وقد أقام الحكام هناك الولائم والاحتفالات. وفي ذلك اليوم عرسوا على غازان الرسالة التي كتبها إيلدار بن قونقورتاي إلى بائو بخرصة على التمرد والمعيان، فرحل غازان على الفور عائداً إلى المعسكرات ثم قص على إيلدار وقتل بعد ثبوت التهمة عليه.

---

(١) أقام هذا المرصد العالم الرياضي الفلكي خواجه نصير الدين الطوسي. المسمى محمد بن محمد بن الحسن بأمر هولاكو خان في مدينة مراغة، وأعد يد بأقل الأجهزة للمروعة في زمانه، وألحق به مكتبة كبيرة تحوى ما يزيد على أربع مائة ألف مجلد. وكان هناك علماء في الفلك من الصين يفترون النود والنصح إلى جانب المهمة الأساسية التي كان يؤديها هذا المرصد، كان عبارة عن دار للفتواء والفلسفة والأطباء والنظر جامع للتاريخ، المجلد الثاني - الجزء الأول تاريخ هولاكو، الترجمة العربية، ص ٣٠٣ - ٣٠٤ وما بعدها، غوت الفريجات نكف ابن شاكر الكتبي ج ٢ ص ٣٠٧ وما بعدها، تحقيق محمد محيى الدين عبد المسيد، القاهرة ١٩٥١م، السوفوك للمفسري ج ١ ص ٢٤ ص ١٤٢١ نسخاً نامة إلهامتي، نكف خواجه نصير الدين طوسي، بشتشمه وتطبيقات مفوس وصوى، ص سورده يست ويك (١٩ - ٢١) من مقدمة المحقق، تهران ١٣٤٨ هـ، حوزة تاريخ العلم والمصنعة في الصين، نكف جوريب، بشتعلم، ترجمة غريب جوده، ص ١٢٨، الفرية للصربة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥م.

## حكاية

# توجه الرابات السلطانية إلى بغداد، وقتل أفراسياب نر وجمال الدين المستجرداني ومولانا عز الدين مظفر الشيرازي وولادة الأمير النجمل أوجاي

في يوم الثلاثاء الثامن عشر من ذي القعدة سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م تحركت الرابات السلطانية من مراغة قاصدة مشى بغداد، ثم سارت صوب همدان وفي الرابع والعشرين من الشهر المذكور، وصل نورس آغا من حراسان، فشملة سلطان الإسلام بقطعه ورعايته. ولما كان بالتو بن تشي يعمل في ممالك الروم مد عهد آبا قاخان سيطر هناك سيطرة تامة؛ خصوصاً بعد أن توفي سماعر موبان، وكان ابنه "عرب" لا يزال طفلاً. هذه الأسباب راد استبداد بالتو، واشتد يهوده. وكلما استدعاه سلطان الإسلام، كان يتحمل الأعداء. وبعد قتل طعاجار جاور بقوده وعطرسته الحد، ولصق به اسم المتمرد.

وفي شهر سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م، أبلوا عازان - في الوقت المناسب، فتوجه الأمير قطع شاه إلى الروم بموحد القرمات مع ثلاثين ألف جندي للقضاء على قبة بالتو الذي احتجاً في كمين حلف أحد الجبال [ص ٣١٢]. فتعقبه الأمير قطع شاه مع سولاميش وعرب وبوركتاي أعول وأيشقا الذي كان في المقدمة - علما ووصل إلى ذلك الجبل، خرج بالتو من الكمين. وقد جرح أناس من الطرفين. وعلى الأثر وصل الأمير قطع شاه إلى صحراء "ماليه"، وهزم بالتو بهزيمة واحدة. ثم أرسل الأمير قطع شاه "سولاميش" في إثره وعاد إلى مشى أران.

في ذلك الوقت كانت الرابات السلطانية تقصد بغداد. وعندما عادت إلى "مرج رك" (مرغزار رك) من منطقة همدان، قلد السلطان جمال الدين المستجرداني الوزارة بدلاً من شرف الدين السمناني، وكان ذلك في الثامن من ذي القعدة سنة خمس وتسعين وستمائة وقد أقام غازان هناك شهراً، وتشرف ببقاء حصرتة ملوك "المرقا المعجمي"<sup>(١)</sup>، وانجزوا

(١) لتقصود بالمرقا المعجمي (إقليم الجبال) للمنطقة التي تكون حدودها على النحو التالي: شمالها الشرقي مغارة حراسان وغارس وأسيهان وخرقن غورستان، وجنوبها الغربي آذربيجان، والشمالي بلاد القلم وقزو وسقز، وجمعا =

المهمات، ثم استأدوا على الاتصاف. وكان "هورقداق" قد عاد بعد أن هرع من جبابه أموال فارس وكان الإثنابك لفراسياب لُر" قد هم بالرجوع بعد أن وجد الرعاية والتكريم من السلطان. غير أن "هورقداق" أعاده من الطريق، واصطحيه معه. فلما وصل إلى الحصرة، استمر معه غازان عن الأوصاع في فارس. فقال: إن العبد يحرص أولاً أحوال هذا "اثنابك" إذ أنه عد دهايي إلى فارس مررت ببلاد لفراسياب لُر"؟ فلم يجب لاستقبال فثار أتباعه في وجهه، وقالوا: لقد استوليا على هذا لذلك نجد السيف، فكانت موارده إليما وأصبحت حقا لنا. وأنا لن أتحذث عن إشارة الفتح الأخرى وقتل باهلو شحنة أصمهان والرحف بالجيش إلى أصمهان وغيرهم، وما صاحب ذلك من اعتقالات، وأمثال تلك التصرفات. فعصب سلطان الإسلام على أثر سماعه تلك المخالعات، وأمر بقتل لفراسياب<sup>(١)</sup>.

وعندما بلغ غازان وأتباعه منطقة قرية سيدان "ديه سيدان" حرص الشيخ محمود وصدر الدين الرعنجي جماعة على التمرد والعصيان [ص ٣١٣]، وذلك بوشاية جمال الدين الدستجرداني، فحقق معه في الثامن والعشرين من ذي الحجة سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م وقتل ومن هلك سائر السلطان الأمير "خريده" ابن سلطان العالم إلى خراسان ليكون مائتاً معه. وفي تلك الأيام وشى عر الدين المظفر الذي كان حفيد عميد فارس بحاكم ذلك الإقليم الشيخ جمال إبراهيم السوملي، وكان صدر الدين الرعنجي متعاوناً معه ولما لم يستطع إثبات تهمة الخيانة على الحاكم، قتل الواشي عر الدين.

---

سالموري العراق وبعض غورستان إنظر الدكتور ملحق نوعين الممود الدولة الخوارزمية سكانها علاقاتها مع الدول الإسلامية نظمها العسكرية والإدارية ٤٩٠ ٦٦٨ هـ / ١٠٩٧ ١٢٣١م، ص ٣٢، حاشية ٥٧، بغداد ١٩٧٨م

(١) يذكر شرف عثمان البجلي أن لما تولى غازان عيان أمر الدول، وبسط سلطانه على البلاد، بادو لفراسياب إلى تقديم الطاعة له، وإلى الشرف بالحصرة السلطانية فصطف عليه السلطان وأبداه في منصبه في سكرته لرسان. وفي سنة (٦٩٥هـ / ١٢٩٥م) فني كان غازان قد توجه فيها نحو بغداد كان الإثنابك لفراسياب قد تشرف مرة أخرى عند حدود حملان بالحيات المشية، وتال لديها المخطوطة والقبول. ولكن حين دعوته إلى بلاده الفتي به في الطريق الأمير "هورقداق" الذي كان حاكماً حصرة من فارس فاصدا الحصرة الملقية، فقبض هذا عليه، وأعادته بالقوة والقبض إلى الحصرة ورجع إلى غازان عيان فتمصل ما صدر من لفراسياب من الأعمال الجائرة والتصرفات السيئة، وبلغ في ذلك مبالغة كبره حتى حمله على صدور الأمر بقتله (انظر كتاب شرفنامه، ج ١، ص ٣١ - ٣٢، ترجمة إلى العربية محمد علي حوي، ورواه وقدم له يحيى الحشاش، القاهرة ١٩٥٨م).

رسالة على لسان نوروز إلى حاجي ناريس بخصوص هذا الموضوع، وذهب إليه، وتناول كأساً على سبيل الاحترام، ثم وصح للرسالة هي متاعه دون أن يتبسه، ثم انصرف بعد ذلك أرسل الشيخ محمود أخاه سليمان إلى الحصرة لإطلاع غازان على ما حدث. وكان سلطان الإسلام قد عاد من موصل المينان على حلود كرمانشاهان، وجد في السير يوماً واحداً حتى بلغ (شهر آبان) التي تبعد ثلاثين فرسخاً.

وهي يوم الأحد الحادي والعشرين من جمادى الأولى، وصل الشيخ محمود وطلب الدين أخو صدر الدين الرحمانى، ومعهما قهصر إلى "شهر آبان" وعرضا على غازان موقف قهصر فقال له سلطان الإسلام: "قل الصدق". عندئذ عرض قهصر الموضوع بطريقة لم يثبت فيها أى ذنب على الأمير نوروز. ثم طلبوا عينته، وأخرجوا منها الرسائل والنياب، [ص ٣١٧] وشهدوا جميعاً بأنها كتبت بخط حاجي رمضان كاتب الأمير نوروز. عندئذ أمر السلطان بقتل قهصر ذلك العلام صرباً بالمراوات، وتمهد الشيخ زاده بأن يعثر على العلامين الآخرين.

ثم ذهب بالفعل إلى بغداد لهذا العرض، ولكن لم يتم له العثور عليهما. ولما لم يستطع القيام بما تمهد به قصوا عليه أيضاً. وكانت ديران العصب تصطرم في صدر السلطان عارده، وتغرق الأخضر واليابس، فقال: حيث إنه قد وقع الإطلاع على أسرار نوروز بمعنى اتخاذ شروط الحرم والاحتياط قبل ظهور آثار العثر والمكر.

وعلى أثر ذلك صدرت الأوامر بأن يقوم الأمير نوريس وباهيجار باعتقال جميع آل نوروز من أبناء وأنصار وأتباع وقتلهم جميعاً. وعلى أثر ذلك رحلت الرهائن السلطانية من هناك إلى المارونية. وكان حاجي قد عزم على السير، فأدركه باهيجار واعتقله، وسبق أتباعه إلى جهة أخرى. وكانوا قد قتلوا قبل ذلك ساتلميش نائب نوروز وابنه قتلتمور وأوردو بوقا ابن نوروز، وسبق حاجي ناريس إلى مرج خاتقلى، فحلق معه الأمير نوريس. ولما ثبت إدانته بإخراج رسالة صدر الدين من أمتعه، جردوه من ملابسه، وطافوا به حول البيوت، ثم قتلوه ونهبوا دياره وأمواله. وفي تلك الظروف فر ابنه تعالى الذى كان فى الثانية عشرة من عمره، ولجأ إلى دار الأمير الجميل الذى كان أميراً لمعسكر الختاتون المعظمة بولوغان الحراسانية، فحافظوا على الصبي هناك حتى سكن غضب السلطان، ثم عرضوا عليه حاله

ونجا من الفلاك. وهو الآن ملازم لحاله الأمير حسنى، وسلموا خاصته وأتباعه لبولوغان حاتون الخراسانية [ص ٣١٨]. كذلك قتلوا كمال الصغير (كمال كويچك) الذى كان أيضا نائبا له. وقتل أيضا لكزى فى السابع من جمادى الآخرة فى ميدان "ماهدهشت"، وعموا عن كشتك ابن آخى بورور، وأحبه يول قتل. وبسبب ذلك الفتح سماوا الميدان الكبير "قتلح ميدان" كذلك أرسلت الأوامر إلى كل البلاد بقتل جميع أقارب بورور وأتباعه، وقصوا أيضا على شيدون وإبل بوقا أبهى همدوقور على حدود قصر شيرى.

وفى يوم الثلاثاء العشرين من رجب، وصل إلى المحصرة الأمير المجل خريسته من خراسان. وفى الخامس من شعبان، وصل الأمير قتلح شاه إلى أسد آباد همدان قادما من ناحية موغان. وبعد ذلك قدم من ناحية لرى الأمير جويان وبولادنيا ثم صدر الأمر بأن يسير بولادنيا إلى خراسان لاعتقال بورور، ويلحق بهورقوداق والأمير سوتاي.

وبعد يومين سير أيضا الأمير قتلح شاه. وفى إثره أرسل قتلح كشتك وفى أوائل شعبان اعتقل فى بلاد الروم سولاميش وعرب بالو بن تجى بسبب تمردهما، وأحصروهما إلى تبريز. ثم تحرك سلطان الإسلام من أسد آباد قاصدا مصيف ألتاغ، وسير من حدود "كره رود" خريسته ابن ملك العالم للمحافظة على بلاد خراسان وعندما وصل عازان إلى "نوشهر" جاءت الرسل بالمشارة من قبل قتلح شاه، وهم يقولون: إن "بورور" اشتبك فى القتال وانهم وأحضر يولج أبا طوعان جوق فى الرضاعة

ومؤدى هذه القصة أنه عندما وصل الأمير قتلح شاه إلى دامغان وجد أن هورقوداق وسوتاي كما قد قتلوا شخص بورور الذين كانوا فى لرى ورامين وخوار وسمان ودامغان وبسطام [ص ٣١٩].

ولما بلغ فواد غاران اسمراين، سار معهم أباء "بوقا تيمور التمو" للأخذ بقصاص دم أبيهم من بورور. وفى تلك الأيام أعلت المدعو دانشمد قلاك إحدى فرق بورور المكوبة من ألف جدى، أعلت حضووه ودعوله فى الطاعة؛ فسيره قتلح شاه فى الطليعة ثم ذهب لوزيرتاي قران إلى نيسابور، وأخطر "بورور" بوصول جيش عازان، فرحل من هناك. وفى إحدى محطات البريد، واجه جيش دانشمد بهادر، فتحارب العريقان. ورغم أن جيش دانشمد كان قليل العدد، انهزم بورور وهرب مع نعر قليل. وفى الصباح وقعت أمتهته

وحرائره عيمة هي بد خصومه. ثم نعبه بسرعة فائقة هورقوداق وأباء بوقاي يارعوجي مع عشرة آلاف جدي. وفي الليل وصل بورور إلى ولاية جام حيث توجد قطعان حيوله ومنزل بيها، وأمر الخدم بإعداد كمير خلف الجدران. وفي منتصف الليل وصل جود غازان وأرادوا أن يسوقوا الخيول، ففتح بورور وخدعه الكمين، وأحصروا أوتار القسي، وأطلقوا السهام، فقتل خلق، وصار الباقون مشردين. وبهذا انهزم بورور، وخرج جيش هذا الطرف (أي جيش غازان) غازا منتصرا. وكان بورور يسير على غير هدى، وهو مسهر؛ حتى إذا وصل إلى باب هراة دعاه حاكمها فخر الدين بن شمس الدين كرت إلى داخل المدينة فحصر في ذلك الأمر. ولكن أمراءه بابكر وساربان وسلوم قالوا أيها الأمير! إن قلوبنا لا تطمئن إلى كلام هذا الرجل. والمصلحة تقتضي أن نمر بسلام من وراء هذا الجدار، ولا نتمادى على وعده. فقال بورور: لقد فاتني أن لأدى صلاة العرائص ثلاثة أيام، وأنا أريد قصاصها. فمضى الأمراء ونجوا بأنفسهم. ودخل بورور مدينة هراة مع أربع مائة فارس وصعد القلعة [ص ٣٢٠] أما الأمير فبلغ شاه الذي كان يتبعه، فإنه عندما وصل إلى مشهد طوس، رار القبر، وصلى ركعتين صلاة الحاجة، ثم سجد وتصرع إلى الله قائلا: "يا إلهي! إنني لا أدرى لم أصيب أنا لم عظمي في هذا الأمر؟.. فكلا الخصميين مسلم والسلطان مسلم. وأنت يا رب عالم الأسرار فلماذا كنت تعرف أن "بورور" مذنب، وعلى باطل، وتخال غازان وعصاه، فاجعله على يدي أسيرا محمولا".

ثم سار من هناك حتى إذا بلغ هراة، حاصر الجنود المدينة، وشرع الجانيان في القتال وكان الأميران نورغاي وجهجاي يحاربان بشدة. وكان الطغس حاربا جادا، عقالت جماعة من جند قتلغ شاه. إن المصلحة تقتضي بأن يعود لأن سور هراة حصين جدا، ولن يكون من السهل القضاء على الحصن نوروز فتكرر الأمير قتلغ شاه إلى أقصى حد، وقال: لقد صار الحصن ضعيفا دليلا، وبقي خلف الجدار بلا أعوان وانصار، فكيف نعود، وما العذر الذي نقسمه إلى الحصرة؟! لا بد أن نصمم على الاستمرار في هذا الأمر، ونسمى في سبيل هذا الهدف حتى يتحقق الفتح المبين بفضل التأييد الرباني. ثم كلف شيخ الإسلام "جام" فجأة - الذي كان في صحبة الأمير - بأن يكتب رسالة إلى صهره للملك فخر الدين، يقول فيها على لسان قتلغ شاه: ينبغي أن تدبر هذا الأمر جيدا وإلا فإن مدينة هراة، وكل بلاد



خراسان سوف تروح ضحية لهذه القصة. وقد ديل قطع شاه هذه الرسالة بتوقيعه. ثم أرسلت إلى المدينة على يد أحد الجواسيس. فلما قرأها الملك حملها إلى نورور، فقال هذا للمعريين إليه: إنه يتضح من هذه القصة أن قلب الملك معى فى عابه الصديق والإخلاص. عنده قال حاجى رمضان لـ نورور فى السر: إن المصلحة تقتضى [ص ٣٢١] أن نحتل الملك فخر الدين ونقيده حتى نهاية المركة؛ فإذا كان النصر لنا، فإننا نكرمهم وبرعاه ونطلق سراحه، وإلا يصيرف الجميع غدره وخيائنه. وبهذا يكون قد راعينا شروط القبضة والاحتياط. ولكن "نورور" لم يقبل هذا الكلام. وكان هناك رجل سجزى قد استرق السمع، فمضى على الفور، وأبلغ الملك كل ما سمع، فعاب الملك، وتشاور مع عظماء المدينة وأعيانها، وقال: إن حدود عازان سوف يستولون على هذه المدينة ويأسرون ساءما وأبامنا، وتسقط أسرتنا العريقة من المقدم. ثم إن "نوروز" سبق أن أقسم لعازان بالآيمان المعلقة أنه لن يخلعه أبدا. وقد خالفه. وإذا قمصلحتنا فى أن نسيقه ونحتله بالمكر والحيلة وعلى الخصوع والطاعة. وعليه أن نأخذ عهدا بالأمان من الأمير قطع، وسلمه له. فقال أمالى المدينة: إن رأى الملك هو الأعلى، فهو يرم كل ما يعرعه صوابا.

بعد ذلك ذهب الملك إلى نورور بعد إجراء هذه المقدمة، وقال له: إن جودنا المرويين والموريين يتراجعون فى القتال. فالرأى أن ترسل رجلين من رجالك على رأس كل عشرة من جودنا كي يحرصوهم على القتال، ولا يسمحوا لهم بالتراجعى. وباء على نصيحة الملك ورع نورور جميع جوده على تلك الجماعة، فشتتوا وتفرقوا، وبقي هو وحده فى القلعة. ثم أوعز الملك إلى جوده بأن يحتفلوا جميع أتباع نورور، ويقدوهم. ثم صعد القلعة هو نفسه مع عدة رجال من الموريين الشجعان، واعتقل نورور، وأحكم وثاقه، وقال له: إن الغرمان يقضى بتسليمك للأمير فتبلغ شاه

ومن عجائب الأمور أن الملك فخر الدين كان فى عهد أبيه شمس الدين كرت عاقا إلى أقصى حد، وعبيدا متحررا ومشاغبا. ولهذا فبده أبوه الملك شمس الدين، وسجده فى قفصة "حيسار". وبعد أن وصل نورور إلى هناك، التمس إلى أبيه أن يطلق سراحه، فقال شمس الدين: أنا أعرفه جيدا، أعرف كيف أن له نفسا مجردة من الوفاء. ومن حيث إنه لم يكن وفيا لأبيه، فلى يكون وفيا لك أنت أيضا. ورغم هذا صار نورور يبالغ ويلج فى الشفاعة

له وأخيراً قال الملك: إني أطلق سراحه بشرط أن تعطيني تعهداً بمنى علي أن كل عمل يصدر عنه من الآن فصاعداً، يكون الأمير مسئولاً عنه؛ فأعطاه بورور تعهداً بذلك. وعلى هذا فك الملك شمس الدين قوده وأطلق سراحه.

وعندما كان الملك فخر الدين يقوم باعتقال بورور، قال له إني لم أسئ إليك حتى تنكث العهد وتسبك دمي وإذا كان لا مفر من العذر، فأعطني جوادى الكميث وسيجي حتى أركب الجواد بنون سرج وأخوض المعركة وسط هذا الجيش، فأقتل في الحرب كي أكون عزيزاً وشهيداً في آن واحد. فرد عليه الملك قائلاً: منذ الآن سوف ترى الحصان والسيف تحت أقدام الآخرين وفي قبضة أيديهم. وبمجرد أن اعتقل بورور، قطع فخر الدين رأس حاجي رمضان، وأرسله على يد رسول إلى الأمير قطع شاه، يعلمه بأ اعتقال بورور وإخوته وأتباعه. ثم طلب منه عهداً بالأمان حتى يكون ذلك شعباً له، وحتى لا يؤاخذ غاربان باسم المرويين، وأن يتسم على ذلك بالأيمان المطلقة ثم لقي الرسول رأس حاجي أمام قطع شاه، وقال له: إن الملك يقدم الخسوع والطاعة، ويقول: لقد نهياً بصر كبير بسعادة الأمير وإقباله، وأسر بورور وأتباعه واكلوا جميعاً بالأضغاد.

ولما رأى الأمير رأس حاجي رمضان، عرف أن كلام فخر الدين صدق، قال: بناء على التماس المرويين، كتب علاء الدين بصر الخطاى كتاب الأمان المؤكد، وذكر في مقدمته أيماناً مصفحة ثم أرسل الأمير قطع شاه إلى المدينة الأمير بولا دقبا وحواجه علاء الدين وشيخ الإسلام "جام" حامل هذا المکتوب بعنوان الرسالة، فتلقى الملك مقدمهم بالترحيب والتكريم، وأعادهم معززين قللاً لهم: سوف أرسل بورور ليلاً مقبداً إلى حصرة الأمير

بعد ذلك عاد الرسل على هذا النحو، وأطلقوا الأمير على ما حدث. وفي الليل أرسل الملك "بورور" مقبداً، وفي حراسة طائفة من الصباط المرويين؛ فسر قطع شاه بذلك الفتح سروراً بالغاً. ثم سأل بورور: لم فعلت هذا؟ فرد عليه بقوله: إن غاربان يستطيع محاكمتي لا أنت وكلما سألوه بعد هذا، لم يجب عن أسئلتهم، وسب ذلك أنه لم يرتكب ذنباً قط، وأنه لا إثم عليه. ثم أمر قطع شاه بإرساله، وشقوه بصمين، وأرسل رأسه إلى الحضرة. ومن هناك أرسل إلى بغداد، وظل في باب القوسى عدة سنوات معلقاً على رأس عمود من الخشب كذلك قتل هاك أخواه أرعون حاجي وبولتوق. وكان ذلك في الثالث والعشرين من شوال سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م. والسلام.

## حكاية

**ارتفاع شأن صدر الدين الزينجاني، وازدهار عمله**

**بسبب قتل الأمير نوروز، ووصول الرايات**

**السلطانية من ألتاغ إلي تبريز**

**ووضع أساس القبة العالية**

**في شم تبريز**

بعد قتل موروز رحل الأمير قتلغ شاه من ظاهر هراة، ومرل في مرج شوران (مرغران شوران)، كذلك قصي على قواد توروز: بوراجر والبهجاق وتو كمال قرا وطائفة أخرى. [ص ٣٢٤]. أما قراسون فقد لاد بالفرار، وكان في حنمة الأمير قتلغ شاه. كذلك رحل سلطان الإسلام من ألتاغ. وفي يوم الجمعة الرابع والعشرين من ذي القعدة وصل إلى تبريز. وفي اليوم التالي قتل يالغو وابه في ميدان تبريز.

وعلى إثر قتل موروز، ارتفع شأن صدر الدين، وشمله السلطان برعايته، ومسحه الختم الأحمر (التمغا). وفي عرة ذي الحجة قدم سلطان الإسلام من شم إلى تبريز، وذهب إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة، وتصدق على الفقراء والمساكين بأموال طائلة. وكذلك فعل في الجمعة التالية. وفي يوم السبت السادس عشر من ذي الحجة سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م وضع أساس قبة عالية وسط حديقة المعادلة بموضع "شم". وقد شجعت شععا كبيرا بهذا الأمر، وكان يتردد دائما على هذا المكان ليتعقد أعمال البنائي والعمال. ولما رفعوا بناء سرداب القبة على وجه الأرض، سأله المهندسون عن عدد ما ينبغي أن يفتحوا من منافذ للإضاءة صائغهم: لماذا؟ فأجابوا: كي يكون السرداب سيرا. فأجاب هو عنه على هذا السؤال: ينبغي ليصال النور من هنا إلى هناك، وإلا فلا فائدة للمرء من ضوء الشمس غير الثابت. وفي يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجة وصل قتلغ شاه بوبان من خراسان. وفي منتصف المحرم سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م وضع عازان العصاة على رأسه هو وكافة الأمراء. وفي اليوم التالي أقاموا الولائم والحفلات. وبعد أداء الصلاة في يوم الجمعة العشرين من المحرم سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م غادر عازان تبريز قاصدا مشقي أران. وفي ذلك الوقت كانت

تداع أبناء عن وقوع اضطرابات في جورجيا<sup>(١١)</sup>، فأرسل الأمير قلع شاه وهو في الطريق إلى هالك كئي يتخصص شئون هذه الولاية، فقام بمهمته، وعاد سرهما مصطحبا معه أخا الملك داود "وختاسك" فوجدا للرعاية والتكريم.

بعد ذلك غرقت المراهات السلطانية إلى ناحية ياكو [ص ٣٢٩] وغادرت هذا الموضع بعد عدة أيام. وفي يوم الجمعة التاسع من ربيع الآخر سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م توفي الأمير النجل "ختاي أغول" في "دالان ناوور". وفي هذا البلد أيضا ولد الأمير النجل "النجو" في التاسع من جمادى الأولى سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م، وصار الجميع منهكين في إقامة الولائم والاحتفالات والأعياد بأسباب اللهو والتمتع والسلام.

---

(١١) تسمى أيضا جورجستان. يسكنها جبل من الناس يرمون باسم الكرج (البرج)، وهم عساري. خدمها تيمور في عام ثلاثة الفمئة (الفيمئة عشرة) وتقليس فصبه جورجيا، وضع في أعمال بحر الكز، وأرضها خصبة كثيرة الحبوب. (انظر معجم البلدان، ج ٤، ص ١٤٤٦ بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢١٦).

## اختلال أحوال صدر الدين الرنجانى وإعدامه

فى يوم الجمعة الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م جنا على ركبته السيد قطب الدين الشيرازى<sup>(١)</sup> ومعين الدين الخراسانى، وعرضا على غازان موضوع خيانة صدر الدين الرنجانى وتلاعبه فى أموال البلاد.

وفى أغلب الأوقات كان بين مؤلف هذا الكتاب رشيد الطبيب وبين صدر الدين صداقة ومودة. وقد حاولت طائفة من أصحاب الديوان تكدير صمو العلاقات بين الصديقين وصاروا يقلون الكلام من كل نوع للإيقاع بيسا. ولكنى لم أكن ألتفت إلى مثل هذه المحاولات. ولما يتسوا مى، مصوا إلى صدر الدين، وكبوه على تحليطهم وتوبيههم وتلميحهم؛ غير أننى لم أكن أنياً كثيراً بمثل هذه الأمور. وفى يوم الأحد منتصف جمادى الآخرة، ركب صدر الدين على ركبته فى حصرة السلطان، وحاول إهانتى بطريق العسر واليسر فشعلت بالرد عليه. ولكن نهره السلطان وقال له: إنه لم يتأولك بسوء مطلقاً.

(١) هو العلامة قطب الدين محمود بن مسعود الكارورى الشيرازى. ولد سنة ٦٣٤هـ. وكان أبوه طبيباً درس مقدمات علم الطب على يد والده. وعنه كذلك برع فى الحكمة والطب، واستكمل دراساته وسفره بعد أن اتصل بالمخواجه نصير الدين الطوسى وشاركه فى الأعمال الطبية التى يقوم بها فى مرصده بمرافقه. وكان يتبعه بكاه ياتر وعقيلة مستترة. بعد ذلك رحل إلى بلاد الروم، وشغل منصب قاضى سيواس ومطبعة ثم سافر إلى الشام وافتى بالصبوحى الكبير جلال الدين الرومى. ونزى إلى لعل العصور ثم عاد إلى تبريز، وكان معروفاً بكرماً لدى السطى لوفائيه. وفى مدينة تبريز كانت وفاته فى سنة ٧١٠هـ.

بعد العلامة قطب الدين الشيرازى أحد العلماء الفراسخى فى العلم. ولقد عرف عنه أنه رجل مرح، يتمتع بطق وطرف، ويحب لعب الشطرنج والفرد على الرقاب. وحكاى حكايات تروى عن روحه المرحة ومطباته العديدة. له مؤلفات عديدة باللغتين الفرية والفارسية منها شرح كتاب القانون فى الطب لابن سينا وشرح حكمة الإشراق لشهاب الدين السهروردى القننول، وشرح معاني العلوم للسكاكى، وكتاب درة الشياخ لشجرة الديناج. وهو بالفارسية، ويتأول عروفا عظيمة (انظر عباس القبال. تاريخ مفصل ليران فى استيلاى مدول فى إعلان مشروطيت جلد أول) فى حلة يسيرة لتأشكيل عروفا يسورى. ص ٢١٢، ٢٠٦، ٥٠٧. طهرى ١٣١٦هـ. ش. بمجموعة مقالات عباس القبال أشتيلى شامل مكسوتيك مثالة با مقدمه وصحيح نقاى دكتور محمد دير سبلى بصوى علامة قطب الدين شيرازى ومطابحات لور، ص ٢٩٠ - ٢٩٦، تهران ١٣٥٠هـ. ش. الشرق الإسلامى، ص ٣٥٥).

وعندئذ شرعت في الكلام؛ غير أن السلطان قال لي: لا تلوث لسانك بالرد عليه، وحافظ على سريتك ومسدكك ولما اتصحت براءتي، استاء صدر الدين من تلك الجماعة استياء شديدا؛ لأنها هي التي قامت بالسعاية والدمى لإفساد العلاقات بينا

وفي يوم الأحد سلع جمادى الآخرة، قبض على طايغر أعول وأصحابه [ص ٣٢٦] وذلك بسبب إثارتهم الفتنة. كما قبض على الشيخ الذي يرافقه، والذي وعده بتقليده الحكم. وفجأة أبلغ السلطان تلك القصص. وفي الثاني من شهر رجب قتل طايغر أعول مع أربعة من أتباعه على صفة النهر الذي كانوا قد شقوه في منطقة "دالان ناوور". وقد صر السلطان النهر، ودرل في المعسكرات في موضع "جوي نو" وعندما كان السلطان في "دالان ناوور"، وكان الأمير قطع شاه قد عاد من جورجيا (جرجستان) أحد السلطان يعاتب صدر الدين بخصوص الأموال التي نجى من هناك، فخاصه صدر الدين، وعرض قائلا: إن أتباع قطع شاه خربوا ولاية جورجيا ولهذا السبب صار السلطان يعاتب الأمير في صحوه وسكره. فما كان من الأمير إلا أن سأل صدر الدين قائلا: ألا تعلم من شكاني إلى حصرة غاران حتى صار يعاتبني؟!

فأجاب صدر الدين: إنه رشيد الدين.

وفي يوم "نوروز"<sup>(١)</sup>، خرج الأمير قطع شاه من لندن حصرة غاران، وتصادف أن قابلي، فقال لي: لقد كنا سويا في حاشية واحدة ولم يحدث بينا شيء قط يعكر صحو علاقاتنا وبسبب الأذى. وإذا فكيف أسأت إلي في حصرة السلطان؟! . فرددت عليه قائلا: الحقيقة أنه لم يصدق صرر منك مطلقا؛ بحيث أسىء إليك... بمعنى أن تصرح لي باسم الشخص الذي قال لك هذا الكلام، وإلا سوف أعرض الموضوع على حصرة السلطان. فلما لم يذكر اسم هذا الشخص، عرضت هذا الكلام على غاران. حال في موضع الصيد. فاستدعى السلطان الأمير قطع شاه، وقال له: تلبية لرغبي الشديدة، أصدقني القول: من قال لك هذا الكلام؟! أجاب صدر الدين: فتصانق سلطان الإسلام صيقا شديدا، وقال: مهما حاولت أن يترك هذا الرجل الحذاع والتمويه وإثارة الغش، كان ذلك دون جنوى؛ لأن طيخته تجري على هذا النمط.. [ص ٣٢٧]

(١) للتعرف على تفصيلات من نوروز انظر كتاب نوروز واقرء في الأدب العربي، تأليف الدكتور مزاد عبد المنعم الصبيح، بيروت ١٩٧٢م.

وفي يوم الأربعاء السابع عشر من رجب صدر الأمر باعتقال صدر الدين، وأخيه قطب الدين أيضا. وفي يوم الجمعة التاسع عشر من رجب شرعوا في محاكمة صدر الدين، وكان يرد على المحققين بإجابات جريئة ودون مبالاة، ولم يكن يكثرث بالقضاة، ولو أنه أعطى فرصة الكلام لخص نفسه من تلك الورطة المائلة، غير أن السلطان أمر بأن يمهي قتل شاه حياة صدر الدين.

وفي يوم الأحد الحادي والعشرين من رجب سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م وفي وقت الضحى وفي موضع "جوى جاندار" أسك الأمير سوتاي بإحدى يدي صدر الدين، وأمسك الپهلوان ملك عوري بيده الأخرى ثم قده الأمير قتل شاه نصحي<sup>(١)</sup>.

تعالى الله، فإن صدر الدين قد بدل من السعي والاجتهاد الشيء الكثير بحيث إنه في كل وقت، كان يهدف إلى ازدهار شأنه. وإن كل الفتن والفلاقل التي أثارها، كانت في سبيل تحقيق هذا العرص. ولكن كانت عاقبة أمره، أن عدما وصل إلى غايته، لم يتمتع بما حصل عليه، ولم يبل بعينه.

بعد ذلك تحركت الرميات السلطانية من هناك إلى "ييلسور" وواصل عاران خان ومن معه الرحلة نحو الرحلة حتى يوم السبت الثاني عشر من شعبان عدما وصلوا إلى دار الملك تبريز. وفي يوم الإثنين الحادي والعشرين من شعبان قتل القاصي قطب الدين وابن عمه قوام الملك علي باب بوابة "ورجوة" بتبريز أما القاصي ريس الدين الذي كان من أقاربهما، فقد هرب ليلا من سجن تبريز وسار ناحية گيلان، وعاد بعد سنتين أو ثلاث سنوات ثم هرب ثانية. وأخيرا اعتقل وقتل.

---

(١) يقول عبد الله القوي في أحداث سنة ٦٩٧هـ فيها أمر السلطان غازي بقتل صدر الدين أحمد بن عبد القوي الخاقاني صاحب ديوان الملك لما ظهر من سوء حركاته، وكان غير محمود السيرة فلذلك أظهر الجلو، وفسر الناس على الخاقاني أنه، فأسر بهم، وبطنت مخابراتهم ونطلب لهمهم إلى أن لطف الله تعالى، وتسلم السلطان (گيخان) إبطاك ثم صاحف الخراج كما صل حال الدين القاسمي، وبلغ في الصانوف والفتيلات فلما قتل أمر بقتل أخيه قطب الدين قتل، وطلب أمره ريس الدين الذي كان قاصي القضاة ببنفاد، مهرب، ولحق بصاحب حيلان صال من السلطان نحو عام، فأجاب سؤله صال أن يند إلى القضاء بالفرار، فأخذ وحس بتبريز فهرب من الخس، فأتوك وأبعد إليه وقتل. (المؤلفات الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق الأستاذ مصطفى جولاد، ص ٤٩٥ - ٤٩٦، بغداد ١٣٥١هـ).

وفي يوم الأحد العاشر من شوال سنة ١٢٩٧هـ/١٢٩٧م أنار عوام تبريز الشعب، وخربوا  
بأقي الكنائس، فعذب عليهم سلطان الإسلام، وعوقب بعض هؤلاء المشاعيين من مشي  
العتة. وفي يوم الإثنين التاسع من ذي القعدة توفي ساربان بن سونجاق موبك في تبريز  
وفي الخامس والعشرين من ذي القعدة توفي "بورلتاي أغول" من درة جوجي قسار.  
والسلام.



## حكاية

### توجه الرايات السلطانية من دار الملك تيريز إلى مشتى بغداد، وتفويض منصب الوزارة إلى الخواجه سعد الدين، ووصول خبر تمرد سولايمش، وزحف الجيش للقضاء عليه

في يوم الخميس الثالث من ذي الحجة سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م سار سلطان الإسلام من دار الملك تيريز جنوب أوجان<sup>(١)</sup>، قاصداً مشتى بغداد وفوض منصب الوزارة إلى الصاحب الأعظم الخواجه سعد الدين الذي كان قد أكد سوابق حقوق التأييد بلواحق أنواع الوفاء وقام بشروط ومراسم اللازمة، والمرافقة في السراء والضراء، وفي الخلل والترحال. ثم أرسل السلطان الأمير "نوريس" من دربند إلى أرنج للمحافظة على الأمن. وفي يوم الجمعة الثاني من المحرم سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م نزل في مرج رك (مرعزار رك) على حدود همدان.

وفي شهر المحرم أيضاً توفي ليس يوقا گوركان بن يوقاي يارغوجي ثم رحل السلطان في الثامن من المحرم من مرهان. وفي منطقة يروجرد أعدم أبو بكر داد قابادي الذي كان والياً على همدان بعد ثبوت إدانته.

بعد ذلك سار إلى ناحية جبل الأكراد وفي يوم السبت الثاني والعشرين من صفر، نزل في مرج جوفين (مرعزار جوفين) من أعمال واسط. ومن هناك مر ببطائح شيب، ودخل واسط. وفي تلك الأيام كانت تصل نبأاً أنباء تمرد سولايمش في ولاية الروم.

وتنطرح تلك الحكاية في أنه بعد قتل بالثو، عهد سلطان الإسلام بإسارة الروم إلى الأمراء بالسجار وبوجقور وفقور تيمور. وكان سولايمش نفسه أمير أمراء جيش الروم

---

(١) أوجان أو أجان مدينة تقع على بعد عشرة فراسخ من تيريز في طريق ميانه وقد وصفت بقلوت أجان فقال عنها إنها مدينة عليها سور وبها سوق. إلا أن الخراب خفي بها ولكن بعد عصر بقلوت أجان خازان بادشاها وقام فيها رماة، وأطلق عليها اسماً جديداً هو "شهر إسلام" أي مدينة الإسلام. وكانت نواحيها وقرى الخيرات، يكثر فيها القطن والقشع والبركة (مجموع البلدان، ج ١، ص ١١٠٠، نزهة القلوب، ص ١٩١، مارتولد، تذكرة جبرائيل ترقلي ابرك، ترجمة حرره سردقور، ص ٢٧٣، ج ١، ص ١٣٠٨، بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٩٨).

**[ص ٣٢٩].** ولما عزل السلطان مسعود بتهمة انتمائه لبائتو عهدوا بالسلطة إلى ابن أخيه علاء الدين كيقباد بن فرامرر فذهب مع الأمراء للذكورين إلى الروم. وفي ذلك الشتاء كان البرد شديدا جدا في تلك المناطق، ونساقطت ثلوج كثيرة سدت الطرق، فانقطعت الأخبار وقد شاعت أنباء تفيد بأن أحوال المعسكر قد ساءت واضطربت.

وقد اغتنم سولاميش هذه الفرصة، فاتفق مع قبائل وطاشنمور وطائفة أخرى، وهجأة ألقى القبض على باباجار وبوجقور وقتلهما، وشرع سولاميش في العصيان والمخالعة. ثم استدعى الجيود من أطراف الشام وبواحيها، وأدخل في طاعته الجيود الذين كانوا يقيمون في ولاية دانتشمند، واستفروا في صحراء "قازاندله". ثم جمع عددا كبيرا لا يحصى من الصعاليك والرعاغ. وكان يهدق على الجيود أموال الولايات وأملاكها حتى اجتمع حوله ما يقرب من خمسين ألف فارس، وكنشك قبيل السورويون أن يمدوه بعشرين ألف جندي وأطلق اسم الأمراء على طائفة منهم، وأعطاهم الأعلام والطبول. وقد اشتدت حرارته لأن الطريق كان مسدودا، ولا يصل الرسل والباعة من هذه الباحة.

فلما وصلت تلك الأنباء إلى السمع المبارك لسلطان الإسلام عازان، أمر بأن يسير الأمير قتلغ شاه على رأس جيش في يوم الأحد الثاني عشر من جمادى الأولى سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م عن طريق ديار بكر فاصدا بلاد الروم للقضاء على سولاميش، وأسرع الأمير چوپان بهادر، فسار في القفمة، وفي إثره الأمير قتلغ شاه أما الأمير سوناي فقد سار على رأس جيش آخر. وفي فصل الربيع تقابل الجيشان في صحراء آقشهر التابعة لأردجان. وقد دارت الحرب في الربيع والعشرين من رجب سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م. وبعد أن انهزم سولاميش، توجه إلى ديار الشام، فقبض عليه الأمراء وأحضروه **[ص ٣٣٠]**

بعد ذلك رحل سلطان الإسلام من جوقين فاصدا بهناد. وفي يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر جمادى الأولى توجه من مدينة بيل (شهرنيل) إلى مشهد أمير المؤمنين علي (رحمى الله عنه) مراره، وشمل بعطفه ورعايته القيس والجاورين للمشهد المقدس وخصهم بالإتعامات والصلفات.

وفي يوم الأربعاء التاسع والعشرين من جمادى الأولى، قدم جمع من أسراء الشام ومصر وهم سيف الدين قبيجاك وسيف الدين بيكيمور والبيكي وعزرا الذين كانوا قد انقلبوا على

حاكم مصر لاچی بسبب تألهمه. وكان معهم ثلاثمائة فارس. وهى رأس العین سمعوا خبر وفاة لاچی، ضلوا. ولكن لم تكن هناك حملة أخرى. وقد تحسثوا إلى غاران خان بأنواع من الكلام العث والسم. وفى الثالث من جمادى الآخرة، نزل سلطان الإسلام فى بغداد. وفى يوم الخميس الخامس عشر من الشهر المذكور، ركب السلطان من بغداد وأتجه إلى الموصل ومن حملة المصريين الذين دخلوا فى الطاعة "بورلار" الذى فر مع طائفة أخرى فتعقبهم الجيش المصرى، وقتل أغلب السوريين، وأسر سبعة أشخاص، وفر بورلار وحده وبها.

وفى أوائل شعبان سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م هرب هوج من القراواس، ومقدمهم المدعو بوقا، وهؤلاء كانوا يقيمون فى صواحي طارم، وساروا عن طريق العراق، واجتازوا حدود كردستان. وفى الطريق صاروا يهرون ويهون، ثم انضموا إلى الكوردس<sup>(١)</sup> فى "بى كاو" [ص ٣١٩] وفى يوم السبت الرابع عشر من شعبان وصل بالبشارة من الروم بهلاكو سكورجى معلنا أن الأمير جويان وباشمرد قد هزما سولاميش، ولكنه هرب مع نفر قليل. غير أن جميع الجيوش الذين كانوا تحت إمرته دخلوا فى الطاعة، وقتل العدو أخو ايلچيدى قوشجى الذى كان قد ذهب معه. كذلك اعتقل إقبال بن أورقو بن ايلكاي بومان وطاشتمور الخطلى، وجاءوا بهما.

بعد ذلك نزل سلطان الإسلام فى قوچى الكبرى (قوچى بزرگ) من منطقة سهولوى ووصل "بورى آقا" إلى "قرى شير" عائداً من أرك. وفى الخامس والعشرين من شعبان نزلت الرايات السلطانية فى أوجان. كذلك وصل الأمير النجل خرميد من منطقة خراسان فاستبشر الأخوان بلقاء الواحد منهما الآخر وصاروا أكثر تعاوناً وتآزراً. ثم شرع السلطان

---

(١) عرف الكورديون بهذا الاسم نسبة إلى دهمهم "كورد" وهو من سلالة چنگر خان. وقد انضم أول الأمر بختة حولاكو خان، ثم ثار عليه، وحاجر مع قبيلة وأتباعه إلى أراضي أفغانستان الحالية. واضطرب هؤلاء الكوردس هم الذين كانوا قبيلة "هزاره" هناك، وكانوا يهملون الإغارة على خراسان وسجستان وكرمان ومارس وعلى أديهم دمرد فارس عام ٦٧٧هـ. بعد أن نجحت من غارات القبول عند مصهم إيران. هذا، وقد ظل الكورديون يهرون على حدود إيران ويخطمون ويهرون. كذلك أغاروا على كردى عهد مبارز الذى عهد المظفرى، وظل يحاربهم إلى أن استسلم شقيقهم (نظر بارتوك) تذكره جبرائيل سارتيلى ليران، ترجمة حمزة سرمدنور "طلب راءه" ص ١٣٤، چاپ لول، طهران ١٣٠٨هـ. ش. شرف على القليلى. شرفنامه ج ٢، ص ٢٧٧.

وأعرانه في عقد مجلس الشورى (القوريلتاي)، وأقاموا الولائم والمنفلات. ولما فرغوا من المشاورات والمداولات في مجلس الشورى، قتلوا "بئبال" في الثامن من شعبان وفي يوم الأربعاء الرابع والعشرين من رمضان قتل أمراء الروم: كرز، وجركس وأيس الذهب كانوا متحدين مع سولاميش. وفي يوم الخميس السادس عشر من شوال سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م تزوج سلطان الإسلام من كرامون خاتون ابنة قلعتمشور بن أباناي بويك، ودمج مهرها لها ستين ثوباً من القندم والمؤخر، وأقام حفل الزفاف، وأمرها في المعسكر الأعظم في مكان "دوقور خاتون". وفي لوائح دي الحجة أمر بأن يعود الأمير النجل "خربده" إلى خراسان وأن يحفظ ذلك الإقليم من الاضطرابات.

وفي يوم الجمعة الرابع عشر من ذي الحجة مرت الرمايات السلطانية [ص ٣٣٢] في العاصمة تبريز. وأخيراً قبض على "سولاميش"، وأحضر من الروم وفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من ذي الحجة، قتل في ميدان تبريز بصورة بشعة ثم أحرقت جثته، ودروا رمادها في الهواء. وعلى أثر ذلك شعر سلطان الإسلام بتعب بسبب رمذ أصابه، فصار الناس يحرقون الخمريل (نوع من البخور) لدفع إصابة العين عنه. وكانوا يدعون الله، ملتجئين له الشفاء والسلام.

## حكاية

### توجه سلطان الإسلام إلي ناحية الشام ومصر ومعاريته المصريين وهزمهم وفتح ولاية الشام

في تلك الأيام التي قدم فيها سلطان الإسلام باليمن والإقبال إلى ثبر، كان الرسل يصلون متتابعين من ناحية الروم وديار بكر ويبلغون أن السوريين زحفوا إلى حدود تلك الولاية بهاجون ويقطعون الطريق ويحرقون العلات ويشقون على المسلمين. وقد حاصروا مارد، وأسروا الكثيرين من المسلمين. وفي شهر رمضان هتكوا أعراس بنات المسلمين وشرب بعضهم الخمر كذلك. ولكن سلمت قلعة مارد وحدها من شرهم، إلا أنهم أغاروا على بقية المدينة والولاية. ثم مصوا من هناك إلى ديسر<sup>(١)</sup>، وارتكوا هذه المكرات وأرادوا تكرارها في "رأس العين"<sup>(٢)</sup> أيضا. ولكن الناس هناك كانوا جودا شجعان التحموا بالمعتدين في معركة في الأتفة الضيقة بالمدينة، فصحروا عن التغلب عليهم؛ غير أنهم نهوا كل ما وجنوه خارج المدينة من النواب وغيرها. وفي حلب صاروا يبيعون - على سبيل الشكر والامتنان - أسرى المسلمين بأعلى الأثمان.

فلما بلغت هذه الأخبار السمع المبارك لسلطان الإسلام، تميز عيضا لشدة عجزه على الدين وحمة الإسلام [ص ٣٣٢]، ورأى لزمنا عليه المبادرة بالقضاء على شر أولئك الطغاة وبعد أن استعنى أئمة الدين وعلماء الإسلام، أفتوه جميعا أن دفع شرهم عن محاللك المسلمين

---

(١) ديسر بلدة عظيمة مشهورة من بولس الجوزية قرب مارد، بينهما فرسخان. ولما اسم آخر هو "جوز حصار" راعا بالقرت وهو صبي ولد صارت قرية، ثم راعا بعد ذلك نحو ثلاثي سن. ولد صارت مصرا لا يظهر لها كبرا وكثرة لعل وعظم أسواق. ليس بها نهر جار ينساب يشرب الأمان من أنبار عذبة طيبة، وهو لها صحيح (مصمم القلعة، ج ٢، ص ٤٧٨).

(٢) رأس العين هي من الجزيرة على مسيرة يومين من حرقة، وتشتهر بكثرة هيرسها فهي تبلغ ٣٦٠ حينا تصب في نهر الخابور، ويتضح هذه الفيون فتنسب بساتينها وتقبلها كأنها بستان واحد. وتنتج رأس العين بطقس جميل جدا، ويكثر بها الفطس والقمح والكروم. (تقويم القلعة، ص ١٢٧٩ ترجمة القلوب، ص ١٢٢) بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٢٥).

الذين هم في دمة همة السلطنة؛ فأمير بجند الجيوش وسير حسب ما تقتضيه المصلحة -  
الأمرام من اليمن واليسار.

وفي يوم الجمعة التاسع عشر من المحرم سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م تحركت الرهايات من دفر  
الملك تبرير نحو الشام. وفي اليوم التالي رحل من ظاهر مدينة مراغة، واستدعى "تورين آغا"  
من دهجواركان كي يسير إلى أران، وعبر نهر الزاب في العاشر من صفر، وعسكر في  
مقابل قلعة كشاف. وفي يوم الثلاثاء الرابع عشر من صفر تحرك بالطالغ المبارك لبرج  
الحوت، وودع الخواتم الثلاثي كي قد سرن من الموصل لتوديعه، ثم عُد من حيث أتى.  
وفي يوم السبت الخامس والعشرين من صفر، وصل إلى حدود نصيب<sup>(١)</sup>، واستعرض  
الجيش، وفي يوم الإثنين السابع والعشرين من صفر سير قطع شاه نوبان في المقدمة على  
رأس جيش. وفي يوم الثلاثاء الثاني عشر من ربيع الأول، عبر باليمن والبركة نهر الفرات  
في عمادة قلعة جعفر وصفي، ووصلت أنباء حسنة تبيد أن خلافا قد وقع بين الأعداء<sup>(٢)</sup>

وفي يوم الأحد السابع والعشرين من ربيع الأول، وصلت الرهايات السلطانية إلى مدينة  
حلب، ثم رحلت من هناك. وفي الطريق صادف جيود عاران المروح والخقول، فابتهجوا  
برؤيتها قاتلي. سوف نطعم العلات عتلكد لوى السلطان العال، وخرج من جانب الررع  
وصرح قاتلا: إن كل مخلوق يمد يده إلى هذه الللال أو الللال الأخرى [ص ٢٣٤] التي  
سوف تصل إليها، ويحاولها أو يطعمها غيره، سوف يقتل على الفور؛ لأنه ليس مستساغا أن  
نطعم الذواب غذاء الإنسان.

وفي يوم الثلاثاء التاسع عشر من ربيع الأول رلوا بمطقة "سرمين"<sup>(٣)</sup>، وهر معلوكاي  
أجاسي مع أتباع قيجاق. وفي يوم الإثنين الخامس والعشرين من ربيع الأول اجتاز مدينة  
حملة وبرل بجوار مدينة سلمية. وهناك ظهر برك<sup>(٤)</sup> الأعداء

---

(١) نصيب. من أنظمة مدن الجزيرة شاما. وهي مخصصة بالورد الأبيض ولا توجد فيها ورود حمراء وتقع شمال  
سجلار وجبل نصيب هو الجودي وهو الذي يقال إن سبعة نوح استقرت عليه وتغير نصيب بكثره فلاتها من  
الحبوب والقمح والشعر (تقويم البلدان، ص ١٢٨٢ بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٦٢٤).

(٢) المقصود للزفرة الخطيرة هي دبرها وعشاء ليلة الأورقة (المرزوقا) بالمتعاون مع الأمراء الناصريين؛ وذلك بقصد  
التفاد السلطان وإعادة صاحبهم كتبها إلى عرش مصر. وبالرغم من أن هذه الزفرة قد أبطلت، كانت سببا في  
تأخر رحيل الجيش للمصري، وإصطاف الروج المنزوعة للجنود (التقريز السلوك، ج ١، ص ٣٠٤، ص ٨٨٣ - ٨٨٤).

(٣) سرمين. تقع جنوبي حلب وهي على منتصف الطريق بين حمص وحلب وتتميز سرمين بأنها ذات أشجار كثيرة  
من زيتون وغيره. وليس لها ماء إلا ما يطلع من الأسفل في القصبانج. (تقويم البلدان، ص ٢٦٤ - ٢٦٥)

(٤) فورك. وليس القصب، ومن يراقب من معنى فندقة (أبو المحاسن) ابن تيمر يردى: النجوم الزائرة، ج ٧، ص ١٧٣.

وعندما رأى سلطان الإسلام جوده كأنهم في غفلة، خاضعين عن التأهب للحرب، سار باليس والإقبال مع طائفة من الأنطال الشجعان كي يتخذ الحيلة في تحديد مكان المعركة وليطلع على أحوال الأعداء ثم لم ير بأن يبادى في للمسكر أن الأعداء قد وصلوا. عندئذ استعد جمود المعول لغرض للمركة، وشغل الجميع بإعداد أسلحتهم، وصاروا متأنين للقتال بعد ذلك عاد الأمير چوپان وقال: ليس هناك أثر لجيش الأعداء. وكان الفرض من إداعة هذا البيا على حد قول السلطان: أن سه إلى أنسا قد اقتربا من الأعداء، فعليكم أن تكونوا ينفذين متنبهين، وأن تقفوا مستعدين متحريين. وكان عازان قد احتاط للأمر وعرف أن المصريين قد رتلوا في نفس الموضع الذي كان قد احتشد فيه الجنود في عهد "مكوتشور"، وأنهم قد احتلوا المكان الأصلى وحتى يكون المكان الردى لجسد هذا الطرف (أى جند عازان)، فكر في إفساد خططهم، ورأى من المصلحة عدم مواجهتهم فعال بمسيرته التي تقابل مهمة الأعداء.

وهي يوم الأربعاء السابع من ربيع الأول، نزل عازان على صغاف نهر صغير على بعد ثلاثة فراسخ من مدينة حمص وأمر جوده بأن يأخذوا كمياتهم من الماء لمدة ثلاثة أيام، وأن يسلكوا طريق الصحراء، ويتعقبوا الأعداء حتى يجبروهم بالضرورة إلى التوجه إلى تلك الساحة، فيظل بذلك خططهم التي وصوها. وقد شغل الناس بأخذ حاجتهم من الماء، وظن المصريون أن جمود المعول قد انجهوا إلى اليسار لتوقعهم الفريسة. وكان من المقرر أن يماربوا في يوم الخميس ولإيهام الأعداء بالمريمة، ركبوا دفعة واحدة في يوم الأربعاء [ص ٣٣٥] وتقابلوا وجها لوجه.

ولما علم سلطان الإسلام غازان عن وصول الأعداء، صلى ركعتين بنية صادقة مع جميع الجنود، ثم ركب، وجاء في مواجهة الأعداء مع من كان حاصرا معه من الجود. وكان الأمير "مولاي" على رأس الميمنة، ويليهِ الأمير راده ساتلميش، وبعده الأمير قلع شاه ومن بعدهم "بمس" و"مرتد"، كل مع فرقة المكوبة من عشرة آلاف جندى (تومان). أما سلطان الإسلام فقد وقف في القلب كأنه جبل شامخ وكان في مقدمة القلب الأمراء: چوپان و"سلطان چوپان" على اليمين، وسلطان على اليسار. وكان على مهمة القلب طمريلجه بن آجو سكورجي، وخلف القلب ويرا السلطان من قوى المرتبة السامية وبعد

المعروف للجميع أن حكم هؤلاء القوم آل إليهم اتفاقا وليس استحفاقا، فكلهم كانوا عبيدا لأسرة جد سلطان الإسلام المشهور. ثم قال لهم سلطان الإسلام [ص ٣٣٧]: ليس هناك خير من وجودكم أحياء، ولكن يوجد في الموتى من أسلافكم كثير من الخير والبركة. وبني لأخطركم بأنني سوف أصبح عنكم أنتم المهال إكراما هؤلاء الموتى فاستشر بذلك أهالي دمشق إلى أقصى حد، وقويت عزائمهم، ودعوا للدولة كثيرا

وهي الثانية من ربيع الآخر ذهب إلى مبدل الحصا للتصريح. وعندما وجد زرها باصرا للعاية، رأى من الواجب صيانتها والحفاظ عليه. ثم هي جماعة من الحراس على بوابة "باب نوما" حتى لا يدعوا الجنود يشقون على سكان المدينة، وأمر بإغلاق البوابات السبع الأخرى. وبألا يتجول الجنود في الساتين، ولا يخرّبوها. ثم ولي "تهجاق" إمارة دمشق؛ إذ إنه كان من قبل أميرا هناك، وبذلك دخل في الطاعة. وعين قتلما شحنة على المدينة، وقرر أن يعهد بالتصرف في الأموال والمحافظة عليها إلى فخر الدين أمين الشرحي وسيد رس الدين كما كان الوصع سابقا، وكلعهما بالتصرف حسب القواعد المعهودة والعنادة. وإذا عرض لهما أمر هام، فإن عليهما أن يعرضا على وريعي الحصرة. وهناك طائفة من ملازمي السلطان الذين كانوا هناك مثل كتاب الخزانة والجيش وغيرهم، وهؤلاء جميعا شملهم برعايته، وقرر أن يستمروا في أداء أعمالهم.

بعد ذلك عرض الأمراء رأيهم على عازان قاتلي. "حيث إن أهل القلعة لا يدخلون في طاعة، لا يمكن أن نخلص لنا سكان المدينة. وإذا لمصلحة تقضى بأن نغير على المدينة. ولقد اتفق جميع الأمراء على هذا الرأي. ولقد استولى القلق والرعب على أهل المدينة إلى أقصى حد. ولكن سلطان الإسلام رقى لحافهم، ولم يقبل هذا الرأي، وأصدر فرمانا يقضي بألا يشق أي مخلوق على أهل المدينة، ولا يتعرض لهم بسوء. وأن يمنع معا باتا كل واحد من الأمراء والجنود بريد أن يدخل المدينة، ما لم يكن لديه تصريح خاص من الديوان.

وهي يوم الثلاثاء الثامن عشر من الشهر تنفيذا للأمر الذي كان قد صدر بخصوص السماح بارتداد الخدائق، وقطع الأعرشاب الملائمة للمسيحيين [ص ٣٣٨] بقصد الاستيلاء على القلعة، ألقى جمع من سياس الخيول والأرمن والكرج والأنباغ بأنفسهم في ساحة الصالحية وقتلوا بالقتل والشهب والأسر؛ فنصب سلطان الإسلام من ذلك التصرف. وعلى



الغور أمر أرعى من قوعى بن كيتوبوقا بالذهاب إلى هناك وحماية الناس، وقتل الأشخاص الذين شؤوا العارات، واعتصموا أموال الناس. فلما وصل هذا القائد تفرقت جموع الجند الذين كانوا قد عاثوا فسادا. وأحد جهود أرعى يبحثون عن ديار الكرج والأرمن واستعادوا منهم الأسرى، وأطلقوا سراحهم.

وفى يوم السبت التاسع والعشرين من ربيع الآخر عام مولاي الذي كان قد تعقب المهزمين حتى عرة. وحيث أن الجو كان قد مال إلى الحرارة، لم يهتم السلطان عازان بأهل القلعة الذين كانوا قد خرجوا على طاعة مصر.

وفى يوم السبت الثامن عشر من جمادى الأولى عام من دمشق، وترك الأمير قنلق شاه والأمير جوهان للمحافظة على استتباب الأمن هناك على أن يعودا إذا ما حل الربيع. ثم كلف الأمير مولاي بأن يقيم هناك على رأس جيش كبير، وعين ناصر الدين بجى ليكون فى حلقة قهچاق وأسد عملا مناسباً لكل من ييكيمور وأهليكى اللذين كانا قد قدما إلى المحصرة ولكنهما وكذلك قهچاق سوا حق نعمة سلطان الإسلام ورعايته لهما. وكانوا يشيعون الإشاعات المختلفة مما كان سببا فى عودة الأمير مولاي والجماعة.

وصعوة القول أن سلطان الإسلام عبر نهر العرات فى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من جمادى الأولى فى محادثة قلعة جعير على جسر كان قد اقترح إنشائه، وهو مصنوع من حرم القصب، ومربوط بحبال من ليف الأشجار. وفى تلك اليوم أيضا لحق بمصارب الخيام ووصل "سلطان يسارول" الذى كان قد سار إلى عرة. وعلى حدود مسجار لحق السلطان بالخوئين. كذلك وصل رسل كرماد، وعرضوا على عازان بخان بأ شرد محمود شاه وأشياعه، وقتل علامة العالم مولانا فخر الدين [ص ٣٣٩] فاضى هراة ولولاده بسبب الفتى الذى أثاروها.

وفى يوم الثلاثاء الخامس عشر من جمادى الآخرة، وصل السلطان إلى الموصل. وفى يوم الأحد الخامس من رجب، قدم قنلق شاه بويان من الشام، وأخبر عازان بمخالفة قهچاق وأتباعه. وفى عرة شعبان عبر سلطان الإسلام نهر دجلة. وفى السابع عشر من شعبان وصل الأمير مولاي من دمشق. وفى التاسع عشر من شعبان سعد بشرف لقاء المحصرة - هى منطقة دربند ريكى الأمير نورى وجيجاك وطوعان الذين كانوا قد عادوا من أران، وفى

يوم السبت الخامس عشر من رمضان، تولت الرابيات السلطانية في مراعاة وذهب في اليوم التالي لمشاهدة المرصد، ورأى كل أعماله وأجهزته، وتخصصها بأكملها بشأن تام، واستعسر عن كيفية استعمال كل منها. ورغم وجود مفضلات دقيقة تتعلق بها، فهم أكثرها. ثم أمر بأن يقام مرصد آخر بجوار القبة العالية ومواضع أبواب البر في "شم"، على أن يقتصر بعدة أعمال شرحها كلها بوصوح، لدرجة أن الحاضرين من الحكماء قد أعجبوا بحسن استنباطه إذ إنهم لم يقوموا مثل هذا العمل في أي عهد من العهود وقد بين الحكماء لفران حان أن إقامة هذا المرصد أمر متعذر للعالية؛ فعلمهم ولرشدهم، وشرعوا في إقامة هذا المرصد على سبيل التجربة والاختبار، وأنصوه حسب تعليمات السلطان. وهم وجميع المهندسين المهرة يجمعون على أن أحدا لم يقم مثل هذا المرصد، ولم يعرف له نظيرا. ثم رحل غازان من هناك، وقدم إلى أوجان.

وفي يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شوال، شرعوا في عقد مجلس الشورى (القوريشتاي). وبعد أن انقضى المجلس توفي الأمير النجل آلبو في يوم السبت الثالث من ذي الحجة سنة ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م في أوجان، وحمل جثمانه إلى القبة العالية بتبرير. وفي السادس من ذي الحجة استأنف الأمير النجل غريمده في العودة إلى خراسان. أما غازان فكان معه فقد عزم على الرحيل باليمن والإقبال إلى دار الملك نيربر وكان يذهب كل يوم للإشراف على تشييد القبة العالية. والسلام.

## حكاية توجه سلطان الإسلام إلي الشام ومصر للمرة الثانية

لما دخل فصل الحريف عقد غازان خان عزمه على السير مرة ثانية إلى ديار الشام. وفي يوم الإثنين عرة انصرف سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م سير الأمير قتلغ شاه في المقدمة على رأس جيش كبير.

وفي الخامس عشر من الشهر المذكور غادرت الزايات السلطانية تبريز، وهي على هذا العزم. وفي الثالث من صفر أعاد يورس لقاء من "جماتو" كشي يمتص إلى أران. وفي الرابع من ربيع الأول وصل باليس والإقبال إلى مدينة الموصل، وأمضى يومين أو ثلاثة في الأسي والسورور ثم سار إلى منطقة "أبو ميرى" بناء على اختيار الجند وسير الأميرين چوهار ومولاي في المقدمة.

وفي ذلك الوقت توفيت طعان شاه عاتون بنت مبار كشاه في منطقة سجار. وفي السادس من ربيع الآخر عادت الخواتم اللاتمي قدام من رأس العين لتوديع غازان. وفي الثاني عشر من ربيع الآخر وصل "شيفا" من قبل الجيش، وأخبر قائلاً إن يركسا (رئيس عسك) ذاهب بعدة فرسان، "كوشلوك" طليعة جيش الأعداء، وقتل منهم أسيراً

وفي السابع من صفر عبر سلطان الإسلام الفرات بمحاذاة جعبر وصفين. وفي يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من صفر برز في أعلى "جول" على مفرة من حلب ثم وصل "قبرنو بهادر"، ومعه العديد من السوريس الذين كان قد أسرهم. وفي السابع والعشرين شاعت الأراجيح عن وصول الأعداء، فذهب الجيش كله دفعة واحدة. ولكن اتضح بعد التدقيق أن هذه الأخبار ملفقة فتخلوا عن حالة التأهب القصوى. وفي الخامس من جمادى الأولى اجتازوا حلب، وبرلوا في رباط "رصيحي" على ضفاف نهر "توقق" الذي هو عبارة عن وادي نهر مدينة حلب. وفي السابع من الشهر حلوا بمحاذاة قنبري.

ولما لم تكن هناك أخبار عن الأعداء، ولم تخرج سلطان مصر نحوًا ورعبًا، راف سلطان الإسلام بيلاذ للمسلمين، ولم يتقدم أبعد من ذلك، وأمر بأن يربط قتلغ شاه مع جيشه في

"سرمي". وكان المطر غزيراً في ذلك الشتاء. [ص ٣٤١] وقد اتفق أن نزل في موضع ردى الأمير سوتاي مع بعض من جود الأمير "شباوجي" الذين قدموا من الروم وعجأة هطل مطر غزير<sup>(١)</sup>، واشتد البرد، وظهر وحل كثيراً بحيث إنه لم يستطع الأميران أن يتصل أحدهما بالآخر وهناك كثير من دوابهما بسبب الوحل والبرد. ولهذا أرسل السلطان عازان الأمير مولاي مع تومان من الجود (عشرة آلاف جدي) حتى ينفقوا المصابرين بدوابهم وعندما وصلوا إلى هاشاك، استطاعوا أن ينفقوا أنفسهم بألف حيلة (بصعوبة بالغة).

وفي الثامن والعشرين من جمادى الأولى عاد السلطان، واحتار الجسر الذي كان قد أقيم بمساعدة مدينة الرقة، ودار قبر عمار من ياسر وشهداء صميين (رعى الله عنهم). وفي يوم السبت الخامس عشر من جمادى الآخرة لحق بالخواتين والجود في موضع "چهار طاق" أدنى سجار. وفي سلخ ربيع الآخر توفي الأمير ساتلميش بن بورالقي من أقارب "التاجو آقا" على حدود كشاف، صرح السلطان حرباً شديداً لبناً وفاته. وفي يوم الخميس الحادي عشر من رجب وصل من الشام "سلطان يساول" وفي منتصف رجب عاد أيضاً الأمير قتلغ شاه، وأمضى مع مرافقيه عدة أيام في تلك المنطقة في الأوس والتمتع والصيد.

وكانت يوم كان سلطان الإسلام يعلو وراء أحد العزلات ورماء سهم. وهذا كأن السهم لم يصبه. ولكن سقط العزال فجأة فاحتاط أتباع السلطان للأمر غير أنه اتضح أن العزال أصيب من ذلك السهم بتسعة جروح. وقد شاهد هذا المظهر عامة الخلق، وتبين لهم كيف حدثت تلك الجروح التسعة وذلك أن سهماً يسميه المولود "توبه" يصله له ثلاث ريشات حادة إلى أقصى حد قد أصاب العزال عند ثوبه في الخراء، فتقاربت يدها ورجلاه، فأصاب السهم قوائمه الأربعة وجرحها، وورق منها، فأصاب صدره وبطنه، ونجت أذنه كذلك. وقد أحدثت كل ريشة من الصل جرحاً طويلاً. وعندما وصل تأثير السهم إلى عنقه وحلقه [ص ٣٤٢]، فجرحه جرحين آخرين؛ بحيث إنه قد ظهرت فيه بالتحديد على هذه الصورة تسعة جروح.

(١) انظر تفصيلات من هذا الحدث في كتاب ريدة الفكرة في تاريخ الجزيرة، ج ٩ ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

بهذه الرواية تكون قد محيت عموماً تماماً حكاية "بهرام غور"<sup>(١)</sup> الذي رمى بمهارته عراً لاً  
 مربوط ظفله بأذنه، تلك الحكاية التي أعجب بها الناس كثيراً. وعلى مدى ألف وخمسمائة  
 عام ظلوا ينقشونها على الجدران، ويصورونها في الكتب. ولقد شاهد هذا الحادث ما يريد  
 على ألفي شخص.

وهي يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شعبان، وصل رسل توتقاي ملك الوس جوجي  
 وتشرفوا بلقاء الخضر ثم عادوا سريعاً. وهي يوم الأربعاء سلخ شعبان عبر غازان خان بهر  
 دجلة، وأمر وهو في الطريق باعتقال الأكراد الذين كانوا يرتكبون كل أنواع الجرائم  
 ويمشون في الأرض فساداً، وقُتل منهم الكثيرون. وهي الرابع والعشرين من رمضان رل  
 غازان خان في أوجان. والسلام.

---

(١) تكتب المصادر العربية: "بهرام جور" واللفظ به بهرام الخامس بن بوجدرد الأول المعروف ببوجدرد الأهم أحد  
 ملوك الساسانيين. تولى بهرام عرش إيران بمساعدة قنصلان بن القنر ملك الحيرة حكم من سنة ٤٢٠ - ٤٣٨ م.  
 كان بهرام مثلاً أعلى للشجاعة والفروسية ونظراً لولته بعيد حمار فرحش (گور) أطلق عليه "بهرام گور" كان  
 ينظم الشعر بالفارسية والعربية. أحبه الإيرانيون لبله إلى عمرو والفتح والانتصار على الأعداء، ولكنه عطف على  
 الرعية إذ أباح لهم أن يأخذوا بصيهم من الظهور ولقمة إلى لقمة حد. وقد اشتهرت سيرته بولمه بالفريد وعشقه  
 النساء.

## حكاية تكريم الفواجه سعد الدين صاحب الديوان وقتل حساده

بعد أن عاد سلطان الإسلام باليس والبركة والإقبال من رحلته بالشام، مزل بمدينة الإسلام "لوجان". وفي السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م كرم الفواجه "سعد الدين"<sup>(١)</sup>، وشمله برعايته إلى أقصى حد، ومسحه "الختم الأحمر" "التمغا"<sup>(٢)</sup> وعرض إليه شئون صاحب الديوان وفي غرة ذي الحجة كان رفاق قتلح شاه بوبان على "أهل قتلح" ابنة گهجاتو.

وفي ذلك المصيف كان جماعة من المقربين وأصحاب الديوان مثل صابر القاضي والشيخ محمود والسيد قطب الدين أيجو الشيرازي وغيرهم من الأنواع قد عقدوا جلسة للمشاورة بقصد إقصاء السادة من كبار موظفي الدولة.

[ص ٢٤٣] وفي المجلس الذي كان "يحتسى فيه السلطان الشراب"، صار يذكر الأمراء. وكان السيد قطب الدين الشيرازي حاضراً، فقال: "إن بامشيش كان رجلاً حسن السيرة فقال السلطان: أنت تتحدث عن حسن سيرته لأملك ذهبت معه إلى شيراز، وكان أداة لكسبك، وجلب المتعة لك، وحصلتما على أموال طائلة من هناك. ثم أضاف السلطان قائلاً: إنك وأمثالك تسعون دائماً إلى الفتنة والشر. فرد قطب الدين غمت وطأة السكر. إن السلطان يظهر الكرامات كأنه كان معاً أثناء المشاورة. فأدرك السلطان بحسده وعراسه ما دار بين المتأمرين. وفي تلك الليلة أبعث أمر باعتقال الشيخ محمود. وفي الصباح قبض على

(١) انظر تفصيلات عن هذا الزور في كتاب مؤرخ لثول الكبير، تكليف الدكتور مؤاد عبد المظني الصباد، القاهرة

١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م.

(٢) كلمة متولدة مركبة من لى بمعنى أحرر معنا بمعنى عظم، أى الختم الأحمر وأحياناً يكتب هذا فقط "تمغا" أى "وكان هذا الختم أول الأمر مريح الشكل، والختم به للشجرات والقرمقش والأحكام، وذلك بملامح الأحمر وبه على طلب مرور أسد السلطان غزاة أسره بالى بخر هذا الختم، عسبر مستطراً بدلاً من أن يكون مربعاً وذلك بقصد تيسر التفريق والخلال (انظر الجربى، تاريخ جهانگشاى، ج ١ ص ٦٥ من الطبعة مؤرخ لثول ص ٧٧).

صايب القاضى والسيد قطب الدين ومعين الدين الخراسانى وامين الدين اليزيدى وسعد الدين حبش، وشرع المحققون فى استجوابهم. وبعد سبعة أيام أطلقوا سراح أمين الدين. وبعد عشرة أيام أطلقوا أيضاً سراح سعد الدين حبش لأن كلا الاثنى لم يرتكب ذنباً. وهى يوم الاثنين الثانى والعشرين من دى الحجة قتل صايب القاضى والسيد قطب الدين ومعين الدين فى موضع "دول". وفى يوم الأربعاء منتصف المحرم سنة ١٣٠١/١٣٠١م أطلق سراح الشيخ محمود بشفاعة بلوغان خاتون.

كان سلطان الإسلام غازان رحيم القلب إلى أقصى حد، ولا يميز إسناده أى مخلوق لدرجة أنه إذا سقطت دهاية فى الطعام فإنه كان يخرجها بيده المباركة بحيث لا يكسر جاحها ويدعها تستعيد قوتها، ثم يطورها. مع هذا كان يصرح بقوله 'إن قتل يهوضه برينة أشق على من قتل إنسان مدس؛ لأن ترك الإنسان الكثير للعتة حياً يؤدى إلى خلل كبير لا سيما فى شئون المملكة والسلطنة'.

**توجه سلطان الإسلام غزان خان إلى ألاتاغ  
ثم تفرقه من هناك عن طريق نخجوان  
إلى مشنى أران، ووصول الرسل  
الذين كانوا قد ذهبوا إلى مصر**

في يوم الأربعاء منتصف المحرم سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م توجهت الرابات السلطانية إلى ألاتاغ. وفي الحادي والعشرين من الشهر المذكور سار قطع شاه بويان على رأس جيش قاصداً ديار بكر عن طريق مراغه. وفي يوم الخميس الثاني من صفر، سار سلطان الإسلام في قصر ألاتاغ. وفي يوم الأحد الثاني من ربيع الأول تحرك من ألاتاغ قاصداً أران عن طريق نخجوان. ثم صدر الأمر بعودة الأمير قتلغ شاه إلى ديار بكر. وفي يوم الاثنين السادس عشر من ربيع الآخر وصل كمال الدين الموصلى وعلى خواجه اللذان كان قد سارا برسالة إلى مصر. ولأن الحيوش عسكرت في منطقة قزاق، لم يمكث سلطان الإسلام هناك طويلاً، وسار للصيد في جبال شروان ولكرستان حيث مارس الصيد عدة أيام. ومن هناك توجه إلى ناحية غاوباري للصيد الإزور. كما اشتغل هناك مدة بصيد الطيور والأسماك ثم نزل بموضع "خليرى" التى سماها السلطان "قوش قيون"، وهى التى تقع على شاطئ البحر، وتبعد إلى حدود برمكى، وتربها كافة أنواع الكركى والطيور المائية التى تعود من المشنى إلى المصيف. ولما حدث الأتوية السلطانية بتلك المنطقة على مقربة من "درسد"، انهزم ملك الأتوس، كما انهزم [ص ٣٤٥] أسراؤه الذين كانوا على مقربة من هذه الناحية طائس أن الأتوية العاربة متوجهة إليهم، وأن الجند عبروا الأنهار. وبعد مدة عرفوا أن الأمر على خلاف ظهم، فعاد التجار إلى التفتل مرة أخرى. وقد دخل في الطاعة جميع أسراهم لكرستان الذين كانوا قد أعلنوا العصيان والتفرد ضد مدة طويلة، واحضروا في الجبال الميعة فتوجهوا إلى المحصرة عن إخلاص وورعاً وشكوا بالعروة الوثقى طالعهم سفادين. وقد اعتقل جماعة اللصوص والرعاع الذين كانوا قد قدموا من ولاية آذربيجان واعتصموا بالجبال. وكانوا يمارسون أعمال اللصوصية وقطع الطرق فقتلوا جميعاً. ثم عاد غزان خان



من تلك الجهات، ونزل في المعسكرات في يلسوار و"همه شهره". بعد ذلك خرج معترفاً الصيد في المناطق الواقعة على طريق تالشان واسيهيد. ثم أمر بإقامة جدارين من الخشب والحسك وسط تلك الجبال، وذلك في مدة ما يقرب من يوم واحد؛ بحيث كانت الفتحة الخارجية الواقعة بين الجدارين بقدر مسيرة يوم واحد تقريباً. وكانت تضيق شيئاً فشيئاً على شكل مخروطي حتى تصبح الفاصلة بينهما خمسين ذراعاً. وهي قاعها لقاموا - من الخشب - ما يشبه الحظيرة. وبعد ذلك أعد الجنود حديقاً دائرياً، وأخذ المصائدون يسوقون الصيد<sup>(١)</sup> بين الجدارين، حتى جمعوا الحيوانات كلها في تلك الحظيرة. وكان من يسها البقرة الجبلية وحمار الوحش والعرال وابن أوى والثعلب والذئب وغير ذلك من أنواع وأصناف الوحوش والطيور.

ولما كانت هذه الحيوانات محصورة بين الجدارين وليس لها مخرج كان لا مفر لها من الدخول في الحظيرة. وكان سلطان الإسلام يجلس مع بولوعان خاتون في عريشة صعدت من الخشب، وأقيمت وسط تلك الساحة، فكانا يشاهدان تلك الحيوانات. وقد اصطادا بعضها، وأطلقا بعضها الآخر. ثم رحلا من هناك، وكانا يتجولان ويتقلدان من مكان إلى آخر إلى أن وصلا إلى دار الملك ميرير. فصار أهل ولاية ادريجين من رجال ونساء وكبار وصغار يسطلون أيديهم بالدعاء عن طواعية وإسلام. كما لهجت ألسنتهم بالشاء على حصره السلطان. ثم خرج جميع أهل تبرير مع علماء الإسلام بنظام وترتيب تام، وقاموا بمراسم الاستقبال، فأظهر لهم سلطان الإسلام كل عطف ورحمة، وأعلمهم من التكاليف والمؤن غير الملائمة. والسلام.

(١) جرماً على عبادة آلهة وأهبداده الذين كفروا يعتقدون بالصيد اقتسماً كبيراً، ويجدون فيه ربحهم الملية وينعمونه وسيلة للإعتماد والتعريب إذا ما جد الجهد، ودعوا إلى حمل السلاح وخوض غمار المعارك بهم في حليفت الصيد يتنهبون على ما سيجعلونه وقت الحرب (إنتظر الجوهري: تاريخ جهاتگشاى، ج ١ ص ١٩ - ٢ د. السامي عبد الباقى - عطا ملك الجوهري وكتابه جهات گشا ص ٢٣١ - ٢٣٢، القفزة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م للفرع في التاريخ، ص ٣٤٢ - ٣٤٤).

## حكاية

### الاحتفال العام الذي أقيم بأمر سلطان الإسلام في المعسكر الذهبي بموضع حديقة أوجان وختم القرآن هناك، وبذل الصلابة والصدقات

كان سلطان الإسلام قد أمر الصاع البارعي والهندسي المهرة بإقامة سرادق مسوح مخيوط ذهبي، وعرش مطلي بماء الذهب. وكان هذا السرادق مروقاً بالآلات والأدوات المناسبة. وقد ظلت مجموعة كبيرة من الصاع، تعمل مدة ثلاث سنوات هي إعداد ذلك السرادق. وما أن حل غاران بدار الملك تبريز في هذا الوقت حتى كان السرادق قد تم.

وفي أواخر ذي القعدة سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م سار غازان خان من تبريز إلى أوجان. وهناك كانوا قد أقاموا سوراً حول مرج ناصر بهيج للعامة، أعد لروحه المبارك حيث تجري الأنهار والياييع. وقد أقيمت الأحواض والبحيرات العظيمة، فاخذتها أنواع الطيور مأوى لها، وقسم ذلك الربع المساوي الأصلاخ إلى أقسام متساوية، وعلى جانبي كل ممر منها غرست أشجار الصفصاف والخور ليسر الناس من تلك الممرات، ولا يسير أي مخلوق وسط المرج. وقد عيّن طريق لكل طائفة لتعرف من أي تدخل، ومن أي يخرج ثم أمر بإنشاء الخواصق والأبراج والخمائم والعمارات العالية، [ص ٣٤٧] وبأن يقام كذلك السرادق المطرر بمخيوط ذهبي وسط تلك الحديقة، وكذلك التحيم السلطاني والمطلات الخاصة به. وقد احتشد جميع العمال والهندسين، واستطاعوا إقامة التحيم في مدة شهر. وكان غاية في المعظمة ثم وضعوا العرش المرصع بالجواهر والياييع.

وتعظيماً للإسلام بادر غازان خان قبل إقامة الحفل بدعوة السادات والأئمة والمشايع والقضاة والصالحين والشيعة دعا أهل الأم من الطوائف الأخرى، ثم توجه إلى الجميع، وعاطبهم بلسان فصيح وبیان عذب، وساق على لسانه حديثاً دقيقاً في باب الحكمة والمعرفة. وكان يصحح طبقات الناس ويعظمهم، وصار يشكر العم والآلاء الإلهية. وخلال حديثه قال: إني أنا الصمد الصغير أعترف وأقر بالمعجز والقصور وكثرة الذنوب وبأنني لست جديراً بهذا العطاء، ولا لائقاً لهذه الموهبة؛ غير أن فيص الرحمة والرأفة الإلهية

وأثار لطف وكرم البارئ عز و علا عظمة في حق عباده إلى أقصى حد. ولا شك أن نعمه من الكثرة بحيث لا يستطيع ابن آدم، ولا جميع الخلائق أن يوفوها حقها من الشكر ولست غافلاً عن أن شكرها واجب ولزم بمائة ألف لسان؛ إذ إن الله - فضلاً وإحساناً - مه قد أدخل جميع خلائق إيران الذين هم ودائع المحصرة الإلهية في دائرة طاعته. ولست أجدع بمرور الملك السريع الروال، والذي استرع من عدة آلاف من الأشخاص، ومن بين أصناف النعم التي من الله بها على أنه منحى ما لم يمسحه الملوك الآخرون. وقد حقق لي آمال أسلافى وإن أفصلها أن عباده قد أسوا بطشى [ص ٣٤٨]، وهم راضون بحكمى وراغبون فيه.

وبناء على هذه المعاني والقدمات لم أشأ أن أدخل هذا السرداق والمهيم بالجناه والجبروت ويسمى في هذا الزمان أن يؤدي شكر هذه النعمة العظمى عن وأنتم أى الحاكم والمحكومون؛ وذلك يكون بالتصامى، ودون معاق ورياء، ويطلب من الله عفران دنوبنا مخلصين متصرفين

والآن بدأ جعلنا بتلاوة للقرآن الكريم، ويؤدي الطاعة والعبادة، ثم مشغل باللهو والطرب.

هكذا نطق غاران بهذه الكلمات للهدية، وذكر اسم الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم بالتعظيم. ثم وضع قدمه المبارك في السرداق وأسد ظهره إلى مسد التوفيق والسجاج. ثم أمر بإحضار ما لا يعد ولا يحصى من قطع الذهب والنياب، وتصدق بها كلها بعد إطعام الناس بأصناف الأطعمة المختلفة شكراً لله؛ بحيث مالت كافة الطوائف نصيبها منها. بعد ذلك اشتملت كل طائفة على طريقتها مدة ثلاثة أيام بلياليها بختم القرآن، وأداء عروض العبادة.

وفي يوم الاحتفال وصح غاران على رأسه تاجاً مرصعاً بالجواهر لم ير أحد مثله، وشطق بمسطقة مناسبة له، وليس الثياب المزركشة للشمعة للنهاية، وأمر أيضاً بتزین الخواتم وجميع الأمراء الأنجال والأمراء والمقررين بكل أنواع التزينة وكان الجميع ينتظرون الجياد التي لا نظير لها، وصاروا يتجولون.

وبعد انتهاء العمل انصرف إلى صبط شئون المملكة، وتدير مصالح السلطنة والرفيه عن الرعايا، ورعاية كافة البرايا. وكان قد تشاور مع أمراء الدولة وأعيان المحصرة، فاستقر

الرأى على أن يقيم الأمير خربنده في مازندران وما جاورها خلال الشتاء، ويمضى الصيف في نواحي طوس وأبيورد ومرو وسرخس ومنطقة بادغيس. وأما الأمير بورين فيستوفى أراكان مع جنوده للمعسى، وذلك طبقاً للقرار السابق على أن يظل مقبلاً هناك. [ص ٣٤٩] أما الأمير قتلغشاه، فيتوجه إلى ناحية جورجيا، ويسير بعضاً من جنود الكرج إلى ناحية ديار بكر، ويصمون إلى كتيبة الأمير مولاي المكونة من عشرة آلاف جندي ليكسروا على أهبة الاستعداد للسفر إلى الشام وأما كتيبة هولاجو فترحل إلى فارس وكرمان؛ حتى إذا دعت الحاجة فإن عليهم أن يهضموا إلى الأمير ساداتي وسلطان كرمان.

وهكذا نُظمت الأمور وفق هذا الترتيب، وبعد الجُمُيع ما أشار به السلطان. والسلام

## حكاية

### توجه الرايات السلطانية من مدينة الإسلام أوجان إلى بغداد، والأحداث التي حدثت في الطريق ثم الوصول إلى واسط والحلة وعقد النية على السير إلى الشام

في عرة المحرم سنة ١٣٠٢هـ/١٣٠٢م توجه سلطان الإسلام من مدينة الإسلام "أوجان" إلى ناحية همدان عاقداً الحزم على السير إلى الشام. وهي تلك الأيام تقرر أن يسير الأمير "نورس" إلى أران لقضاء الشتاء والمحافظة على تلك الجهات.

وقيل أن يستأذن من الحضرة توجه نحو "هشترود" وقد ليس للسواد أساء شرف الدين عبد الرحمن الذي كان حاكماً على تبريز مدة من الزمان ثم سار بعد ذلك ليكون مستوفياً على ممالك الروم، ولجأ هؤلاء الأبناء إلى عدالة حصرة السلطنة فالتفت إلى نظام الدين أبي حواجه وجهه قد أسر بقتل والدهم. وعندما بلغت الرايات السلطانية هشترود نال الأمير نورس الإغراز والتكريم ثم عاد متوجهاً إلى أران (ص ٣٥٠) وهي يوم عاشوراء قتلوا نظام الدين يحيى أبي حواجه وجهه وذكواته بن أبي بكر داد قابادي ناحية يور آعاج وهشترود. كما قتلوا في اليوم التالي عربشاه حفيد السلطان "حجاج كرمان". ومن هناك دخل السلطان همدان، وشرل في الخاتمة المبارك الذي أنشأه في قرية يور بهجرد، وأوقف عليه أوقافاً كثيرة وكان بناءً فخماً وعالياً إلى أقصى حد ثم سار من هناك إلى "جمان ساوور" فراهان حيث أقام عدة أيام. ثم سلك طريق نهاوند فاصداً بهجبال.

وفي ناحية ييستون دخل في طاعة غاران ثلاثة من أمراء الشام كان مقدمهم على شير فاكرمهم سلطان الإسلام، وأنعم عليهم. ووقت فتنة نوروز، واعتقال إسوته وأتباعه في ناحية كرمانشاهان كان السلطان يقيم مع جماعة من المقربين إليه في العراء في الصحراء دون خيمة تؤويهم. وقد ناموا وسط جبل كان قد بنت أمامه شجرة وارعة الظلال. ولأن لكرى لم يكن قد قص عليه، ولم يكن مصر نوروز قد علم، كان الخاطر المبارك لعازن مشتتاً ببعض الشيء وبخصوص ذلك الأمر، صار يعكر في ذلك الموضوع، فظهر من عالم

الغيب فتح ومرج. وعندما وصل إلى هناك وكانت الآمال قد تحققت تذكر ذلك الموضع وتلك الشجرة؛ فذهب قاصداً رهلة تلك الشاحة، وبصحبته جميع الخوئين والأمراء، فبكى وتذكر تلك العزيمة والصراعة والمعنويات [ص ٣٥١] التي توجه بها في ذلك الوقت فأدى واجبات الشكر على ما ناله من ظفر وبصر، وصلى ركعتين صلاة الحاجة، ثم سجد. وتخشع تام، طلب من حصرة الحق تعالى النصر في جميع الأحوال، ثم رفع رأسه. وأخذ يصيح الجمع قائلاً: استصحبوا بالحق جل وعلا في السراء والضراء، ولا تياسوا من رحمة بأى حال ولا تمخروا ولا تعثروا بأى شيء. وثيقنوا أنه لن يغيب الله عنكم طرفه عين، ولا تتحدعوا بثقتكم وقدرتكم، واحشوا البطش الإلهي. ثم التمس عاربان حاجاته من الحق تعالى، وموى نوايا طيبة من كل نوع؛ خصوصاً فيما يتعلق بتحقيق العدل والإنصاف على نطاق واسع. بعد ذلك ربط جميع الحاصلين علامات على تلك الشجرة، وأصبحت مزاركاً لهم.

بعد ذلك عزف المطربون بعض العزف، ورفض الأمراء وكان الأمير يولاد چيگسانك حاصراً، فقال إن "قوله قآن" عم جد سلطان الإسلام، كان في عهده ملكاً على عدة أقوام وكان بطلاً في غاية الشجاعة حتى كانوا يصيرون به النثل في البطولة، ونظموا فيه شعراً كثيراً وكان صوته جهورياً مرعاً بحيث إنه كان يصل إلى السامع على بعد سبعة نلال. وتصادف أنه سار ذات يوم لمحاربة المركيت<sup>(١)</sup>. وفي الطريق وحصل إلى إحدى الأشجار؛ فنزل عندها، وناجى الله الأزل، وطلب منه النصر، وبدر قائلاً: إني إذا انتصرت على العدو، فسوف أجعل هذه الشجرة مزارك، وأرنيها بالأقمشة الملونة الجميلة، فصره الحق تعالى على علوه. ولما عاد بعد الفتح، وتقدم إلى تلك الشجرة، وقى بصدرة وريها، وشكر الحائقي عز وعلا. ثم أخذ في الرقص مع جنوده تحت تلك الشجرة، ودقوا الأرض

(١) قوم مركيت، يطلق عليهم اسم "مركيت"، وهم يسكنون المنطقة الواقعة شمال بلاد الكرابت على نهر سندجا وجنوب بحيرة بايكال. وكان لهم جيش قوى ذو رأس شديد في الحروب، ويعتدون أصلاً من حسن الملوك، ولكنهم قاموا بعدة حروب ضد چيگن خان وكونك خان. وقد عرف عن هؤلاء القوم ميلهم إلى القشب وإثارة الفتن. وهذا عن عليهم چيگن خان حرباً شعراء مستصلاً نفساً ما عرف من الملوك من فسوه وخفة. (انظر رشيد الدين فضل الله جليلي، تاريخ، جلد اول، فراتماش پندش قبائل مغول، تاليفان دورق تيمور شاه، ص ٧١ - ٧٣، بكوشش دكتور بهمن كرمي، تهران ١٣٣٨ هـ ش.)

بأرحلهم دفناً عيفاً إلى حد أن هبط ما حولها بقدر ذراع، وأحدث حفرة عميقة فاعجب سلطان الإسلام بذلك الكلام إلى أنقصى حد، وقال: لو لم يكن لأجدادنا هذه الية والإحلاص، لما صيرهم الله سادة ملوك العالم، ولما بلغت أسرتهن هذه المسال والرفعة والدرجات العالية [ص ٢٥٢] ثم مكث ساعة في حالة من المرح والسرور مصعباً إلى المطربين.

بعد ذلك سار السلطان غازان عقب الجيوش، وعجاة وصل الرسل من قبل الأمير قتلغ شاه، ومعهم أمراء الشام الذين كانوا قد فروا من هناك، ودخلوا في الطاعة، وعنى رأسهم "علاء الدين"، فشملمهم السلطان بعطمه وطيب خاطرهم بالعود الطيبة. وبعد تلك الحدود أيضاً وفد رسل فاسيليوس ملك القسطنطينية يحملون التحف والهدايا، وأبلغوا غازان أن فاسيليوس يريد أن يكون في ظل حماية سلطان الإسلام، وأن يرسل إليه ابنته لتكون عطية له، فشملمهم السلطان بعطمه. ومن هناك رحل إلى "بديجين" وبعد إقامة ثلاثة أيام، أرسل الخواتم والأسر إلى بغداد. وفي يوم الأربعاء الرابع عشر من ربيع الآخر، ركب من بديجين قاصداً الصيد في جوق. كذلك شغل بالصيد عدة أيام في مواحي شيب وواسط ومشهد سيدي أبي الوفاء رحمه الله ثم ذهب لزيارة المشهد، ونحى الجوارح بالصدقات والإنعامات، وأمر بإقامة عمارات على شاطئ النهر الذي كانوا قد أجروه من نهر الفرات إلى تلك الصحراء القاحلة، ولذلك السب صار ذلك المشهد كأنه مدينة. وبعد ذلك قدم غازان من هناك إلى الحلة، ونزل في المعسكرات وهي الحلة وصل إلى الحصرة القاضي بصير الدين التبريزي والقاضي كمال الدين الموصلاني اللذان كانا قد أرسلهما غازان من أران برسالة إلى مصر<sup>(١)</sup>، ثم عادا من هناك، ومعهما رسل مصر، فقدموا الرد على الرسائل وكان يجابه الصواب. كذلك قدم رسل نوقا اليانغ عددهم ثلاثمائة فارس.

وفي يوم الأحد غرة جمادى الآخرة الذي كان على رأس السنة التركية أقيمت الولائم والاحتفالات. وفي ذلك اليوم تشرف بلقاء غازان رسل مصر وكذلك توفنا، فخصه برعايته العائقة ثم أرسل المصريين [ص ٢٥٣] إلى تبريز، وأعلن عليهم أبواب المدينة حتى لا يهادروها.

(١) انظر هي الرسالة في كتاب رتبة المنكره في تاريخ المبره ج ٩ ص ٢٢٦ ٢٢٧

وفى يوم الإثنين التاسع من جمادى الآخرة اجتاز غاران حان جسر الحلة قاصداً ديار الشام. وفى يوم الإثنين السادس عشر من الشهر المذكور دار مشهد أمير المؤمنين الحسين (رضى الله عنه)، وعلّق عليه الستار الفاخرة التى كان قد أمر بإعدادها للمقام هناك، وسمح للجوارى والمناصرى صدقات لا حصر لها. ومن حاصلات الشهر العاراني الذى كان قد حفر فى تلك المنطقة، والذى كانت مياهه تخرى إلى "مشهد" عتس ثلاثة آلاف من من الخير، تقدم يومياً للسادات القميين هناك. وفى ذلك اليوم وصل "الرمسى بلا" من خراسان وأبلغ أن ثلاثة أو أربعة آلاف من المتحدرين قد اقتربوا، فهاهمهم الجحود المتصورون وأنهكهم واقتوهم عن آخرهم؛ فسر السلطان غاية السرور، وراح به وشغفته عو أخيه<sup>(١)</sup>.

وفى يوم الجمعة الرابع من رجب سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م وصل رسول أبلع السلطان أن الأمير "نورى آقا" قد توفى فى مثنى أران فى أوائل جمادى الآخرة؛ فحزن سلطان الإسلام بسبب تلك الواقعة. بعد ذلك شرع يتنقل الفرات من شاطئ إلى آخر. فلما بلغ "حديثة"<sup>(٢)</sup> أمر أغلب الخوارج وكل أفراد الأسر بسور نهر الفرات والدعاب إلى ناحية سنجار، والإقامة هناك. ثم توجه بنفسه على رأس جيشه إلى عانة<sup>(٣)</sup>. وكان برفقته بعض الخوارج الأحراب بقصد توديعه. وفى يوم السبت الثانى عشر من رجب برل بمدينة عانة. وفى الحقيقة أنه لا يوجد مكان فى العالم أكثر روعاً وجمالاً من هنا المكان؛ إذ إن المدينة تقع على جزيرة وسط الفرات، وقد أحاطت بها الخنادق والبساتين الرائعة بالأشجار والفراخين؛ وذلك بعرض مرسى، بحيث إن ضوء الشمس لا يقع من جوانبها على الأرض. وهناك أنشأوا الجواسق والأبنية العالية المحيطة من الرخام. وقد شيدوا بناءها من أعماق الأرض، وفتحوا فى جوانبها النوافذ التى تطل على الفرات، والخنادق الشبيهة بالجنان

(١) المقصود أسوة أولادهم. وكان قد عتس من قبله حاكمها على خراسان

(٢) الحديثة عرشها. أحدها هذه الحديثة التى من من بلاد الجزيرة، وبع على الفرات تحت عانة، وفوق الأسار وثانية حديثة للوصل. والحديثة بلد على بعد فراسخ من الأسار من وسط الفرات، وثالث، محيط بها، ويطلق لها حديثة الثورة (تقويم البلدان ص ٢٨٧).

(٣) عانة بلدة صغيرة على جزيرة فى وسط الفرات. وفى على مقربة من شططة وتشتهر بعمرها الذى يتردد صدها فى الأشجار (تقويم البلدان، ص ٢٨٧).



[ص ٣٥٤] وهكذا فإن بهجة تلك البساتين وبضرتها ومزارع النخيل لما بهوق حد الوصف. وعلى هذا النمط الذي ذكر، تعدد عمارات توابع القنات إلى مسافة تسعين فرسخاً ابتداءً من "سكر فلوجه" الواقعة على حدود الأنبار حتى نهاية سروج<sup>(١)</sup> وحران<sup>(٢)</sup> وهذه العمارات يتصل بعضها ببعض على امتداد هذا الطول المذكور، وبهرص فرسخ أو أكثر على شاطئ القنات؛ بحيث لا تحسر قطعاً ظلال الأشجار عن أية بقعة وتظل السهول معلقة على الغمام، ودواليب السواني تنور بالمياه على الجانبين ليلاً ونهاراً، والجواسق والأبهاء العالية متلاصقة.

وصورة القول فإن بلوكان خاتون ودعت زوجها غازان خان، ثم عبرت النهر وتوجهت إلى سجار أما الرايات السلطانية فقد قصدت مع الجيش المظفر إلى رحبة الشام وقبل وصول الرايات السلطانية إليها أشيع أن العدو قد ظهر في أطراف الشام. ورغم أن الإشاعة كانت كاذبة فإن السلطان أمر باستعراض الجند، وتنفذ أحوالهم لتعنته الجيش وإعداد الأسلحة والدروع.

وهي اليوم الثامن والعشرين من رجب ساروا حتى ظهر الرحبة وكان الأهالي هالك قد هيلوا العجلات الخرية، وانقلوا للاستعدادات الأخرى. ولكن غازان لم يعبأ بذلك، وغادر معسكره ليلاً، وصار على مقربة من القلعة وكان الأمر علم الدين العمري وأهل الرحبة قد تحصوا بالقلعة؛ فأمر سلطان الإسلام في آخر رجب بأن يذهب الأمراء الكبار وكذلك أصحاب الديوان إلى مكان قريب من القلعة. وهؤلاء هم: سوناي ولسطان ومؤلف هذا الكتاب. رشيد الدين الطبيب<sup>(٣)</sup> والخواجة سعد الدين صاحب الديوان ليدعوا الأهالي إلى

(١) سروج مدينة بنو حي حرك من بلاد الحريرة، وبها وبس حرك مسيرة يوم وهي كثيرة المياه والبساتين وبها قنات الفضل والكسرى والخور والسكر جل وهي أيضاً على مسافة يوم من البصرة في جهة الشرق والشمال منها (التويع البلدان، ص ٢٧٧).

(٢) حرك مدينة مشهورة جد من ديار مصر. بها قل على مصلى للصائين بظموه، وينسب إلى إبراهيم. وهي قليلة الماء والشجر والبلد منها في سمت الجنوب والشرق على فرسخين وربتها حرار. وشرق أهلها من قلعة تجرى من حيون خارج للمدينة ومن الأمل (التويع البلدان، ص ٢٧٧).

(٣) يصر ما رشيد الدين على تقييد نفسه بالقب رشيد الطبيب مع أنه كان وزيراً لغازي خان مدة سنة ٦٩٧ هـ يشارك وحله سعد الدين محمد السجوي في منصب الوزارة وليس من اليسور كما يكتف من الطفل والأسبب =

المقصود والدخول في الطاعة، فقدموا حسب الأوامر إلى أسفل القلعة [ص ٣٥٥]

وأشاروا بكتابة مشور عبارات عربية جاء فيه: "إن سبب مجيئنا هو تصرفات المصريين غير الصالحة التي درجوا عليها مدة وقد أرسلنا الرسل مراراً يحملون إليهم المواعظ والصالحات فلم ينتصحو، وردوا علينا برود تدل على عدم اكتراث، فحملت ذلك على سبيل جهالتهم، وعدم ممارستهم الأمور العظيمة. وحيث إن هذه الأساليب قد تجاوزت حدها، رجع جيشنا المظفر بقصد الاحتكام وكان لا مفر من عبور هذه الدنار؛ وإلا فليس لنا غرض في إلحاق الضرر بكم أنتم أيها السوريون فعليكم أيضاً أن تتدبروا هذا الأمر، وأن تزعوا مصالحكم وتحفظوا دماءكم، وتحفظوا أموالكم، وتقدموا إلينا طالعين مقادين. وحيث إنكم تدركون أن الحق في جانبنا، كان عليكم ألا تعاندوا، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة"

وهكذا حرر المشور بهذه الصورة، وختم بالخطم، ثم أرسل إلى داخل القلعة، فأعادوا حامله قائلين حيث إن عبارات المشور هي غاية للعصاة والبلاغة، سطلب مهلة هذه الليلة كي سير عور معانيه، وتقدم الرد على نهارك وفي اليوم التالي الخميس عرة شعان، أوفدوا جمال الدين الإسكندري والشيخ شرف الدين من مريدى سيدى أحمد الكبر بحملان الرد على ذلك المشور ومضمونه: "إننا مطيعون ومقادون لأمر سلطان الإسلام؛ فمشغلهما غازان خان يعطيه وأعادهما. وفي اليوم التالي مرل حسام الدين لاجين نائب علم الدين الصعي الذي كان قائد القلعة وأظهر الخشوع والطاعة؛ فوجد العطف والرعاية ثم عاد وفي اليوم التالي مرل هو وسيف الدين قليج، الامير الأكبر للصعي<sup>(١)</sup> والقاضي نجم الدين وطائفة من أعيان الرحبة، وقدموا عروض إتمام الطاعة وتشرفوا بقاء الحضرة. وقد حررت لهم عهد أمان محكمة باللغة العربية بمصوص اختصاصات الصعي وأعماله، وما يتعلق بأهله ونوابه، وكذلك القاضي وجمهور [ص ٣٥٦] أصحاب الأعمال هناك، وتأمين أهل المدينة والقلعة والولاية. وقد رعت هذه الكتب والعهود بالأختام المباركة، وسلمت لهم

- انتهى جليل رشيد الدين يكتفى بالإتصاف إلى مهته الأولى دون أن يكشف عن شخصيته كوزير مسعود بشارك

مع سعد الدين في إفرة ختون الدولة (انظر مؤرخ الملوك الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني، ص ١٢٥)

(١٦٦)

(١) انظر ردة الفكر، ج ٩ ص ٣٥٢

وهي يوم الثلاثاء السادس من شعبان عاشر عاران خان قلعة الرحبة، وجاءت البشري من ناحية خراسان تسب أن جيش قايكو قد انهزم وهلك، وجرح "دوا". وفي هذا الوقت كان الأمير قتلغ شاه وچويان ومولاي قد عبروا مع جنودهم نهر الفرات إلى الرقة. ثم وصلوا إلى حلب. أما سلطان الإسلام فقد نزل بأعلى "دير يسير" على صغاف نهر الفرات، وأقام هناك ثلاثة أيام ثم ستر جميع الأمراء مع جنودهم كي يلقوا بالأمير قتلغ شاه والآخرين ولما حل الربيع، وزادت المياه وصار الجو حاراً، عبر عاران الفرات قاصداً سنجار والموصل في اليوم الثالث عشر من شعبان. ثم عبر نهر الخابور في مدينة ماكسين، وشمل يرغابته رسول خراسان. ساهبان وقويجي أفتاحي، ثم أدن لما بالعودة. وكان يسير في تلك البرية المليئة بأرهار اللعل والأقحوان، وهو يشره ويصطاد.

وهي يوم الأحد الخامس والعشرين من شعبان لحق بالخواتين الثلاثي كي قد أنس لاستقباله في موضع "چهار طاق" مما يلي سنجار، ولتقام يومين أو ثلاثة. وفي عرة رمضان نزل في المعسكرات في موضع تلعر، وهو من السلطان نجم الدين ملزدين حكم ديار بكر كلها وديار ربيعة، ولقبه بلقب الملك المصور. ثم عبر نهر دجلة، ونزل بصحراء كشاف. ولما كانت شكوى أهل الموصل قد بلغت الملك السابع بسبب ظلم حجر الدين الصراي، صدر الأمر بأن يقضى عليه السلطان نجم الدين عند مسيره إلى الموصل، فحذعه هذا السلطان متظاهراً بأنه سوف يجعله بائناً هناك، ثم قضى عليه بعد عدة أيام.

## مكايبة

# التحام قتلغشاه نويان بجيش مصر ثم رجوعه من هناك، وعودة الرايات السلطانية إلى أوجان

ظل سلطان الإسلام في كشف يترقب وصول الأمراء والجسود الذين كانوا بالشام  
وهؤلاء عندما بلغوا حصص، شرعوا في النهب والقتل العام فلما اقتربوا من دمشق، وسمعوا  
أن العدو قد اقترب في صباح السبت عرة رمصان، ركبوا دفعة واحدة، وتقدموا إلى ما  
يقرب من خمسة فراسخ، واجتازوا المياه والأرحال الكثيرة؛ فلما كروا العدو في موضع "مرج  
النصر"<sup>(١)</sup>، وغاروا. وكان ذلك في اليوم التالي من رمصان، هزمت ميسرة جيشا  
مبهمهم، وقتل منهم ثلاثة عشر أميراً من أمرائهم الكبار، من حملتهم حاتم الدين "أستاذ  
الدار" كما قتل جمع عظيم. أما الباقيون فقد صاروا منهوكين مجروحين، وتنهقروا مهزمين  
فتعقبهم جمع من أطلالها، وطاردوهم عدة فراسخ

أما قتلغ شاه نويان فقد انحرف من القلب إلى اليسرة بقصد المشد عسكده بقيت الميسرة  
معتزلة وحيدة، هزمتها ميسرة المصريين، وتنهقروا لأنهم كانوا قليلي وعددا عاد  
الأمير فتلغ شاه إلى اليسرة كان الجسود قد فرغوا من الحرب فلما دخل الليل، اعتلى الأمير  
رهوة، وقف عندها، فأنجبه جسودا نحوه. وقد بات الجميع تلك الليلة حتى الصباح على ظهور  
جيادهم، واختد الظمأ بالناس والدواب. وقد طوق المصريون تلك الرهوة فلما حل الصباح  
قاتلهم جمده الأمير بولادنيا وأتباع تكاتيمور ابن الأمير انجيل، وأتباع ناصر الدين يحيى  
وكانوا يقومون في مواجهتهم كذلك قال الأمير فتلغ شاه لثباتا وترسا. إنما لم تقانلا

(١) انظر التبريد من التمهيلات عن هذه الواقعة الخامسة التي تم فيها النصر للمصريين والسوريين في المصادر  
والتراجم الآتية وهذه الفكرة هي ترجيح المحقق ج ٩ ص ٣٥٥ وما بعدها أو بكر بن عبد الله بن ليث المدائري  
كثير الثمر وجامع القرو، ج ٩ تحقيق هانس روبرت روبر، ص ٨٩ وما بعدها؛ رحمة ابن بطوطه، ص ٥٣٩، دار  
مصادر، بيروت ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤م القرمزي، السلوك، ج ١ ق ٢، ص ١٩٣٧ الشرق الإسلامي في عهد  
الإلمانيين، ص ٢٩٦ وما بعدها.

بالأمس، فادعها اليوم لخدمة وملاكمها. فتقدم الاثنان نحوهم متمسكين متصامسين واشتركا في الحرب، فتحلى السوريون والمصريون عن المنطقة الغريبة بالريوة وتوجهوا إلى جسد العول دفعة واحدة. ولما كان هؤلاء قد احتل نظامهم سد اليوم السابق، وانعصل الآلاف منهم عن بعضهم، وتشتت أفواجهم، ولم يتيسر صبطهم وتنظيمهم، وقصوا عاجزين حتى صلاة الظهر، ثم عادوا بعد ذلك. وفي الطريق كان الماء والوحل كثرتين إلى أقصى حد فبقى كثير من الحبول في الوحل وتغرق الجند، واحتمى تائبان وترسا.

وفي التاسع عشر من رمضان، مثل أمام حصرة سلطان الإسلام الأمير قتلغ شاه وتكاتيمور في صحراء كشاف. وفي اليوم التالي تحركت الرهائن السلطانية، وركلت في الحديقة بظاهر أبريل، ثم ارتحلت من هناك، وخرجت إلى طريق درسد رنكي. وبعد ذلك عادت المنطقة الجبلية للأكراد. وقد حصل الحاصرون بعيد القطر في صواحي درسد رنكي. وفي يوم السبت السابع عشر من شوال كان الأمير جويان قد توقع بسبب الجلود التي ظلوا مترجلين بنون جياد، تصهدهم بالرعاية، وواسعهم، وكان يسير بهم على مهل من طريق بغداد حتى وصل إلى الحصرة حيث حظى بالرعاية التامة. ولما بلغوا موضع "بيل سرخ" في منطقة مراعه، سَرَّ السلطان الخوقس والأسر إلى أوجان عن طريق "سه كيند" و"بور آعاج"، ودعاه هو نفسه بمعرده إلى جبل سهيد حيث مارس الصيد أسبوعًا. وفي يوم الخميس العاشر من ذي القعدة سنة ١٢٧٠ هـ / ١٣٠٢ م رل بمدينة الإسلام أوجان.

## حكاية

### محاكمة الأمراء والجنود الذين كانوا قد عادوا من الشام، ثم عقد مجلس الشورى بموضع أوجان، وتشرف الأمراء ببقاء غازان

بعد أن وصلت الرابات السلطانية إلى مدينة الإسلام أوجان شرعوا في التحقيق مع  
الأمراء والجنود، وكان ذلك في اليوم الثاني لوصولهم الموافق الثاني عشر من ذي القعدة،  
ومع أن المحققين كانوا يسألون المتهم أسئلة دقيقة، فإن سلطان الإسلام كان يستدرك  
عليهم عدة ملاحظات تنسم بالعطية، وذلك عندما كان يعرض عليه سجل الاتهام؛ فكان  
المحققون يستجوبون المتهم مرة أخرى مراعيين تلك الملاحظات الدقيقة  
وعاقبة الأمر فإن التحقيقات قد انتهت في غرة ذي الحجة وأعدم أعوتاي ترخان بن  
جيك ترخان، وطلوغان تيمور من قبيلة سككوت، وطيقت قواعد "الياسا الكبرى" (١) في  
كل الشئون الحربية. وفي يوم الخميس الثاني من ذي الحجة شرعوا في الاحتمال بعقد  
القوليلتاي وتشرف الأمراء ببقاء الحضرة.

---

(١) المقصود الياسا التي وضعها چنگيز خان، وذلك مقصور على التماس الحرية لأن غازان حين بعد أن اعتنق  
الإسلام، وأعلن الإسلام ديناً رسمياً، وضع نظاماً وقواعد جديدة وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية، وذلك بدلاً من  
الحكام الياسا المجردة.

## حكاية

# إصابة سلطان الإسلام بالرمد، ووصول الأمراء من خراسان ثم توجه الرايات السلطانية إلى بغداد، والنزول في هولان موران

في يوم الخميس الخامس والعشرين من المحرم سنة ٨٧٠٣/١٣٠٣م وصلت الرايات السلطانية إلى دار الملك تبريز، ونزلت في القلعة. ثم أشراف السلطان بإعداد الجيش والسلاح ولكن أصابه الرمد بعد عدة أيام؛ فاشتغل الأطباء والحكماء بعلاجه ومداواته. ولقد طال مدة المرض، فصاق وقت العزم على الرحيل إلى المشتى. [ص ٣٦٠]

وفي يوم الإثنين الرابع من صفر وصلت من خراسان الخاتون المعظمة "البتورميش" مع الأميرين بسطام وأبى يزيد، فابتهج سلطان الإسلام، وسر كثيرًا بوصولهم، وشرح ابنه ألجاي خاتون للزواج من الأمير بسطام. وكان يجلسهما دائمًا إلى حوار، ويرعاهما ويتودد إليهما.

وفي أواخر أيام مقامه في تبريز في يوم الأحد السابع من ربيع الأول، كوى موضع في جسده المبارك، عملاً برأى أطباء الخطا. وفي يوم الجمعة التاسع عشر من ربيع الأول عزم على معاداة مدينة تبريز. ولما كانوا قد أحصروا القيلة إلى المحصرة من الفد، أمر بأن يصعروا عرشًا على ظهر القبول حسب القاعدة المثبتة، وامتطاه أول خروجه من المدينة، وسافقه حتى الميدان. ومن الصبح إلى العصر صار مشتغلًا بمشاهدة القيلة وقيادتها. وكان أهالي المدينة رجالهم ونسأؤهم محتشدين لمشاهدة هذا المنظر، وهم يدعون تخلص للسلطان. وكان قد نزل في تلك الليلة في حديقة تبريز. ثم عاهد المدينة في اليوم التالي عن طريق أوجان. ولما كانت بطه قد تضررت بسبب الكى، واعتراه الضعف، لم يستطع أن يتناسك على صهوة جواده؛ فكان يجلس في الحمة أكثر الوقت. ولهذا كانوا يقطعون مرحلة قصيرة في كل يوم. وفي آخر ربيع الأول عاد الأمير قتلح شاه من "بور آماج" كى يلعب إلى مشتى آران، ويحافظ على تلك الجهات. وفي يوم الإثنين الرابع عشر من ربيع الآخر وصل السلطان إلى حدود سراي حومه غورك كان. وكان الجليد قد برل بخرارة في سغورلوق

ومنطقة همدان، واشتد البرد إلى أقصى حد. ولم يكن طريق بغداد يسمح بالعبور. ولهذا السبب عدل السلطان عن الذهاب إلى بغداد، ونزل على ضفاف "هولان موران" لأنه بعد أبداً من حملة الشتاء. والحقيقة أنه موصع جيداً جداً لتسمية الشتاء. وكان السكان هناك يجلبون بعضاً كثيرة من مختلف الأرجاء. ثم إن الخطب موجود بكثرة لا حد لها. أما الناس فقد اعتكفوا جميعاً في بيوتهم، وتفرغوا للقيام بمهام الأمور، ونصريف المصالح.

وقد اتفق أن سلطان الإسلام أراد أن يعلم عشرة مساكين ويكسوهم ككفارة صغيرة وكان يرغب في أن يمسحهم تلك الصدقات بيده المباركة؛ فأمر بإحضار عشرة من المساكين وتبعث لأمر غاران أحضر إليه مهتر يحجب الدين فراش - الذي كان من حملة خواصه والمقرين إليه - عشرة مساكين، وقدم لهم الطعام بمحضور السلطان. ثم أمر بإحضار عشرة أثواب من الحرارة، وأعطى فيها النظر. ثم أعطى ثمانية أشخاص كل واحد منهم ثوباً وسلم مهتر يحجب الدين الثوبين الباقين قائلاً له: اخرج وأحضر مسكينين آخرين كي أعطيهما الثوبين الباقين؛ لأن هذين الاثنين مسحيان فقال لهما يحجب الدين: ألم تقولوا إنكما مسلمان؟! فأجابا بلى. لقد قلنا لك هذا بسبب الطمع. ولكن الآن لا يمكن الكذب على سلطان الإسلام؛ إذ إن رأيه المبارك صائب؛ نحن الاثنين نعتق الدين المسيحي.

ولا شك أن هذه الكفة دليل واضح على أن غاران كان وثياً من أولياء الحق - عبر وعلا - رحمه الله رحمة واسعة. والسلام.



## حكاية

### اعتكاف سلطان الإسلام في مشفى هولان موران والكشف عن تآمر ألتفرنك وتمرده والقضاء على جماعة المتآمرين

كان سلطان الإسلام يوى الاعتكاف في ذلك المشفى عدة أيام تبلغ الأربعين (جهله) فأمر بإقامة مرل خارج السراي، وأقام فيه وحده، ولم يسمح لأى مخلوق بأن يدخل عليه سوى أمير الدار (خواجه سراي) والحارس الخاص (كزيكناي) وكان يقف كل يوم بقيل من الطعام

وعى أثناء ذلك حدثت حالة عجيبة مؤداها أن جمعا من الشايخ المافقي في مقدمتهم "بير يعقوب الباعباني"، كانوا قد دعوا إلى مدينة تبريز الأمير الجبل "الافرنك" لتوليته الحكم، وذلك بدافع جهم الجاه والمال، وفردوا أن يظهرُوا الكرامات التي ليست فيهم وخلال تلك الأيام، أرسلوا إلى المعسكر مريكا لسمه محمود [ص ٣٦٢] كى تتحد معه طائفة من المقربين فأقضى ذلك الرجل السر جهلا منه، وقال: إن شخصا طوله أربعون ذراعا وعرضه خمسة أذرع يجي، من جبال "مرد وأيقان" إلى الشيخ يعقوب لير شده، ويكشف له الأسرار. والآن قد منح الأمير الجبل "الافرنك" السلطة؛ إذ إنها تتول إليه طوعا أو كرها. وقد وهب الزهاد هذه النحلة.

فلما بلغ هذا الكلام مسامع الخواجه سعد الدين صاحب الديوان، اعتقل ذلك الشخص وكنبه بالأصماد، وعرض ما حدث على حضرة سلطان الإسلام، فأرسل جايي الأختايجي إلى تبريز لإحصار المفسدين مشرى المعتة، فعاد بعد عشرة أيام ومعه كل من بير يعقوب وناصر الدين ايلجى قائن والشيخ حبيب الذى كان خليفة رشيد البهاري والسيد كمال الدين. وكان الشيخ رشيد شيخا لصدر الدين الرجباني، والسيد كمال الدين من ملازميه أيضا. والعجيب في الأمر أن سلطان الإسلام عندما رآهم، قال: "إن نفسى تحدى أن هؤلاء المتآمرين من أتباع صدر الدين الرجباني". فلما تحروا الحقيقة، اتضح أن الأمر كان على هذا النحو. عتقدت قال السلطان: يبدو أن ثلث ما رآل خير الفنى وعلى أثر ذلك صار يتفحص

الأمر بنفسه، وذلك بحضور الأمراء والقريش إليه. وكانت تلك الطائفة من الجهال يرددون هذا النوع من الكلام العبث. ولما تفحصوا الأمر جيداً تبين أن معضلات هؤلاء الأشخاص هي نفس عقائد مزدك وأهملهم يقصدون نشر ذلك للذهب بين الناس. فلما تبين إدانتهم قتل يعقوب: "سوف يعمقنا شيوخة" مرد عليه سلطان الإسلام قائلاً: "إن شيوخي هم الله والمصطفى والمرضى. فلتنظر من الأقوي؟ أنت أم هم؟ ثم أمر بأن يلقوا به من أعلى الجبل هناك. كذلك قُتل أصحابه. أما الأمير الأقرم فقد دعا عما عه السلطان فما كان منه إلا أن صرح بالحقيقة قائلاً: "ما دام السلطان قد شملني بعطفه ورعايته، فإني سوف أفصح عن حقيقة ما حدث لقد صحبوني مرتين أو ثلاث مرات إلى الشيخ يعقوب في تبريز؛ فحجة أما سوف يذهب لممارسة الصيد [ص ٣٦٣]. وكان هو ومريدوه يتحدثون عن حالة السماع وغيرها من هذا القبيل من الكرامات، وصاروا يحدونني بالملك. ولكنني بسبب الخوف لم أستطع أن أبوح بذلك، وكنت أخفي هذا السر. كذلك استجبوا بتميش نائب تاباتا وقتلوه لأنه أقر أيضاً بدسه. أما تقيوفا من تاباتا فقد كان له دخل في هذه المؤامرة، وكان من أخلاط ذلك المعجون حصوصاً وأن الأقرم قال عنه. إن كل ذلك داخل في حريمته. ولكن حيث إنه كان شاباً وحدثاً، وأبلى ولده بلاء حسناً في حرب الشام، ووقع أسيراً في يد الأعداء عما عه سلطان الإسلام، واكتفى بأن رح به في السجن والسلام

## حكاية

### الاحتفال بعيد ميلاد الأمير أبي يزيد في معسكر ايلتوزميش خاتون، وخروج السلطان من الاعتكاف الربيعي

في يوم الأحد غرة جمادى الآخرة أقيم احتفال في معسكر ايلتوزميش بمناسبة عيد ميلاد الأمير أبي يزيد جريماً على المعتاد. وقد حضر الحفل سلطان الإسلام وجميع الخواتين والأمراء الأتجال والأمراء وقدموا مراسم التهنئة والابتهاج، وبالغوا في الطرب والمتعة. وقد احتضن سلطان الإسلام الأمراء والخواتين وأتباعهم بأنواع العطف والرعاية والتكريم. وبعد ذلك خرج سلطان الإسلام من خلوته، واعتنى بتدبير المملكة، وصبط مصالح السلطة وكان مراجع قد صبح، وصار يمشى أوقاته سعيداً مسروراً. وكان جمهور أركان الدولة مستبشرين فرحين لكشف مكر وخداع الشبح وأتباعه

## حكاية

### تكريم سلطان الإسلام الفواجه سعد الدين صاحب الديوان لما أبداه من إخلاص فى قضية ألفتك

نظراً لأن الفواجه سعد الدين صاحب الديوان ألقى القبض فى الحال على رسول يهر  
مقبوب الذى كان قد قدم إلى المعسكر لجذب المقلوب إليه، وأرسل إلى كل شخص الرسائل  
التي تبينهم بالوعود الحسنة عرّض صاحب الديوان على الفور تلك البية المبيتة على  
حصرة السلطان، فشملة بمطعمه، ووثق به إلى أقصى حد، وأيقن أن الاعتماد المطلق عليه فى  
جميع الشؤون إنما كان فى موضعه، وأن صدقه وإخلاصه للحصنة وثقانيه فى الولاء لها  
وتنقله لأداء واجبه نحوها، إنما هى خدمات على درجة يستحق من أجلها أن يشمله  
السلطان برعايته كل يوم مائة مرة، ويكون ذلك لائقاً له وجديرًا به، ومن قبل وضع  
الشيء فى موضعه ولهذا أراد السلطان أن يكرم ويربه بطريقة تزيد فى مرتبه ومرتبه  
وحى تبلغ حشمته وعظمته درجة أكبر

ولما كان رمام الأمور حلها وعقلها، وعان قصص مصالح السلطة وبسطها قد وضعها فى  
كف يده ذات كفاية، وبكيفية لا يتصور المزيد عليها قط، أكرمه السلطان بطريقة لا نظير  
لها؛ إذ فوض إليه إدارة ألف حنّدى معزى. ومسحه الطوق والعليل، وأمر جميع الأمراء بتقديم  
التهنئة له.

والحقيقة أن تلك الذات الملائكية الصفات، وظنى هى مجمع للفضائل النفسانية، ومسبح  
للكمالات الإنسانية سبب راحة الناس رفيعهم ووصيعهم وخواصهم وعوامهم، ولأزمة  
لرمة الملك والدولة والإيمان والإسلام. ليستعنه الحق تعالى بالجلاء المرمض والحشمة  
للمستبضة. والسلام

## حكاية

### وفاة كرمون غاتون، ونقل جثمانها إلى تبريز وذكر بعض الكلمات الحكيمة التي نطق بها سلطان الإسلام في أحوال الخلق

في وقت السحر من يوم الثلاثاء الثاني عشر من جمادى الآخرة سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م توفيت فجأة "كرمون غاتون" ابنة قتلغيمور بن آهاتاي بويان التي كانت زوجة سلطان الإسلام. وكانت وفاتها في مشيطة "سراي جومه"، ثم نقل جثمانها بمراسيم مهيبة للعامة. ولما كانت في ريعان الشباب، ولم تتمتع بالدنيا طويلاً، كان وقع موتها شديداً إلى أقصى حد على سلطان الإسلام، حتا لم كثيراً لحادث تلك الواقعة وبعد وفاتها حصر السلطان إلى مخيمها، وبكى كثيراً، وأمر بأن يعد لها كل ما يجب من الترتيبات والمراسم وبعد أن تم نقل بعثتها، كانت عيه المباركة تدمع كلما تذكرها.

وذاث يوم كان جمهور أركان الدولة حاضرين، فسألهم: أى أمر لا يوجد ما هو أشق منه وأصعب؟! فأجاب الأمراء هو أن يقع الإنسان أسيراً في يد عدوه، ويصبح ذليلاً لخصمه، وقالت طائفة: إنه الفقر. وقالت مجموعة: إنه الموت. عندئذ قال لهم السلطان: إن أصعب أمر هو أن يولد الإنسان ويحى إلى الدنيا؛ ذلك أن جملة العناء والبلاء والتعب والشقاء تكمن في الحياة ولو لم يكن الوجود ما وجدت أمة مشقة.

وليس لإنسان راحة في الدنيا مطلقاً إلا بالموت. والدليل على ذلك أنه إذا سار شخصان؛ أحدهما يجرى والآخر يمشى الموقى؛ فأيهما يكون أكثر راحة؟! أجابوا: الذى يمشى الموقى. عندئذ سألهم: إذا سار أحدهما الموقى، وجلس الآخر فأيهما يكون أكثر راحة؟! أجابوا: ذلك الذى يكون جالساً. فسألهم: إذا جلس أحدهما، وبام الآخر؛ فأيهما يكون أكثر راحة؟! أجابوا: السالم. فقال لهم: إرد على هذا التقياس، وطبقاً للفائدة الصحيحة [ص ٣٦٦] يكون الميت أكثر راحة من السالم، إذ أن علاج النفوس، والمائدة النائمة إنما يكونان في الخلاص من صين الحياة. وليس هناك قهد ولا سجن ولا حجير ولا عذاب أشد من الجهل وحب الدنيا؛ ذلك أن الدنيا ججير عباد الله، والآخرة جتتهم.

ومصدق هذا حديث النبي المصطفى عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات: "الدين سجن المؤمن واحة الكافر"<sup>(١)</sup>. وبالتقطع فإن الجاهل لا يرغب في التخلص من سجن الحياة. ومن شدة جهلة بحسب أن لميت يموت بغروح، وإن الخي يحيى بالبند، وهو لا يدري أن الحال على خلاف ذلك، إذ إنه يفتخر ويتباهى بأنواع الجهل والحقاقة، وهو لا يعلم أن الموت حالة مستحبة، وأنه يحس العدل. ولو لم يمت الآباء، فكيف كانت تتول إلى الأبناء المناصب والأموال والجاه والأبهة والملئكة؟! ولو أن موت الآباء صعب ومؤلم، إلا أنه مستحب بسبب دور آخر. وليس هناك فائدة في طول العمر إلا لشخص يشد الكمال، وتقبل روحه الارتقاء والارتقاء يومًا بعد يوم.

إذن فالأولى أن يرعى البشر بقسمة الحق، لأنهم إذا عاشوا أكثر من شائين عامًا، فإن أعصابهم تعجز عن العمل، وتختل حواسهم وتتعطل، ويصبحون في نظر الناس أدلاء مختفريين، ويعبر عنهم الأقارب والأباعد. وحيث إن الكمال هو شرة العمر، فإنه بعد الحصول عليه، يمكن أن يتحول إلى نقصان مهمًا يكس العمر. وإذا فليس هناك فائدة من طول العمر وعلى هذا الموال تقوى غاري خان بكلام دقيق كله يحس حكمه.

وفي أواسر شعبان سنة ١٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م رحل من مقر "هولان موران" الذي سماه "الولجانتو" (بوموق)، وترك الخوارج وأفراد الأسرة في منطقة قلعة "جوق" التي تبعد مرحلة واحدة عن "سراي جومه"، وتوجه فريق من جنده مع أركان الدولة وأعيان المحصرة إلى ناحية "مراق". أما السلطان غاري فقد قضى بضعة أيام في الجبال الواقعة على حدود خرقان ومردقان. ثم نزل بمدينة سلوه. وهناك لقم الصاحب الخواجه سعد الدين حقلًا عامًا [ص ٢٦٧] دعا إليه سلطان الإسلام وجميع الخوارج والأمراء والأبجاء والأمراء، ورحب بهم. وقد وجد من حضرة السلطنة صروب الإعراف والتكريم كذلك فعل الصدر العظيم الخواجه شهاب الدين مباركشاه الذي كان مشيئًا للملكة. ومن جملة أركان الدولة القاهرة. ولما كان منزله القديم في سلوه، وكان والده الخواجه شرف الدين سعدان يمثل

(١) حديث حسن صحيح ورد في سنن الترمذي ج ٢ ص ٢٨٤ - ٢٨٥ القاهرة بدون تاريخ) انظر أيضًا كشف الغطاء ومزيل الإلغاز عما اشتهر من الأحداث على لغة الناس، لعرف على طبعه وتصحيحه أحمد القلاش، ج ١ ص ٢٩١ - ٢٩٥، حلب بدون تاريخ.

بقية أكابر إيران، وكان لا يزال مقيماً وحاكماً هناك أقام هو الآخر حملاتاً عاماً، وقدم هدايا ماسية لحضرة السلطنة، وعموم الخوائن والأمراء الأعيان والأمراء، وأرسل الهدايا كذلك إلى جمهور الأصحاب كذلك منح بقية الخدم والحشم كثيراً من الثياب والدمائر والمراهم.

وبعد ثلاثة أيام سارت الرهايات السلطانية، صوب الري. وكانت صحة غازان المباركة قد تحسنت خلال هذه المدة التي غادر فيها مقره الشتوي بحيث إنه كان يستطيع جواده ويقطع المسافات الشاقة والطويلة. وكان يتناول كل أنواع الأطعمة. غير أنه بمجرد أن غادر ساوه أصيب بسكة في الطريق واعتراه المرض مرة أخرى، وصار يفر من الطعام ورغم هذا كان يظهر التحمل على سبيل الإصرار والتحدى. وهكذا ظل يركب جريماً على العادة ويخرج ثم أقام في منطقة الري. ولكن عندما اشتد عليه المرض في منطقة "نيل بزرگ" من أعمال الري، أرسل رسولاً إلى أسرته، واستدعى زوجته العظيمة "بولوعان خاتون" على عجل وبسرعة فائقة. وعندما وصلت كان السلطان قد غادر "نيل بزرگ"، وظل هو ومراقبوه يسرون سيرا قليلاً كل يوم حتى وصلوا إلى ناحية قزوین. وفي أواخر شهر رمضان عندما وصلت الخاتون، أقام الجميع هناك. ولما دخلت على زوجها السلطان غازان تصادف أن وجدته على تلك الحال، عيكت وبكى الحاضرون، وسكبوا من أعينهم الدموع الحارة

بعد ذلك استدعى السلطان غازان جميع الأمراء والخوائن والمقربين وأركان الدولة وأعيان الحضرة، ووضح كلا منهم بصبحة لائحة وماسية لحاله. [ص ٣٦٨] ثم جدد البيعة بولاية العهد لأخيه الجليل خلد سلطانه وكان قد أمر بذلك قبل خمس سنوات، وكرره وأكدته مرات ومرات في مجالس مختلفة وبعد ذلك كتب وصية في عابه اللطيف والشهيد وحث الأحرار بالاحاح على مراعاتها والحفاظة على ما جاء بها من مسائل دقيقة. ولما فرغ من وصيته، كان يؤثر الخلوة في أكثر الأوقات. ورغم أن وطأة المرض قد اشتدت عليه شاماً، كان يبدو متمسكاً، وكأنه في تمام قوته. كذلك كان دائماً مرهف الحواس فصيح اللسان.

ولكن لما كانت أيام عمره قد أخذت بالانتهاء بموجب قوله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾<sup>(١)</sup> انتقلت روحه الطاهرة من دار العرور إلى دار السرور

(١) وردت هذه الآية في سورة الأنعام، آية ٣٤ ووردت أيضاً في سورة النحل، آية ٦١

وقت غروب شمس يوم الأحد الحادى عشر من شوال سنة ١٣٠٣هـ/١٣٠٣م، فحلت بالعالم الطامة الكبرى بسبب تلك الواقعة العظمى، وليست الأفلاك لباس الحداد الزرقاء، وبكت بمائة ألف عين، وجرت أنهار الدم من أعين سكان الريح المسكون على مثال الليل وجيحوون. وبعد إقامة مراسم العسل والتكفين حملوا جثمانه الشريف على مراكب حاصنة ونعمه الأمراء والخواتين، وكسان الرجال والنساء يخرجون من المدن والقرى حاسرى الرؤوس، حفاة الأقدام. وقد لبسوا الثياب البالية وكانوا يهبلون التراب على رؤوسهم وهم يكون ويتوحون.

(شعر فارسى فى الأصل ترجمته:)

على ممش ذلك الملك العادل تفتى  
انتخب الزمان، وبكت الأرض  
وكان كل شخص يقول: وا أسفاه وا أسفاه  
لقد غابت شمس الدنيا وراء الصحاب.

ومى كل المدن ببلاد إيران، لبسوا الملدن ملابس الحداد، واندفعوا إلى الشوارع والبيادر كبيرهم وصغيرهم، رجلهم وساقهم ثياب مزقة وبالية، وأقاموا مأتم التعزية سبعة أيام. ولما أوصلوا جثمانه الشريف على بعد مرحلة واحدة من دار الملك [ص ٣٦٩] تبريز، خرج أهل المدينة برمتهم. رجلهم وساقهم كبيرهم وصغيرهم. ولعجرهم وفقرهم لبسوا ملابس الحداد الزرقاء

(بيت من الشعر الفارسى فى الأصل ترجمته:)

هـام المسيح على وجوههم فى الصحراء  
ضاربين صلورهم بالأحجار بسبب جزعهم وقلقهم

وكان الجود والحشم والرعية والتقدم يطوفون حول الجثمان الشريف باكين متحينين إلى أن أوصلوه إلى موضع شمس حيث القبة التى أنشأها وأحدثها، ودعوه هاك. ﴿كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾<sup>(١)</sup>.

(١) الآية بأكملها: ﴿ولا تدع معكم شيئا مما كنتم حاكما ولا تذكروا ولا تدع معكم شيئا مما كنتم حاكما ولا تذكروا﴾ (سورة القصص، آية ٢٤).



أعرق الحق تعالى ذلك السلطان السعيد في بحر رحمة الذي لا ساحل له، وجعل سلطان  
سلامين الإسلام السلطان أولجايتو واثرت أعماره، وأبلمه منتهى أماله. إنه وليّ الإجابة.  
وصلّى الله على نبيّنا محمد وآله وسلم.



### القسم الثالث

## من تاريخ سلطان الإسلام غازان خان خلد سلطانه ودام عدله

في أخلاقه الكريمة وسيره الحميدة، وأثار عدله وإحسانه وخيراته وميراثه، وهون آدابه وجعل عاداته، وكلماته التي تفوه بها في كل مناسبة على وجه التحقيق، وعلى سبيل التطبيق، وجكته الحكمة وأوامره المبرمة المشتتة على رعاية مصالح كافة الخلائق، والتي قام بتنفيذها في كل شأن من الشئون، وكذلك موارد الحكومات والأحوال مما لم يدخل في القسمين السابقين. وهما موضوعان.

يؤثر أحدهما، ويتضمن أربعين حكاية، والآخر ما يسجله القلم متفرقاً حسب التقصايها والحوادث المختلفة.

وبموجب هذا الفهرست تذكر بالتفصيل ما هو محبوب، وهو عبارة عن أربعين حكاية في غاية الجودة، وبينها كالآتي:

الأول في فنون كمالات وعلوم سلطان الإسلام خلد ملكه ومعرفته الصاعات والحرف المختلفة.

[ص ٣٧٠] الثانية في عصمة وطهارة سلطان الإسلام خلد سلطانه من الخصال المردولة

الثالثة في فصاحته وبلاغته وحسن سؤاله وجوابه، واتباعه هذا السلوك مع البعيد والقريب والترك والتأني.

الرابعة في صبره وثباته وصدق عهده وميثاقه.

الخامسة في أنه في أكثر الأوقات كان يتحرى صدق كل كلام يجري على لسانه المبارك.

السادسة في بخله وعطائه ولطفه وسخائه على وجه مستحسن.

السابعة في إعطال عبادة الأصنام، وغريب معاهد الوثنيين غريباً تاماً.

الثامنة في حبة لأسرة الرسول عليه الصلاة والسلام، وإعراره للسادات العظام.

التاسعة في سحائه، وإعداد الحمد لحوص للمعارك وجلده في الحروب.

العاشر في إسداله النصح إلى القصة والمشايخ والرهاد وأهل العلم والتقوى.

الحادية عشرة في معه طائفة الجنود وغيرهم من التصو بكلمات الكفر.

الثانية عشرة في مهله إلى العمران، وحث الناس على ذلك.

الثالثة عشرة في أبواب البر بتريز وهدان، والدور التي يدرها في الولايات.

الرابعة عشرة في القصاص على التزوير والدعوى الباطلة وخيانة الخوة.

(ص ٣٧١) الخامسة عشرة في إبطال غرور المستندات غير القانونية، وكذلك الخجج

القديمة

السادسة عشرة في إبطال الحكر والقصاص على أنواع للكسب غير المشروع.

السابعة عشرة في المحافظة على الرعايا ورعايتهم، ورفع الظلم والمشفة عنهم.

الثامنة عشرة - في إبطال السخرة، ومنع الرسل الزائدين عن الحاجة في البلاد.

التاسعة عشرة في القصاص على اللصوص وقطاع الطرق، وحماية أنطرق في البلاد من

شرهم.

العشرون في تخليص عيار الذهب والقصة على وجه لم يوجد من قبل على الإطلاق

وليس من الممكن أن يكون أفضل منه

الحادية والعشرون في إصلاح أورد الذهب والموازين والمقاييس والمكاييل والتقصير

والنقل.

الثانية والعشرون في تنظيم شئون المراسم واليازمات التي تصح للناس.

الثالث والعشرون في استرداد المراسم واليازمات المكررة التي كانت في أيدي الناس.

الرابعة والعشرون في منح الإقطاعات لحد للقول في كل ولاية

الخامسة والعشرون في تقرير كيفية إعداد جيش على حدة للمعاصرة السلطانية.

السادسة والعشرون في منع التعامل بالربا والمعاملات بالأرباح الفاحشة.

السابعة والعشرون في منع الرواج بالمهر العالي غلاء فاحشاً، وتخليصه بتسعة عشر

دياراً ونصف.

[ص ٣٧٧] الثامنة والعشرون هي تشييد الحملات والمساجد في القرى وللواضع في كل البلاد.

التاسعة والعشرون هي مع الناس من احتساء الخمر والمسكرات المسكرة الأخرى الثلاثون هي إعداد أصناف الطعام الخاص والشراب للمحيم المعظم. الحادية والثلاثون هي إعداد أصناف الطعام للنخواتين ومحباتهن. الثانية والثلاثون هي ضبط شئون الصانع وإعداد مهماتها ورعاية مصالحها الثالثة والثلاثون هي تدبير شئون المؤسسات ودور السلاح الرابعة والثلاثون - هي تنظيم شئون الدواب الخاقانية الخامسة والثلاثون في ترتيب شئون حاملي القصور ومتعهدي المهود. السادسة والثلاثون هي ترتيب شئون العاملين في كل البلاد السابعة والثلاثون هي ترتيب الشئون المتعلقة بتعمير الأراضي البور الثامنة والثلاثون هي تشييد بيوت خاصة بالمرسل في البلاد وإصدار الأوامر إلى الشخس بمنع الرسل من التزول في ديار الناس. التاسعة والثلاثون في منع المكائيل والجمالي وسعة البريد من إبداء الناس الأربعون هي مع إكرام الجولوى على الإقامة في دور البعاه.

## فى فنون كمالات سلطان الإسلام خلد ملكه وعلومه ومعرفته الصناعات والحرف المختلفة ووقوفه على أسرار تلك الصناعات

لا يخفى على العالمين أن سلطان الإسلام خلد ملكه عندما كان فى سن الطفولة كان جده أباقاخان يريه عنده ويرعاه ويحافظ عليه. وقد صير الكهنة الرئيسى ملازمين له ومعلمين. وعلى هذا النحو رسخت الوثنية فى دمه؛ خصوصاً أن هذا المذهب كان عقيدة لأبائه. وكانوا يسرون وفق تعاليمه.

ومد بداية الإسلام، كانت عبادة الأصنام قد رالت نهائياً من كل الديار؛ إلا أنها عادت إلى الظهور فى عهد المغول وقوى حال طائفة البوذيين، فاستدعوا أصناف الكهنة الرئيسى من بلاد الهند وكشمير والخطا والأوتور وصاروا محرمين مكرمين. وأقاموا فى كل موضع معابد للأصنام وصرفوا الأموال الطائلة. وقد ارتفع شأن منحهم حتى وصل إلى العيوق<sup>(١)</sup>. وكان سلطان الإسلام يلام ذلكم الكهنة فى معابد الأصنام، ويتابع تلك الطريقة، ويوماً بعد يوم كان يزداد ميله إليها فيستحكم اعتقاده فيها.

وبعد أن تولى أباقاخان، أرسله أبوه أرغون خان إلى خراسان للحكم وإمارة الجيش فأقام هناك معابد ضخمة للأصنام فى مدينة خيوشان. وفى تلك المعابد كان يمصى أكثر أوقاته فى التحدث مع الكهنة وتناول الطعام والشراب وهكذا صار له اعتقاد راسخ فى تلك الطريقة الوثنية كما كان حرصه على عبادة الأصنام يعوق حد الوصف. وقد استمر الحال على هذا الوضع، حتى ذلك الوقت الذى استولى فيه باهيو على الملك، وبادر غازان بالمصل على انتزاعه منه.

(١) نجم لحر مسمى فى طرف الحرة الأيسر، يملو قرباً لا يتقدمها، ويطلع قبل الممراد. (الشمس الوسيط، الجزء الثانى)

**[ص ٣٧٤]** ولما كان الحق تعالى قد قدر لعازن أن يتولى الملك والسلطة، وأن يظهر بمدد التأييد والتوفيق الرباني آثار العدل والإنصاف في العالم، وأن يمدد الصلاح إلى الأعمال التي أصابها الخلل، وأن يعمر البلاد التي آل إليها الخراب، وأن يجعل على يده تقوية الدين الإسلامي، وتسيير أمور الشريعة والأحكام الخاصة بها. بعد أن كان هو نفسه وكذلك أهل العالم غافلين عن كل ذلك. وعبادة في الوقت المعلوم، وبعض القليل الإلهي حل مور عبادة بصدرة الطاهر فوضع قدمه المباركة في ساحة الإسلام، وتثبت بأهبل المؤمنين للإيمان، فأمر بإبطال شعار الأديان الباطلة.

وكان على أكثر الناس أن سبب إسلامه يرجع إلى ترغيب بعض الأشراف والمشايخ وحشهم له على ذلك. ولكن بعد التخصيص، علم أن ذلك الظن خطأ؛ لأنه أثناء الخلوة بين أنا العبد الضعيف مؤلف هذا الكتاب قرر أن هناك عدة دنوب، لا يعمر الله عبدا أكبرها أن يسجد شخص لنفسه؛ إذ إنه من المؤكد والمقطوع به أن الله لم يعمر ذلك الدنس، وأن للمساكين من الناس المتلين بالجهل هم الذين يسجدون للأصنام، وأنا أيضاً كنت مثلهم. ولكن الحق تعالى وهبى النور والعلم، فنجوت وتطهرت من ذلك الإثم مهداة حصرة الحق تعالى.

وتوصيح هذا الكلام أنه ليس هناك شيء، قط يعمل الإنسان إلى الجحيم سوى الجهل؛ بل إن الجهل نفسه هو جحيم لا يمكن الخروج منه. فكيف يستطيع العقل الساجد أمام جهاد؟! إن هذا الإقدام دليل على الجهل المخص. وأمر آخر هو أن أصل الفكرة في عبادة الأصنام أن يكون الإنسان شخصاً كاملاً قصى عبه. وعن بعد صورته، ونصعها للذكرى ثم يطلب المدد من همة ذلك العظيم وتلجئ إلى الصورة ونصعها ويسجد لها ونحس في هذا غافلون عن أن هذا الشخص أثناء حياته التي هي خلاصة الإنسان كان متحداً مع بدنه الأصلي، ولم يطلب مطلقاً، ولم يحز **[ص ٣٧٥]** أن يسجد له أحد حتى يبدو في نفسه تكبر وعجب

وحيث إن عبادته والسجود له هما لاستمداد الهمة منه والالتجاء إليه، كيف ترعى نفسه عن هذه الجماعة التي تسجد لشيء يشبهه؟! وإذا طمع الساجدون فيما له في نفسه من همة عالية، وإذا تصوروا أن أئمة تلك الهمة لا يزال موجوداً فإنه من المؤكد أن تكون همة رديئة ونعسة، وليست همة عالية مبهجة. وأمر آخر هو أن الإنسان ينبغي أن يعرف

الحقيقة، وأن يدرك أنه ليس للجسد أية أهمية، فينسى أيضاً حبه له، ويعلم أن ما يمارق البدن إما هو خلاصته، وأن يفكر في ماهية ما يفارقه ويتساءل: 'أى شيء هو؟... وليس يذهب!'. وكيف يكون باقياً وثابتاً حتى يتصور ذلك الشيء، وذلك للموضع وتلك الحالات. ثم ينتج ذلك إلى أن يدركه. وإذا ما اعتقد في الصورة التي صنعت على هيئة البدن، وسجد أمامها، فإنه يعجز عن إدراك هذه المكرة، وهذا الطلب الذي هو خلاصة الجنة بعينها. وعكس ذلك هو محض جهنم والدرك الأسفل منها.

ولو يفكر المرء في أن الجسم يصلح لصنع عتبة يطرؤها الناس بأنفسهم في ذهابهم وإيابهم؛ حتى تظل تلك النفس أن ذلك شبه بدننها، فيكون الإنسان راصياً عهدها؛ إذ إنه يتصور قتلاً لنفسه: 'إسى ما دمت حياً في الدنيا صرت كاملاً بالتواضع وبعد الثمات يكون أيضاً لشبه البدن نفس الخلق. ولما أصر هو أنه يفكر في أن النفس التي لها ذلك الكمال، قد صار بدننها تراباً شبيهاً ببدنه، وجدها أيضاً بأن يكون عتبة تطرؤها الأقدام. وعن الذين يعتقد الكمال تتساءل: أية قيمة تكون لبدنها؟'

وبناء على هذا تنقطع علاقة الناس بالبدن انقطاعاً تاماً، فيتجهون [ص ٢٧٦] إلى التعكير في الآخرة، وما زال الأبطال وأحوال الأرواح للقدمية. وعليهم أن يلاحظوا دائماً تلك الحالات حتى ينالوا شيئاً مما هو حق، وأن تكون لهم فائدة من مجتهدهم إلى الدنيا ويلغوا الكمال؛ إذ إن المرص من وجود الخلق هو أن يتوجهوا من عالم الظلام إلى عالم النور.

ولما شرح السلطان هذه الحقائق وفق هذا الترتيب بعبارات جيدة ومعان دقيقة، ظهر بوصوح تام نور باطنه وصنقه وصمائه. وبعد ذلك صار يسوق دائماً حكايات من هذا الغيب، ويدكر كلاماً عميقاً في باب المرحان والتحقيق مما لم يسمع مثله قط من حكمم وعارف.

ولما تربع على عرش السلطنة عامين أو ثلاثة، كان يزيد يوماً بعد يوم في تقوية دين الإسلام، وراح في صدق وإخلاص بهتم اعتماداً تاماً بشؤون هذا الدين.

وقد ثبت وتحقق لجميع الناس أن سبب إسلامه لم يكن بتأثير بعض الأمراء والمشايخ، بل كان يهدي من الله، إذ إنه من المجرّب أن المسلمين إذا أجبروا لقتل الناس شأماً على أن يكون ملكاً أو حاكماً عليهم، فإنه حسب ميله هو نفسه يدين بعقيدتهم. فإذا وجد الفرصة سانحة



في تلك الولاية أو في ولاية أخرى فإنه يرجع إلى عقيدته الأولى. وإذن فأية حاجة تصطره مثل هذا السلطان الرعيع القدر، ليطاش القوى إلى الالتصاق إلى كلام شخص من الأشخاص في مثل هذا الأمر الخطير، فيتحول عن مذهبه أو يختار ديناً آخر مكرهاً لا سيما وأن آباءه قد استولوا على كل ممالك العالم في زمن كفرهم؟<sup>(١)</sup>

وبناء على هذه المقدمات علم أن أجره يكون في هذا الأمر مثل أجر إبراهيم الخليل صلوات الله عليه فقد أدرك منذ البداية - بفصل سور المائدة الربانية - ضلال عبادة الأوثان، فحطم جسمه، وعرف الله بليغاته الوجداني. كذلك كان إسلام السلطان على هذا السؤال ورغم عظمة للملك وجبروته، فإنه عندما تحول عن عبادة الأصنام، واعتنق دين الإسلام، حطم كل الأصنام التي كانت في بلاد إيران، وبحرب تخريباً تاماً كل بيوت الأوثان وجملة المعابد غير الشرعية [ص ٣٧٧]، وأدخل في الإسلام جميع عابدي الأصنام والكفار الذين كانوا يرددون على عقد الرمال، بحيث إنه لم يضطر إلى قتل أي مخلوق. ولا بد أن هذا يكون له زيادة في الأجر.

هذه المعاني التي سبق ذكرها إنما هي دلائل واضحة على كمال علمه ومعرفته وحكمته وهناك دليل آخر هو أن الشباب عندما يشغلون بالظرب واللهو واحتساء الشراب، ينجسون لأموالهم ويستعرقون في الكلام العيث وأنواع اللهو. أما سلطان الإسلام فإنه عندما كان يصير متبهاً قليلاً، يستغرق في تفحص أحداث أهل الحكمة وتحقيق الحكايات والمباحث الدقيقة العميقة مما لا يدركه فهم كل حكيم وعالم. وكان يحب صحة جماعة الحكماء والعقلاء الممتازين. وإذا رأى من يتصف بالحكمة، وله عقل وضمير وأدب ولكن لا قدرة له على احتمال هذا العبء، فإن السلطان لا يعجب به. وكل من يتصل به يعرف قدره في الحال. ولا يوجد مجال لأي عتال ومرور أن يتحدث في حصرنه بكلام فيه خداع ورياء. وإذا تكلم فلن يستطيع القول أكثر من مرة، لأنه يعرفه. ومن ثم فإنه لا يسمح له بمعاودة الكرة. وإذا قابل حكيمًا ثرثاراً أبله، فإنه يسير عوره في الحال. وعن هنا نورد حكاية لتوضيح هذا المعنى.

كان هناك شخص في غراسان، قدم من تركستان اسمه "هبة الله"<sup>(٢)</sup>، وكان حسن الخلق، لطيف المظهر، قد أخذ من كل علم نصيباً وكان يعرف اللغتين السريانية والتركية

(١) انظر تفصيلات من هنا لرجل في كتاب رجال حبيب السيرة، نكرة توبة عبد الحسي موسى، ص ٢٣ ٢٤

طهران، نرماه ١٣٦٤ هـ ش

ويعطى أمثالا كثيرة وكان يقول كلاما حسنا على طريقة المشايخ. وكان السلطان والأمراء يشقون بكلامه. وقد ظل مدة يلازم حصرة السلطان خلد ملكه ولما تبرع على سرير الملك باليس والبركة، أرسل إليه رسولا يستدعيه، وأعره وقربه إليه، ومسحه الذهب وأغدق عليه الخلع، وفرر له المراتب الكافية، وعهد به إلى أنا العبد المطيع للدولة، وقال لي: عامله معاملة حسنة، فتعدت ما أشار به السلطان وكان دائما يجيء إلى الحصرة. [ص ٣٧٨].

فكان الحديث يتناول كلاما عميقا يتعلق بموضوعات الحكمة والعرفان. ومع أنه كان رجلا مطلقا، إلا أنه كان هناك تفاوت كبير بين كلامه وكلام سلطان الإسلام - خلد ملكه - وكنت أتعجب وأقول في نفسي: إذا كان السلطان لا يعلم الفرق بين علمه وعلم هذا الرجل فإن هذا أمر مستبعد. وإذا كان يعلم، فلماذا كمال الاعتقاد في "هبة الله" هذا؟! .. ولما كان الطغى أيضا في حق هذا الرجل أمرا غير مناسب، وكان السؤال عن هذا الموضوع متعلما أيضا بقيت متحيرا في هذا الأمر إلى أن نموه السلطان ذات يوم بكلام عميق قال فيه: إنه حديث لا يخفى لكل شخص أن يخصوص فيه؛ فأكثر الناس يعرفون قشوره وظاهره ولا يغفلون إلى معانيه؛ إذ أنه ليس في وسع كل شخص أن يدخل خرائن الملوك التي هي معتوحة للخاصة وحدهم. أما الآخرون فيظلون في الخارج مثل الشيخ هبة الله الذي سبيله هو أن يبقى خارج الخزانة، ويلوك فقط ما يكون ظاهرا؛ إذ إنه لا يعرف طريق الدخول إلى الخزانة والإحاطة بتفاصيل ما تحتويه. عندئذ تقدمت قليلا طالما أردت أن أسأل مولاي عن هذا الموضوع؛ لكن الفرصة لم تكن مواتية. والآن قد تحققت أن السلطان يعرف قدر الجميع، لكنه يحرم كلهم. فقال السلطان: إني لا أعجب من أنه أو غيره لا يعرف هذه الأسرار؛ غير أنني أسر كثيرا بكل ما يعرفه، ولربما أن أتذكر كل ما حياني به الله حتى أحاورهم؛ فحجر المس مع كونه أكثر ليونة ووعورة من السيف إلا أنه يشحده. وسبب ذلك أن جوهر الثولاد يرداد بالحجر؛ إذ إن الحدة موجودة في جوهره ولكنها تزاد بالين حجر للين.

وفي المجال والمجامع التي حصرها مختلف لمصاف الناس، تعجب الجميع من الأسئلة التي وجهها إلى العلماء والحكماء. ومع أنه كان يتكلم بالمصطلحات المعول، وكل شخص لا يتركها بسرعة، لكن لأنه كان بعيد ويكرر ويشرح كان يتعبه البعض، ولا يفهمه أغلبهم. وهكذا كانت طرق حكمته ومعرفته الله على هذا الوجه الذي قررناه. [ص ٣٧٩]

وأما عن أحوال المذاهب المختلفة ومعتقدات كل طائفة فإنه كان يعرفها واحدة واحدة على انفراد؛ بحيث إنه عندما يتباحث مع أئمة تلك المذاهب، لا يعرفون الإجابة عن واحد من عشرة أسئلة يوجهها إليهم.

وأما عن اللغات المختلفة، فقد كانت للعلوية لغة الأم. كما كان يعرف طرقاً من العربية والعارسية والفندية والكشميرية والتبتية والخطائية والفريجية وسائر اللغات.

وأما عن السلاطين والملوك للتقدميين وللتأخرين، فقد كان يعلم بالتفصيل آدابهم وعاداتهم ونظمهم، ويقف كذلك على عادات كل منهم في الحفلات والحروب والأفراح والأفراح والطعام واللباس والمركوب وغير ذلك من الحالات والأشياء كيف كانت وعلى أي نحو صارت في هذا الزمان؟ . ويشرحها لكل طائفة منهم، فيملكهم الإحجاب.

وأما عن معرفة تواريخ الملوك وحكاياتهم التي كانت ذات أهمية قصوى بالنسبة إليهم وكذلك أسماء الآباء والأجداد والأقارب ساءً ورجالاً، وكذلك أمراء الملوك قديماً وحديثاً ممن كانوا في البلاد أو لا يراون فيها؛ فقد كان يعرف بالتفصيل سبل كل منهم باستثناء هؤلاء فقاً؛ إذ إنه لا يوجد من أقوام الملوك شخص آخر مثله يحيط بهذا التاريخ والجميع يتعلمون منه. وإن تاريخ الملوك هذا الذي كتبه، استعدت أكثره من حصرتيه وبذلك أصبح ميسراً. ويوجد كثير من أسرار الملوك وحكاياتهم يعرفها هو نفسه، ولم تسجل في هذا التاريخ

كذلك يعرف السلطان غازي لأطباق تواريخ ملوك العجم والأتراك والمند وكشمير والخطا والأقوام الأخرى على اختلاف طبقاتهم ويقول ذلك أمام كل قوم، فيصيرون متحيرين

وأما شجاعته ووقوفه على نظم الحرب والإعداد لها، فإن ذلك يبلغ غاية الكمال. وسوف نعرف فصلاً على حدة في هذا الموضوع.

ولما عن الحرف المختلفة، فإنه لا توجد حرفة قط لم يمارسها يده، وذلك من قبيل الصياغة والحداثة والمجاعة والنقش وصب المعادن والخراطة والصاغات الأخرى؛ وذلك على نحو أفضل [ص ٣٨٠] مما يصنع جميع الأساتذة المهرة، ولأنه يمارس صمها بنفسه كان يرشدهم. وكل أستاذ مهندس يريد أن يصنع آلة منقطعة النظر لا يعرفها المهندسون الآخرون، كان يرشده ويعلمه حتى يتعلم.

وأما صفة الكيمياء التي هي أعنف الصاعات فقد أولع بها، ووقف على طريقتها في مدة وجيزة. ولما كان يعرف حق المعرفة أن هذا العمل لا يستطيع كل شخص أن يحققه

على الوجه الأكمل، استدعى تلك الطائفة التي تدعى معرفة هذه الصنعة، ولم يفسح لهم المجال كي يمنعوا عليها شيئا على النحو الذي كان مألوفاً، وهو أن تصرف لهم أموال كثيرة على تلك الحرفة، وذلك بناء على كلامهم. لكنه أمرهم بصناعة عدة ساعات يعرفونها ويجهلونها وما يلزمها من الآلات والأدوات، وذلك مثل صعدة للنساء وحل الطلق وصهر البلور وعمل الزخمر، وصهر المواد الصلبة بواسطة تسخينها وتكثيف البخار المنبعث منها وصنع شيء يشبه الذهب والفضة، بالإضافة إلى ساعات أخرى صنعها أمامه حتى اطلع عليها وعرفها، وقال: إنني لا أريد أن أتعلمها كي أصبح دها وعصاة؛ إذ إنني أعلم أن ذلك أمر مصدر لكنني أريد أن أحيط أيضاً علما بالصناعات الدقيقة الظريفة وأسمها كذلك لأن ذلك كمال في العلم الذي لا يقف عند حد. ولكن يهيم التقدم والترقي من عمل إلى آخر.

لما علم الطب وطرقه للنبذة عند التاريك والخطا والمعلول والمسد وكشمير فقد اطلع على کلیات كل منها، وعلم وجهة نظر كل طائفة. كما عرف كل الأدوية، ووقف على أكثر خواصها، والأطباء في هذه البلاد يعرفونها على الأكثر في دكاكين العطارين أما هو فقد اكتشف في الصحراء الأعشاب الطيبة عند كل طائفة ووقف عليها كذلك يعرف **[ص ٣٨١]** ما يسمى الآن "سج دارو" (الأدوية الخمسة)، وذلك من ورقها، وإذا ما تعاطاها، ظهر أنها هي بعينها. وهناك كثير من الأدوية، كانت تسب إلى بلاد التركستان والخطا والمسد، وكان التجار يجلوسها للمتاجرة فيها وبيعها في هذا البلد بتمس باعظ فاكشف السلطان عازان وجودها في هذه البلاد. وبالتجربة وقف بمصه على خصائصها

وكان هناك في الولايات بعض علماء العقاقير المشهورة من الترك والتاريك، فاستدعاهم السلطان، وكان يصطحبهم معه في أوقات الصيد وغيره في الجبال والصحاري، وكان يستفسر منهم عن كل ما يريد معرفته حتى وقف على تلك الطريقة؛ حيث إنه في هذا الزمان لم يكن هناك بين جميع علماء العقاقير والأطباء شخص مثله يعرف هذه الأوصاف. كذلك أحاط علما بكل ما كان من الأدوية المردة للمروفة عند أهلها بالترياقية وهي عجربة وعندنا أربعة وعشرون دواء مفردا، كان كل منها ترياقا مطلقا. ثم أصاب إليها الترياق العاروقي، وجرب ذلك الترياق، فظهر نفعه للعامة، وصار اسمه "الترياق العاروقي"

وأما عن علم المعادن، فنظرا لكثرة تفحصه وتباحثه مع علماء ذلك العلم، صار يعرف ما يحويه كل موضع من الجبال والصحارى التي يراها، ثم يحدد المعدن الذى يوجد في ذلك الموضع. وعندما يتحرى للتخصصون حقيقة ذلك، يكون هو الذى ذكره. كما أنه يعرف طريقة استخراج كل نوع من المعادن وصهرها بواسطة الآلات والأدوات. وقد صنعها كلها وجربها.

وأما التعاويذ، فإنه يعرف منها ما يقرأ لكل أمة.

وأما معرفة خواص أشكال آدميين والدواب، وما تدل عليه فإنه يقف بالتفصيل على كل ما يتصل بها على نحو ما ذكر في الكتب.

وأما علم السجوم والفئة فقد ذهب عدة مرات إلى مرصد مراغة واستمر باستعانة عما يشتمل عليه من آلات وعن كيفية تشغيلها ولهذا استعداد وتعلم، وأطلع على تفاصيل تلك الآلات والأجهزة؛ بحيث إنه مال إلى تشييد عمارة لمرصد جديد [ص ٣٨٢] حسب ما تراهى له هو نفسه، فأنقذ هذا المرصد. كما يسي قبة من تصميمه بقصد تعيين دوران الشمس، وناقش المجسم في ذلك، فأجبع هؤلاء قائلين: "على الرغم من أننا لم نر قط مثل هذه الآلة، فإن ذلك أمر معقول. وفي المرصد المجاور لأبواب البير هي تبريز أقيم بناء على شكل قبة غوى تلك المعدات على النحو المشاهد

بهذا كله يكون السلطان قد حصل نصيبا من كل علم يتصور، ولم يسمع الحق تعالى عنه أى كمال، ورهبه بالأخلاق الحميدة كما سوف يذكر في الفصول الأخرى القادمة ولهذا السبب لم يتطرق إليه العجب بعينه مطلقا. وهو يصرح بأن خلاصة العلوم علم الإنجازات أما الإحاطة بالعلوم والصناعات الأخرى فهي التي يمكن أن يطلق عليه اسم الكمال لأن من لا يعرفونها، يكون ذلك نقصانا فيهم. وقياسا على هذا يعني أن يعرف الشخص من كل شيء شيئا حتى لا يكون ناقصا. وإلا فمادا كنت أنعمل هذه المشقات؟! " وإلى الآن ما زال غاراد خان يشغل نفسه دائما بالتعليم والتعلم.

وهكذا ذكرنا شطرا مما يتعلق بعلوم وآداب سلطان الإسلام غازان خان -- حلد ملكه --  
وأمل هذا العهد والقصور على تلك الحقائق وهم شهود على أن الحال يجرى على هذا  
المسوال؛ وذلك حتى لا يطلع الفراء في كلامي فيما بعد قتالين "لقد حدثت مبالغة فيما  
كتبت".

اللهم اسح غازان فصيلة جديدة كل يوم.

## المكايبة الثانية

### فى عفة سلطان الإسلام وعصمته

بقرر الذين كانوا قبل هذا مقربين إلى الخصرة أن سلطان الإسلام - خلد ملكه - لم يقدم على حرام قط. وإذا ما اتفق له النظر إلى أحد، فإنه لم يكن يحير مطلقا أن يرتكب إثما.

وفى الوقت الذى ظل فيه ربما طويلا بعيدا عن داره، يقود الجيش ويقوم بالفتوحات [ص ٢٨٣] كان القواد كلما حصلوا على البسات الحسلوات نتيجة العارات، يختارون أكثرهم حمالا ويأتون بهم إلى الخصرة ومع أن من عادات الممول أن يحتفظ بمثل أولئك الإماء السريات حتى يتعاضدوا بهم، ويكون طريقهم فى العزو مزدهرا وميسرا، فإن سلطان الإسلام لم يكن يميل إليهم مطلقا، ويقول فى هذا الصدد: كيف ألوث جسدى بهم وكيف أتعرف عليهم حاجة؟ وعلى هذا لم يكثر بهم ولم يسلهم.

بعد ذلك خلال هذه العترات، وحسب ما اتضح لم تصدر من حضرته محاولة مطلقا هيأت له طريق نرما واللواط والعسق، ولم ينظر إلى مساء الناس بالحياة والإثم. وفى كل مرة أثناء فتح للشام، كانت فى دمشق بسات الممول وعمرهن، فلم يلتفت إليهن على الرغم من ابتعاده مدة طويلة عن دياره وسنائه. وقد استطاع أن يحافظ على نفسه وبصاير كذلك لم تجر نفسه الشريعة مطلقا لشخص آخر أن يجد محالا لارتكاب اللواط والعسق والمجور وكان دائما يلجأ فى مع هذه الشقائق بإصدار العرمات وقد عاقب وفق قواعد الشرع والياساق عدة أشخاص معنى بسب ارتكابهم تلك الأثام.

ونخلصه أن طهارة نفس السلطان عار من الشريعة مثل المذهب الإبرير.

عليه حظ الحق تعالى، وليحرس تلك الذوات الشريعة من نكبات الرمن، وأن يوجه عين الكمال إلى ساحته المباركة بحق السى وآله

## المكايبة الثالثة

**فى فصاحة سلطان الإسلام وبلاغته وحسن سؤاله**

**وإجابته فى أحاديثه مع البعيد والقريب**

**والترك والتأزيك**

قبل هذا العهد، كان الأمراء والوزراء يصرفون أكثر المهمات ومصاوغ الدولة كما كانوا هم أنفسهم يدبرون شئون الملك. وكان السلطان فارغ البال من تلك الأمور وكان يضى أكثر أوقاته ساهمكا فى الصيد والذهو. وعلى هذا يمس إدراك [ص ٣٨٤] كيف يكون تدبير الأمراء والوزراء المختلفى الأقوال والأهواء؟

وفى كل وقت كان بعد رسول من قبل الملوك البعيدين والقريين، يتماوص الأمراء معه ويردون عليه. أما سلطان الإسلام غاران كان فقد أصلح كل شئون الملك التى كان الأمراء والوزراء قد ألحقوا بها الضرر مدة سنوات وعرضوا قواعدها للحلل، وذلك بأفكاره الصائبة، وآرائه الثاقبة. وقد أمر على تنفيذ أوامره، ولم يدع سبيلا لأى أمير أو وزير كى يعترض أو يتحدث عن شأن من الشؤون، ولم يقم ورنا أو معتبرا لأى واحد يعرض فكارا أو رأيا، بل يظل الجميع منتظرين ومترقبين إشاراته لتنفيذ ما يأمر به إلى حد أنه لم يترك جمالا لمخلوق قط كى يسأله حتى عن يوم الرحيل. وقد اتخذ بقوة عريته طريقة تجعل الجميع من شب وشبان وعقلاء وجهلاء يراعون رأيه وتدبيره وإشارته.

وفى الحقيقة لم يسبق ذلك على أى شخص ساهم، لأنهم جميعا شاهدوا أن نفسه هى الأكمل، ورأيه هو الأصوب من كل الوجوه. وكذلك حركاته وسكناته مرتبة إلى أقصى حد؛ فلا جرم أن رأوا أنفسهم لا شىء بالقياس إلى كفاءته.

ورغم حداثة سى السلطان، فإنه يذكر عدة أمثال متعبة وتواريخ وحكايات لطيفة تجعل المستمعين يقفون حيارى متعجبين. وكلما وصل إليه رسول من إحدى الجهات، كان يجيبه إجابة صائبة دون الرجوع إلى أركان الدولة وأهل الفكر والمشورة. ومن المسلم به أن الملوك العظام يرسلون إلى الملوك الآخرين رسلا فى غاية الذكاء والنداء بالإضافة إلى أنهم علماء



ومصحاء ومحكون. وإن طائفة الرسل الذين فعلوا حتى الآن، وكذلك الحكماء والأطباء المشهورون الذين قدموا من الأطراف إلى بلاط عاران قد تعجبوا جميعاً من فصاحته وبلاغته وحسن عايرته ومخادشته وكمال أخلاقه [ص ٢٨٥] وكان يتحدث معهم عن أكثر الحكايات والحوادث التي تتعلق ببلادهم، ويشرح بالتفصيل معتقدات كل طائفة نقد إليه. وعن طريق الحكاية يبيّن رسوم وعادات كل ملك وكل قوم من المتقدمين والمتأخرين؛ هلاً غرو أن داع صيته وشاع في كل بلاد العصى والهند الصينية والهند وتركستان وكشمير ودشت القيقاق والأوروس والفرنج ومصر والشام؛ بحيث إن الجميع حسوا له حسناً تاماً فيما يتعلق بهيئته وسياسته وكفايته وكفايته؛ وذلك في كل الأبواب والأحوال، فعملوا بمدحه والثناء عليه.

إدام الله تعالى سلطان الإسلام هذا، صعوة خلق الله وأعفل وأكمل أبناء الزمان، وأبقاه حتى الأبد على رأس العالمين بحق حقه. والسلام.

## الحكاية الرابعة

### في صبر سلطان الإسلام وثباته وصدق عهده وميثاقه

بين الآن عدة ظواهر من الصبر والتحمل والثبات وصدق القول والحفاظ على العهد والميثاق. تلك الصفات التي هي مركبة في ذات السلطان غازان! لأن شرح ذلك كله يؤدي إلى الإطراب فليقد عشر به نورور مع أنه عهد من عبيد الحضرة، فعبد الانحيات وانسرج فجأة في رمرة الأنياع كما هو مذكور في التاريخ، ولكنه عهد إلى الحيانة عدة مرات. وكان هو السبب في خراب خراسان، واضطراب الجنود وتشتتهم هناك. ثم انصم إلى جيش "قايدو" واشتمل بتخريب للملك مدة طويلة. ولما شعر بعجزه، أرسل إلى الحضرة يطلب الأمان والميثاق. ثم جاء طامعا مختارا ورغم كل تلك المساوي التي لا يستطيع شخص عملها عما عه السلطان وغاور عن سيئاته، ووصفه حكم كل البلاد.

ولكن لما كانت لنورور نفس عجيبة [ص ٣٨٦] وبدت على ماضيه علامات العثر وكان يقول أيضا كلاما غير لائق. ولما كان الأمر كذلك، قال الأمراء مرارا للسلطان. لقد ارتكب نورور كثيرا من الأعمال المستهجة، وصدورت عنه أنواع الخرافات، فيسعى القضاء عليه لكن سلطان الإسلام عله ملكه لم يحرص بذلك وقال: الحق معكم لكني لا أستطيع أن أنكث عهدي وميثاقي. ومهما كانت تصدر عنه حركات وأفعال سيئة كان السلطان يتحمل ويصبر إلى أن ذهب إلى خراسان وشرع في إثارة الفتنة وإعلان العصيان وأراد أن يستولي على تلك القواحي بالإصافة إلى خراسان وكرمان. وكانت البلاد على وشك أن تخرب على يديه مرة أخرى. وهكذا كانت تلك التصرفات طاهرة وواضحة فأشار السلطان بتدريك الموقف. وها قال الأمراء: لقد قلنا مرارا إنه يصبر هذه الشواهي في قلبه. فقال غازان. إني أيضا كنت أعلم ذلك ولكني أردت أن يكون هو اليادئ بالعنوان لا أنا. كذلك كانت هناك طائفة أخرى من كبار الشخصيات، قتل السلطان بعضهم، وليس هناك داع لذكر أسمائهم بالتعصيل، ولا يكون ذلك مناسبا. وأثناء محاكمتهم قال السلطان

للأثراء. إننى مطلع على قبح سيرتهم وسريرتهم مد خمس سنوات، وأعلم عنهم كل شيء ولكنى صبرت عليهم. ولقد قال بعضهم مرات عديدة كلاما غير لائق ينسب فى حراب البلاد. ولو كنت ألتفت وأستمع إلى أنواع الخيل التى يذكرونها، لترتب على ما يقولون تلك الفس التى لا تنتهى، ولا أريد أن أذكر بعضها، ومد فترة وجيزة ذكرت ما لم فى الخلوة. ولقد عرفت لأول وهلة أن أقوالهم التى ذكروها إنما هى محض احتمال وخداع، فاستكرتها. ولكنهم رغم ذلك لم يستحووا، وظلوا يعيدونها مدة خمس سنوات ويعرضونها بصرور غفلة. والمعجب أنهم كانوا يرون أنى لا أصدتها [هي ٢٨٧] ولا أعمل بها. ومع ذلك صاروا يكررونها. وقد أراد هؤلاء الجهال الحمقى أن يستحولوني ويوقضوني فى حبالهم. ولما تجاوز الأمر الحد، وظهرت رواياهم، اعترفوا هم أنفسهم. وعندئذ أعنت ذلك على الملأ فثبت للناس من صورة الأحوال واقفاها أن ما حدث كان على النحو الذى ذكرت. ومد مدة كانوا يتوهون بذلك الكلام ويقولون جميعا متصفيين كيف استطاع السلطان الصبر على هذه للحالقات؟! ولقد راد عجبهم لأنهم ذكروها بعضها، ولكنهم تأكدوا من أن أى مخلوق وحى بالناس فى حصرة السلطان وعدم إلى التزوير والتليس، عرفة السلطان فى الحال، واستاء منه، ولكنه بصيره لم يتحصل فى إظهار عصبه، ولم يعطى ذلك الرجل إلى أن السلطان يعلم ذلك ويصبر عليه، ولكنه كان يصبر على حظه، فكانت عاقبة الإغرام.

ولقد كانت تلك الجماعة كثيرين من بينهم قاصى سمان الذى كان يدعى "القاصى صاى"، وكان أكثر خلق الله شرا. وفى الحقيقة كان أكثر شرا من إبليس ومن هؤلاء أيضا الصاحب الأصمهاى وعدة أشخاص آخرين من لا يستحقون الذكر. ولقد فطن السلطان إلى أفعالهم جميعا. وبعد أن صبر عليهم مدة، أمر بقتل بعضهم بناء على أقوال شهود البغى والإثبات، وطرد بعضهم من خدمته.

وعلى العكس فإن الأشخاص الذين عرفوا طبيعته، وكفوا عن المديان وإثارة الفتى وقالوا دائما الكلام المعقول الممد المبر من حقيقة شعورهم، هؤلاء الأشخاص قدرهم حق قدرهم، بمران عقله الكامل، وأثنى عليهم ووثق بهم ولما كان صميره الشير مطلعا على أحوالهم،

لم يستمع إلى أقوال الآخرين إذا راحوا يظنون في حقهم، ويتهمونه على سبيل الحسد والعدا، وكان يتأني، ويطلق يد هؤلاء المخلصين في الأمور التي كانوا متكلمين بأدائها وذلك حتى تسير تلك الشؤون بحودة وإحكام، ولا يتطرق إليها أى حذل. وكان يكرر قوله: ليس هناك في العالم شيء قط أشرف ولا أنص من إنسان ثقة مستقيم [ص ٣٨٨]

فلا عرو أن يكون الصادقون الثقة معررين محترمين. ولكن السلطان كان يقصى على كل معسد وسارق ومسيء العمل. وإذا حطب المظلمون على بواطن الأمور بالأيمان المعلقة أن سلطان الإسلام خلد ملكه لم يقتل أحدا مطلقا إلا ذلك الشخص السيء الخلق ويلزم القضاء عليه، وأن وجود هؤلاء الأشرار هو عين الضرر للعالمين - كانت أيمانهم صحيحة لا تستلزم الكفارة. ومن المتيقن أنه إذا تقرب إليه معسد آخر فإنه يأمر بقتله أيضا لأن طبيعة نفسه الشريفة بخصوص المفسدين لها خاصية الرمرد والأقمى. أما من بقى من المفسدين فإنهم تلك الزمرة التي لم يرها ولم يعرفها، وإلا فإن معه الشريعة كانت كالجوهرى الذى يميز البلور من اليواقيت، فيعرف هؤلاء الأشخاص في الحال. ومع هذا فإنه لا يتعجل في أى أمر إلا في عمل الخير أو ما يوشك على السيل، ولقد نصح الأمراء والقضاة والوزراء كرات ومرات قائلا: لا تقتلوا على الفور كلام طائفة تشكو حاكما أو موظفا، إذ من الممكن أنهم من قبل لم يكونوا قد سددوا ما عليهم من صرائب، وحملوا مسئوليتهم على غيرهم، فاضطروهم ذلك الحاكم إلى تسديد الضريبة. ومثل هؤلاء الناس لا بد أن يشكوا. وإذا صلت أقوالهم أيضا، فإن جماعة أخرى يأتون متلوعين بنفس الأسباب

ومن الممكن أن تكون هذه الجماعة من الرافضين في تولى الماصب ويريدون أن يستعروا من المشكو منه وظيفته، كى تفوض إليهم ويمكن أن نجىء جماعة ممن كانوا أعداءه سابقا، أو أنهم تربطهم صداقة بأحد الأشخاص، فيشعروا على الحاكم فاحتاطوا لكل هذه الأمور ونحروا أسوأل كافة الرعايا ممن يسددون الضرائب، وتأكدوا من أن حاكمهم ظالم أو لا وأنهم يريدونه أو لا؟ حتى تبين حقيقة أمره [ص ٣٨٩]؛ إذ إنه من الممكن أن يكون كلام الكثرة من الناس خاليا من الغرض والغوى. وأن كلام أصحاب الفرض والقلعة من الناس ليس له أهمية تذكر، وأن الأشخاص الذين ترصى عنهم فرعية، وشيل طبيعتهم إلى العدل قليلا ما يمتد عليهم وإن الحاكم الذى يؤخذ عليه عيب أو عيبان، وله مسائل أخرى

كثيرة، لا سيما قلة الطمع وحسن السياسة والصدق والاستقامة مثله لا يمكن عزله من عمله.

وعلى هذا النهج الذي استقر في خاطر السلطان المبارك، صار يحتاط دائما، ويرشد الأمراء والوزراء أنصاء، ولا تفوته - في أية قضية - قيد شجرة من الكياسة وبعد النظر. فليمتع الله تعالى سلطان الإسلام هذا بسنوات عديدة من العمر والسلطنة بحق النبي وآله.

## الحكاية الخامسة

**في أن كل كلمة تجري على اللسان المبارك**

**لسلطان الإسلام تكون مطابقة**

**للواقع في أكثر الثورات**

يقرر المقربون الذين كانوا ملازمين للحصنة منذ عهد طغول سلطان الإسلام - محمد ملكه - أنه في كل وقت تحدث فيه عن قصيدة أو قص حكاية، جاء حديثه مطابقا للواقع. وقد ثبت خلال هذه الأعوام أنه كلما نفوه بكلام على سبيل الجد أو المزول يتحقق. كأن يقول مثلا: لقد اتفق هذه السنة للشخص الملائي ما اتفق له في الأمر الملائي، أو أن رسولا يصل من أحد الأماكن بهذا الشكل والمظهر، أو أن أسيرا بمصروبه بهذه الهيئة، أو أنه سوف يصل خبر سار ومع أن مثل هذه الأمور لم تكن بعيدة عن أغلب الملوك ذوي الشأن العظيم الذين وهب لهم الحق تعالى هذا الملك وهذه السعادة، ولكنهم حتى الآن لم يحكوا عن أي ملك ما يحكونه عن سلطان الإسلام، كما أنهم لم يشاهدوا مثل أفعاله التي أثرت عنه.

ولما كان كذلك شديد الولوع بكل العلوم، أحاط بعلم الرمل وقراءة الكف وأسان الخيل وغير ذلك من الدلائل التي يختصرون بها السوء والخس على نحو ما جاء في الكتب. كما أنه تتبع كل أنواع التخميم التي اصطلاح عليها كل قوم، [ص ٣٩٠] وكل ولاية، ودرسها جيدا. وكان يصدر أيضا أحكاما بشأنها

أما النجوم من سيطرة وثوابته، والتي هي مشهورة لدى المنجمين، فإنه يعرف أغلبها وهو مطلع على طلوعها وغروبها وخواص كل منها؛ بحيث إنه يشير العجب لدى مستمعيه. كذلك يعرف بدقة خواص الأشكال لكل الحيوانات المتناسية والوحشية وذلك على تباين أصنافها واختلاف أنواعها، كما أنه يعرف عادة وحركة وسكون وموطن كل منها في الصيف والشتاء. وكل هذا لا يتأتى إلا بقوة المرامدة. والله أعلم.

## الحكاية السادسة

فى بذل سلطان الإسلام وعطائه وجوده وسفائه

على الوجه المستحسن القائم

على أساس المعرفة

عندما تربع سلطان الإسلام على سرير السلطة كانت خزائن آباءه وأجداده خالية من الأموال، والولايات خربة مختلة إلى أقصى حد، وأموال الدنيوان عرصة للنهب والنفق، وتحصيل الضرائب أمر متعذر وبسبب سوء تدبير الورداء والحكام السابقين طمع عمال الولايات من الأموال؛ فكان يلزم من مرور فترة من الزمن حتى يمكن ضبط مصالح البلاد، وصمان وصول المال إلى الخزنة بعد ذلك.

هذا الخلل يتضح فيما يلي:

أولاً: الخزائن التى كان هولاء حاكمين قد أحصرها من بغداد وبلاد الملاحدة والشام والولايات الأخرى، وأودعها قلعتى تله<sup>(١)</sup> وشاما<sup>(٢)</sup> هذه الخزائن كان الخزنة يهبونها بالتمرير، وكانوا يبيعون للتجار بالثبات<sup>(٣)</sup> الذهب الأحمر والمرصعات. ولما كان كل منهم مطلقاً على ما يعلمه الآخر، لم يكن أى منهم يوح بشئ عنها. وقد اتفق أن تهدم برج من الأبراج المطلّة على البحر بحجة أن البالثات والمرصعات قد سقطت فى البحر، اختفى الخزنة مبالغ أخرى.

---

(١) يكتبها أبو الفداء "تلا" ويذكر أن بحره "تلا" هى بحره لرمية والبحره المذكورة بين مراغة وبين سلسل فرس مراغة وطرقي سلسل وفى وسطها جزيرة بها قلعة تسمى قلعة تلا على جبل مشطع فى هذه الجزيرة. وكان "تلاون" (هولاء) قد جعل أموالها لخصائيا (تقريب التلك، ص ١٢). نصحيح وطبع رينود والبارون ملك كوكى ديسلان، باريس ١٨٤٠ م. ص ١٤١.

(٢) شاما قلعة جديدة هولاء. ووضح فيها أموال بما جبه من بغداد وقلتهم الخلافة ثم صارت هذه القلعة حصناً له وكانت تعرف بالبارسية كور قلعة أى "قلعة القبر" (بلدان الخلافة العثمانية، ترجمة القرية، ص ١٩٥). بغداد ١٢٧٣/١٩٥٤ م.

(٣) بالثبات جمع بالث. واليثت عبارة عن محسنة مقال من الذهب أو الفضة (انظر كتاب تاريخ جهاتگشاى، جلد اول، تحقيق محمد بن عبد القريب القزوینى، ص ١٧٧، حاشية ٢، لندن ١٣٢٩/١٩١١ م).

ثانياً، السلطان أحمد "مكودار" كان يريد أن يجذب إليه الجند، ويستخلص الملك لعمه وعارب أرغون؛ فأعطى الجند جملة ما تبقى. ولم يكن قد بقي هناك شيء أكثر من هذا. وقيل إن ما بقي في الخزانة لم يكن يبلغ مائة وخمسين تومانا. (ص ٣٩١).

ثالثاً: ما جمعه أرغون في "سوغورلوق" من كل صوع ولودعه الخزانة، سرق بعض منه وأتلف بعضه الآخر. وبعد ذلك فإن ما كان أرغون قد حصله في عهد توليه الحكم وزع وأتلف أيضاً. وعندما فكر الأمراء والمقربون في العذر به وغالطته ومحاولة قتله، قسم بعض الأمراء والمقربين محتويات تلك الخزانة فيما بينهم وقال بعضهم: إننا سوف نورعها على الجند، ولكنهم بددوها. ولم يملّ جيخاتر عمه شيئاً منها. وإذا كانت هناك بقية قد توافرت من خزانة أرغون، فإنه قد مسحها الناس.

هذه الأسباب لم يكن قد بقي هناك شيء قط من تلك الأموال السالفة عند جلوس غازان المبارك. ثم إن الجيود الذين كانوا معه عندما قدموا من غراسان، انتهر الأعداء العرصة، وجاءوا إلى هذا الإقليم ونهبوا ديار الجند وقطعناهم وكلما حاول سلطان الإسلام عخلد ملكه أن يمنع حتوده شيئاً، لم يجد في الخزانة مالا قط. كما أن أموال الولايات لم تكن تصل إلى الخزانة العامة.

ولقد ظل نوروز مدة يدور شئون الملك والمال. وبسبب سلوكه طريقتة السابقة، لم يتوافر شيء. وبعد ذلك أخذ شرف الدين السمانى وصدر الدين يديران الشئون، فلم يحدث أيضاً شيء يذكر. ثم إن القوات الاحتياطية كانت في حاجة إلى المال. وإذا وفد رسول من الولايات البعيدة والقريبة، وأرادوا مسحه حلعة أو عطاء، لم يكن يوجد في الخزانة ما يليق بمسلحته. كذلك لم يكن الناس يصلفون أن الخزانة خالية إلى هذا الحد فكانوا يسيرون انتهاون والإهمال إلى سلطان الإسلام إلى حد أنه كانت تصل الشكاوى من كل شخص بخصوص هذا الموضوع.

وعندما بلغ ذلك سمعه الأشرف كرر قوله على رأس جمع من الأمراء والمقربين: إنكم تظنون عندما يصل عدد الإبل والجمال الغملة بالصناديق، أنها تحمل أموالاً إلى الخزانة؛ ولكن الحقيقة هي أنني أحب الصناعة، واشتغل دائماً بقطع أنواع الأخشاب وتصميمها؛ فكل ما يحمل إلى هنا ليس أكثر من أخشاب، وأصناف الأدوات والآلات الخاصة بكل صفة.



**[ص ٣٩٢]** بالإصاحة إلى بعض قطع من الأسلحة. وهذا لا ينفى عليكم. والخزنة مطلعون على تلك الحقيقة، فكيف لعب الشيء الذى لا وجود له؟ إنه لم تظهر لى خزنة ورثتها عن الآباء، ولم يمحروا إلى مالا من الولايات. وعلى هذا جئت على رأس بلد غرب. فليكن انتم ان تجمعوا أموال الولايات وأحضروها لى. وعندئذ إننا لم أعطيها لهماكم، وسوف يكون التفسير من جاسى. ومن هذا الكلام الصريح ثبت للجميع ان الحق بجانب السلطان.

وبعد عامين عندما فرغ من ترتيب شئون المملكة وتبديرها وأحكم شئون الأطراش والثغور، وقضى على الفلوج والاشخاص الذين كانوا قد دأبوا على إثارة الفتش والعصيان أو أنه عصمهم ورجعهم اشتمل بتبدير شئون الولايات وترتيب الأمور المتعلقة بقبض الأموال وغصبيل الضرائب. وكان يجلس بنفسه كل يوم من الصباح الباكر حتى المساء يصحح بقلمه المبارك المسودات الجندرة بالتسجيل كذلك أوجد نسفا لأمر البلاد، ووضع لها قانونا، وبين على أى نظام يسير كل عمل.

أما الولايات التى يقطعونها فقد قرر أن تعطى أناسا أقوياء ولا تسترد منهم مدة ثلاث سنوات، وألا يلتحقوا إلى أى شخص وضع خسيس. وبسبب سبل غصبيل الأموال، وكيف يكون ذلك وعين أيضا الأموال التى يجب غصبيلها من كل البلاد. كما عين وجوه الصرف فى كل باب على الوجه الذى سوف يجرى شرحه فى العصول التالية.

بذلك انتظمت أمور الولايات، وأخذت الأموال تصل إلى الخزنة يوما بعد يوم، وصار الدخل يزداد سنة بعد أخرى. وأما سيج المصانع الذى لم يكن يسد نفقاته قبل ذلك، ولم يكن الثوب يساوى دانتين من السعر المقرر، فقد وصل الإنتاج كله إلى حد الكمال. ولما حصل السلطان على المال، شغل بالعطاء، وقال للأمرء وأركان الدولة فى هذا الصدد: ليس فى العالم أمر أصعب من بدل المال. وإن چنگيز خان كان يصرح: ليس هناك عمل أسوأ من إعطاء المال، وأيضا من عدم الإعطاء. ومن المؤكد أن من لا يعطى يكون تهيلا.

**[ص ٣٩٣]** وأى شيء يكون أسوأ من البخل؟ وأما فى حالة الإعطاء فإنهم إن محروا أحدا قليلا، وآخر كثيرا، أو أنهم أعطوا أحدا ومحروا آخر، أو أن الشخص الذى ينبغي أن يسرعوا فى إعطائه أبطأوا فى تعيد ذلك، فهذا التصرف يكون على الناس أقسى من الموت ويصيرهم أعداء، وقليل من يستطيع مراعاة هذه الدقائق، ويتاح له هذا التعمير. ولا يتيسر فهم هذا للمنى لكل شخص. والآن يجب علينا أن نراعى هذه القاعدة بقدر المستطاع.

والتفق أن وصلت عدة خرائق أول الأمر وكان كل منها يحتوى على مائتى تومان أو ثلاثمائة، حولها إلى الأمراء والنواب، وقال إني لا أفسدك بما أتوا به، ولن أودعه الخزانة وأشار بأن يصعوا على حدة ما حصلوه من الولايات حتى يقوم الأمراء بتوريهه. وبعد ذلك بين لهم أى قوم يعطون، وما المبلغ الذى يعطى لكل طائفة. وكان الأمراء يعطون أيضا طبقا لهذه القاعدة

بعد ذلك فى هذه السنوات الأخيرة صرح قللا ذات مرة. لقد ورع جماعة من الأمراء الأموال، وإبنى أرغب من كل قلبى أن أسمح شيئا بنعمى. وبعد انعقاد مجلس الشورى (النفوريلتاي) فى أوجان أمر بإقامة عظيم ملكى كبير حيث جمع الخزانة التى أحضرها من أطراف البلاد، وجلس بنفسه مع بعض الأمراء المشهورين، فأعطى مبلغا كبيرا من كانوا أرفع درجة، وهؤلاء الذين أدوا خدمات جليلة وكذلك من مهتدوا الطرق المستحسنة خصص لهم صفا أريد. وقد عير عن تلك الريادة بقوله على هذا النحو أعطى هذه الجماعة أكثر من غيرهم. والمقصود من هذا أن يجد الآخرون أيضا فى تهيد الطرق، وتأدية الخدمات الجليلة ويسعون سعيا حثيثا ويجهتدون اجتهدا تاما. وهكذا كان يتكلم عني هذا البحر، وهو يسحبهم العطاء.

وبعد ذلك كان يقدم طائفة الآباء الذين لهم أبناء ثم يعطى فواد الميمنة والميسرة على حسب القاعدة للمعهودة. كذلك أمر بوضع أنواع الثياب مرتبة صنعا صنعا وبابا بابا ثم وزن كل أكياس الذهب الإبرير والمصصة كلا على حدة، وكتب عليها مقدار ما تحويه واسم الطائفة التى تستحقها، وذلك على حسب استعدانها وأحققتها. وكان يسادى واحدا فواحدا، [ص ٣٩٤] ويأمر بتسليم كل منهم نصيبه بمصوره. وظل على هذا النحو يمنح الأموال عدة عشرة أيام أو خمسة عشر يوما، فمسح مبلغ ثلاثمائة تومان نقدا ذهبيا وعشرين ألف ثوب وخمسين حراما مرصعا وثلاثمائة حرام ذهبى ومائة بالاش من الذهب الأحمر وبعد ذلك ظل دائما وعلى التوالى يمنح العطايا من الخزانة من النقود الذهبية، ولم يتحول على الولاية مطلقا حوالاة يدفع بموجبها لأحد باسم العطاء داتق من الذهب أو قطعة من الثياب وكل ما طلبه الأمراء والوزراء لم يكن حوالاة، وإنما أعطاهم المبالغ نقدا.

على هذا النحو ظل السلطان يعطى، لكنه كان يراعى قدر الشخص ومصبه وظروف  
 الإعطاء؛ بحيث لا يعطى القليل من كان أعلا للكثير، ولا يعطى الكثير من يرمى أن يعطى  
 القليل، ولم تنزع حرافته مطلقا من الذهب والنياب. ومهما أعطى الكثير سمحه الحق تعالى  
 بركة بسبب عدله وحسن تدبيره. ولم تغل حرافته قط من الثياب والذهب، ولا يكاد يمشى  
 يوم إلا ويصرف من حرافته عشرة آلاف وعشرين ألف دينار من الذهب ومائة ومائتين  
 وثلاثمائة ثوب من الثياب الجاهزة. وهكذا يكون السخاء والبدل والإعطاء .

بعد ذلك قال بمصور الأمراء وعظماء الدولة. إن أنصّل الأعمال التى يؤدبها الإنسان  
 هى أن يتخلق بأخلاق الله، لا سيما للثوك. وإن الجود والسخاء هما من صفات الله. لكن  
 جوده وسخاءه لا يقفان. ولا يمتد منهما أعطى الكثير، وأثر بهما المستحقين. وإن ما  
 يعمله الإنسان بالنسبة إلى الله تعالى لا يكون إلا كقطرة بالنسبة إلى البحر لكن التخلق بخلق  
 الله بقدر استطاع أمر واجب. أما للثوك وجميع الناس، فيجب عليهم أن يعفوا أموالهم  
 على هذا النحو؛ بحيث يكونون دائما قادرين على ذلك حتى يمكنهم الإتفاق دائما؛ فإنهم  
 إن أعفوا ما لهم فى بصعة أبهام دون ضبط أو روية، ثم يكونون بعد ذلك عاجزين عن  
 الإعطاء ولا يستعينون من ما لهم. هما العائلة التى تعود على الشخص إذا لم يستطع الإتفاق  
 بعد ذلك؛ والأمر الذى لا شك فيه أن من يسحون أشخاصا معلودين كل ما عليهم  
 ويحرمون الآخرين حرمانا تاما، يكونون غططين أيضا، ولا يكون تصرفهم هذا مرضيا لله  
 ولا متفقا مع صفته. [ص ٣٩٥]

والملك يبنى أن يكون مثل الشمس، تصل أشعتها إلى جميع الأشخاص. والإتفاق حق  
 عام للخلائق أجمعين، وخصوصا لأولئك المستحقين والمحتاجين، والذين يعملون أعمالا عبدة.  
 ومن بين هؤلاء أيضا الجود فكيف يجوز أن يسمح للثوك كل ما عبده عدة أشخاص، ثم  
 يجلس بعد ذلك غالى القواص ولا يعطى شخصا آخر شيئا، لأنه عاجز عن العطاء. وإذا  
 فما الذى يعود على الناس من ذلك الشخص؟ أية لغة وهبة يمكن أن يستمتع بهما ملك  
 فى تلك الحالة؟

إن سخاء للثوك وجودهم يجب أن يكونا مثل ماء البئر والعين لا ينصب معيها معها  
 أحد الناس منها. وهذا الأمر لا يتيسر إلا بتدبير الملك وإقامة العمران وتوحي العدل

وحس السياسة. ولا بد أيضا من مراعاة الاعتدال في كل عمل؛ بحيث إن ذلك القدر الذي يعطونه يصل عوجه تناعا وإلا:

بيت من الشعر الفارسي ترجمته:

إنك إذا أخذت من الخيل، ولم تضع شيئا مكان ما أخذت

فإن العاقبة أن يروى الجسيل من موضعه نهالها

وإذا كان لنا ولكم ميل إلى المال والسخاء والعطاء، فإنه ينبغي أن يعدل وصدق؛ لأن عاصمة العدل هي التي تجعلنا نعرف من أين هذا المال. وعندئذ نتعلم الخزانة، ومنها سمحت وأعطينت فإن الخزانة لا ينصب معيها. ومن الأفضل أن يكون قادري على هذا دائما وإلا فكيف يصلح ملك يكون قادرا يوما وعاجرا يوما، وثريا وقتا وفقيرا وقتا آخر؟! إن هذا الأمر لا يليق بالملك. ولو يكون هناك ملك بهذه الصفة فإنه يضطر إلى أن يعيش دائما في غم وحزن، ويحرم الخلق مواهبه، ويصرون في غي سلطانة

ينبغي أن نراعي هذه القاعدة، وأن نعمل على أن يعطى كل ما ينبغي إلباسه من مال، لا أن ندعه يتراكم بعضه فوق بعض، ولا أن نصير أيضا دفعة واحدة خالي القواص مملس. [ص ٢٩٦] والمال القليل يجب أن يكون دائما مستمرا؛ لأن خاصية المال هي أنه إذا كان قليلا؛ فإنه سرعان ما يمسو ويأخذ في الريادة مثل الصباد إذا لم يكن لديه طائر يضعه على شجركه كي يجذب إليه الطيور التي من جنسه؛ فإنه لا يستطيع أن يصطاد طائرا قط. أما إذا كان هناك طائر واحد هو كل ثروته، فإنه بواسطة يصطاد عدة آلاف من الطيور في سنة واحدة.

هائلي الأمراء وأركان الدولة على كلام سلطان الإسلام ودعوا له، وصاروا جميعا متعجبين ومنذ ذلك التاريخ حتى الآن، ويسير السلطان الأمور دائما على هذا السطر.

ولا بد أن الناس يحملون هذا الكلام على سبيل المبالغة ويقولون من الذي رأى الملك السابق، ومن وقف على أوصاع خرافتهم حتى يستطيع القيام بهذه المقارنة؟! لكن الشاهد الصادق على هذه الأمور هي سجلات الدخل والخرج لخزائن السابقين، وكلها محفوظة في دار المجموعات، ولا يزال قسم منها موجودا حتى الآن. فأى شهادة في هذه الدنيا تكون أكثر عدلا وصدقًا من السجلات والدفاتر التي لم نرها عين، ولم نخطر على بال أحد؟ ولكن عند مطالعتها يتضح صدق هذا المقال أو كذبه.

فليق الحق تعالى هذا العدل والعطاء والإنعام والإحسان أبد الدهر بمنه وجوده. والسلام.

## الحكاية السابعة

### فى إبطال الديانة الوثنية، وتغريب معابد الوثنيين وتعطيم كل الأصنام

حينما دخل فى الإسلام سلطان الإسلام غاران حان - غلد سلطانه بالتوفيق والهداية الإلهية كما سبق ذكره - أمر بتعطيم كل الأصنام وتغريب كافة معابدها وهدم بيوت النار [ص ٢٩٧] والمعابد الأخرى التى لا يجوز وجودها شرعا فى بلاد المسلمين. كذلك ادعوا أكثر جماعة الكهنة عباد الأصنام فى الإسلام، ولكن لما لم يهب لهم الله تعالى إيماناً قوياً، كانوا يتظاهرون مضطربين بالإسلام. هذا على حين أنه تبدو على سبائهم آثار الكفر والصلال. وبعد مدة أدرك سلطان الإسلام - غلد ملكه - معاقبهم، فقال لهم: كل من يريد منكم أن يرحل إلى بلاد الهند وكشمير والتت وموطنه الأصلي فليرحل أما الذين يقعون فى فعلهم ألا يمايقوا ويطلبوا ثابتي على ما فى قلوبهم وصنائعهم، وألا يلوثوا الدين الإسلامى الحنيف بمعاقبهم. لكنى إذا علمت أنهم يقيمون معابد النار أو بيوت الأصنام فسوف أجعلهم دون حماية طعمة للسير. ومع هذا فقد استمر بعضهم فى التماق واشتغل بعضهم بأكبارهم المستهجنة. كذلك صرح سلطان الإسلام قائلا: إن أبى كان وثياً، ومات على هذه العقيدة. وقد أقام نفسه بيتاً للأصنام ومعبدًا، وأوقف عليهما قعاً باسم تلك الجماعة من عباد الأصنام. وقد حربت ذلك المعبد. عادهوا إلى هناك وأقيموا وعيشوا على الصلقات. وقد انتهر الأمراء والخواتين تلك العرصة، وقالوا: إن أبائك قد أقام معبدًا ونقش صورته على جدرانه. وحيث إن المعبد صار الآن خراباً، يسقط الثلج والمطر على صور أبيك، وقد كان وثياً. فإذا عمروا هذا المكان، فإن ذلك يكون مؤذياً لاستقرار روح أبيك وحسن سمعته. لكنى غاران لم يستحسن هذا الرأى، ولم يمه اهتماماً فأصافوا قائلين: ليجعلوه على هيئة قصر فلم يرقه ذلك أيضاً، وقال: إذا كان فى بيتى تشيد قصر حيث تحفظ صورة أبى؛ فإنه لا يجوز إقامته هناك، لأن هذا المكان كان معبدًا وموضعاً للوثنيين وإذا كان من اللازم تشيد هذا القصر، فليشيد فى مكان آخر وكانت هناك حكايات وقصصاً كثيرة من هذا النوع يطول شرحها.

ومعونة القول أنه قال للكهنة [ص ٣٩٨] إني أعلم أنكم لستم على علم. ولكن يجب على الملوك أن يراعوا كافة أصناف الخلق من رعاياهم. ولهذا السبب عليهم أن يحافظوا على الجميع ويرعوههم ويمسوا بهم؛ حتى البهائم التي لا إدراك لها ولا عقل؛ فإن الملوك وأهل الإسلام وكافة الناس يعطون عليها ويهتمون بها، ويعفرون لها احتياجاتها. وأنتم أيضا تسرون في نفس هذا الطريق، وتستمعون بهذه الرأيا ولكن يبقى ألا يبدو منكم أدنى أثر حتى ولو بقيد شعرة للوثنية والتعصب والرأية. وإلا فسوف أجعلكم طعمة للسيف.

وهي وقفا هذا عين الطاقة القليلة سهم التي بقيت في إيران لا يجنون فرصة مواتية لإظهار عقيدتهم أو مذهبهم، وذلك مثل أتوام الجيوش والملاحدة الذين يستوطنون هذه البلاد منذ زمن قديم. لكنهم يخفون معتقداتهم.

أدام الحق تعالى سلطان الإسلام هنا، وأبقاه به ولطعه وكرمه.

## الحكاية الثامنة

### فى محبة سلطان الإسلام لكل الرسول عليه السلام

رأى سلطان الإسلام خلد ملكه فى المنام مرتين جمال سيد الكائنات عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات وقد أبهى الرسول عليه الصلاة والسلام، وقوى عربته بالوعود الطيبة، ودارت بينهما محاورات طويلة، وكان أمير المؤمنين على والحسن والحسين رضى الله عنهم بصحبة النبى صلوات الله عليه، عرفهم به قائلا: يجب أن تكبروا [ص ٣٩٩] إخوة. ثم أمر سلطان الإسلام بمعاقبتهم؛ فقبل الجانبان هذه الأخوة وسد ذلك الوقت تيسرت لسلطان الإسلام انتصارات وتوحشات؛ كان أعظمها هذه الخيرات كلها، وصيبت الأمور وترتيبها، وتوخى العدل وحسن السياسة تلك المبادئ فبنى أداها على العالم؛ فنهى له التوفيق فى الحصول على السمعة الطيبة، وحصل لعه دخيرة من دعوات الخلق العديدة له بالخير. فآية سعادة يمكن أن تكون أعظم من هذه؟

ومد ذلك الشريح ارداد حبه لأهل بيت النبوة رضى الله عنهم، وصار يمد الحجاج دائما بإعمانه، ويمرر قبور أسرة الرسول، ويسر الدور ويرسلها إلى مستحقها، ويعبر السادات ويأمر لهم بالصفقات والإدراجات.

ولما كان يقيم فى كل موضع الخواص والملايس والمساجد وأبواب البر الأخرى ويخصص لها الأوقاف، ويقرر الوظائف والمراتب لكل طائفة، قال كعب يكون للفقهاء والمتصوفة والطوائف الأخرى أوقاف خاصة بهم، ولا يكون ذلك أبدا للسادات؟! إنه لو اوجب أن يكون ذلك للطوبى كذلك وأمر بإقامة دور السيادة فى تبرير، وفى أمنيات المدن الأخرى فى كل البلاد الهامة مثل أصعهان وشيراز وبناد وأمثالها كى يبرل فيها السادات. كما عيى هم مرتبات يعقوبها فى أداء مصالحهم على النحو الذى رآه محققا لهذا الغرض، وحسب ما نصت عليه حجج الأوقاف؛ وذلك حتى يكون لغيره أيضا نصيب من خيراته. وكان دائما يصرح بقوله: لست مسكرا أى شخص، وإنى اعترف بعظمة الصحابة ولكنى بعد أن رليت الرسول عليه الصلاة والسلام [ص ٤٠٠] وقد آسى بى وبى ابنائه، ومسحى صداقتهم لا بد أن أريد فى حبى لأهل البيت، وإلا فمعاذ الله أن أنكر الصحابة. كذلك أمر بمجر بهر لإيصال الماء إلى مشهد الحسين عليه السلام، كما عيى شرح ذلك وكان دائما يأمر بمدح أسرة الرسول صلى الله عليه وسلم دون تعصب لأنه بمحمد الله ومعه حكيم وكامل. طيب الحق تعالى هذا السلطان العادل الكامل بين العالمين سوات لا نهاية لها.

## الحكاية التاسعة

### فى شجاعة سلطان الإسلام، وإعداد الجند للحرب وجنده فى خوض المعارك

كان سلطان الإسلام خلد ملكه يعيش منذ عهد الطغول فى نهر خراسان الذى كان بعد أعظم الثغور وأعظمها شأنًا. ومن قديم العهد حتى الآن كانت الجيوش الأجنبية ترحل إلى تلك المنطقة. فكان لا بد من اتحاد الحيلة والحذر، فلا تكاد تترس دون أن يسير غازان بقواته الاحتياطية ولهذا حارب الأعداء كرات ومرات واشتبك معهم فى حروب طاحنة، ونجح كثيرا من الشاعب والمشقات ووقف وقفا تاما على دقائق تلك الأمور، ومهر فى معالجتها إلى أقصى حد، وقوى قلبه إلى حد أنه لم يشعر بحوف من الأحداث الخطيرة، ولم يتطرق التردد إلى خاطره المبارك ورغم أنه يعلم أن الموقف صعب والعدو قوى كان يظهر المصابرة والتجملد، ولا يدع أثرا ينفذ عليه من التفكير فى هذه الأمور، وكان يصرح بقوله: لم يأت من الخوف أية فائدة بل تكون نتيجة العجز عن التدبير، فهتوى حال الخصم.

شاهد الملازمون للحصنة هذه المواقف عدة مرات فى خراسان وإن شرح ذلك يطول أما ما اتفق وقوعه فى هذه الديار، فواحدة من ذلك هى قضيته مع باينلو، فقد أسرع كالبرى الحاطف من خراسان، [ص ٤٠٩] ودام باينلو وأتباعه وصاير مع نمر قليل من جنده. بعد ذلك رأى من المصلحة أن يتقابل مع خصمه فى الخلوة، ومعه نمر من أتباعه. وأثناء اللقاء صرعه باينلو على سبيل الدعاية ضربة قوية على ظهره؛ بحيث إنه تألم، ولكن باينلو عرف أن غازان لا يعبأ به، وبقي الخوف مسيطرا عليه.

بعد ذلك عا غازان جنده، واستعمل الفرصة، فداهم باينلو ومعه نمر ضئيل من جنده وأسره دون أن يلحق أى ضرر أو مشقة بالبلاد والجنش. وفى ذلك الوقت اعتقل الأمراء الذين كانوا يثرون العث فى عهد أبيه وعمه. ورغم أنه كان لهم حماية القرباء، إلا أنه اتبع رأى الصائب مدفوعا بقوة عزمته، ولم يأبه بشجاعة أى أحد منهم، بل قضى عليهم جميعا. ثم نظم شؤون الملك.



وموقف آخر وهو موقعه في قصبة "سوكاي" الذي ثار عليه. وكذلك في عودة "أرسلان" بجيش مجهر وهجومه عليه. وكان السلطان يسمع ذلك الخبر تباعاً. وقد تبين له أنه إذا ما وصل العدو فإنه لن يستطيع مقاومته لعدم وجود الجند. ومع هذا لم يكن متفعلاً على الإطلاق، واستمر يرأول أعماله جريماً على عادته كل يوم. ولما اقترب "أرسلان" أرسل إليه الجند الذين كانوا حاصرين وكانهم في رحلة للصيد، ولم يتحرك هو بنفسه، ولم يطلع أيهما كل شخص على ذلك الأمر، وظل كالعادة يبرح ويلعب، ويروي مختلف الحكايات، ويدعو الأطباء والمجسسين ويقول لهم: لربما أن أتناول مسهلاً، فهبطوا في هذا النوع من الأدوية، واحتاروا في يوماً ما سبباً لتناوله. ولم يبد اهتماماً بأمر ذلك التمرد؛ غير أن خطره كان قلقاً بصورة لا يمكن وصفها. ولكن بسبب ما أبداه من تجلبد ومصاراة لم يطرأ غلط قط؛ إذ لم يصل نبأ شيء من خطورة الموقف، وبقي الناس هادئين. [ص ٤٠٢]

ولو ظهر على السلطان أقل تعبر، حتى ولو بقيد شعرة، لاضطربت كل الأمور؛ وخصوصاً وإن الأمر كان في بدايته. ولم يكن لذلك والجند قد استقروا. أما الجند فكانوا قد شاهدوا الاضطرابات السابقة، واعتادوا عليها. وكانوا حريصين ومولعين بشن العارات. فمثل هذه الأمور كانت تبلوهم لغة من اللعب. ومع كل هذا صح ذلك الأمر، ورأى الخطر بتأييد الخائن عز وعلا وبين مصاراة وتجلبد سلطان الإسلام غلبد ملكه لم تصبه عبي السوء بأي وجه.

موقف آخر في قضية الحرب ضد مصر والشام؛ فقد ظن الناس أن السلطان سوف يقف في ركس من الأركان؛ بحيث لا يعرفه أحد لكنه على خلاف ذلك اقتحم الميدان بجراحة نادرة، ونظم كل جوده ووقف في مقدمتهم، وصار يحمل على أعدائه تباعاً كالأسد المفصور. ولو لم يسكنوا هناك مره، لما كان يتوقف عن القتال. ورغم أن القريش معه كانوا يمنعون، اخترق صفوف الأعداء عدة مرات وتحول بينهم، وصار يطاردهم، وقتل بعضاً منهم، ثم عاد. وبعجاة انهزم الجند أيضاً الذين كانوا على مقربة منه. ولم يعلم بعض من في الأطراف شيئاً عن الاشتباكات، ولم يصل بعضهم إلى ميدان القتال وبقيت مسيرة سلطان الإسلام وميمته خاليتين. أما هو فقد ثبت مع فر قليل صمدوا في مواجهة الخصم.

ونظراً لأن الجريمة الأولى قد لحقت بقلب الجيش، اجتمع الجند عن الميدان ووقفوا عاجزين لا يتحركون على الإطلاق، ظانين أنه أثناء حملة العدو لم يصل مدد قط. هذا في حين أن العدو كان يرأسل هجماته الشديدة دون انقطاع. لكن السلطان ثابر على القتال في

شجاعة كأنه أسد حصور أمام ذلك الخشد الكبير، وذلك من وقت الظهيرة حتى صلاة العصر يصد هجسات العدو بمفرده ويقاوم بحسن التدبير ولطفائف الخيل مثل هذا الخشد الكبير. فأى محارب شجاع له مثل هذه القوة والقدرة؟!

وعاقبة الأمر أن جود الميرة الذهب كانوا يقعون بعيدا منتهزين الفرصة ومستعدين للفتنة، عندما شاهدوا ذلك الموقف الطويل، توجهوا إلى الأعداء، [ص ٤٠٣] وتبعهم بعض الجود من الميرة. فحصر الأعداء عن مقاومتهم ومحاربة سلطان الإسلام -عند ملكه- واضطروا إلى الفرار منهزمين.

وهكذا فإن مثل هذه الحكايات كثيرة. وقد اقتصرنا على ذكر هذا القدر من المواقف كشاهد على صدق ما نقول. وكان دائما يقدم النصيح والإرشاد للجود المظفرين، فيقول لهم: "إن الموت لا يد أن يترك كل من حل أحطه حيثما يكون، سواء أكان في المنزل أم في الطريق أم في الحرب أم في الصيد. فما الداعي إذن إلى الخوف من العدو الذي يقف في مواجهة؟! وحيث إن الموت حتمي لا مفر منه، فالأولى أن يرى الإنسان دمه؛ لأن الدم المخصص في البلد يتعفن، ولا يؤدي إلا إلى العفونة. وكما تكون حمرة الوجه رينة النساء يكون الدم رينة الرجال، وبقي السمعة الطيبة في الدنيا لمثل هؤلاء الأشخاص، ويدخلون الجنة في الآخرة. وكل من يموت في المنزل، مثل روحته وأولاده طول مرضه ورعايته ويصير محتقرا ومبعوضا لدى الأعداء الآخرين. أما إذا مات في الحرب، فإنه يكون بعيدا عن هذه الأمور، ويكفى عليه الأحياء عزة وتعجب، ويعر سلطان العصر أعقابهم ويواسيهم ويربي أولاده ويرعاهم، فيرد بذلك إصلاح شأنهم.

وقال لهم أيضا: عندما يهرم الجيش على شى هجوم على الأعداء ينبغي أن يحرص على إخماء الحير عنهم، حتى لا ينسرب إليهم، وأن يعد الخيول، ويواصل سيره ليلا ونهارا بحيث يصل عجاة كى يشتك بالعدو، ويحسم أمره معه. وإذا كان على الجنود أن يشوا حملة كل سنة، فإنه ينبغي عليهم أن يحرصوا على السر في أوقات مختلفة، وإلا فإنهم لو حددوا موعدا محييا، فإن العدو يتخذ حذره ويتأكد أمره وكذلك يسعى بدل الجهود في أن يسلكوا طريقا مغايرا في كل مرة، حتى لا يحيط العدو علما به. ولكن يسعى أن يكون الأدلاء والمرشدون من الثقات. وإذا سار جيش كبير، فإنه كلما أشاعوا عنه أخبارا أكثر، فإن ذلك

يكون أفضل. ويعنى أن يطغى الجود فى الحرب؛ لأن الجيش الكبير لا يستطيع الرجف بسرعة. ومن المسلم به أن العدو إذا علم بتحركاتنا، فإنه يشغل بتدبير جيشه وإعداداته منتظرا اللواعة. ولا يجوز الاعتماد على كثرة الجود أو قتلهم حتى يسرعوا؛ لأن النصر لا يمكن التنبؤ به أما إذا تأمروا فى السر، ولما عروا الأخبار المروعة؛ فإن الأعداء يزعجون منها، ويقع الاضطراب بينهم، ويذهب الخلاف فى صفوفهم [ص ٤٠] أو يناعهم عدو من ناحية أخرى، أو تسرى بينهم إشاعة مرعبة، أو أنهم يصحرون عن مواصلة القتال لعدم العلف والمتونة. وعند التصميم على مثل هذه الجريمة يعنى أن يمتط الجود قبل إداعة الأخبار وذلك بتوفير الماء والعلف وتاج الصيد، وأن يتوقفوا فى مثل هذه الأماكن التى تتوفر فيها هذه الأمور، وألا يؤكل العلف الذى أعد ليوم الحاجة فى المواصل الجدياء. ويعنى إرسال الجواسيس بصفة مستمرة للاطلاع على أحوال العدو. وبعد الاطلاع توصع كل الأفكار والحفظ والأعمال على أساس سليم؛ لأن التصرف الذى لا يقوم على أساس من الاطلاع والمعرفة يكون كالملاكمة فى الظلام.

ثم توجه إلى جوده قائلا: بعد الاحاط التام يعنى أن يكون إما الدخول فى المعركة أو الانصراف عنها، وذلك يكون مرتبطا باختياركم لا باختيار العدو؛ لأنكم إذا كنتم مجبرين وتعتلجتم الأمر دون توقف أو روية، فإن العدو يصل فجأة ويغتنكم بسوء موقعكم. وعندئذ يتحتم عليكم حوص المعركة والقتال مضطرين. أما العدو فيكون فى موقف أفضل وصعوة القول أن العامل الأساسى هو تنظيم الجيش، وعدم السماح لأى جدى بالتحرك من مكانه دون إذن؛ لأنه قد ثبت بالتجربة أن العدو ينتهز الفرصة، ويأخذ زمام المبادرة فيتغلب عليكم. والشرط المهم هو ألا يدع القائد أحدا بصورة قاطعة يسير حسب هواه إلى القرى والمواضع العامرة، ويسلب منها شيئا؛ لأن الجود إذا تعودوا على ذلك؛ فإنه لا يمكن منع أفراد الجيوش الحرارة من تلك المحاولة، ويعتمد التنظيم والتنسيق. ولهذا السبب يشغل الجنود وقت الحرب بجمع الأسلاب والعنالم فى وقت غير مناسب ولا يمكن منهم. وكل السباتات التى أصابت الجيوش، إما كان أكثرها راجعا إلى الاستيلاء على العنالم عندما تنتهى المعركة. وإذن فعلى القائد أن يعرف جيدا أى تذهب الأسلاب والعنالم ولا يعنى التراجع عن توقيع العقوبة ولا التردد عن القتل والسلب؛ لأن القواد إذا امتنعوا عن قتل

شخصين أو ثلاثة، فسوف يهلك عشرة آلاف وعشرون ألف رجل من مقابل هذه القلة ويتبع ذلك ضياع لذلك أيضا.

وفي حالة مفارقة الجود فواعدهم، ينبغي أن توجهوا دائما بنية طيبة، وأن يشتعلوا بذكر الله تعالى، وأن يظهروا أنفسهم، فلا يرتكبوا أفعالا سيئة، وأن يكونوا عبيد لموطينهم ووطنهم، وألا يظلموا أحدا حتى يثق الناس بهم، ويبنلوا همهم الطيبة في سبيلهم ويدعوا لهم بنصرع فيستجاب لهم؛ إذ إنه ليس للجد ذخيرة [ص ٤٠٥] فط الحاصل من دعاء الخير والهمة الطيبة. وينبغي ألا يبالوا في القول، وألا يدعوا سبيلا إلى الكبر والزهو بأنفسهم وألا يحضروا العدو، ولكن لا يخشوه أيضا، وأن يمدوا أنفسهم صفاء، وأن يعظموا الله تعالى ويخشوه حتى يصبح تكبرهم وتنظم أمورهم، ويتأكدوا من أن كل من يقول كلاما فيه كبرياء واستعلاء، ويكر على هذا الأساس، فإن الحق تعالى يعطو عليه بكبريائه؛ لأن العظمة حليقة بالله وحده، وهو يرهب أن يتساوى مع الله. وكل من يتساوى مع الله، يخذله الله ويمد الآخرين بعونه، وبهية هو. وهذا أمر يسير على قدرة الله تعالى، فيقهره بصورة لا تحظر على بال أي يظل عادل كف..

وعلى هذا المتوال كان السلطان ينصح دائما جماعة الأمراء والجنود، وظل ينصحهم، بل إنه تحدث إليهم بكلام كثير أدق من هذا لم يبق في الذاكرة، وربما يؤدي ذلك أيضا إلى التطويل لو رجا شرح ما قاله. وحيث إن المقصود هو إبراز شواهد وأمثلة، يكون هذا القدر كافيا. وإن الزوائد والإصاحات معلومة ومحقة لدى الجميع.

أدام الحق تعالى أهد الدهر هذا الخلد لسيد العالمين وراعي الرعايا والحمد.

## المكايبة المباشرة

### في نصيح سلطان الإسلام القضاة والمشايع والزهاد وأهل العلم والتقوى

في كل وقت كانت تعبل الطوائف المذكورة إلى الحضرة، كان السلطان يمدى إليهم مختلف الصالح نكته عندما حصر العظماء وكبار الشخصيات، مجلس الشورى (القرورياني)، وظلوا بين يديه، قال لهم، أنتم ارتديتم لباس الرياء، وهذه مسألة خطيرة لأنكم بهذا الظاهر قد لا تحادون الخلق، وإنما تحادون الله، ويمكن أن يسلم الخلق بأدعائكم وريائكم عدة أيام [ص ٤٠٦]؛ لأنهم لا يكونون مطلعين على حقيقة ما تصمرون. لكن الله تعالى مطلع على حسالتكم، ولا يؤثر فيه التزوير والتليس، ويغيب عليكم، ويجازيكم أيضا في الدنيا. ولما في الآخرة فإنه من المقرر والمؤكد أن كل من يرتدى لباس الرياء أو التليس يكشف الله عيوبه بين الخلق، وتسوء سمعته ويصير خجلا من الناس، ويدنو منهم حقيرا وممتنا، ويكون دائما مصحوكا لخواص والعوام.

أما أولئك الذين لا يرتدون لباس الرياء، ويمسكون سلوكا أميناً وصادقاً، ولا يميزون أنفسهم عن الآخرين، وليس لديهم تفكير في السيطرة والرياسة، ولا يدعون الزهد والتواضع؛ فإنه ليس لأحد اعتراض عليهم، ولا يتوقع أحد منهم حياة لا تتناسب مع ظاهريهم.

وأما قولنا، إنكم ارتديتم زي العدالة، فإن معنى ذلك أنكم مثل غيركم من البشر، ولكن بواسطة هذا الزي اكتسبتم اسما عظيما. ونجت هذا الاسم هالك عدة معان خاصة لا توجد في الآخرين، وأنتم أنفسكم قبلتم هذا الاسم والمعنى، وتعهذتم وتكتمتم بأداء الحقوق وتقولون: نحن كذا كذا، وسوف نفعل كذا كذا. والآن فكروا جيدا فيما أقول: إذا كنتم تستطيعون عدم الخروج من هذه الدنيا المهد والميثاق والعدالة التي تلازم هذا لباس، وأن تكونوا عند كلمتكم، فإن هذا يكون حسا جيدا وعمودا، وتسو مسزلتكم، وتكونون أنفصل من الآخرين عند الخلق والمخلاق. وإلا سوف تؤدي النتيجة إلى الخجل من الله والخلق، وبمحض اختياركم لو رغم أنفسكم تكونون قد جلبتم على أنفسكم تلك المشايخ

واللخقات. وتأكدوا من أن الحق تعالى قد وهب لي الملك بسبب ذلك، ووهب لي رئاسة الخلق، كني أدبر أمورهم، وأقسم يسهم العدل والمساواة وقد أوجب علي أن أقول الحق وأصل به، وأن أجازي الجرمين جزاء. وفاقا [ص ٣٠٧] وقد انقضى حكم الله مد الأزل أن يكون عقاب الخاصة أزيد وأعم. ولهذا السبب لا تؤاخذ البيهائم على جرائمها.

وبناء على هذا يجب على الملوك أن يبادروا بمعاقبة العظماء وكبار القوم، وأن يجعلوا هذه القاعدة دستوراً لهم يظنون به شرفاً لذلك. ولهذا أنا أيضاً سوف أسرع إلى معاقبتكم على ما ارتكبتموه من جرائم دون أن تأخذني شفقة بكم، ولا تظنوا أنني سوف أنظر إلى لباسكم، بل إلى أفعالكم. وإذن فعليكم باتباع سلوك وسف الرسول عليه وعلى آله السلام في كافة أعمالكم، ومراعاة ما هو واجب عليكم، وأن ترشدوا الآخرين إلى سواء السبيل واحذروا الفساد والفصول، ولا تخيروا على سبيل التأويل ما لا يكون في أصل الشرع وتعاملوا بالصدق والصفاء، وابدلوا الهمة وأحسوا الظلم حتى يفي بركة ذلك العالم كله وعي أيضاً آسئ مطعنين، ولا تتعصب الواحد منكم ضد الآخر، ولا تتعصبوا أنتم أيضاً ضد الأقوام الأخرى؛ ذلك التعصب الذي لم يأمر به الله ورسوله؛ لأن التعصب في هذه الحالة يكون طلباً لحسن السمعة والشفقة وحلقة الناس بأكثر مما يطلبه الله والرسول فلا يكون من وراثته إلا سوء السمعة وضعف الثقة. وأنا لو كنت أعمل شيئاً خلافاً للشرع والعقل، فإن عليكم أن تهوبوا، وتعترفوا بالحقيقة؛ لأن كلامكم عتلاً يؤثر في، يصير مقبولاً ومسموعاً؛ إذ إنكم عندكم تفرون القول بالعمل؛ ولأنكم في ذلك الوقت تقولون كلاماً صادراً عن الصدق والصفاء وقوة النفس. ولا بد أن يؤثر في هذا القول. وإن اتباع الحق بناء على كلامكم يجلب لي ولكم الثواب والثناء. وبذلك نعم الخلق جميعاً بالراحة والهدوء. وإذا لم يكن الأمر على هذا النحو على كلامكم وعقلكم تشتعل برائ عيسى عليكم. ولهذا السبب يصينا للضرر أنا وأنتم وكافة الخلق.

ولقد أردت أن أذكر حكايات أخرى وبكنا دقيقة، وهي كثيرة ومتعددة في هذا الموضوع. ولكنني أكتفي الآن بذكر هذا المقدار على سبيل الإجمال. فإذا وقعت منكم موقع الاستحسان وقلتموها فإنها تنبئني وتعيدكم [ص ٤٠٨]، ويكون لكلامي وقع حسن في نفوسكم، وتتوطد عيني في قلوبكم. وإلا فسوف يثقل كلامي عليكم، وتستقر عنداني

في أفئدتكم، فبطلع فؤادي على ما يحول بظايركم، وتكونون مبعوضي هدى. ومن هنا يظهر الخلل في الدين والدنيا ونحن تقتصر اليوم على ذكر هذا المقدار. ولو حائقنا التوفيق فسوف نذكر حكايات معنوية دقيقة.

على هذا النحو نصبح السلطان جماعة كبار الشخصيات ومشاهير القضاة والثقاة والمشايخ والعلماء الذين مثلوا أمام الحضرة، فتعجبوا جميعاً، وصاروا متحيرين، ورفعوا أكرمهم بالدعاء للحضرة والثناء عليها. وفي أوقات أخرى لفتى أمثال هذه الصنائع في المجالس المختلفة، وقال كلاماً معيذاً بطول شرحه وتمجاده

فليسط الله تعالى ظل دولة سلطان الإسلام هذا، وليدم عقله، وليقه أبد الدهر على رأس طبقات أصناف العالمين. إنه سميع مجيب.

## الحكاية الطامية عشرة

### في منح سلطان الإسلام الجنود وغيرهم من النفوذ بكلمات الكفر

لما سمع سلطان الإسلام حلد ملكه أن يطي الجنود وغيرهم كانوا يباهون عندما يسرون إلى ميادين القتال، ويتبرع لهم الفتح والفتح، فيقولون: نحن فعلنا هذا وفعلنا ذلك وقد تيسر تدبير المهام المظلمة بواسطة فلان، وأن الشخص الفلاني أبدى صروبا من الشجاعة والبطولة، وأن العدو هزم بسعى فلان. وعلى هذا النحو يرجعون الأمور إلى كفائتهم وشجاعتهم وبطولتهم. كما كانوا يتحدثون بكلام خطير، ويظهرون المعجب والخيلاء. وكانوا أحيانا يمدحون على العكس من ذلك: خاسرين غير موفقين، ويقولون: كان ذلك قضاء الله؛ وإلا فقد سبنا [ص ٤٠٩] وبنينا الجهود الجبارة. وكثيرا ما كان ينور هذا الكلام على ألسنة الخلق. وعلى هذا النمط كان يتحدث أيضا العلول والتنازيك في كل الشؤون الجزئية؛ فوصلت هذه الحكايات مرات إلى السمع الأشرف، فلم يستمعها وراح يذاع غيرته على الذين يقول: إن هذا الكلام كفر محض، وإن أكثر أعمالنا، وما يتعلق بشؤون الجند وكافة الناس إنما تصاب بالخلل نتيجة مؤم مثل هذا الكلام، فيجب أن يدرك الجميع أن كل خير يصل إليها وإلى الجند والخلق الآخرين إنما هو مرتبط برحمة الحق تعالى وشعفته، وأن كل سوء وإحراق إنما هو نتيجة ذنوبهم وسيئاتهم. وإذن فلا ينبغي أن يتكلموا بأي وجه من الوجوه بكلام يتعلق بالمعجب والكفر وللحيلولة دون الوقوع في هذا الخطأ أمر بأن يكتب في هذا الشأن مرسوم يبلغ أرسله إلى كل البلاد حيث جماهير العلول والتنازيك، نص فيه على أن كل شخص يعتقد - منذ الآن إلى ما بعد - في الكلام السابق وينفذه به، يكون مذمبا. وفي الآخرة يكون مثواه النار. وينبغي أن يتق أن الحسنة من فضل الله، وأن السبقة إنما هي نتيجة أفعاله المستهجنة<sup>(١)</sup>.

(١) مصدقا لقوله تعالى: ﴿لما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك والرسول للناس رسولا وكفى بالله خبيدا﴾ (سورة قسامة ٧٩)



ويجب على أصحاب البيوت أن يطعموا مما عندهم - كل شخص يقصد ديارهم ويعلموا  
له هذا الطعام سواء قل أو كثير، وأن يسلكوا معه طريق المروءة، وأن يعاشروا الناس جميعا  
بالتواضع.

وبمقتضى هذا المرسوم الذى أصدرناه، كان على الذين يقصدون بيوت الناس ألا  
يتخذوا هذا الأمر درجة لخطبتهم بما يشاؤون؛ إذ إن ذلك متروك لمروءة أصحاب البيوت.  
وإذن فليس لهم أن يطلبوا أو يطلبوا أن أحدا مكلف بتقديم شيء لهم، بل إن ذلك الأمر  
يتعلق بما يتصفون به من مروءة. وقد أرسل المرسوم بهذا المعنى، وأمر بأن يتنادوا به فى كل  
البلاد.

وهكذا فى عهد سلطان الإسلام المبارك، عمت بركاته كافة الشئون ويعود الله تعالى  
تكون فى ازدياد بخته وكرمه.

## الحكاية الثانية عشرة

### في هب سلطان الإسلام للعمران وحنه الناس على ذلك

قبل هذا كان سلاطين الملوك، وبعض آباء وأجداد سلطان الإسلام خلد سلطانه شعوقهم بالعمران وقد شرعوا في ذلك. ولكن قل منهم من أتم شيئا يذكر كما هو مشاهد. وحيثما أقاموا بيانا أبغوا عليه أموالا طائلة وكانوا يرسلون من الولايات ما يجبي من الضرائب الاستثنائية، وكذلك كان أكثر هذه العمارات معرضا للتلف. وكان الأشخاص الذين يشرفون على هذه الأعمال يمشون أن تدور عليهم دائرة السوء، تتضيع الأموال دون أن يتيسر إصاعة المريد من المائتي، وما شيدوه بالفعل لم يكن متقيا، وخرب في مدة قصيرة.

لكن سلطان الإسلام أقر نظاما بشأن البناء والعمران لم يكن من الممكن أن يوجد أحسن منه. وحيثما يوجد سيد يورث به أو معاون يتصف بالشرف واختاره وعينه للإشراف على كل عمارة، وحول إليه الأموال المطلوبة. كما نصب البداة المشهورين والكتاب المختصين والمهندسين المعماريين، فاستخدموا جميع الآلات بأسعار محقولة وأجور مناسبة، وذلك في نظير استعمال القدر المطلوب منها؛ بحيث أنهم إذا قصروا في التتبع فإن النقصان والصرر يعودان عليهم. وكان المشرفون يحصون الآلات والمواد المستعملة في البناء. وبناء على هذا يحاسبون كل متعهد كلف بهذا العمل وهكذا سارت العملية بمتنهي الدقة بحيث إنهم لو أرادوا حتى بعد مائة سنة أخرى [ص ٤١١] أن يراجعوا المبالغ والتفقات والاعتمادات الماثية على حسابات الكتاب والآلات التي استخدمت لاتصح على الأمور الحق من الباطل وقطعا لن تكون هناك زيادة أو نقصان في تلك الحسابات. ولئن يوجد مجال لأى نمام للظلم في أعمال هؤلاء البداة والمهندسين، ولتفقد كل مشروع نصب مشرفي أمناء حتى لا يجرؤوا استخدام آلات غير صالحة، أو ينقص العمال شيئا من الجهد والأسعنت ويخلطوهما بالرماد وهذا التفتيق والاحتياط إنما يكون في دائرة اختصاصهم وعصم عهدهم. وهناك مسألة أخرى هي أن كل المعادن من الحديد، والحديد، سلمت للعمال بشئ معدد. كما قررت جملة أنواعها والمطلوب استعماله منها.

وهكذا راح السلطان يأمر بتشييد العمارات في كل مدينة وولاية وصار يشق الأنهار والقنوات، ويجريها بالماء ومن جعلها وأعظمها مهر يتمثل فيه الخير التام والنفع العام. وهو مهر كبير للعناية، أجراه السلطان في ولاية الخلة وأطلق عليه اسم "النهر الفازاني الأعلى" وأوصل ذلك النهر إلى المشهد المقدس لأمر المؤمنين الحسن (رضي الله عنه)، وأجرى عذب الفرات إلى كل صحارى سهل كربلاء التي كانت فاحلة، ولم يكس في المشهد ماء عذب للشرب ونتيجة لهذا صارت كل المناطق حول المشهد مزروعة في هذا الزمان كما أنهم أنشأوا الحدائق والبساتين وتستطيع السعير القادمة من بغداد والمدن الأخرى الواقعة على صفاف الفرات ودجلة الإبحار إلى المشهد، وينتفع محصولها ما يقرب من مائة ألف "تمار"<sup>(١)</sup> وهناك تنمو الخيوط وأنواع الخضر أحسن مما تنمو في أي مكان من أصقال بغداد ونتيجة هذه الإصلاحات صار السادات المقيمون في المشهد مرفهي الحال جدا. ولما كان هؤلاء أناسا فقراء، وعددهم كبيرا، وهم في أمس الحاجة إلى المعونة، أمر بأن تكون لهم إدارات تصرف ستويا

وفي منطقة مشهد سيدى أبى الوفاء رحمة الله عليه [ص ٤١٢] كانت هناك أيضا صحراء قاحلة، ولا يوجد في المشهد ماء عذب للشرب، فتصادف أن سلطان الإسلام خلد ملكه ذهب في إحدى السفن قاصدا للصيد في تلك الصحراء، فلم يجد مرافقه ماء للشرب، فهزلت جدا، كما صعبت حمر الوحش والعرلان بسبب عدم وجود الماء والعلف فأمر بأن يشقوا نهرا من الفرات يجري إلى هناك كي يتوافر الماء، وبكثير البروع في ذلك المشهد أيضا، وتستريح الحيوانات الصحراوية كذلك. وبالإضافة إلى هذا لا يعثرى الشرب الشعب والمشفة لعدم وجود ماء إذا ساروا بها في تلك الصحراء، ويتوافر العلف من الشعير والنبس. وفي مدة وجيزة شق السلطان نهرا كبيرا يجري إلى هناك أطلق عليه اسم "النهر الفازاني الأسفل". وبعد ذلك أجرى من الجانب العربي نهرا آخر عسى حدود تلك الصحراء، سماه أيضا "النهر الفازاني"، وأوقف من الماء والأرض عدة أقدمة على ذلك

(١) وحدة من وحدات الوزن يستعمل أكثر للتلال ويساوى مائة من ثمرى (٢٩٥ كيلو جرام) وتسمى هذه الكلمة أيضا بمعنى الصرغ القهبة التي تقبل من الرعياء، وتعمل على طلاء الخشب بالدهن "توقلة" (انظر تقرير تاريخ وصاف به فلم عبد الحميد آبي، ص ٣٧٨، تهران ١٣٤٦ هـ).

للمشهد، واشترى ما تبقى من كل الموضع التي عمرها، واستعملها لنفسه. ثم أوقفها كلها على أبواب البر التي بناها هي تبرير. والآن في هذا الرمس أنشئت في مشهد سيدي أبي الوفاء الخدائق والبساتين، وظهر الماء العذب وأنواع المحصولات التي لم تتوفر مطلقاً للسكان من قبل. ولما كان هذا المشهد يقع بعيداً عن العمران، ويتعرض الجواررون له لأذى المغيرين من الأعراب أمر بإقامة سور حوله على نمط ما يسي حول مدينة من المدن وهماك شيدوا حماماً وعمارات جديدة. وعما قريب تحول هذه المنطقة إلى مدينة أيضاً.

كذلك أقام السلطان ويقم العمارات في أكثر الولايات، ويجري فيها الأنهار والقنوات. وإذا شرعنا في تفصيل ذلك، سوف يؤدي هذا إلى التطويل. وإن ما أمر به بموجب أحكام القرمات، وشروط الأوقاف، وبمشاركة وكلاء الديوان من استصلاح الأملاك الأميرية وتشيد الأبنية ليس له حد.

وفي عهد المبارك، ونتيجة لعلمه الشامل، سارعت الآلاف المؤلفة من الناس إلى مشاركته، وشغلوا بتشيد المباني. حتى أن ما تقاموه هم أنفسهم يريد مائة مرة على ما تقامه السلطان بنفسه. وكل يستأن لو دلو، كان شته قبل هذا مائة دينار، أصبح في الوقت الحالي يساوي ألف دينار. وهذا على حين أنهم قبل هذا [ص ٤١٣] كانوا يعملون إلى التخریب أكثر مما يعملون في التعمير. وفي الحقيقة إن العمارات التي تنشأ الآن في البلاد، لم يشع مثلها ملك قط بعد عهد الأكاسرة. ومن العجيب أنه إذا كان الناس في عهد الأكاسرة قد شغلوا أيضاً بالتعمير بهذا القدر فإن البلاد كانت عامرة ضاماً في ذلك الوقت. ومع هذا عمرت خلال سوات عديدة. وحيث إنه أبها في ذلك الوقت، لم يكس موجوداً مثل هذا الخراب الموجود حالياً، فأى عمارات إذن كانوا مشغولين بتشيدها في تلك الأيام؟

أما مدينة تبرير التي هي الآن عاصمة البلاد، فقد كان لها سور صغير اندرس أبها وتوجد خارج المدينة منازل وعمارات كثيرة، فقال السلطان: كيف يجوز أن مدينة يسكنها الآلاف العديدة من الناس، وهي في الوقت نفسه دار للكل، ولا يسي لها سور؟ وعلى الفور أشار باتخاذ الإجراءات حتى يمكن تحديد المكان والكيفية التي يسي بها السور.

ولما كانت الخدائق والبساتين تتصل بالمدينة، كان من الضروري أن يقع بناء السور بين أملاك الناس المعمورة. وهذا عرض مستشارو السلطان فاثلي حيث إن السكان في تبرير من العرباء والفيحيى الذين لا حصر لهم، وأكثرهم من الأثرياء، يقسم السور إلى أقسام حتى

وظيفة	مرتبات
مرتب الشرف الذى يقوم بمهمات دار السيادة، والذى يؤدى الخدمة للسادات بمقتضى شرط الواقع.	الحشم والطهارة والعمال الأحرار الذين يفيمون هناك.

## (٦) المرصد

إضافات	معاينات
العرش والتخطيط، وشى الشمع اللذاب والهذور والعطر.	المرتزة من مدرسى العلوم الدينية والمعبدن والتعلمين والخزنة والساولي وسائر العمال.

إصلاح  
وترميم الآلات وأدوات الصناعات  
والمرصد، وتلك التى تصلح  
للاستعمال

## (٧) دار القضاء [ص ٤١٩]

إضافات	مصالح
العرش والتخطيط، وشى الشمع اللذاب والهذور والعطر والآلات الخرمية.	الأدوية والأشربة والعاجين والمراميم والكحل والحساء الخفيف وثياب النوم وملابس المرضى.

مرتبات	تجهيز
المرتزة من الأطباء والكهاملين والجراحين والخزنة والحشم وسائر العمال.	الأموات الذين يتوفون هناك

## (٨) دار الكتب

مصالح	إضافات
إصلاح الكتب وترميمها، وسداد ثمن الكتب الضرورية.	القرش والخطيط، وثنس الشمع للذباب.

## (٩) دار القضاء

مصالح	إضافات
نقعات إعداد القوانين ونسخها وتجهيزها.	العرش والخطيط، وثنس الشمع للذباب والبلور.

## (١٠) بيت المتولي

مرتب تخصص لأحد البوابين حسب ما هو مقرر.

## (١١) دورة المياه

[ص ٤٢٠]

مصالح	جراية
الشمع للذباب والبلور والعطر والأباريق والجرار والأباريق والدنان والأكواز.	مخصصة لعراش واحد قائم بالخدمة

## (١٢) حمام السبيل

مصالح	جرايات
الساّر والدلاء والعطر والمصابيح والمساحات والجعارف والحطب ووقود موقد الحمام.	العمال من الحمامي والدلاك وحارس الملابس والوقاد.

## حرف

### (١٣) ما ينكر من ملحقات وتوابع أبواب البر

#### مصالح

الطعام الخارجى فى جوسق العادلية الذى يقدم إلى أمراء القبول والتأنيك والأشخاص الذين يقيمون إلى هناك إذ إنهم عند زيارتهم يقصصون ذلك الجوسق، ويأكلون هذا الطعام ما يحتاج إليه الطعام الذى يصرف كل يوم، وإضافة الفرش والتخطيط وأدوات المطبخ ولوازم دار الشراب وشر الشمع المنادى.

#### مصالح

الوليمة التى يقيمها الواقف شكر الله سميه كل سنة فى اليوم الذى يحدده بشرط أن يجتمع المجاورون فى البقاع المذكورة والأكلية والأعيان والمستحقون فى تبرير وضرهم عن يمينون إلى هنا ويختصمون القصران ويتناولون الطعام ويمطون الصدقات المخصصة لذلك اليوم

#### [ص ٤٢١] جزيات

العمال من الطهارة والتعهدى بشراء ما يحتاج إليه، والسقاة والخزنة وبقية فئات العمال هناك.

#### مصالح

الخلوى التى تقدم فى ليالى الجمعة يرسم أهل المسجد والحقاء والمدارس وملاجئ الأيتام، بالإضافة إلى ما تبين صرفه على حصة من القبة العالية بمقتضى التعصبات المنصوص عليها فى السجل.

#### ما يحتاج إليه صدقة

الطعام للذكور الذى يصرف فى هذا اليوم.

## (١٤) نفقت العبدین

### والأیام ولتلیلی المبارکة من عشوراء وليلة القدر وغيرها مدرسة

الأیتام البالغ عددهم دائما مائة یتیم یتدرس لهم القرآن

هدية

وجوه الإنفاق

مائة مصحف جدید تشتري كل سنة.

السنة، وتقدم الهدية لمائة طفل  
يكونون قد حفظوا القرآن الكريم،  
ويعملون بالسنة، ثم يحضرون بدلا  
منهم أشخاصا آخرين.

إضافات

مرتبات

العرش وإعداد الكتب، وما تدعو  
الحاجة إليه.

لخمسة معلمين وخمسة رقباء يلازمون  
الأطفال، وخمس من النسوة يقمن على  
رعايتهم.

[ص ٤٢٢]

## (١٥) للمستحقين

شراء ألعيى من فراء الكتف الصعوس من فرو الخروع وذلك كل سنة، وتقديمها إلى  
المستحقين.

## (١٦) الإشراف على تربية

الأطفال اللقطاء الذين يلقى بهم في الطريق، هؤلاء يؤخذون وتدفع أجور المربعات  
وما يحتاجون إليه حتى يبلغ هؤلاء الأطفال سن الرشد.

## (١٧) تجهيز

وعدى المرباء الذين يموتون في تبريز، ولم يكونوا يملكون تركة تفي بدفنتهم.



## (١٨) الحبوب

التي تنقطعها أنواع الطيور في أشهر الشتاء الستة عندما تشتد البرودة ويمرل الثلج، فيشر القمح والجاورس (الذخن) ماصمة على الأسطح ولا يصطاد أحد هذه الطيور وكل من يقتصد بها سوء، تحمل عليه لمة الحق تعالى وسخطه. وعلى المتولى وسكان تلك البقاع أن يسموا المعتدين ويردعوهم، وإلا يكونوا أنثى.

## (١٩) للأرامل

الفقيرات اللاتي يصرف لهن القطن كل سنة، ليكون رأس مال لهن؛ على أن تصح كل واحدة من الأرامل البالغ عددهن بمسألة لرملة، أربعة أمان من القطن المحلوج.

## (٢٠) عوض

الأواني المخارية والكيرات التي يكرها الطعام والجولرى والأطفال فيصب متول أمى فى مدينة تبرير، حتى إذا ما أرادت تلك العفة نقل الماء، وانكسرت أوانيهم، ويخشون عقاب ساداتهم؛ فإن ذلك المتولى يعوضهم عنها بعد أن يتحرى الحقيقة.

## (٢١) بخصوص

[من ٤٢٣]

تنظيف الطرق من الأحجار، وإقامة القاطر على السهيرات ابتداء من مدينة تبرير إلى مسافة شامية مراع من المناطق والجوارب المحيطة بها وذلك على النحو المنفصل فى السجل

## (٢٢) مرثبات

البواب وعمال ديوان أوقاف البر المذكورة والمسماة "الأوقاف الخاصة" وذلك بموجب شرط الواقف خارج أعمال الولايات والولايات.

## (٢٣) نفقات

عمارة القبة العالية وأبواب البر بأصلاها الاثنى عشرة، وكذلك جوسق المادلية الذى أنشاه أرغون خان بموجب شروط الواقف المنصوص عليها فى الوقفية المباركة.

## (٢٤) نقلت عملة

أُملاك الأوقاف، والتي أسبل ورعها من الصباغ، والبقار والأراضي المستقلة المتعلقة بأبواب البر المذكورة في كل ولايات الممالك، حيثما وجد شيء منها بمقتضى شرط الواقع.

وحيث إن مهمة الماركة قد انقضت أن يستعيد أكثر أصناف الخلق من هذه الخيرات ومن أبواب البر كذلك حسب الشروط المعنية أوقف عازان على هذا كله ما كان يمتلكه شرعاً فهو حقه المطلق وملكه المطلق بطريقة لا يمكن أن تنجح مجالا لأى طامع للاعتراض عليها. وقد قطع بصحتها جميع المعنى وثقات العلماء الكبار وفصاة الإسلام. ثم أمر بكتابتها سبع نسخ من تلك الوقفية، وتسجيلها كلها؛ بحيث تكون واحدة منها في يد المتولى والثانية في الكعبة والثالثة [ص ٤٢٤] في دار القضاء بدار الملك تبريز والرابعة في دار القضاء بمدينة السلام بغداد. أما الخامسة والسادسة والسابعة فتحفظ في المسجلات وبعد كل مدة يحدد الشهادة عليها فصاة بغداد وتبريز. وعلى كل قاض يتقلد منصب القضاء أن يبادر بتسجيلها فور جلوسه على مسند القضاء. ثم أمر بأن يسكن ويتولى أبواب البر المذكورة الجماعة الذين هم أفضل وأكمل أهل العصر، وأن يظلوا ملازمين لها.

كذلك شيد السلطان "خانقاه" كبيرة في ولاية همدان على حدود سفيدكوه في قرية بورسجرد، وأوقف عليها أوقافاً كثيرة؛ بحيث إنه صار المقادرون تلك الخانقاه أو القادمون إليها في راحة تامة بسبب نعمتهم بتلك الخيرات كما يشاهد الجميع.

مأثرة أخرى للسلطان هي أنه في كل ولاية حل بها، وراوده أهل، وعن له مراد، ومستة حاجة مستترة، لجأ في الحال إلى حصرة الحق، وأقصى إليه بسر، والترم براء، وأدى صدقة. وعندما هزم جيش مصر، وجلس على عرش السلطنة في دمشق، وفي بعدة بدور كان قد ندرها إبان رحته على تلك البلاد، بعضها في هذه الممالك، وبعضها في تلك الممالك (أى ممالك إيران) وأحد هذه البدور كان لقبر سيف الله خالد بن الوليد - رضى الله عنه - حيث دارت المعركة في تلك المنطقة وكان هذا النذر عبارة عن فناديل ذهبية ومعدات ومفروشات سلمها أبها إلى الشرفى على المقبرة. كذلك مفر بدرا آخر وذلك بأن وقف عدة قرى من أعمال دمشق على بيت المقدس ومشهد إبراهيم الخليل صلوات الله عليه.

وقد لاحظ أن ملوك مصر والشام كانوا يعقون ريع أوقاف الحرمين وسبيل الحجاج في أعراس تتعلق بتصريف مصالح الجيش والديوان وكانوا يجيرون صرفها بقشاوى تأويلية، ولم يكن ذلك يلائم في الحقيقة. ولهذا ندر أيضا أن تصرف أموال هذه الأوقاف في الأغراض التي حصصت لها، وقال في هذا الشأن حيث إن الحق تعالى وهب لي هذا الملك، يعني أن تصرف ريع كل تلك الأوقاف والأراضي التي أسبل ريعها في وجهها الصحيح، وألا تصرف قطعا في الإنفاق على الجيش والديوان. ثم صرح قائلا: إن هذه المملكة تحت تصرفنا الآن، وعندما يعود [ص ٤٢٥] سوف نترك جيشا بجها ضامًا للمحافظة عليها وإن بية الخير التي كنت قد ألقمت عليها، يجب أن تخرج إلى حير الشفيع.

ثم أصدر فرمانا فيما يتعلق بأبواب البر هذه. وقد ندر في هذه البلاد أن تصرف مبلغ عشرين تومانا من الأموال من ريع أملاكه الخاصة، وذلك على سبيل الإمداد والوقف والصدقة والإنعام على جماعة من الأمراء والرعايا والشرفاء والأثرياء والعقراء والجدد الذين يجتمعون كل عام في مجلس الشورى (التوريكاشي).

وبعد عودته وفي ذلك النذر، وخلق على كل طائفة وجماعة على قدر مراتبهم - حلما كانت عبارة عن أحزمة مرصعة وغير مرصعة وملابس متنوعة. وندر أيضا عشرين تومانا ذهبيا على سبيل الإمدادات والصدقات. ولا تزال هذه الصدقات تصرف حتى الآن وتنفذ في كل ولاية سنة بعد أخرى وفصلا عن ذلك أمر بأن يستقطع من كل الأموال التي يؤتى بها إلى الخزانة دينار واحد من كل عشرة دنانير، وثوب من كل عشرة أثواب وعشر من كل صنف من الأصناف الأخرى. ثم تودع هذه الأموال لدى المشرفين على القصر الذي يعني لهذه المهمة، وليكون حارسا لتلك الأموال، ويتولى توصيلها دائما إلى العقراء والمستحقين أما الشخص غير المستحق، فلا يعطيه شيئا منها، وتعاد إلى الخزانة الأصلية وأمر أيضا بأن ترسل في كل عام الستائر والشعاعيات والقناديل إلى الأضرحة المباركة. وكان السلطان يمر دائما إلى الحق تعالى بحاجته، وهو متأكد - دون أدنى شك - من أن حاجاته مقبولة لدى الحضرة الإلهية بفضل الخيرات والصدقات والتمنوس. ولا يضع أحبر ذلك أبدا ولا شك أن أي مخلوق لم ير في أي عصر، ومن أي سلطان مثل هذه الخيرات الكثيرة والبركات والإنعامات والإمدادات والصدقات الجارية.

فليمنح الحق جل وعلا هذا السلطان المعادل الكريم مريضا من التوفيق على هذه الخيرات وليوصل بركاتهما ومثوباتهما إلى أيامه المباركة.

## الحكاية الرابعة عشرة

### فى القضاء على الوثائق المزورة والدعاوى الباطلة ودفع<sup>(١)</sup> خيانة من لا أمانة لهم وفجر المتدينين

إن سلطان الإسلام خلد سلطانه لكمال عدله، لزال أنواع الوثائق المزورة والادعاءات الباطلة، وسع طاقة القصة والخطباء الذين لم يكرسوا على علم تام بالعلوم الشرعية من تحرير القبالات والوثائق، وكلف جميع القصة بأن يحرروا القبالات بطريقة واحدة؛ بحيث ترمى حملة الوثائق الشرعية، حتى تعلق أبواب المنازعات بين الناس. وحيث إن شرح تلك الأمور مفود بوصوح تام ضمن الأحكام والقواعد يكتب بمصوص تلك المراسيم كي تعلم المقصود منها، ولا يكرر الكلام عنها.

تلك الأحكام والقوانين تفصلها فيما يأتى:

مرسوم بمصوص تفويض القصة النظر فى شئون القضاء.

مرسوم بمصوص علم إعادة النظر فى القضايا التى مضى عليها ثلاثون عاماً.

مرسوم بمصوص إثبات ملكية البائع قبل البيع.

مرسوم بمصوص تأكيد الأحكام السابقة وتسهيل الشروط اللاحقة

مرسوم بمصوص قانون الوثائق الذى اتفق عليه جميع أئمة العصر.

ومضمون كل مرسوم من المراسيم المذكورة، يكون على هذا النمط الذى يكتبه فيما

يلى:

---

(١) دفع الشيء عنه وإزالته بقوة. يقول الله تعالى ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم بعضاً لفسدت الأرض﴾

(نظر للمعجم الوسيط، ج ١، ص ٢٨٩).

## مضمون المرسوم بشأن تفويض القضاء

بسم الله الرحمن الرحيم

مرسوم السلطان محمود غزلان

[ص ٤٢٧]

ألا فليعلم الحكام والملوك والأشخاص الذين كانوا يحكموا في الولايات العلانية قبلنا، أننا قد عينا فلانا قاضيا لتلك الولاية وتوابعها، حتى نعرض عليه كل قضية أو أمر أو مهمة ليحكم ويقطع فيها برأى، ويحافظ جيدا على أموال الناس والمائنين ومحظور على أى مخلوق كائن من كان أن يتدخل فى عمله والشخص الذى يرح به فى السجن الشرعى لا يطلق سراحه أى مخلوق، ولا نخالعه الجماعة التى يعهد إليها بالقيام بالمهمات والشئون الشرعية

ولما كان حكم الرسوم الأعظم يسبب عانا يقضى بأن المقصود والعلماء والمعلمين لا يدفعون الرسوم والضرائب، أمرنا بأن يقضى هؤلاء بناء على هذا من دفع الضرائب، وألا يأخذ الحكام منهم شيولا أو ذواب البريد، ولا يرلوا فى منازلهم، ولا يسمحوا للرسول بدخولها، وأن يدفعوا لهم مستحقاتهم دون تقصير. وستة بسطة. وكذلك معاشاتهم طبقا لما ورد فى التوصيات والسجلات. وقد أمرنا شحنة الولاية بأن يجازى كل من يتعمد بكلام عيى أو يجيب إجابة غير لائقة أمام القاضى، أو يحاول أن يتقص من حرمة

مسألة أخرى هى أنه لا يعنى أن يطالب أى مخلوق القاضى بالحضور عنده، وإذا بت القاضى فى أمر من أمور الشريعة بناء على ما قدمه من دلائل ومستندات، فإن عليه ألا يتقاضى [ص ٤٢٨] شيئا من أى مخلوق فى مقابل ذلك مهما كانت الأعداد والملل. وإذا كتب وثائق جديدة، فإن عليه طبقا لحكم الرسوم الذى أصدرناه على حدة أن يحضر الوثائق القديمة إلى "طاس العدل"<sup>١٣</sup>، ويرمى فيها حتى يسحوها، وتروى كتابتها، ولا يستمع للدهاوى القديمة التى لم يمت فيها مد ثلاثين سنة، ولا يهتم كذلك بالوثائق القديمة التى هوت قبل ثلاثين سنة، وذلك بمقتضى حكم الرسوم والشرط الذى نصصا عليه على

(١) طاس العدل عبارة عن وعاء كبير مخروطي الشكل يلقى فيه الوثائق القديمة حتى يحترق.

حدة هي هذا الباب. وعندما يحضرون إليه مثل هذه القبالات القديمة لا يعطيها الخصوم والمتنازعين، بل يسلمها في طاس المعدل.

مسألة أخرى هي ألا يستمتع لقضية المزور المدلس. والشخص الذي يقدم على ذلك تخلف لحينه، ويحمل على ثور، ويطاف به في المدينة، ويهرر تمرير<sup>(١)</sup> تاما. وبعد هذا لا يكون له محصر. وإذا دون لا يؤخذ به، ولا يلتفت إليه.

ومسألة أخرى وهي أنه إذا مثل خصمك أمام القاضي، وجاء كلاهما في حماية أحد الأشخاص، أو أنهما أحصرا معهما إلى دار القضاء جماعة من دوى المهود بقصد الوقوف إلى جانب الخصمين أو أحدهما، ومحاولة الصلح والتأثير على القاضي، فإنه في هذه الحالة لا يستمتع لقضيتهما، ما لم يعادر هؤلاء قاعة المحكمة. وقطعا لا ينظر القاضي في القضايا الشرعية ما دام حماة الخصوم حاضرين.

مسألة أخرى بخصوص الدعوى بين اثنين من المولى أو بين معولي ومسلم. وبخصوص القضايا التي يصعب القطع والفصل فيها قال السلطان. لقد أمرنا بأن يجتمع يومين في كل شهرين الشح والملك والكتاب والقضاة والعلماء في المسجد الجامع يدينون المطالبة حيث يستمعون إلى الدعوى ويتعمقون في فحصها. ثم يعصلون فيها طبقا لأحكام الشريعة، ويكتبون محصرا، ويدونونه في السجلات. ثم يوقعون بشهادتهم على صحة ما كتبوه [ص ٤٢٩] حتى لا يكون بعد ذلك مجال لظن أي مخلوق، ولا يستطيع إبطال ما أبرم.

مسألة أخرى تتعلق بالعقار الذي يدور حوله كلام وادعاء وينشب شجار وزراع، فإنه لا تتدخل بشأنه أسهات الأحقاد ولا الخواتم والأبناء والبنات والأصهار، وأسراء التومان والمزارع والصند والدخ (أي فواد الكتاب للكومة من عشرة آلاف وألف ومائة وعشرة)

---

(١) يقول القانوردي عن التبرير: التبرير تكليف على منسوب لم تشرع فيها الحدود وإنما صفة الصرب في التبرير فيحصر أن يكون بالقصا والسطوط ويجوز في تكال التبرير أن يجرى من نهاية إلا أنكر ما يستر عروته ويظهر في الناس وينادي عليه بدينه إذا تكررت ولم يلب ويجوز أن يخل شرفه ولا يجوز أن يخل شرفه وأعطى في جواز تسوية وجوههم مجزرة الأكثرين، ومنح منه الأقلون بالأحكام السلطانية ص ٢٣٦ ٢٣٩

وكذلك المغول الكثيرون وكتاب النجاشي الكبار والقضاة والعلماء والشيوخ والرؤساء، فلا يشترط هذا العقار وطبقا للمرسوم الذي أصدرناه يختاط القاصي العائلي احتياطا بليغا، فلا يحرر قبالة باسم هذه الجماعات المذكورة، وذلك في حالة كل عقار أو معاملة تكون محل خلاف ومراع. وإذا رأى شخصا آخر يحرر هذه القبالة، فإن عليه أن يسمعه.

مسألة أخرى بخصوص الصداق (المهر) الذي يؤخذ عند الزواج قال السلطان 'تقد قررا قبل هذا أن يكون الصداق تسعة عشر ديناراً ونصف ديناراً<sup>(١)</sup>، ولا يؤخذ أريد من هذا الصداق.

مسألة أخرى تتعلق بالولاية التي تتبع للقاضي غلات، وينظر في قضاياها. تبحث هذه القضايا فيما كان منها بعيدا عن المدينة في هذه الولاية، ومن المناسب أن يصب لها قاص للظفر فيها، يمس قاص ثقة لهذه المدينة، ويؤخذ من الحكم على النحو المذكور. وعليه في كل شهر أن يتخذ سبيل الاحتياط عند الظفر في شئون المتقاضين كي يحافظ على طريق الشريعة ونجوى الصديق، وذلك بموجب الرسوم الذي أصدرناه حتى لا يكون غافلا عن ذلك، وأن يادن تحرير القبالات، ويعد حكم المشرع، وترسل إليه نسخة في كل شهر أما النواحي الداخلة في نطاق القرى، ويصب لها قاص، فإنه ليس له حق الظفر في الدعاوى والقضايا، ولا يحكم فيها، ولا يكون سجلات المقارنات [ص ٤٣٠] كذلك لا يحرر ورقة أخرى قط فيما عدا ما يتعلق بقراءة الخطبة، وصكوك القروض ووثيقة الصداق. وإذا تصادف أن وجدت قضية معقدة أو دعوى خطيرة، فعلى القاضي أن يأتى إلى المدينة ويعرضها على قاضيها كي يحصل فيها.

مسألة أخرى. ينبغي أن يمس رجل ثقة متدين ليحرر تاريخ الوثائق، ويكون له سجل وعليه أن يختاط احتياطا تماما عندما يحاول شخص آخر أن يفعل ذلك. وهذا الشخص المخالف تخلى لحيته ثم يطاف به في أنحاء المدينة. كذلك إذا عرف مسجل التاريخ شيئا عن هذه القضايا وفهمه، لكنه أخفى الحقيقة، فإنه يكون أشما، ويستحق الإعدام.

تحرير في التاريخ الفلاني. والسلام.

(١) اختص أهل العلم في المهر، فقال بعضهم: ظهر على ما نراه من عليه. وهو قول شيخنا القوري والقاضي والحمد وإسحاق وقال مالك بن أنس: لا يكون للمهر أقل من عشرة دراهم. (انظر سنن الترمذي، ج ٢، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ص ٣٩٠، المدينة المنورة بدون تاريخ).

## نص المرسوم المتعلق بعدم النظر في القضايا التي مضى عليها ثلاثون عاماً

بسم الله الرحمن الرحيم

بقوة الله تعالى وميلان الملة المحمدية

فرمان السلطان محمود غزّان

فليعلم قضاة البلاد أن كل حمتا مصروعة ومقصورة على أن يرفع عن الخلق الظلم  
والتعدي والادعاءات الباطلة والخلافات والتنازعات وأن يفضي العالم والعالمين وقتهم، وهم  
قارعو البال، قارعو الحال، وأن تصل آثار عدلنا إلى الخاص والعام والبعيد والقريب، وتصير  
عامة شاملة، وأن يقضى على مواد الخلاف والتنازع من بين جمهور الخلائق وأن توسع  
الحقوق في موضعها، وتعلق بهائياً أبواب التزوير والتزويه والاحتيال. ولهذا السبب أرسلنا  
مراراً المراسيم إلى جمهور القضاة والعلماء الذين تقلدوا الأمور الشرعية، وتصلوا للأشغال  
الدنية حتى يحصلوا في الدعاوى، ويقصوا على الخصومات بين كافة الخلق على نحو يكون  
متفقاً مع مقتضى قواعد الشريعة، وموجباً لقوانين العدل. ويمكن أن يكون خائفاً من  
الشواغب والتزوير والمنازعة [ص ٤٣٩] والليل والنوى. ومن بين ما هو أهم وأجدر أن  
يتمركز النظر في المحاضر المرورة والصكوك والسجلات الموهمة، ويقصوا حقائق الأمور  
والأحوال ويصلوا إلى غورها.

وإذا ما بدت على تلك الحجج مظاهر قدم العهد، ولم يراع ذلك جهلك القضاة والحكام  
السابقون فإن على القضاة الحاليين الحذر التام؛ بحيث لا يتهاوون دقيقة واحدة في اتخاذ  
شروط الاحتياط. وكذلك فيما يتعلق بالحجج التي مضى عليها ثلاثون سنة ولم يست فيها  
واعتبرها كل مرور ومعرض سداً وحقاً مكتسباً، وصار يتعب الناس، ويشق عليهم، ولم  
يستطع القضاة تدارك ذلك رغم الشروط المنصوص عليها وكذلك قبل هذا في عهد  
السلطان السابق ذكره في كل العرائض والمراسيم، ألا يستمع إلى الدعاوى التي مر عليها



ثلاثون عامًا. ورغم هذا فإنه حتى الآن لم ينفذ هذا الشرط، ولم يصلوا إلى كنه الموضوع ولم يتداركوا ذلك تداركًا كليًا. أما في هذا العهد فقد تخصصنا هذا الأمر من قصة الإسلام فمرصوا علينا بالحق والصدق حقيقة الأمر. وحيث إننا أردنا أن نحكم تلك الأمور بين الشخصيتين وبين القصة من جهة أخرى، حتى لا يستطيع أحد قط أن يصر على الباطل ولا يستطيع أن يقس الحجاج القديمة الباطلة التي مصى عليها ثلاثون سنة. ولتلافي هذا أشرنا على قصة الإسلام بأن ينظروا في الوثيقة التي تناسب الشرع والصدق وحتى لا يهد شخص قط عن الحق، ولا يستطيع أيضًا جماعة الأقوياء المستبدين الإلحاح والتأثير عليهم؛ وذلك بأن يسألوا أسئلة مصللة وغير مشروعة، ولا يستطيعون أن يشقوا على القصة والأئمة. ولقد كتبنا المرحوم السيد القاضي فخر الدين المرآتي بأن يكون صورة الحجة وأن يكتب على ظهرها ذلك المرسوم؛ بحيث لا تطرأ زيادة أو نقصان على ما هو مقرر ثم تحصر هذه السخة إلى الخزانة لتكون نصب أعين المسؤولين والعرض من هذا العرمان وتلك الوثيقة المسطر على ظهرها المرسوم أن تكون دليلًا للشخص والعامة، فيخشى الجميع التحريف والتبديل، ولا يستطيع الأقوياء المستبدون الإلحاح على القصة كي يتركوا الدعاوى الباطلة والتنازع عليها، ولا يحوموا حول كل ما هو خارج عن هذا الحكم وتلك الحجة المخصوص عليها في ظهر الوثيقة. وإذا خالف القصة ذلك عزلوا من منصب القضاء ويكونون أنشئ إلى أن يعرفوا الحقيقة. وأنا لن أستمع إلى أي عذر مسهم. وإذا ألغ عليهم شخص قوى مستبد، وأصر على رأيه، ولم يراع [ص ٤٣٧] القصة هذه التعليمات المدونة على ظهر الحجة ولا يحكمون بموجها، فعلى المسؤولين أن يكتبوا أسماء هؤلاء المستبدين ويرسلوها إلينا كي نعتبر هؤلاء الأشخاص مدنيين وعاقبهم ليكونوا عبرة للعالمين.

كتب في الثالث من رجب الأحسم في سنة تسع وتسعين وستمائة (٦٩٩ هـ - ١٢٩٩ م) في موضع مكشوف.

## نص الوثيقة التي كتبت على ظهر المرسوم المذكور

لما كانت الحمة العالية والرأى السديد للملك العالم والعالمين وملك ملوك الإسلام والمسلمين، المخصوص بمهابة الرحمن، عازان حان لا زالت دولته الخالية متمتعة بالديوام آخذة في الريادة، غير بالعة النهاية. ومد بدء ظهور دولته، وهمته مقصورة ومصرفة إلى أعمال الخير والبر، وعنان عانيته وعاطفته موقوفة ومعطوفة نحو إصلاح حال الرعية؛ بحيث إنه في عهد دولته ورمضان حكمه وسيطرته، يهوى العالم والعالمين أبائهم، وهم عارعو المال مرفهو الحال. وإن آثار كمال عدله ومخايل وفور عاطفته ومرحمته لتشمل الخواص والعوام والبيد والقريب والترك والتاريف. كذلك تحسم بل تزول مواد الخلاف والراغ من بين جمهور الخلق في كل المعاملات، وتستقر الحقوق في مواضعها، وتسد أبواب التروير والمكر والاحتيايل سداً نهائياً.

ولهذا السبب توجه السلطان بمخاطبة جمهور القضاة والعلماء الذين يتقلدون الأمور الشرعية، ويتصلون للأشغال الدبية، وذلك في مضامين التراجم السلطانية ومنولاتها والمحتمة بالأحتام المبركة لا زالت نافذة في مشارق الأرض ومعاربها. فالسلطان في حديثه إلى هؤلاء يحثهم على أن يوصلوا في القضايا، ويهوا الخصومات بين عامة الخلق حسب ما تقتضيه قواعد الشريعة، وتوجه قوانين العدل والإصاف، حتى يمكن أن يكون حكمهم مقدماً وبعيداً عن شوائب التروير والتمويه والميل والموى والملافة. ومن جملة ذلك أيضاً عليهم أن يعمروا النظر في المحاصر المرورة والصكوك والسجلات الموهمة، ويكشعروا عن حقيقتها ويوصلوا إلى غور الأمور بقدر الاستطاعة والقدرة [ص ٤٣٣]

وإذا ما بدا على تلك الحجج مظهر قدم العهد، فإن على القضاة الحاليين - على سبيل حسن الظن بالقضاة والحكام السابقين - ألا يهملوا دققة قط من شروط الاحتياط ومراسمه، والتحقيق والتفتيش، فلا يمولوا على تلك الحجج؛ إذ إن كثيراً ما يحدث أن يملك شخص عقاراً أنشأه وأحدثه أو أنه آل إليه عن شخص آخر. وقد دوت وثائق وحجج شرعية تدل على ملكيته واستحقاقه. وبإاء على حكم القضاة وحكم الشرع صار

العقار مؤكلاً ومسجلاً. وبعد مدة مديدة انتقل منه إلى غيره بناء على حكم شرعي، ثم انتقل من ذلك الشخص إلى آخر، وعلم جراً. هذا على حين أن تلك الحجج بقيت في سرل لذلك الأول. ثم مصت إلى أيدي عدد من الورثة. وبعد مدة طويلة وعهد متكامل ينتهر أحد الورثة هذه الفرصة، ويظهر تلك الحجج ويمنح بها قائلاً إنه في التاريخ الفلاني، كان هذا العقار ملكاً لجدى، واليوم آل إلى بحكم الإرث. ثم تشهد جماعة بنائير جماعة أخرى على صحة استحقاقه. وبذلك تطول بينهم المنازعات والمجادلات، الأمر الذي يترتب عليه أن بعض القضاة في بعض الولايات ممن لم يكن لهم قدم راسخة ونصاب كامل من الدين والتقوى وعلم الفقه والمنازعة لا يصلون إلى عور الأمور، ولا يبررون بين الحق والباطل. ويمكن أن يصدروا حكماً يؤدي إلى ضياع حقوق المستحقين.

بما على هذه المقدمات فإنه قبل هذا، حكم السلاطين السابقون - سقى الله ثراهم وجعل الجنة مثراهم - منجنيب أمثال هذه الاحتمالات بحيث إنهم لا يسمعون ولا يعتمدون على القصص التي مصت عليها مدة ثلاثين سنة، وهي التي يطلقون عليها "جيلاً واحداً" ولا يصدرون حكماً قبل اتحاد الخيطة والتحرى. ومن بعد هؤلاء السلاطين صدر مرسوم الإلهام الأعظم أرغون خان، يقضي بتعبد تلك الأحكام.

وحيث إنه كان يرجع في هذا الخصوص إلى أقوال الأئمة واجتهاد العلماء، علم أن جمعاً صغيراً، وآخر كبيراً من الأئمة والعلماء [ص ٤٣٤] قد اتفقوا واتخذوا في الرأي على أنه إذا كان هناك شخصان في مكان واحد، وكان أحدهما متصرفاً في عدة صياح. وكان يوجد في ذلك الموضع حاكم عادل وقاض نافع الحكم، ولم يكن هناك مانع أو وارع آخر من إقامة الدعوى وإظهار الاستحقاق، ومضى على ذلك ثلاثون سنة كاملة، ولم يدع أحدهما على الذي كان متصرفاً وواصباً به على العقار، ولم يتمكن بعد ذلك من إقامة الدعوى فإن القاصي في هذه الحالة لا يستمع لدعواه ولا يقبلها. وقد نص على هذا صراحة بقوله: "والآن أنا القاصي علان، وحاكم الشرع في الولاية الفلانية قد حررت هذه الوثيقة، وتعمدت بأن أنفذ من بعد هذا التاريخ كل ما هو مسطور في هذه الوثيقة وألا تجاوز ولا أجيد عن الاستماع إلى الدعوى، والفصل في المرافعات والبت في الخصومات بما يقتضيه الشرع المحمدي، وأن أجيد وأجهد بقدر المستطاع والإمكان، وبذلك أنقضى

الغاية والنهاية في تحرير الدعاوى وتنقيحها، وتفتيش الحجج والوثائق الشرعية وتحقيقها ولا أسمع أى شكوى تعرض بعد مدة ثلاثين سنة بتلك الأوصاف التى سبق ذكرها، ولا أعيرها الثعالب، ولا أهتم بها وإذا ما خالفت شرطاً من هذه الشروط، فإبى أصبح مستوجباً الزجر والتأليب، ومستحقاً العصب والمرل. وقد أشهدت على هذا جماعة من العدول والثقاة، وذلك في تاريخ كذا.

## نحن المرسوم بخصوص إثبات ملكية البائع قبل البيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بقوة الله تعالى وميلن المنة المحمدية

فرمان السلطان محمود غازان

فليعلم الأحكام والملوك والقضاة والكتاب والنواب والأئمة والأعيان والسراة والوكلاء وجمهور رعايا الولايات أنه بموجب نص قوله تعالى: ﴿يَا دُلُودُ إِنَّا جَعَلْنَا خَلِيقَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾<sup>(١)</sup>، وقول المصطفى صلوات الرحمن عليه: "عذل ساعة خير من عبادة أربعين سنة"<sup>(٢)</sup>، تكون كل همتا وعزيمتا [ص ٤٣٥] ورأيا السلطاني مصروفاً إلى رعاية عموم الخلق. وإن إرادتنا هي أن ينتشر في العالم عدلنا وإتصافنا، وألا يستطيع أى قوى أن يظلم ضعيفاً ويضطهده، ولا يعطل حق أى مستحق بطريق الاحتيال وأنواع التدليس والتزويه، وأن تزول أنواع المنازعات من بين الخلق.

(١) الآية بأكملها ﴿يَا دُلُودُ إِنَّا جَعَلْنَا خَلِيقَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الْقَدَى يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا سَوَّاهُ لِلْحَسَابِ﴾ (سورة من آية ٢٦).

(٢) وردت صيغة هذا الحديث على هذا النحو "عذل يوم واحد أفضل من عبادة ستين سنة" رواه الشيخ محمد بن أبي هريرة، وأسنده من طريق أبي جهم بنسبته "عذل حكم ساعة خير من عبادة ستين سنة". (انظر كتاب كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على لسان الناس للمفسر المحدث الشيخ إسماعيل بن محمد النجاشي الجرجسي، ج ٢، ص ٥٨، طبعه دار التراث العربي، بيروت ١٣٥٢هـ).

ولا كما نذكر في شئون الإدارة والإعداد والترتيب ووضع قاعدة لكل أمر، تيسر لنا أن واحدًا من جملة معظّمات الأمور وأنواع الممارعات والمصنوعات بين العالمين هو الادعاء الباطل بسبب القبالات القديمة والصكوك والأملاك الأصلية المخالصة المكررة التي تبقى في يد كل شخص. ونوصي ذلك أن شخصًا يمتلك عقارًا. ولمصلحته أعد قبالة من يستحق أو أنه يمتلك أملاكًا كثيرة، هيأ لها وثيقة جامعة جعلها من يستحق؛ بحيث يمكن بعد ذلك أن تقسم التركة بين ورثة ذلك الشخص، ثم تنتقل تلك الأملاك إلى أناس آخرين مختلفين عن طريق البيع والانتقال. ثم يمر عليها رسم، وتبقى تلك المجموعة من القبالات والصكوك والأملاك المخالصة الأصلية أو بعض منها في يد البائع أو ورثته. ولكن بعد مدة لعدم أمانة هذا البائع راح يدعي أنه لا زال يمتلك هذه العقارات. ولا شك أنه فكر في هذا الأمر طويلًا، وعرف على أي نحو يفهم دعواه، وكيف يحرص الشهود على إثبات أحقيته. ولقد مهر في ذلك وأحكم خطه واحتلق ألف شعرة وحيلة. ومن المحتمل أن يكون قد غلط الشهود وموه عليهم الحقيقة، أو استشهد بجمع من لا أمانة لهم ولا دين. وإذا لم يقدم البائع أيضًا بإقامة تلك الدعوى، فإن ورثته يحملون تلك المجمع في سره، ولا يعرفون على وجه التحقيق أن أملاكه قد انتقلت إلى غيره، فيدعون ملكيتهم لها حسب ما ذكر. وحيث أن القبالات المسجلة معكوم بأنها للشخص الحي، وقد تعرض على القاضي مع الشهود، فثبت صحتها عنده؛ لأنه يعرف أنها انتقلت إلى الغير بطريق شرعي. ومن المشهور أن القاضي يعجز بشهادة شاهدين. وإذا ما اعتمد عدد من القضاة المتقدمين الثقات المشهورين تلك الصكوك وسجلوها وكان الشهود العلول المشار إليهم أحياء وحاضرين، ولكنهم عاقلون عن أنه قد حدث بيع بعد ذلك، وانتقل [ص ٤٣٦] ذلك العقار وبقيت تلك الصكوك المكررة أو غير المكررة في يد البائع، ولم تسلم للمشتري، فيدلون بشهادتهم بالصورة مسجلها القاضي ويحكم بصحتها. ثم يذهب المدعى واستأنك إلى معاوضة الأقوياء المستنسين، وبموجب القبالة التي حكم بصحتها حديثًا وتم تسجيلها بتصرف فيها، أو أنه يبيعها إلى هؤلاء الأقوياء فيتصرر المشتري بسبب ذلك. ونتيجة لهذه الأوضاع يشب النزاع ويطول الخصم بين هؤلاء الأطراف.

وحيث إن صكوك الملكية ثبتت بشهادة الشهود العلول، يكون تصرف المالك مراعى ضامًا في الشرع، وتطرأ لأن الصكوك كثيرًا ما تتكرر وتبطل في يد كل شخص، يصير الاعتماد عليها أمرًا مشكوكًا فيه ومبهمًا، ولما كان بعض قوى القموس يميلون إلى النزوع وبمارسونه فإن الحصول الوجوه أن يمثل أمام القاضي البائع سهم والمشتري وذلك عند بيع العقارات، وعليهما أن يحضرا الشهود العلول مع الصكوك التي تكون في حوزتهما، فيثبت البائع ملكيته، ويشهد الشهود العلول الثابت صدقهم على أن ذلك العقار خاص بالبائع وتحت تصرفه، ويقولون: إنا لم نسمع ولم نعلم أن لأي شخص دعوى شرعية بالنسبة إلى ذلك العقار. ثم تمثل تلك الصكوك في الماء. وإذا لم يكن لدى البائع والمشتري صكوك فإن على الشهود أن يشهدوا طبقًا لما هو مذكور، ويقرروا أن هذا العقار كان تحت تصرف البائع أو المشتري قديمًا أو حديثًا، ويقر البائع بأنه ليس لديه صكوك. وإذا ظهرت بعد ذلك تكون باطللة ثم يسجل العقار له، وتكتب شهادة الشهود، ويسجلها القاضي ويحكم بصحتها. وبعد ذلك ينص على ثبوت الملكية أسفل حجة البائعة. وإذا أقر أحد بحق في النقل الشرعي، فإنهم يعترفون به أيضًا. وإذا ظهرت بعد ذلك بعض الصكوك لذلك العقار أو لذلك الخالص أو للقسم بين البائع وأولاده أو أقربه أو الآخرين، كل واحد منهم كائنًا من كان، [ص ٤٣٧] فإن أي قاص من قصة الإسلام لا يعيرها اهتمامًا. وعندما يراها في يد أحد يأخذها منه بالخاف وعف ويمسحها. وإذا كان لأمثال هؤلاء سند قوي، أو كانوا في حماية بعض الأشخاص، ولم يسمعوا كلام القصة، فإن عليهم أن يملأوا شحة تلك المدينة كي يأخذها منهم بالمع والرجاء، ثم تمثل في دار القضاء. وإذا قصروا في ذلك فإنهم يكونون مدانين. ويجب أن يقوم كتاب دار القضاء وحدهم لا غيرهم بكتابة الحجج والقبالات الخاصة ببيع العقارات. وعندما يجلس القاضي للحكم في دار القضاء، فإنه من الضروري أن يحضر طائفة مملوكة بالماء موصوعًا على كرسي، أسمياه "طاس العدل" ثم تطلب صكوك كل بائع ودعوى يتم البت فيها وتفسل بالماء. وإذا باع البائع جرمًا من أملاكه الخاصة الخاصة، وأبقى بعضها في حيازته، فإن ذلك الجزء الذي قد تم بيعه، يكتب على ظهر الحجة بحضور القصة والعدول، وبين فيها أنه قد بيعت هذه المساحة من هذه العقارات المذكورة في الحجة إلى الشخص الفلاني في التاريخ الفلاني، حتى تكون تلك

الحجة ثابتة في يد المشتري. كذلك بعض في حجة للمشتري أن للبائع عدة أملاك، وأنه قد بيع بعض منها إلى هذا الشخص، ويظل يمتلك البعض الآخر. ولهذا السبب يبقى في يد البائع صك غير محو (غير مفسول).

مسألة أخرى: هي أنه إذا أدى شخص شهادة أو حرر كتابة تتعلق بمبايعة لو رهن ثم أقام ذلك الشاهد في وقت آخر دعوى على ذلك المشتري أو المرهون، فإنه لا يستمع له، وتخلق لحبته، ويركب حماره، ثم يطاف به في أنحاء المدينة. وإذا باع شخص عقاراً لآخر كان قد رهنه قبل هذا، أو أنه أمر بحق شخص آخر فيه أو باعه فإن هذا التصرف يعتبر حالة من حالات التزوير، وإقراراً بالعش، فلا يستمع له، وتخلق لحبة الشخص المدعى كذباً ويركب حماره ثم يطاف به في أنحاء المدينة. وإذا باع شخص عقاراً لو رهنه ثم عاد ذلك الشخص بمرة أخرى، وباعه لآخر لو رهنه فيكتشف هذا التزوير، ويتأكد من ذلك فإن أمثال هؤلاء الأشخاص يمدون.

[ص ٤٣٨] موضوع آخر هو أننا قررنا ألا يتوقع القضاة أن يأخذوا من أحد دافعاً واحداً نظير قيامهم بالتسجيل والنظر في الدعاوى حسب العادة المصهودة، وأن يقنعوا، بالمرتب الذي قررناه لهم، وأن يأخذ الكاتب الذي يمرر الجميع درهماً واحداً عن كل حجة تبلغ قيمتها مائة دينار. أما ما يزيد على مائة دينار فإنه يتقاضى عنها مبلغاً يصل إلى دينار واحد، ولا يأخذ ما يزيد على ذلك أبداً. ويتقاضى المدير الذي يقوم بمهمة الإشهاد نصف دينار عن كل حجة يتم تسجيل الشهادة عليها. ويكون هذا الرسم من القند المتداول. ومهما تكررت الدعاوى، فإنه يقع بهذا المبلغ. وكل محام<sup>(١)</sup> يأخذ شيئاً من كلا الطرفين يعز أولاً ثم تخلق لحبته، ويعزل من الوكالة.

مسألة أخرى بخصوص القضايا المتعددة بفترة ثلاثين عاماً، أوردنا لها مرسومًا خاصًا، وبها شروطها، فينبغي مباشرة العمل بموجبها. وكل قاضي يحكم بحلاف المراسيم والأحكام التي أصدرناها بمقاب وبعزل. وأمرنا المحاكم والثلوك في كل الممالك والمدن بأن يحضروا القضايا في هذه المناطق، ويستردوا سهم الوثائق بموجب الرسوم الذي أرسلنا صورة منه، ثم يعيّلونها.

(١) المقصود المحامي الذي تليه المحكمة للمناقش عن قضيته.

والآن يبقى استدعاء فلان وفلان من القصة هناك وبمقتضى نص المرسوم المرسل تسترد  
مهما الوثائق، وترسل إليها بصحبة هؤلاء الرسل.  
كتب في شهر كذا سنة كذا.



## نص المرسوم بخصوص تأكيد الأحكام السابقة وتمهيد الشروط اللاحقة

بسم الله الرحمن الرحيم

بقوة الله تعالى وميلان الأمة المحمدية

فرمان السلطان محمود غازان

[ص ٤٣٩]

ليعلم قصة البلاد أننا عندما أدركنا أن استقامة حال العالم والعالمين موطوءة بالترام الأمور الشرعية، أرسلنا قبل هذا مرسوماً إلى كل الأطراف والجهات من البلاد ابتداء من شهر جيحون إلى حدود مصر بخصوص تدارك الخلل الذي يقع عند الفصل في القضايا بحكم على القضاة الثاني والاحتياط التام في تحقيق وتطبيق الأحكام الشرعية، وبمبهم إلى ضرورة مراعاة اللوازم والشروط فيما يتعلق ببعض شئون المحاضر والمجسج والوثائق والسجلات وبعد تنعبد أحكام القضايا بحدودهم مما قد يشوبها من التزوير والتمويه والعش والتقصيص وأنواع الخيل الأخرى، وأنهمهم وجوب عدم الاكتفاء إلى مجرد قدم الحجج أو إلى أحكام القضاة السابقين؛ إذ ربما لم تكن غلوة من تساهل أو تحير، والزمهم العمل بقدر المستطاع بالترام الصواب والدقائق الضرورية لسلامة البدن والحياة في الآخرة وصيانة العرض وفرر هذه القواعد في كل البلاد على رموس الأشهاد مرة كل شهر؛ حتى ترسم وتتولد بالترام في الأديان، وينزجر أصحاب الادعاءات الباطلة من تلقاء أنفسهم ويسلكون طريق السلامة، ولا يبقى أيضاً مطمع للأثرياء ذوي النفوذ في أن يحملوا القضاة على إصدار حكم بعيد عن جادة الصواب؛ خصوصاً بعد أن أكدنا ذلك الحكم وأمر السلطان كذلك بأن تؤخذ خطوط كافة القضاة، حتى لا يظنوا بعد هذا إلى رغبة أي مخلوق، ولا يراعوا جانباً قط غير جانب الحق جل وعلا وأن يبدلوا أنصبي العاهة في تقيح الدعاوى وفحص الحجج والوثائق حتى يكونوا بسجاة من حق التزوير والتليس، وألا يترصوا للنظر في كل دعوى مر عليها ثلاثون عاماً رغم شك المدعى، وبشرط عدم

للمواع التي تعترضها. وإذا قدمت دعوى بعد انقضاء تلك للغة، فلا يستمع لها بتألف ولا يحكم فيها؛ لأن فساد مثل هذا الادعاء ظاهر وواضح، وسماها أمر مستهجن.

وقبل هذا واجه سلاطين السلاجقة هذا الأمر. وبعون اجتهد أئمة الوقت مع سماع مثل هذه الدعاوى وبعد ذلك كتب الأئمة والقضاة وعلماة الإسلام رسائل مستقلة في هذا الشأن [ص ٤٠٤]، وأكدوا تلك الأحكام. كما أن نسخها منتشرة في الأطراف. كذلك صدرت مراسيم أباتا في هذا الشأن، ويجرى العمل بها لعمري.

العرض الأول. تأكيد تلك الأحكام، حتى يتحقق الرفقاء من شدة عابثتها واهتمامنا باستقامة أمور الدين، وتزول من العوس نقيصة التساهل والتهاون في شئون الشرع، ونعمل محلها فصيلة الصلابة وثبات القدم.

وليعلم الجميع على وجه التحقيق أن كل من يجرد عن هذه التعليمات سوف يعامل بمس للعاملة التي عومل بها قاضي أردبيل، فإنه لما لم يحترق في تعدد القضايا المرورة الموهمة، أجهروا عليه بالسيف على أشنع صورة، وأشنع حالة.

العرض الثاني. حيث إن خاطراً مصروف ومهتماً دائماً باستقامة أمور العالم وانتظامها وموجه إلى تحصيل وتكميل أسباب ذلك لردمنا أن ملحق بالأحكام السابقة عدة أمور ضرورية بلعها قصة البلاد ومختمهم على وجوب العمل بها، حتى يسيروا بمقتضاها، ولا يتجاوزوها

فأولاً وقبل أي اعتبار آخر بمعنى تأكيد الاحتياط بخصوص الاستماع للشهادة<sup>(١)</sup> التي يتوقف عليها مدار أكثر القضايا؛ إذ تبين أن القضاة يتفون تساهلاً في هذا الشأن، ولا يجتهدون في تحري اللغة فيصدرون حكمهم بناء على هذه الشهادة دون توقف، أو دون أن يتطرقا لطعنات إلى عوسهم، أو يطلب الطل ويطلعي الشك على صحة الشهادة وسلامتها ويمسكون بذلك، ويقعون عاجزين أمام شاعثين، ولا يخشون مصبة هذا الإهمال. وقد

(١) الشاهد يطول القضاء على أداء رسالت الاجتماع، من غير التمكن من يحصل في دعوى من الوجه الصحيح ما لم يدل الشاهد بشهادته وبني ذلك أن الشاهد بعض مصلحة اجتماعية ترجع على من تستد إليه الرافعة في الشرف والاعتبار (انظر المرجع في قانون العقوبات). القسم الخامس ثلث الدكتور محمود نجيب حسني. ص ٥٧٢ القاهرة ١٩٩٣م)

يتفق أن تكون القصة في ذاتها خطيرة. ولكن لأنهم لا يعرفون الحقيقة ولا يحسبون  
يصدرون حكمهم على هذا النحو، فيصرون بذلك على طائفة من الناس الوجهاء الأثرياء  
وشيجة لهذا يشتد ساعد المدعى؛ ذلك أن ثبوت الحق شرعاً، ولو أنه متوقف على  
شاهدين<sup>(١)</sup> [ص ٤٤]، إلا أن الشهادة مقيدة بشرط توافر العدالة. والعدالة أمر عظيم لا  
يتوافر إلا في أفراد البشر، وعلى سبيل التدبر فإن هوى النفس يتولى على أكثر الخلق.  
وإذن على القاضي أن يعكر دائماً في أن شهادة زيد أو عمرو لا تخلو من هوى النفس، أو  
انحياز إلى إحدى الجبهات أو مراعاة جانب شخص من الأشخاص، ولا يجوز أن يحدد  
بفرد أن الشاهد يبدو في سمت وصفة الرجال الفاضلين، وبزمن ظاهره يزخر بالقول.  
وبمعي أن يستعمل سلامة التفكير ولطائف الحيل وصعاب النفس في استنباط حقيقة الحال  
واستخلاص ما في باطن القصة. ومعي هذا الإطار يعني أن يوضح كيفية الحال وإزالة  
الإبهام والإشكال. ولما كانت حكمة الباري عرسمه في خلق الكون قد انقضت أن  
الباطل مهما حصى أمره في الباطن، فإن آثاره تبدو في الظاهر من فحوى ألباط القائل كما  
قال أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه) "كل ما يكون مستتر في باطن الأحق يقضح من  
فئات لسانه". وإذن فكل من يتعرض للغوص في أعماق شخص من الأشخاص يدهن  
سليم، يستطيع أن يستشف الحقيقة من كلامه.

وبناء على هذه المقدمات، أمراً بأن يتبع القصة سبيل الاحتياط في استماع كل شهادة  
تخالف الحاضر ريب في قبولها. وينبغي أن يسأل كل من الشاهدين على انفراد كي يتبين  
التناقض في أقوالهما لأن التثبت بتحقيق الأمور متوقف على تناقض أقوال المتكلمين. وبناء  
على هذا يسأل كل شاهد عدة مرات في المجالس المختلطة، وتكشف الأحوال من رواله  
الكلام، ثم توضع الأسس بعية الوصول إلى الحقائق التي تكون في الأسئلة المبهمة مثل  
التعرض للأزمة والأمكنة وكيفية المقادير وكيفية أحوال القصة، ولطائف الأسئلة التي  
يكون في تخفياتها والوصول إليها مدخل لتحقيق الهدف، وحتى يظهر من هذا الاجتهاد  
أحد الفرص المطلوبة، إما الصحة التي يمكن إصدار الحكم بموجبها ويمكن الاعتماد

(١) يقول الله تعالى ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء﴾

تصل إحداهما فذكر إحداهما الأخرى ولا يثبت بالشهادة إلا ما دحوا ﴿سورة البقرة، آية ٢٨٢﴾

عليها. وإما الشبهة التي توجب التوقف عن إصدار الحكم، ويكون ذلك سبباً في السجأة من ورطة [ص ٤٢٤] الحكم بالباطل. ولما كان أكثر الخلل الذي يحدث في القضايا يقع بسبب تركية المراكز الذين هم أنفسهم يعتقدون التركية ينبغي اتخاذ المزيد من الاحتياطات في هذا الأمر. كذلك يلزم الرجوع إلى الفصل الذي كتب خصيصاً لشئون التركية.

مسألة أخرى تنطبق بضرورة الثاني والتزوي في إبرام الأمور بشأن إصدار الأحكام وختمها؛ إذ إنه تقع شبه كثيرة في هذا القسم. وأكثر القضايا التي تنفذ في دولها ومناطقها، يقوم أصحابها بإثباتها لدى قضاة الولايات الأخرى. ونظراً لأنه في تلك المناطق الغريبة، لا يقع اطلاع دقيق على أسباب تلك القضايا وظروفها، وينبغي على القضاة صحتها وسقمها، إذ يفتشون الوثائق دون تحرر، ويرسلونها إلى القضاة الآخرين ليتمحيوها ويصلقوها عليها، ويحكموا بصحتها. وبذلك يروح الباطل في صورة الحق. ولا شك أن طريق الخلاص من هذه الورطة هو أنه في حالة عدم اطلاع القضاة على ماهية القضية، وضرورة رفعها في موضع قريب، ولم يحيطوا بظروفها إحاطة تامة، لا يسجلونها ولا يفتشونها. وعلى الذي يفتح وثيقة الحكم، ألا يسارع بفتحها، وإصدار الحكم بشأنها، ما لم يعرف ضرورة الحكم لدى ذلك القاضي الذي ختم الورقة بختمه.

موضوع آخر يتصل بالاحتياط في الأمور التي تتعلق بتحرير الحجج والوثائق وأنواع الكتب وأصناف التصديق على الأحكام والسجلات لأن ما يمرر في أكثر الأحوال لا يخلو من خلل. كما أن سريان صرر عدم الاحتياط يؤدي إلى إثبات الأباطيل وإبطال الحقوق. وهذا الخلل إما يرجع إلى جهل الكتيبة بآداب الكتابة وشروطها، أو إلى تخلفكم للبول الشخصية أو محابة جانب وترجيحه على جانب آخر. ولما كان من الواجب تدارك مثل هذه الأمور تداركاً تاماً، أمرنا جميعاً من القضاة والأئمة والعلماء الذين كانوا متصمين بدقة النظر بأن يقوموا متصامنين بمحصر [ص ٤٣٤] أعداد أنواع المكتوبات التي تكتب على سبيل الإجمال في المحكمة؛ فحفظوا نسخة لكل نوع وجمعوا المطالب كلها في مجلد واحد يكون كامل الشروط، جامع الدقائق بعيداً عن مواقع القطع، واحتمال المعارضة، موشحاً بتمهيد مناسب يظفر على فوائد كثيرة. ثم اعتمد هذا المجلد كبار الشخصيات وأعيان العلماء بتوقيعاتهم، وشهدوا على صحة تلك المقاصد. وعندما تم هذا العرض استسخوا من

ذلك سحناً كثيرة، وأرسلوها إلى أطراف البلاد، حتى إذا ما دعت الحاجة إلى تحرير أى نوع من العتارى والأحكام والوثائق، تقدموا على كتابتها على تلك الصورة، وذلك بعد صدور حكم المحاكم، وبإشارة على إشارته. ويجب على قضاة البلاد أن يمسوا النظر فيها أولاً على سبيل الاحتياط. وعندما يرونها مطابقة للمقصود، وتستقيم مع جادة الشرع للظهور بعمودها ويصادقون عليها بتوقيعاتهم، ويلتزمون بتنفيذ شروطها؛ حتى لا يتجاوزوا - فى المستقبل - ما نص عليه فى كل باب منها، ويكتبوها حرفاً حرفاً. وحيث إن هذا الأمر قد تأكد سابقاً، وهو أنه عندما يمس على أن حكم المحاكم قد صدر بتحرير هذه الأحكام، لا يقوم الكتبة بذلك بناء على التكليف الصادر إليهم، بل يشعرون أيضاً بأنهم فى مثل تلك الأمور إما يحققون غرض الرحمة

مسألة أخرى: فكما هو معلوم أن تساهل بعض القضاة وتراخيهم وعدم براعتهم قد بلغ حداً خطيراً؛ بحيث إنهم راحوا يصدرون أحكام متناقضين فى قضية واحدة بين خصمى كلاهما مسجل، ولم يهكر هؤلاء القضاة فى قبح ما يقدمون عليه، ولم يمتدروا من اكتشاف أمرهم. ولتلافي ذلك أمرنا بالألأ يسروا فى المستقبل على هذا الموال، لأى سبب أو تصريح وأن يهتوا بتلافي ما حدث. وإذا ما وقع مثل هذا الأمر فى محصر أى فاص فإن عليه أن يمحصر الحكمين، ويجد فى الاحتياط لحرى الحقيقة فى كل ما يتعلق بالقضية. وإذا كان محتاجاً إلى معاونة الأئمة، فليعقد اجتماعاً لتوضيح الأمر وفق القانون الصحيح، وتكس أى طرف يتصح ويلوح الحق إلى حاتبه، ويحصل الحكم الآخر فى طاس العدل. وإذا لم يحصل فى تلك القضية فى حينها، ولم يصدر قرار حاسم بشأنها تودع على سبيل الودعة [ص ٤٤٤] لدى أمى المحكمة، ولا تسلط نتائجاً للخصمى، بل توقف حتى يحصل فيها إد إن ترك أمثال هذه الوثائق بيد الخصوم، لا يترتب عليه شىء قط سوى الفساد والعنة والاحتلال. وليس هالك شك فى أن كل خصم أو ورثة سوف يظهرون تلك الوثيقة عندما يجلسون مجالاً للشبهة والالتباس فى وقت من الأوقات، ويبدرون بإقامة الدعوى وربما لا تنوهر لدى القاضي الجديد الدلائل والشواهد على تلك القضية، فيحكم بالباطل. أما إذا احتفظوا بالوثيقين، وتحقق الخصمان من أنهما لى تعادا إليهما، فإنهما سوف يمحصران بالضرورة للمقابلة، ويحصل فى الدعوى على النحو المقرر على وجه التحقيق. وبهذا يستقر الحق فى نصابه.

مسألة أخرى، سبق أن حكم السلطان ملكشاه بهاء على اتفاق أئمة المعسر واجتهادهم واستصوابهم، ودون ذلك من أجل مصلحة الناس وقد نص على أن كل من وقف وقفاً عجيبة، أو كتب إقراراً بتمليك أحد سرّاً، وأحصى ذلك، ثم باع هو نفسه أو ورثته ذلك العقار المخصوص عليه في الوقفية أو المذكور في الإقرار، وبعد مدة أظهر هو أو ورثته تلك الوقفية أو ذلك الإقرار مدعياً أنه قد اشترى ذلك العقار، فإن على قصاة البلاد ألا يستمعوا لتلك الدعوى، ويطلبوا الوقفية والإقرار. كذلك يجب عليهم تأديب المدعى وتعريضه، وعليهم أن يقرروا الملكية للمشتري.

وبعد أن اجتمع جماعة من مشايير الأئمة فترة من الوقت في قزوین سجلوا بالاجتهاد مسائل الإصلاح التي أعدوها، والشروط بها صلاح الخلق فوجب على القصاة العمل بها. ومن جعلها أن كل عقار يكون شرعاً في يد أحد الملاك لا يسترد منه، [ص ٤٤٥] بسبب ظهور عقد مخالف له، بل يتقونه في يده.

ومح أيضاً قد أمرنا قضاة البلاد بأن يسروا على هذا اللوال، وألا يتجاوزوا هذا الحكم الذي اتفقوا عليه، وطلبوا بواسطة إقرار الحق.

مسألة أخرى، تلخص في أنها سمعنا أن بعض قصاص النظر الدين تتول إليهم الأوقاف بشرط الواقع، يبيعون حق توليتهم إلى شخص آخر، ويوصونه بسبب خديعة بعض الطامعي، فيشأ عن ذلك إلحاق الخراب والضرر بالوقف واختلال حاله. ولتلافي ذلك أمرنا بأن من يكون قد فوص إليه وقف بشبهة تتخذ وسائل الاحتيال في مثل هذه الحالات، وذلك بالرجوع إلى شرط الواقف. فإذا كان الوقف متضمناً إذن التعويض، فلا يتعرض لمن فوص إليه هذا الوقف، وإلا فإن على المسئول أن يطلبوا هذا التعويض وأن يفسلوا وثيقة التعويض في طاس العدل. وبعد هذا لا يعطون أى مخلوق مجال التعويض الذي لا يتضمن شرط الواقف فيه جوار ذلك وجميع الذين يتألفون هذا سواء أكانوا مفوضين أم قابليين للتعويض أم محررين يؤاخذون وبمروون

موضوع آخر نقول فيه، إنه لا يخفى على الجميع أن عايتنا من تنفيذ هذه الأوامر ليست إلا رعاية جانب الحق جل وعلا وتقوية الشرع الإسلامي لا رال معظماً وانتشار

الحق والعدل وراحة الرعية. كما أن هدفا من التتبع هو أن يقتضى القضاة آثار الحق والعدل، كما أن هدفا من التتبع هو أن يقتضى القضاة آثار الحق والعدل، وعرضا من تكرار التحذير والتخويف هو جبر لحال الإنسان وليس تحطيمه، ورفع قدر القضاة لا الخط من شأنهم، وتكريمهم لا إهانتهم. وإذن فالأولى أن يستمعوا لهذه التعليمات طائمين، وأن يتفهموا بما جاء فيها، وأن يتأكدوا من أن كل من يعمل بها، ويرجع جانب الحق، ويصون منصب الشرع الشريف من شين التلويح، ويتخذ الاحتياطات الثام في الفصل في القضايا سوف يكون مشمولا بغطاء إلى جانب الأجر الجزيل والذكر الجميل.

**[ص ٤٤٦]** أما كل من لم يؤثر فيه العديد من البلاغات والبيانات والتأكيدات والتشديدات، فإننا لن نهتم بعد هذا بتجديد الرسوم بخصوص هذه الأمور. وسوف نتبع مع المخالفين طريقة "السيف أصدق أنباء من الكتب" لتصريف الأعمال حتى يعرف الجميع الحقيقة. وفي ذلك كفاية لمن يعتبر. فعلى الأمير العلاني والحكام الذين يصل إليهم هذا الرسوم مع نسخة من الدستور أن يسلموها للقضاة، وبأخذوا بهما إيصالاً ثم يسخرون صوراً من كل منهما، ويسجلون عليها صحة القاربة، ويرسلونها إلى الولاة والأكابر وقضاة الولايات. ثم تودع لديهم ليطلعوا عليها ويقوموا بالحجة على المنتسب، ويسيروا في المستقبل على هذا النوال. وهكذا يعملون حتى تتحقق هذه الأمور، وتتصح لدى الجميع.

## الحكاية الخامسة عشرة

### فى منع تحرير القبالات غير المشروعة وإبطال المصحح القديمة

قبل هذا فى عهد الخلفاء والسلطان - أبا الله براهمهم - كان المسئولون يدلون كل ما فى مقدورهم بمصوص اردهار مئون القضاة وقوانين الشريعة ويحتاطون احتياطاً تاماً فى هذه الأمور، ويختارون الرجال القديسين من الطعام والعصاة من أهل الثقة الجديدين بتقليد مصيب القضاة. وكان هؤلاء أيضاً يدورهم بمصوص على أن يجعلوا المتدينين الشرفاء من العلماء المشهورين يلزمون دار القضاء فلا غرو أن كانت الأمور الشرعية والقضايا الدينية تبرم وفقاً لأوامر الله تعالى ورسوله عليه السلام وبذلك استقرت حقوق الخلق فى مواضعها، وأعلقت شاماً أبواب الظلم والخراب.

وعلى هذا لم يعد هناك مجال للأغصاء والمراقبين الطامعين والفصوليين الزورين كى يحوموا بأى وجه حول أمثال هذه الأعمال الخطيرة متدربين بأنواع الخيل والتليس وعلى هذا لم يكن لمثل هؤلاء الأشخاص قدرة على التردد على الجماع والجالس، ولم يلبثت إليهم أى مخلوق

ورغم ذلك الصبغ والترتيب الذى كان متبعاً فى عهد السلطان السعيد ملكشاه - طاب ثراه فإنه لا يزال فى أيدي الناس كما هو الحال الآن أيضاً كثير من القبالات القديمة المكررة والمخالصة الملكية فكانوا يحملونها إلى القضاة، ويحاجون إلى الحل [ص ٤٤٧] التى تلزم القضاة بمصرورة الاستماع إليها والنظر فيها. وعن طريق تقديم بعض الهدايا<sup>(١)</sup> المتواضعة يستطيعون ترويح الباطل فى صورة الحق ولما كانت الشاعب تحمل بالناس هذا السبب، ثم يتضح بعد ذلك أن تلك الدعاوى كانت باطلة، وأن الوثائق ومستندات الأملاك

(١) يقول المازدى: "زليس لم تملك القضاة أن يقبل هدية من خصم ولا من أحد من أهل عمله، وإن لم يكن له خصم

لأنه قد يستغنى بها به" (الأحكام السلطانية، ص ٧٥)



القديمة والحالصة الملكية قد انتقلت من قبل إلى الآخرين، بلغت تلك الدعاوى والشكاوى مرات ومرات مسمع السلطان ملكشاه وورثه نظام الملك، فتأكدوا أن الدريعة التي يتمسك بها هؤلاء المرورون إما هي القبالات القديمة المكررة والحالصة الملكية التي بقيت بعد أصحابها الأول في يد المالك أو ورثته وبتماذي الأيام، لم يقف على أحوالها أحد ومجاعة يمرر أحد أبناء المالك تلك القبالة، فيقيم الدعوى. ويمكن أن يشتري تلك الأسلاك أو ورثته لم يروا تلك القبالات، أو تكون قد فقدت، أو أنها مبهت أثناء المعارك، أو أنها أبصا تكون قد سرفت من أيدي المشتري وسلمت للبلع. وهؤلاء يعلمهم أن القبالة المستقلة الشرعية ليست في أيديهم ومع هذا يقيمون الدعوى بقبالتهم القديمة، ويتشون بها أحقيتهم ورؤا. وهكذا فإن أمثال هذه الحالات كثيرة ومتعددة.

وقصارى القول فإن السلطان ملكشاه والورير "نظام الملك"<sup>(١١)</sup> عندما وقفا على تلك الأوضاع، كتبوا مشورا حسب ما يقتضيه الشرع. وقد صرح السلطان بأنه ليس لأحد أن يقيم الدعوى، ولا أن تسمع دعواه استنادا إلى القبالات القديمة التي مر عليها ثلاثون عامًا ثم سلم ذلك المشور إلى جميع مفتي حراسان والعراق وخراسان؛ فاعتوا به وقفا لأحكام الشرعية. بعد ذلك أرسله إلى دار الخلافة لتوقيعه ولا زال ذلك المشور موجودا حتى الآن وبسببه متشرة في الأطراف. ولما كان القضية وأصحاب دار القضاء على هذا النحو الذي ذكرناه فإن مثل هؤلاء القضاة المتدبسين الثقات والسلطان والورير تحيروا من أفعال هؤلاء الأشرار، فاضطروا إلى إصدار مثل هذا المرسوم.

(١١) للحصول على تفصيلات عن الحواجه نظام الملك الطوسي ورير السلاجقة الكبير انظر: للأدب الإيراني الكبير غياث الدين خواجه نصير كذا يبدو في كتابه سفر الوراء تأليف وترجمة وتعليق الدكتور حبيب أسد سميان ص ٢٤٥ ٢٦٧ ملحق المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠م الورقة في عهد السلاجقة تأليف عباس إقبال وترجمة الدكتور أحمد كمال الدين حليم، ص ٦٩ ٨٣، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٨٠م سبستانه أو سر للوك، تأليف نظام الملك الطوسي وترجمة الدكتور يوسف حسي بكار، مجلة الدكتور فلاح حسي برسلي بعنوان: نصير السياسي الصغير، ص ١٣ ٤٢، الفتحة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م مجلة الدراسات الأدبية في الثقافة العربية والفارسية، مجلة بعنوان الفتحة النظامية في بغداد للأستاذ سعيد غايبي، ص ٦٧ ٩٣، الجامعة اللبنانية، قسم اللغة الفارسية وآدابها، السنة الخامسة العدد ٢٠١ ربيع وصيف ١٩٦٧م.

وقد اتفق أنه في عهد المول علم بالتدريج أن القضاة والعلماء يعرفون بمجرد ليسهم  
العمامة والدرع<sup>(١)</sup> ولكن من الملتطوع به [ص ٤٤٨] أن المول لم يكونوا يعرفون كيف  
يمرون هذه الطيقة من غيرهم. ولهذا السبب ارتدى الجهال والسفهاء الدراعة والعمامة بكل  
وقاحة وراحوا يلازمون المول. وسرعان ما ملأوا شهرة لديهم، وذلك بأنواع التملق  
والترلف والرشوة. وقد تدخلوا في شئون القضاء وتقلدوا المناصب الشرعية، وحصلوا على  
المرسوم في هذا المجال.

ولما استمر الحال مدة على هذا النحو كسب العلماء الكبار المتدينون دور الشرف أيديهم  
عن تلك الأشغال والأعمال؛ إذ كيف يوافق الرجال الكبار على أن يصغروا أنفسهم في محيط  
هؤلاء الأشخاص غير أن الزوراء والحكام التاريك لم يكونوا يتخلطون عن طائفة العلماء  
الكبار الشرعاء، والذين كانوا في قمة الشهرة، فصاروا يشون عليهم دائماً، ويسعون كل  
شخص مسدد يحاول أن يمال مهم. ولهذا السبب بقي بعض القضاة الكبار المشهورين في  
مناصبهم. وكانت أحوال الكثيرين منهم على النحو الذي شرحناه.

ولما كان الجهال والسفهاء الذين يلبون في صورة العلماء كثيرين في البلاد وكانوا  
يرون أن أمثال هؤلاء يتقلدون مناصب كبيرة، طفقوا يعارض بعضهم بعضاً. وقد لفت نظر  
المول كثرة براعهم ومخادلاتهم. كما اتضحت وقاحتهم للجميع؛ فظن المول أن جميع  
العلماء على هذا النحو، وبذلك ضاعت حرمة وهبة كبار الشخصيات بل زالت كرامة أمة  
الإسلام بسبب هؤلاء الجهال، وصار الجميع سيئ السمة لئلا محترمين. وكان كل أمر  
وعظيم يحكى واحداً من هؤلاء الأشرار. وفي كل فترة يصب أحدهم قاصياً، ويعزل آخر.  
وقد بلغ الأمر ببعضهم أنهم كانوا يتقلدون منصب الفقهاء بالضمائم، ويحب على القاضي  
أن يحكم بشعاعة هذا الأمر أو ذاك، وباء على إلحاحه، ولا يأخذ شيئاً من أحد.

ولما كان منصب القضاء يؤخذ بالضمائم والمقاولة، فإننا يمكن أن نعرف كيف كانت  
الأمر تجري على أي وجه. وقد وضع هذا في عهد گيخان خان الذي كان وزيره صدر  
الدين، ولقب نفسه بصدرجهان (صدر العالم) هذا على حين أن أخاه منصب قاصياً للقضاة

(١) الدراعة ثوب من صوف وجبة متفردة القنم. (انظر المصنف الموسيد، ج ١ ص ٢٨٠)

ولقب بلقب "قطب جهان" (قطب العالم). وتقلد الشيخ محمود مصعب شيخ المشايخ وأسد إليه النظر في بعض الشئون الدينية، فبلغت غاية الكمال كذلك كانوا يهتمون بالأعمال الشرعية إلى أشخاص عن طريق المقالوة. ولقد الأسباب أدى الأمر في السوات الماضية إلى فتح طريق الدعاوى الباطلة [ص ٤٤٩] وكل مخلوق امتلك أو حاز عقاراً، صار وبهلاً عليه. وكان أسوأ وأعظم مآلة عدو؛ لأن المصددين المختالي الجهاج كانوا يستغنون دائماً القبالات القديمة وشهود الزور، ويدجأون إلى أنواع الخيل والتليس التي لا نهاية لها ويشفون على جماعة الرؤساء ذوي المصائب والجاه وبعضهم.

ولما كان القضاء بالحصان والمقالوة صارت تلك الأمور ملازمة لطبع القضاة والمشرعين على دار القضاء، فكانوا يهرون المدعى ويخدعونهم بالوعود، ويهملون القضايا، ويؤجلون الحكم فيها شهوراً بل سنوات. وخلال تلك الفترة، كانوا يحسون شدة هذا التسويف ويحاولون بعضهم من الجانيين. وهكذا تستمر الدعاوى والمنازعات، ويظل كثير من الأملاك موضع خلاف ونزاع لعدة سنوات. وكانت دار القضاء تحقق كل سنة مبالغ أكثر من العوائد التي تحصلها. وكان كل شخص يروده الأمل، ويقول في نفسه: إن دعوائى لا تزال قائمة فعلى أن أدفع مبلغاً آخر حتى أتال بعض حقوقى عن طريق الوساطة والرشوة. ومن بين هؤلاء المتعصين كان المتسولون يحصلون على هبات الخدمة ويحاولون الشهرة المريعة. وحيث إنهم كانوا يرون أمثالهم قد صاروا إلى مصاف العظماء عن طريق الدعاوى الباطلة، وأن كبار القوم يحسونهم شيئاً لحيانة أعراسهم، ولا يذهبون إلى دار القضاء. وهناك أيضاً جماعة يذهبون إلى دار القضاء مصطربين، فبأحنون شيئاً. ولقد فكر هؤلاء في أنفسهم أيضاً قائلين: حيث إننا لا نستطيع أن نحصل درهماً واحداً في كل يوم مع ما يستعمله من حيل كثيرة ومشقات بالغة، ليس هناك أحصل من هذه المهنة وهذه الصعقة. وبهذه على هذا سلك الجميع هذا المسلك، فاحتفظ بعضهم بقبالاتهم القديمة، وصار البعض الآخر ينفذ إلى جانب غيره يؤيده بالرفاحة والسعادة، وآخرون يتفقون مع شخص يستطيع تقليد أنواع المخطوط المشابهة لمخطوط الآخرين ويمررون القبالات المسجلة، ويعاون أحدهم الآخر في هذا السيل. هذا على حين أن هناك طائفة أخرى راحت تقلد المنشورات الصادرة عن السلاطين السالميين، وكذلك القبالات القديمة المكتوبة بمخطوط مجهولة، والتي مر عليها مائة وخمسون سنة. ولو لم يكن للقبالة شاهد عدل، فإن كل واحد [ص ٤٥٠] من هذه

الجماعة، كان يذهب إلى المحكمة في حماية رجل مقول أو واحد من أصحاب العهود وبارع الناس وإذا لم يصدر القضاة حكمهم في مثل هذه القضايا، فإنهم يلزمون الصمت مراعاة لمصلحتهم الشخصية، ولا يتلقون بكلمة الحق، ويلعبون الحكيم سراً على لسان أعوان المجلس قائلين: إن هذه الجماعة باطشة أيديهم، ولا يستطيع أن نجيب إجابة صريحة. وهكذا كانوا يصون يومهم بهذه الطريقة. وفي مقابل ذلك كانوا يأخذون شيئاً. وإذا هذه القضية كانت مثل الطاحون كلما راد دورانها تصير أحدهم ولقوى. وقد وصل الأمر إلى حد أن ظهرت في البلاد دعاوى كثيرة باطلة لا تعد ولا تحصى.

وعندما كان المدعى بالباطل يحتسب بأحد أصحاب الأيدي القوية فإن المدعى عليه المسكين والمالك الحقيقي للعقار يضطر إلى الاستعانة بحماية رجل آخر من دوى السلطان خوفاً على ماله وعرضه، فيستعج ذلك بالضرورة أن يشب الراع وتسود الخصومة بين الشخصين القويين. وهذه طليعة الرمان منذ قدم الأيام أن يستعمل السيف من أجل المحافظة على الملك. وقد بلغ الشؤم بهؤلاء القوم إلى حد أن أكثر دوى العهود شرعوا هم الآخرون يبارع الواحد منهم الآخر، وبشيت بينهم الخصومات مما يؤدي إلى استعمال السيف وكان أكثر تلك المزارعات يحدث بوجه خاص إذا ما باع المصصب القرية - التي يبادلونها عشرة آلاف دينار وهي ملك لصاحبها الحقيقي - لأحد دوى العهود بثلاثين أو مائة دينار دعوى. وقد استقر في ذهنه أن هذه القرية كانت ملكاً له. وهي الآن على حد قوله "في حيازتي". كذلك راح بعض خطباء القرى وغيرهم يؤيدونه جهلاً ومروقاً، ويقولون: "إن هذا البيع صحيح والقرية ملك خاص لك".

وحيث إن للعول على خلاف ما كانوا عليه في العهود السابقة قد ظهرت فيهم رغبة اقتناء الأملاك، واشتد سعيهم في هذا السبيل فأدى الأمر إلى أن برزت مشكلة الأملاك دفعة واحدة، وصارت في مقدمة القضايا المقلقة، وأصبح جميع الناس غير أمسي على أعراسهم وأرواحهم، وعجز القضاة المتدبسون من أعمال تلك الفئة من المفسدين المزورين ولم تكن لهم قدرة على تدارك تلك الأوضاع. فعصروا دائماً بالنمسون الخلاص [ص ٤٥١] من حضرة الحق تعالى.

فكما وصل العهد المبارك لسلطان الإسلام محمد سلطانه وشاهد ذلك الأسلوب المذموم، فكر في تداركه، فأصدر مرماتاً، وكلف نقلة الأعبار الثقافات بأن يذهبوا إلى كل

ولاية أيسا يوجد أى مزور، يظهر فيها تزويره، ولا يدعون الآخرون يعملون على إحصاء هؤلاء المزورين أو حمايتهم، وطلب في الحال استعاء هؤلاء الذين انتصحت أسرارهم فعاقبهم بعد ثبوت جرهم.

وبهذه الطريقة اكتشف كثير من محاولات التزوير والمقالات الكاذبة التي كانوا قد حرروها، وأعدم هؤلاء المزورون طبقاً لعدل وإنصاف سلطان العالم غاران خان خلد سلطانه. وهذا هو معنى الحكاية التي كتبها عن السلطان ملكشاه، ومصوبها هو عدم الاستماع للدعوى التي مر عليها ثلاثون عامًا.

وفي عهد هولاكو خان شرح له الوزراء الشاريف هذا الوصف. وبهاء على ذلك صدر مرسوم في هذا الشأن. ولقد استمر العمل بهذا المرسوم في عهود أباقاخان وأرعون خان وجيخانو خان. ولكن لم يظهر أثر بخصوص تنفيذه، وذلك لسبب

السبب الأول أن هناك شروطاً كثيرة شرعية وعقلية وعربية لها أهميتها في هذا الشأن لم تذكر في تلك الأحكام. وحيث إنهم بخصوص القبلات القديمة بصوا بصورة مطلقة - على عدم سماع الدعوى التي مر عليها ثلاثون سنة، فإن ذلك لم يكن أمراً مشروعاً بمعنى مهملاً.

السبب الثاني - هو أن أحكام المرسوم يبنى أن يتفحصا الحكام والأئمة ولما كان أغلبهم يريدون شراء أملاك كثيرة بأسعار زهيدة، لم يكن ينسى لهم ذلك إلا بهذه الطريقة. وإذا فكيف كان يمكنهم تنفيذ نص ذلك المرسوم؟ لقد كان من الطبيعي أن يهملوا هذه الأحكام رغم أنهم أقروها.

وعندما أراد سلطان الإسلام خلد ملكه أن يوقع ذلك المرسوم أمر بتحرير صورة منه بالتفاني ومشورة القضاة الكبار والعلماء المطاحل ذوي الكفاءة. ولقد كتب نص ذلك المرسوم المرحوم مولانا فخر الدين قاضي هراة الذي كان من محبوا العلماء والمضلاء المشهورين في عصره، [٤٥٢هـ] والذي كان يتحلى بمهون الكمالات، والمشار إليه باللسان وقاضي لقضاة عصره، ووحيد دهره في الإنشاء. كتب هذا العالم صورة ذلك المرسوم بحيث يكون مشتملاً على عدة قيود وشروط يبنى مراعاتها في هذا الباب. ولقد نفذ المرسوم على هذا النحو

كذلك صدر الأمر بأن يتخذ منصب القضاء في كافة البلاد من طبق الوضع والشريف على أحيته واستعمله مباشرة هذا العمل الخطير. كذلك قرر لوزاء القضاة مرتبات بحرية كي يقموا بها ولا يأخذوا شيئاً فعد من أحد لأى سبب من الأسباب، وأصدر السلطان مرسوماً شمل كل باب من أنواع الاحتياطات ثم أرسل إلى الجهات المختصة بمجموعة القوانين التي اتفق الأئمة على صحتها. وإن كل مصوع تلك المجموعة من القوانين بالإضافة إلى بعض ذلك الرسوم كُتبت في الفصل السابق، وليست هناك حاجة تدعو إلى تكرارها.

## المكايمة السادسة عشرة

### فى إبطال الميازاة والنصب وإزالة أنواع المصادر

#### حكايات عن وقائع الأفعال وظلم حكام الولايات

بذكر ها على سبيل الإجمال بعضاً من الحكايات والأحوال، وبسبب كيف أن الجبابة فى كل ولاية كانوا يحصلون أسوأ الدواوين ومستحقاته وما أكثر أنواعها. كما يذكر طرفاً من سوء تدبير الوزراء، وقسوة الظلم والجور التى كانوا يتعمدونها وسيلة لتخريب البلاد، وإفقار الرعايا كى يتشبعوا وينفقوا، ولئن جالغ فى هذا الموضوع؛ لأن القراء يعرفون أن النظام كانت تجرى أضعافاً مضاعفة عما كانت عليه من قبل. ولكن الناس فيما بعد سوف يتمتعون بالرفاهية والراحة بسبب عدل وإنصاف سلطان الإسلام - خلد سلطانه - ويسون أيضاً تلك المنافع والشفقات. أما الأطفال والأشخاص الذين يأتون بعد هذا، ولم يكونوا قد رأوا ذلك الظلم والجور، فلا يد أنهم يتصورون أن تلك الأمور قد كتبت على سبيل المبالغة والتهويل. ولهذا السبب نوحى حديثنا عن هذا الموضوع فيما يلى:

[ص ٤٥٣] لقد وقف سلطان العالم على أحوال العراق المعجمى وأذربيجان والولايات التى كانت نجى منها الضرائب، وتسد حقوق الديوان. وبسبب نسي ها كيف كان الخلل قد تطرق قبل هذا إلى هذا النظام، وعلى أى نحو تداركه السلطان وأصلحه.

وتفصيل ذلك أنهم كانوا يقطعون الحكام هذه الولايات، ويربطون على كل واحد منهم مبلغاً معيناً، يحصلونه منه فكان الحاكم يستغل هذه الفرصة، ويحصل الضرائب من الرعية عشر مرات فى سنة واحدة. وفى بعض المواضع عشرين وثلاثين مرة. وقرار الحاكم فى هذا الشأن هو أن يخصى الضرائب التى دخلت فى حوزته. وعندما يجيء رسول إلى الولاية من أجل إنجاز مهمة كلف بها أو للمطالبة بمال أو للحصول على ما يلزم، كان يتخذ ذلك ذريعة، ويتهربها فرصة. وكلما كان الرسل يصلون بكثرة، وكانت عقاباتهم وطلباتهم لا جد لها، كان الحاكم يهرج بوصولهم، ويأخذ فى تقسيم الضرائب وتخصيلها وفق هواه مرة باسم إنجازات المهمات، ومرة باسم العلف والمؤن وسفاد النفقات، ومرة باسم

التعهدات وإجابة اللتسمات وكان يعق بعضها من إيجار المصالح، ويعطى الشحن والكتاب بعضاً آخر، ليصيروا أعواناً وشهود رور له. ورغم المبالغ الكثيرة التي كانوا يأخذونها من الرعية، لا يرسلون قسماً منها مطلقاً إلى الخزانة.

على هذا النحو صارت أموال الولايات تنفذ، وتضيق باسم العنقات المقررة وبعض الخوالات. وفي خراسان كان قد بقي من تلك الخوالات شان أو عشر. وكان الرسل وأصحاب الخوالات يلجأون إلى القديوان، وفي أيديهم الخوالات، فيجيبهم للمستولون: "إن المال موجود في الولايات، فكيف لا يسلم إلى أصحابه؟" ثم يؤكّدون ذلك بحتم الخوالات مجدداً بالحتم الأحمر (الكتمعا) كي تصرف لهم حقوقهم بسرعة، فيذهب هؤلاء إلى الحاكم مرة ثانية، ويترتب على ذلك تحمل عقبات أخرى، فيتخذ الحاكم من ذلك دربعة، ويفرض على الرعية ضرائب جديدة. وكان الحاكم يقول للرعابا: "أنتم ترون أن رسلاً عديدين قدموا إلى هنا. وإذا لم تكن هناك عقبات ولوازم معدة لهم، فإنه لا يمكن إجابتهم إلى مطالبهم. ولم يكن أي مخلوق يجرؤ على أن يقول له: يعني أن تعطيا أموالهم [ص ٤٥٤]. لو أن يقول إنك قد أخذت أول العام ضرائب مصاعمة وبلدتها، إذ ورعت أربعة أسداس منها فيما يسكن، وأبقيت سدس لعنقات الرسل. وفي النهاية يعودون بغير شيء. وهكذا ظلوا يترددون مرات عديدة إلى أن صارت تلك الخوالات في أيديهم أوزقاً بالية. وأخيراً يقطع الأمل في صرف قيمتها، وتظل سوات عديدة في محامطهم وحقائبهم

وحرباً على المعتاد لم يكن أي مخلوق يعرف على الإطلاق ما هي حقيقة المبالغ التي تدفعها كل ولاية، ولا الجهة التي يمكن تحرير الخوالات إليها حتى يحصل قيمتها. وكانوا يحررون الخوالات المتتابة إلى الأطراف حسب الطلب.

ولما كان الروراء والشواب يعلمون علم اليقين أن المبالغ لن تصل، ظلوا يماطلون ويسوفون، ويمنون الناس بقصد جذب قلوبهم قائلين: "إننا نكتب هذه الخوالات مرهافة لخطركم. وبهذه الألاعيب كانوا يصرفونهم راضين مبرورين. ولم يسمر هذا الوضع عن نتيجة سوى خراب الولاية. وخلال ذلك يجد النائب والوزير مبرراً لاستغلال الموقف ليعرضان على حضرة السلطان قائلين: إن الجهة كثيرون في الولاية. ويجب أن يزودوا



الخزائن بقسط من الأموال. وفي الحال يستصفون مرسومًا مصمونه أنه على كافة أرباب الحوالات ألا يدفعوا شيئًا إلا كما وكذا من النفقات، وتلك المبالغ المعبودة التي تخص تقديم هبات وعطايا للوزير والثائب، وهذا للحكام، وهذه يبيع وصولها.

بعد ذلك كان الحاكم يكتب رسالة يقول فيها: حيث إننا منعا الجباة من التصرف في الأموال، يبيع أن تصل النفقات الخاصة بسرعة من الولايات. وبهذه الحيلة كان يأخذ تلك الهدايا نقدًا. وكذلك كان الوزير يتواطأ مع حكام الولايات. وإذا لم ير الحاكم التأشير على الحوالة أو الرسالة، فإنه يمنع عن دفع تلك الأموال. ومرة ثانية كان الرسل والجباة يعودون حيارى. ومرة ثالثة كان الوزير يمن عليهم وعلى الأمراء [ص ٤٥٥]، ويكتب من جديد رسالة يبيِّن خلالها أن مصلحة الوزير قد أبحرت وأن عرصه قد تحققت.

ولما حكام الولايات فتتبعه لتواطئهم مع الوزير ومراعاة لحظاته نجروا واشتد بطشهم وضادوا في ممارسة أنواع الظلم والعلو في الاعتناء وكان يضيع هدرًا كل سنة جبراء أو ثلاثة من مجموع الضرائب ورسوم التمتع في المدينة لسد نفقات الرسل والوفاء بالتزاماتهم. وكان الناس يتعجبون هذا التصرف ويقولون: لماذا يمنع الحاكم عن صرف رسوم الدفعة النقدية لمستحقيها، هذا على حين أنه يمنعها في مثل هذا المراء؟ ولكنهم في عقله عن هذا الأمر وهو أن الحاكم قد اختار تلك الطريقة بسبب سوء فعله، ولكن يستطيع بهذه الحجة أن يأخذ أضعاف تلك النفقات ومسلبيها. وعند تصفية الحساب يوفد اثنين أو ثلاثة من المدبوس من أجل نفقات الرسل. وبهذه الحجة لا تصل حقوق الدهبوان. وفي الحقيقة لم يكن يصل على الإطلاق من تلك الولايات إلى الخزنة دنانير ذهبي واحد. وكذلك الحال بالنسبة إلى النفقات المقررة التي أنفقت من أصل الحوالات، فإنهم لم يدفعوا منها دينار من عشرة دنانير. ولم يكن أحد مطلقًا يرى التمتع<sup>(١)</sup> يباشر عمله؛ لأنه كان دائمًا هاربًا، أو أنه وقع أسيرًا في أيدي الجباة يُضرب بالعصا ولهذا كان بقدر ما يستطيع يرسل أشخاصًا في الخفاء يدفعون ليلًا إلى منازل المراهبا كالتفاسيس ليستوفوا رسوم الدفعة من الناس

(١) التمتع للكلب بوضع الدفعة

وبحكم الضرورة كان يرضى بأن يحصل منهم نصف الرسوم المقررة يقدمونه له حصة. ولما السب كانت رسوم الخدمة تهبط وتتناقص، وما كان يحصل منها يصرف لسد نفقات العلف لدواب الرسل. هذا على حين أن خدمهم كانوا ملازمين لهم كظلمهم ويحصلون منهم على نصيبهم. وحيث إن النقود لم تكن تصل إلى الجميع، كان هؤلاء الخدم يتشاجرون فيما بينهم فمن كان أكثر قوة، فاز بالنصيب الأكبر. وأما أجور العمال والنفقات المقررة للولاية مما يمكن أن يتوقف عليه عمرانها، وبدونها لا يسير شئون الملك، فإنه بسبب تأمر الحكام كان يزيد أعلوها على أصل المال المقرر، ورغم هذا لم يعطوا مخلوقاً قط دانقاً واحداً.

وفي أول العام يحتجون بأنهم ينادرون بإعداد أموال الخزنة. ولكنهم بعد ذلك كانوا يقولون [ص ٤٥٦] إنها سلتعها وقت الرخاء. ولما كان الرسل والمحصلون الكثيرون الذين لم تكن أمورهم قد أتجرت بعد، يحضرون دائماً، كان الحاكم يتحمل الأعداد ويقول: إن أفواجا عديدة من الرسل ملازمون لي. ويبيعون تجارتهم فبيل غيرهم أما أبواب الأجر والرسوم والصدقات وغيرهم، فإنهم يقصون الوقت من أول السنة إلى آخرها في المماطلة من جانب المسئولين والتسوية إلى اليوم والعد. وهكذا كان هؤلاء الضحايا يجلسون عرايا جوعاً أما الأشخاص الأكثر نشاطاً فقد التجلوا إلى بواب الحاكم ومزيد من الإلحاح والتوسط يبيعون نصيبهم الواحد بنصف شه. وفي المقابل يشترون البضائع بمحضى شه بحيث إن حقوقهم هي النهاية تصل إليهم بمشقة بالغة ويألف حيلة إلى ربع ما كانوا يستحقون ومن أتاحت له هذه الفرصة، كان يعتبر نفسه عصوا فعلاً وسعيداً أما الآخرون فيبقون محرومين حرماناً تاماً يحصلون رملاتهم المخطوطين وإذا استطاع أحد الخروميين أن يصل بمشقة بالغة إلى بلاط السلطان لعرض شكواه، فإنه كان يأخذ رسالة من الدهوان الأعظم مصمومة كما يقول المسئولون: إنها قد قررها صرف مستحقته قبل الجميع، فلم تصل إليه!؟ وما يتحمل الحاكم عنراً قاتلاً. إن على الولاية أموالاً متأخرة، ولما لم أصرف له حقوقه، وسوف أحرر له رسالة تسلمها، فكان ذلك المسكين يأخذ الحواطة مضطرباً بالقباق المتأخرة ولما كان الحاكم قد استوفى الأموال الطائلة - التي سبق ذكرها -

بالريادة، كيف تكون لديه بقايا؟ وتلك البقايا التي كانت متأخرة إما هي من الصرائب الإصافية التي فرضوها على الرعايا. وهناك بعض الرعايا الذين لم تكن لهم طاقة على سداد الضرائب المتكررة، فيضطرون إلى ترك قراصم ومساكنهم وبهرون، أو إذا كان هناك أشخاص ذوو نفوذ أو حثية، فإنهم يساتون في سداد المبالغ الإصافية، وهؤلاء كانوا يرضونهم بقولهم، لن نطالبكم بسداد هذا القسط الأخير، لو إنا سوف نخفف لكم نصف المطلوب. وكان المحصل والكتاب قد سجل في السجل مجموع الأقساط على الرضخ من أن المقرر شخصه لا يمد على صرية واحدة. [ص ٤٥٧] ونظراً لأن آخرين قد سدّدوا وبعضاً لم يسدّدوا، أو دفعوا أقل من المطلوب، يتبقى شيء من القسط الأخير، سموه "البقايا". ولما كان المحصل والكتاب شريكين في إصافة تلك الأقساط المتكررة واختلاصها، كانا يسجلانها، ويشهدان على صحة ما كتبا شهادة عامة.

وإذا ما سأل الحاكم نائب أو وزير خاتلاً: هل هذا الباقي من أصل المال، لو أنه من الإصافات التي أصبتها؟ يتّ حقيقة الأمر. ولكن حيث إن الثواب والوراء يعرفون هذه الحقيقة، وهي أنهم يتقاضون من الحكام تلك الإصافات كنوع من الجملة، كانت تقصر الستهم وهكذا فإن هذه التصرفات التي شرحناها كان يقدم عليها كل واحد من الورياء السابقين. لكن هذا الأسلوب كان حرفة "صدر الدين الجلاوي"<sup>(١)</sup> وصنعه. فقد اكتسب مهارة فائقة في ذلك التفتليس بحيث إنه أوصل الفساد والجور إلى عان السماء، وألحق الضرر البالغ بكل شئون المملكة والإدارة. وفي عهده لم يتطلع أى مخلوق أن يحصل على قيمة حوالة من الحوالات من إحدى الولايات، ولم يمل حقه أى مستحق لأجر أو رسوم ذلك أن كل الحوالات الصادرة عنه كانت محض تضليل وغشاع. وكثير من الفقراء والمستحقين والشيوخ الذين كان يتاح لهم الوصول إليه، كان يمرر للواحد منهم حوالة

(١) صدر الدين "جلاوي" هو صدر الدين أحمد الخليلي القرغاني وزير جيهان محمد خان (٦٩٠ - ٦٩٤ هـ/١٢٩١ - ١٢٩٤ م)

(١٢٩٤ م) وقد نتج سلطان باستمال هذا النوع من الصلة الورقية (چاق) بدلاً من التعامل بالذهب والفضة وذلك لتبريع الأئمة المالية التي حلت بالبلاد. ولكن ثبت فشل هذا النظام فشلاً مريعاً ففرض الخلاء والعمدة إلى التعامل بالذهب والفضة ولهذا لقب الوزير بـ "جلاوي" على سبيل السخرية والاستهزاء. انظر كتاب الشرق الإسلامي ص ٢١٠ وما بعدها

يبلغ خمسمائة دينار بناء على التماس لو غيره من وسائل التلذذ والإلحاح. ولأن هذا الشخص الفقير لم يكن قد رأى مطلقاً آتية<sup>(١)</sup>، كان يسمى ذلك سحابة، ويهرح لذلك أشد العرج. وعندما كان يذهب لطلب هذا المبلغ كان يفكر في نفسه قائلاً: إن لي خمسمائة دينار، فلأقترض الآن مائة دينار أتفقهها في التفتل وإنجاز المصالح وما يلزم من نفقات الطريق. وبعد أداء قيمة الفرض، يتبقى لي أربعمائة دينار. وعلى هذا الأمل، كان يتردد كثيراً لتحصيل هذا المبلغ، وينسى أنه شح لا طائل وراءه. وما كان يحبه من وراء ذلك هو أنه كان يتعلم عمل السعاة والجبلة والمهاري؛ غير أن كل هذه المحاولات لم تحقق له أية فائدة. وعاقبة الأمر أن المقترض كان يهرب من هذا البلد.

ولا شك أنه نتيجة لسوء التدبير والتخمين جلا أكثر الرعايا في البلاد عن وطنهم، وألقوا بيوتهم في بلاد أخرى عريية. وبهذا خلت المدن والقرى من السكان، وبقيت خاوية على عروشها [ص ٤٥٨]. وإذا ذهب رسول لإحصاء الغنائم وجمعهم، فإنه كان يهرل بهم كثيراً من المشقة ويأخذ عليهم تعهداً بسداد أضعاف المصروفات المقررة عليهم. ورغم هذا لم يكن هم مبلٍ مطلقاً في العودة إلى بلادهم، وكانوا يفرحون بها أشد الفرح. ورغم محاولات العنيد من الرسل الذين يذهبون في أوقات مختلفة إلى الأطراف لجمع الغنائم لم يستطيعوا حمل واحد من الرعية على العودة إلى مقره. وأما أولئك الذين كانوا قد بقوا في مدنهم، فقد سدوا أبواب منازلهم بالحجارة، وصيغروا مداخلها. وكانوا يروحون ويحيثون عن طريق أسطح منازلهم، ويهربون خوفاً من الجبلة. وعندما يذهب هؤلاء الجبلة إلى منازل الرعايا، يبحثون عن أحد الأشتياء المحتالين الذين لهم إحاطة تامة بعاوين المساكن. وبإرشاده كان مراقبو الجبلة يسمعون الناس من الأرقعة والسراديب والحقائق والأماكن الخربة. وإذا لم يستطيعوا إلقاء القبض على الرجال، فإنهم كانوا يحتفلون ساهمهم ويسوقونهم كقطعان الغنم من محلة إلى أخرى، ويلقبون بهم أسام الجبلة. وكانوا يلقونهم من أرجلهم، وكثيراً ما شوهد الجاني يصعد سطح المنزل، حتى إذا ما وجد صاحبه جرى وراءه إلى أن يلقى القبض عليه. فكان الرجل يهرب على غير هدى يندفع المعجر الشديد والبؤس الذي لا حد له

(١) حلة صغيرة

يلقى بنفسه من سطح المنزل إلى الأرض، فكان يدركه الحاصل ويمسك بتلابيه، وتأخذه الشفقة عليه والراقة به؛ فيستعمله ويستحلفه ألا يلقى بنفسه من فوق السطح حتى لا يهلك ولكن حيث إن الزمام قد أخلت، والفرصة قد ضاعت، يكون قد سقط بالفعل وكسرت رجله.

من حملة هذه الولايات التي تعرضت لهذه المأساة ولاية برد<sup>(١)</sup> التي آل أمرها إلى حد أنه إذا تحول شخص في كل فراخه، فإنه قطعاً لن يرى فيها مخلوقاً يتحدث إليه أو يسأله عن الأحوال. أما الأشخاص المفلوجون الذين بقوا فيها، فقد عيوا لهم حارساً حتى إذا رأى أحداً من بعدهم، أخطر الباقي، فيختصمون جميعاً في المقتات ويسكن الرمال. [ص ٤٥٩]

وكل واحد من أكابر الملاك يملك أملاكاً في برد، إذا ما ذهب إلى هناك، وأراد أن يتقدها، لا يرى أحداً من فلاحيه، حتى يسأله عن أحوال بساتينه وأين توجد وفي أكثر المدن خشية أن يزل الرسل في منازل السكان كان هؤلاء يعملون أنفاقاً تحت الأرض لها ممرات صيقة ومتعرجة بحيث تجعل الرسل لا يسيرون إليها ولا يرجعون في ولوجها. وقد أقدم السكان على ذلك؛ لأن الرسل إذا زلوا داراً، كانوا فصللاً عن سزيي السجديد وثياب النوم، وتحطيم أدوات المنزل، أو استعمالها استعمالاً سيئاً، يحملون معها كل ما أرادوا، أو يسرقها خدمهم. وإذا كان رب البيت قد جمع قليلاً من القوت والنفقات والأحطاب، فإنهم كانوا يستولون على هذه الأشياء، كما كانوا يستعملون الأبواب لنوقود، فيحرقونها بدلاً من الحطب. وهكذا صاروا يهربون كل ما تقع عليه أيديهم.

(١) يدعى رشيد الذي اختبأ في ولاية برد لما فشل على تربطه الشديد بهذا البلد إذ تروى القصص أنه كان يملك في برد أملاكاً وحباً وحباً وحباً وحباً، ولقد اكتفى منها على أعمال الفلاحة والبر والحجر كذلك استقدم عنده من الفلاحين من أمثال برد عن قم غيره وتجربة في أعمال الزراعة والفلاحة ليمسوا في صياحه وأمره بالراحة في تيريز وفي ملزمة هذا كله كانت تربطه صلة مصاهرة ونسب بعض الشخصيات المرموقة في هذه المدينة.

لكل هذه الاعتبارات كان رشيد الذي اختبأ في برد على القوت على حثيثة الإصرار في ولاية برد وأنظر مجموعة خطابه الذي غمض في برد رشيد الذي حصل له حلفتي. مقال الأستاذ أريج افشار بعنوان رشيد الذي حصل له وزر، ص ٢٥ - ٣٦، طهران ١٣٥٠ هـ.ش.

ومن جملة ما سمع أن أحد أئمة يزد، كان يمتلك منزلاً في هذه المدينة. وفي شهر سنة خمس وتسعين وستمائة (١٢٩٥هـ/١٩٠٥م) رل في هذا المنزل سلطان شاه بن نوروز على أنه رسول، وكانت معه والدته وأتباعه. وكان ذلك في عهد عظمة أبيه نوروز. وقد أقاموا هناك أربعة أشهر. وبعد أن استولوا على الأمتعة الثمينة ولم يتركوا منها شيئاً يذكر، ورحلوا باليمس والبركة، حضر مشعو العفارات في المدينة، وسلخوا سبل الاحتياط في تحديد نفس محتويات الدار التي بلغت قيمتها خمسي ألف دينار. وكانت قد أحرقت أبواب المنزل التي هي في غاية اللطف والأناقة، والتي كان يقدر شها بما يردد على ألسني دينار. كما غربت أماكن أخرى.

إذا كان - على هذا السؤال - حال دار رجل معصم يتولى منصب الإفتاء في المدينة وينتمي إلى هيئة القضاء فإنه يمكن أن نفس على ذلك كيف تكون أحوال الأهالي والأفراد والرعابا؟! إن الأمر الذي لا شك فيه أنه لن يكون للسادة والأكابر والأصاغر من الرعابا قضية أصعب وأعقد من هذه [ص ٤٦٠] وبحجة إبعاد الرسل كانوا يسلمون الآلاف العديدة من الساجيد وثياب النوم وتطور طهي الطعام والأواني وأدوات اللبس، ويسوقون الدواب إلى بساتيتهم وكانوا يخربون في يوم واحد الحدائق التي كان أصحابها قد عمروها بمائة ألف مشقة خلال مدة تزيد على عشر سنوات. وإذا تصادف أن كانت هناك قساة في ذلك البستان وسقطت فيها دابة يمتلكونها، كانوا يعقلون صاحب البستان، ويقطعون الأشجار في الشتاء للتدخلة وإذا رأوا شجرة باسقة في إحدى الحدائق، فإن الحكام والأشداء يقطعونها بحجة أنها تصلح لصنع رماح الجند. وفي بعض الولايات كان هناك كثرة حاكمة من الجبهة والغلمان وساداتهم من القواد، وهؤلاء يكونون في الحقيقة صعب عدد أفراد السكان.

وقد ذكر أنه في سنة إحدى وتسعين وستمائة (١٢٩١هـ/١٩٠١م) كان عليخواجه بن عمر شاه السمرقندي حاكماً على ولاية يزد، فذهب أحد الملاك إلى قرية تدعى "فيروزآباد"، وهي من أهم وأعظم القرى هناك كي يحصل شيئاً من عراند ملكه الذي كان يمتلكه. ومهما سعى هذا الرجل في سبيل ذلك ثلاثة أيام بلياليها، لم يستطع العثور على أي مخلوق قط من الأعوان. هذا على حين أنه قد أقام في القرية صبعة عشر من المحصلين

وأصحاب الخوالات. وقد قبضوا على أحد الحراس وأشين من السكان من الصحراء وأحضرهم إلى القرية، وقبضهم بالقبال، وصاروا يضربونهم، وذلك كي يمحسروا الآخرين، وحتى يمحسروا على طعام لهم. ولكن لم يتيسر لهم ذلك مطلقاً. وكان من اللازم بجمع هؤلاء المحصلين وأتباعهم المحصول على الطلف واللؤن والشراب والسراري ويمكن أن يقس على هذه التصرفات. كيف كانت أنواع المظلم الأخرى. وبهذه التكمير في أن هذه البدع الكثيرة والرسوم السيئة التي أصبحت بمرور الأيام عادة أهل السوء كيف يمكن تداركها في وقت قصير؟ خصوصاً وأنهم في كل زمن أرسلوا للرئيس إلى الأشراف بمحسوس استمالة الرعايا، [ص ٤٦٩] ودفع بعض الظلم عنهم. ولكن لم يعمل بها في أي وقت، وبسبب منها كلفة الخلق.

وفي هذا الوقت الذي يمثل العهد المبارك لسلطان الإسلام غازان خان حشد الله سلطانه، وأدام عدله وإحسانه. وجه رأيه للبارك الذي هو محض العدل والخير، وصرف كل همته إلى تدارك الخلل الذي كان قد تطرق إلى شئون الملك، والقضاء نهائياً على البدع والمعاصد. وقد سعى سعيًا جدياً في سبيل أن يعيش الناس دائماً في راحة تامة، وصرح بأن العائدة من حاصل عمر المرء في الدنيا إنما تكون في تحقيق هذه الأمور، وألزم نفسه أن يجد ويبتعد إلى أقصى حد في هذا المجال لتدارك هذه العلوب المذكورة في الولايات التي تقع الصرايب، وقال في هذا الصدد. في الوقت الذي فسدت فيه القوانين، تعطلت السياسة وتطرق إليها خلل بالغ، فيبدي البدء بتنظيم الأمور الصغيرة قبل أي شيء آخر حتى يعرف أهل العالم أن المؤاخدة والعقوبة إذا وقعت بسبب الأمور البسيطة فإن العقاب على الكبائر يكون بالضرورة أصحافاً مصاعفة. وهذا من شأنه أن يرغم الناس على أن يكفوا أيديهم عن ارتكاب هذه المخالفات. وقال أيضاً: إن أساس كل عمل، وأصل الوصول إلى كل غرض هو المحافظة على كل الجزئيات داخله؛ لأن المسئولين إذا تداركوا تلك الجزئيات واحدة فواحدة إلى أن تستقيم واحدة منها، ثم شغلوا بإصلاح جارية أخرى، فإن ما تم إصلاحه أول الأمر قد يمتلئ مرة أخرى، ويحتاج لإصلاحه. ثم أضاف السلطان قائلاً: إن قومًا تعودوا على طريقة ما رمتها طويلاً، وصارت طبيعة لهم، يصعب جداً منهم من انتهاز هذا السلوك، وانتزاع تلك العادة من طبيعتهم. كما أن الحكام المستبدين الذين اعتادوا في هذه

الأموال الإسراف في الجور على الرعايا والاستيلاء على الأموال مضاعفة، ولا يعطون الديوان شيئاً منها قط. وكل سنة يخالون إلى المقاصة والمحاكمة، ويرشون ويقصون فترة من الزمن في احتلال الحكامات العبدية. وإذا قتل أيضاً مصر من هؤلاء يظن الأعزرون أن قصايهم وقعت صدقة، ولا يحسرون ويتعظون، بل يقولون: إن الشخص الفلاني لم يساعدهم وبهتتم بهم. وإلا ولو كان ما وقع من أجل المال والرقابة عليه، لكان يلزم اتخاذ هذا الإجراء [ص ٤٦٢] مع العديد من الأتوم الأخرى

وصورة القول أنا إذا عاقبا نصف هذه الجماعة، فليس من الممكن أن يرتدع الآخرون فيكموا أيديهم عن الظلم والاعتداء، ويظل الرعايا على هذا النحو في عذاب دائم، ولا تصل أموال قط إلى الحرية والحد. وإذا فالمصلحة تقتضي أن نضكر في طريقة تكف بهائياً أهدى حكام الولايات عن التصرف في الأموال، حتى لا يجلوا بالطبع سفناً إلى التعدي تحت أية حجة أو ذريعة، فيكون مثلهم مثل الثعلب الذي قال سوف أحصل نفسي من الكلب بألف حيلة وحيلة. ولكن أصلها هي ألا أراه ولا يراني. وإذا فالأصل أيضاً في هذه القصة هو ألا يستطيع متصرفو الولايات تحرير حوالة على الرعية ولو بدانيق ذهبي واحد.

وبناء على هذا أمر السلطان عثمان خان بأن يذهب كاتب نشيط إلى كل ولاية، ويكتب بالتفصيل مجموع المناطق التي تصمها تلك الولاية قرية قرية، وأن يقرر الضرائب بالتساوي بموجب الحسابات السابقة، ولا يتقيد بالريادة والقصص. وعلى هذا النحو يعمل حتى يصبح الرعايا مرفهين هاتين. كذلك أمر السلطان بأن يتحصن الكتاب كل أملاك الخاصة (البحر) والأوقاف والملاك الذين كانت في حوزتهم هذه الأملاك دون مزارع منذ ثلاثين سنة، ويكتبوها موصفاً بها أسماء الحكام ويثبتوها في سجلات القوانين؛ حتى إذا صاحت قبالة من أحد الأشخاص، أو أراد شخص آخر أن يستولى عليها فإنه يمكن الرجوع إلى تلك السجلات، والالتزام بما هو مدون بها. وبهذا لا يبقى لأى مخلوق مجال للتفليس أو التعدي. وعلى هذا ذهب الكتاب إلى البلاد حسب الأوامر الصادرة إليهم. ورمع أن الرجال انوثق بهم نماناً والصالحين قليلون فقد سعى هؤلاء الكتاب بقدر المستطاع، ودونوا قوانين الولايات وأحصروها. وبعد ذلك أمر بالآل يؤشر مطلقاً أى ملك أو حاكم أو كاتب بقلمه



على ورقة لتحرير حوالة وإذا كُتبت حوالة فإن الحاكم الذى أدن بكتابتها، يقتل وتقطع يد الكاتب الذى حررها، حتى يراء الكتاب الآخرون، فبأخذوا من ذلك العظة والعبرة كذلك عين لكل ولاية كاتباً يكون ملازماً لها للديوان الأعظم. وفى أول العام يكتب الحوالات الموجهة حسب ما نص عليه القانون، قرية فقرية [ص ٤٦٣] مع ذكر الأسماء والتفاصيل الأخرى اللازمة. ثم يؤخر عليها مواب الديوان الأعظم، ويؤكلونها بالحقم الرسمى للدولة أى الحقم الدعى (التون ضعا). وبعد ذلك ترسل إلى الولاية كى يسدها الرعية على فسطح مع العشر ونصف العشر وحق الخزانة، وأتعاب جاني الضرائب الذى يصب فى كل ولاية. وهو الذى يصرف لأصحاب الحوالات بعضاً مما حصله نقداً بموجب الحوالات المختومة بالحقم الرسمى للدولة (التون ضعا)، ويرسل الباقي إلى الخزانة العامة، ويسلمه للخزنة مع سداد رسوم الخزانة وإذا حل الجاني أو الرئيس الأموال أحياناً إلى ملترى الضريبة، فإن عليه أن يسلمها نقداً مع عشر ونصف عشر الدينق، ويبلغ عى مائة دينار نصف دينار رسوماً للخزانة، وإلا فإن هؤلاء الجباة يحضرون المال نقداً، ويسلمونه للخزنة مع رسوم الخزنة.

وأمر السلطان كذلك بأنه إذا ما سدد الرعايا الضريبة نقداً ذهباً فإنه لا يجوز للجباة أن يستبدلوا به بصاعة عسبة، ولو بدينار واحد. وإذا جاء أحدهم بصاعة بدل النقد، فإن عليه أن يحضرها إلى السوق ويبيعها، ويأتى بشحها نقداً إلى الخزنة. وعلى المسئولين أن يدفعوا أموال المرتبات والرسوم والنفقات المقررة للمعمول بها فى كل مكان، ولا ينقص منها دائق واحد؛ حتى يقوم الرعايا كلهم بالدعاء للدولة الخالدة. وبموجب الحوالات المقيمة بالحقم الرسمى للدولة، وأتى ثَمَم من ها إلى الولايات، يقف جميعهم على الرسوم المستحقة عليهم، ويعرفون أنه لا ينهى دفع ريادة ولو بمقدار دائق واحد. كما يكتبون إلى رجال القانون مستعربين عن حملة استحقاقاتهم، وكيف حسبت لهم.

ولما بعد هذا الحكم الذى يقضى بالآ يكتب الحكام الحوالات، على ملك "روداور" من أعمال همدان أن هذا الحكم مثل الأحكام السابقة فأجار للكاتب أن يكتب عدة حوالات على الولاية، فصدر الحكم بقتله وبقطع يد الكاتب. وعندما علم الكاتب بمسير الرسول لتعميد هذه اللمعة الخطيرة لاذ بالفرار. وبعد ثلاث سوات، توفي فى المكان الذى كان قد

هرب إليه. وبعد مدة قبضوا على كاتب في دهليز، وقطعوا يده. كذلك قبضوا على بقال من الشخصيات المرموقة في همدان، كان قد حول لحسابه مئتين من السماق مفصلاً نفسه على شريكه، [ص ٤٦٤] وصدر الأمر بقتله، فتشجع له الكثيرون، وخفف عنه الحكم بالإعدام واكتفى بجلده مائة وعشرين جلدة، ودفع غرامة قدرها ألف دينار.

وهي الأوبة الأخيرة كانوا يأتون بالعميلة من الهند، حتى إذا بلغوا همدان، حل الشتاء، ولم يكن يوجد علف. فقال الحكام هناك: يجب الحصول على العلف من البساتين. فلما بلغ هذا الرأي السمع الأشرف لغاران، قال: إنا نوفر العلف للعميلة، ونرصد مبرانية لذلك وإذن فكيف يؤخذ من بساتين الناس؟! فليشترأ بها وجد، وإذا لم يوجد فكيف يستأجر الحصول عليه من البساتين؟! ومهما يكن من أمر فلتسأج هذه المرة. أما إذا أقدم المستولون بعد ذلك على مثل هذا التصرف فسوف يعاقبهم.

وحملة القول أنه خلال هذه السنوات لم يبق هناك مجال لأى مخلوق في كل الولايات كفى يكتب حوالة بمن من تيسر أو حجة من ذهب. وبذلك سُدَّ طريق كتابة الحوالات نهائيًا. وهي العام المأصبي تيسر أن الحكام لم يجرؤوا على إشاعة شيء على المبالغ المقررة؛ لذلك ورع الرؤساء والعمد في القرى الريادات فيما يسهم ومن الطبيعي أنه إذا علم كل واحد من الرعايا المبلغ المقرر عليه، فإنه لا يدفع شيئاً ريادة على المطلوب. وكذلك لا يستطيع المستولون معاملة الغرباء وغيرهم ممن لم ترد أسماؤهم في السجلات بسداد مبالغ فقط.

وبسبب هذه الإصلاحات شغل جميع الرعايا بالدعاء لدولة سلطان الإسلام - حلد سلطانه - وعاد المظليون إلى مقارهم دون أن يسعى أحد في طلبهم. وقد ترتب على هذا أيضاً أن المنزل الذي كان شمه مائة دينار، صار لا يباع الآن بألف دينار. وقد توافرت أموال كل الولايات من مسكوكات "دار الصرب". وهي كل سنة يوافي بها المستولون الخزانة مرتين أو ثلاث مرات دون إبداء عنبر أو تعطيل كما يشاهد ذلك أهل العالم وخلال هذه السنوات المعنودة لم تصدر مطلقاً إلى أية ولاية حوالة ينادى من ذهب أو "تعار" من غلة، أو حمل حمار من تيسر أو خروف أو من من شراب أو هدية أو حرير أو ذخيرة أو متونة [ص ٤٦٥] كما لم يؤخذ شيء من هذه الولايات.

وقد منح الحق تعالى البركة في الأموال وحقوق الديوان؛ بحيث إنه مهما أمر السلطان بالإعفاق على الجند، وإحابة المحتاجين إلى ملتصاتهم، والإنعام على المقرصين، وسداد نفقات كل طائفة، تكون كلها نفقاً من الخزانة ولم يصادف في أي وقت أن تكون الخزانة خالية من الذهب والفضة. وإنه معلوم وواضح من السجلات القديمة والجديدة أنه لم يصرف في أي عهد و زمان هذا القدر من الذهب والفضة والياب الذي يأمر به ويسحه في كل عام السلطان غازان. حطد سلطانه كما أن هذا القدر من الأموال لم ينفقه الآخرون خلال خمسة أعوام. والخزانة لا تزال باقية ومليئة بالذهب والفضة وأموال الولايات. ونيل هذا لوحظ أيضاً أنه على الرغم من أن الحكام لم يعطوا أحداً شيئاً بموجب الحوالات والتراخيص؛ فإنهم في نهاية العام كانوا يكتفون كشفاً بالحساب. يبين أن الأموال كلها قد صرفت وكان الواحد منهم يحصل على مبالغ أخرى بمصافية.

أما في هذا الوقت، فإنه يمس عاطفة السلطان حطد سلطانه وحسن تدبيره، عمرت للمالك، وبقي في عهدة حكام الولايات وهو زيادة في المبالغ كما أن علة العام الماضي لا تزال جملتها موجودة في المحارن حتى لا يرغم الناس على شرائها قسراً ولا يسعى التسرع في بيع المصنوع الذي يصبح كل عام ولما ما كان غير ناصح من الغلال فإنهم كانوا يحصلون عليه بمجرد دفع العربون. والآن تتوفر للديوان كل سنة زيادة في الغلال الموجودة في المخازن.

بعد ذلك صرح سلطان الإسلام قائلًا: حيث إننا قررنا هذه التدابير، وكفنا أهدى الحكام عن تحرير الحوالات، وعلم الرعايا بالتفصيل القدر المعتبر لحقوقهم، صارت تلك القاعدة مقررة ومعتمدة، وسهل على الرعية إلى أقصى حد أداء ما هو مقرر عليهم، وصاروا يؤدونه برغبة تامة.

وما يسعى التكثير فيه هو أنه في الوضع الثاني بقيت هذه القاعدة مصبوبة ومستحكمة ومستمرة لا يتطرق إليها وهي بسبب الانقلابات وكثرة الاضطرابات ووقوع الحوادث والوقائع التي تحدث في العالم؛ إذ إنه يتوافر هذه الأمور لا تدعو الحاجة إلى كتابة كل هذه الحوالات الصادرة عن الديوان الأعظم، والمطلوبة بأموال الولايات على وجه السرعة، أو يتواسى السواب ووزراء العهد عن ضبط هذه المسائل، مما أدون للحكام [ص ٤٦٦] بتحرير

الحالات، ويصل المستقرون الهازون للفرص إلى مقصودهم، ويسلطون أيدي التطاول  
باعتدب الرعايا من جراء ذلك، ولا يكون هناك مجال للسؤال والجواب، وتبطل هذه  
القاعدة الحميدة التي أسكن إرساؤها بمشقة بالعة. وبهذا يخرب للعالم مرة أخرى، وتتبدد  
أموال الخزانة، ونفقات مؤد الجيش.

وحيث إن السعادة حلت بها، وكانت عونًا لنا، وصار التوفيق حليفاً أسد إليها الحق  
تعالى أمور السلطنة، ومحام القوة والقدرة. فيسمى مداومة السعي، وبذل الجهود الجبارة  
ونجس الإهمال والمهمل، وبذلك تنوط هذه الصوابط والقواعد، وتصير ثابتة ومؤكدة  
بمثبت إنه لا يمكن أن يتطرق إليها بأى وجه من الوجوه أى تعير أو تبدل  
باء على هذا أمر السلطان بأن يكتب مرسوم مصاح فى عبارة واحدة، وغفط صورة  
مه فى كل ولاية. وهكذا يعملون حتى تكون الأحكام واضحة ومعينة لدى الجميع كبيرهم  
وصغيرهم.

وهذا هو نص المرسوم تذكره على النحو الآتى:

نص

**المرسوم الخاص بدخول الولايات الذى يكتبه الديوان  
بالنص، ثم يقوم بتوزيعه، ويقضى بأن يكتب الملوك  
وهكام الولايات هوالات بتاتا**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**فرمان السلطان محمود غازان**

ليعلم حياة الصرائب والملوك والسواب والحكام والقضاة والسادات والأئمة والعلمور  
وملائك الأراسى والأعيان والوجوه والرؤساء والعلماء وعموم الرعايا وأهالى المدن والبلاد  
من صفاة بهر جيجون إلى غمورم الشام والإفرنج أن كل همتنا وتفكيرنا ونظركا كان

موقوفاً على أن تكون هذه الأيام الملعونة من العهد المبارك لسلطاننا سائرة بمقتضى نص الآية. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾<sup>(١)</sup>، وبموجب قوله تعالى أَيْضاً، ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾<sup>(٢)</sup>، منهضاً لإزالة أنواع الظلم (ص ٤٦٧) والتعدي والجور واستبعاد المستعدين والظالمين الذين اعتادوا ذلك بمرور الزمن حسب حقوى الآية الكريمة: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، فجعلوا دماء المسلمين وأموالهم رزقاً وطعمة لهم، فعلياً أن نقضى على ذلك قضاء سريعاً بحيث لا يطمع بعدها أحد في الرجوع إلى عادة طمعه وحياته الأولى، فرتبنا وسقنا شئون الملك، وديرنا الأمور بحيث تعود هوائها عاجلاً أو آجلاً إلى كلمة خلق الله تعالى، وتكون سبباً لرفاهيتهم وراحتهم، وحتى يحصل لنا ببركة ذلك حسن السمعة في الدنيا والآخرة. وذلك بموجب قوله (صلى الله عليه وسلم) "من سب سعة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها"<sup>(٤)</sup>؛ إذ قد تحقق لدينا أنه لا توجد فائدة في العالم أعظم من العمل بمقتضى قول النبي ﷺ: "عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة" فلا يمكن الحصول على زاد للأخرة لفصل من هذا الوجه.

والآن قد تحقق وتبين لأهل العالم أنه يتوفيق الحق تعالى، وعملاً بما جاء في الحديث النبوي الشريف "أحب الناس إلى الله تعالى وأقربهم إليه السلطان للعدل، وأبعدهم إليه وأبعدهم عنه السلطان الجائر"<sup>(٥)</sup>، قد خرج ذلك إلى حيز التعبد ويقتدر الوسع والإمكان

(١) الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَا ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ بِطَرَفَيْهِمْ﴾ (سورة النحل، آية ٩٠).

(٢) الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبِيعُوا بَيْنَ الْأَرْضِ فَاذْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَمْ يَخْلُفْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا سَوَّاءُ بِرُوحِ الْحِسَابِ﴾ (سورة، آية ٢٦).

(٣) الآية: ﴿وَكُنْتُمْ مَا لَمْ تَحْسَبُوا أَنَّ قُرْبَىٰ وَيَدْرُوكُ أُولَئِكَ أَقَالُ مَتَرَوْهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (سورة الزخرف، آية ٢٣).

(٤) ورد في مسلم بحاشية "من سب في الإسلام سنة حسنة" (باب تركة ص ٦٩) وباب العلم ص ١٥٥ النسائي. (باب تركة ص ١٦٤ ابن ماجه، للقسطنطيني ص ١٤).

(٥) ورد هذا الحديث في كتاب سنن الترمذي على هذا النحو: "أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم منه مجلساً إمام جائر" (سنن الترمذي، وهو الجامع الصحيح للإمام أبي حمزة بن أبي حمزة، ج ٢، ص ٣٩٤، حققه وصححه عبد الرحمن بن محمد عثمان، لكتبة المطبعة بطون تاريخ).

لمكن تدارك بعض تلك المظالم والاعتداءات التي كانت مستمرة قبل هذا. وقد تمعّن شرح وتفصيل ذلك على حدة:

من جملة هذه الإصلاحات تعيّن وتقرير أموال وأحوال الممالك وإزالة الجبارة، والقضاء على المضاربات، وإلغاء الضرائب الاستثنائية وأنواع المحجوزات الديونية، ومع تحصيل نفقات توفير المظف لدواب الجبلة والرسل الذين كانوا يوفدون تبعاً إلى كل ولاية جمع الأموال. وكانت تصرفاتهم سيّئاً رئيساً فيما لحق بالرعايا من أنواع المشقات والتخريب

من أجل هذا أرسلنا الكتاب إلى كل الممالك، كي يكتسب بالتفصيل أسماء الولايات والواحي والقرى، ويحدّدوا ما عليها من الأموال والضرائب؛ بحيث يكون جميع الخلق مستريح من ذلك الإصلاح، وشاكراً راضياً؛ إذ إنه قبل هذا كان المستبدون والظالمون يأخذون أصعاف تلك الأموال باسم الإتاوات والضرائب الاستثنائية والمؤن وأموال أخرى كثيرة؛ بحيث إننا لو رحنا نكتبها، فإن الشرح يطول ؟ [ص ٤٦٨] ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن أكثر العمال وكذلك الأراذل والقواد كان يسلون الأموال ولا تعود عائلة تذكر على الديوان وبيت المال، بل كان ذلك يؤدى إلى الخلل وحراب الملك وتبديد المال ثم إن الأشخاص الذين كانوا يقولون لموال الديوان وفق نظام الإقطاع والضمان، وعرضهم أن يصيروا ملائكة يفعلون ما يريدون، فكانوا يستولون على أصعاف أموال الإقطاعية، ولا يؤدون جزءاً منها إلى الديوان ولهذا السبب لم تكن هناك أموال للإملاك منها على تجهيز الجيش والحفاظ على الثغور وإبرام مصالح الملك، فكانت الضرورة تدعو إلى مصادرة الأموال وعرض ضرائب استثنائية على كافة الناس، وإرغامهم على تقديم إعانات.

وهذا السبب كان للملك دافعاً وكذلك للولايات والرعايا في رغبة وعدم استقرار وتعب ومشقة، والجيش بلا متونة وضعيف الحال. أما الآن فقد تسرّ بمعرفة الحق تعالى وامتسح الجهل كي بدون كل القواعد والقوانين بالتفصيل عن أكثر مواضع الممالك قرية، بقرية، بصورة لم يسبق لها مثيل مطلقاً في أى عهد، ولم يجمع نظيرها من السجلات والكتب. كذلك قررت أموال تلك المواضع ورصدت. ولو أنه لا يستطيع أى شخص مطلقاً أن يأتى بما يساوى هذه الجهودات وذلك بسبب عدم الإطلاع عند بعضهم، وبذم الأعراس والمطامع عند البعض الآخر. وفلما يوجد الشخص الذى لا تكون فيه هذه

الصعات اللعينة. ولكن القوانين دوت بقدر ما نسر ثم عرصت عليا. وإذا كان فيما عرص قد حدث تعاوت فاحش أو سهو واصح من أحد الأشخاص، فإن سواب الديوان الأعظم قد تداركوه. وأكثر المواضيع الديوانية التي تقتضيها المصلحة وتوجبها الضرورة قد سمحت للعاملين من القضاة والمرارعين ورجال القانون، بشروط مؤيدة مخلدة وموشحة بالتوفيعات الديوانية، ومهجورة بحتما للرسمي للدولة كي يتصرفوا بموجبها، ويؤدوا حقوق الديوان سنة بسنة

وحيث إنه قد رالت أنواع الظلم والاعتداء والصرائب الاستثنائية والأعباء الديوانية التي كانت موجودة قبل هذا، فإن ما وقع من تعاوت وسهو لم يقم له وزن بالنسبة إلى النظام والأصرار التي كانت موجودة سابقاً. وعلى هذا لم يصاب الناس الواحد منهم الآخر. [ص ٤٦٩] وصار جميع الخلق شاكرين واصين مادحين. وقد تخلصوا من متاعب الحياة والاستيلاء والصرائب الاستثنائية والأعباء الديوانية التي يكثُر عندها ويطول شرحها. أما الأشخاص الذين كانوا لا يخشون الله وللمارقي وقصار النظر فلكن تكف أيديهم عن تخريب الحوالات التي يستعملونها هي جذب أموال الناس وامتصاص دمائهم أرمًا - بخصوص تلك الأموال العسلة والمقررة على كل موضع بموجب القانون - بالأ يتدخل الحكام والولاة في الولايات هي كل ما يتعلق بشئون الحوالات حتى تقصر أيديهم نهائياً عن تخريبها ومعهم من يصدر التراخيص وبهذا الإحراء لعل أيدي المستبدين وقواد الجيش الكثيرين الذين يريد عددهم على عدد الرعايا هم يدفعون الصرائب. ولما كانت عوائلهم وأقواتهم من دماء وأموال الرعايا العاجزين الذين يصدق عليهم قوله تعالى ﴿وإن يسلبهم الديار شيئاً لا يستقلوهه﴾<sup>(١)</sup> وكانوا لا يتخرجون من أكل ذلك المال المحرام ومن الضروري كذلك أن يراول هؤلاء أعمالاً من قبيل التجارة والفلاحة ورعاية البساتين وأنواع التعمير من أجل الحصول على رزق حلال، وهم بهذه الأعمال الشرعية والبررى الحلال يكفون عن العادات السيئة. وإذا ما اتصرفوا عاينين أو ثلاثة عن الأعمال السيئة إلى الأعمال الصالحة، فإنهم يسون تلك العادات والتصرفات والمحركات المدمومة، وتسود العالم

(١) الآية تنص عليها ﴿بأيها الناس صرب مثل غاصصوا له إن الذي تفعون من دون الله لن يظفوا دناباً ومو اجتماعاً له وإن يسلبهم الديار شيئاً لا يستقلوهه منه صعب الطلب والمطوب﴾ (سورة الحج، آية ٢٣).

قواعد وبظم جديدة؛ ذلك أن الانظام عن المؤلف أمر صعب. ومهما فكرنا فيه لا يمكن تداركه إلا بهذه الطريقة لا بالسيف والصرب والرجز والحس. وكان الحكام والمستبدون في الولايات قد اعتادوا أيضاً أنه في حالة ما إذا منح سلطان الرمال شخصاً قريباً أو موضعاً على سبيل الإدارة أو التعطف أو الإقطاع أو الخيرات أو لمبات والإتاومات أو أنه أوقف وقفاً، أو أن إحدى اخواته أو واحداً من الأمراء الأتباع والأمراء قد حصى شخصاً وأقطعهم موضعاً، ولم يؤد حقوق الديوان، أو تصادف أن خرجت قرية فإن هؤلاء يتخذون ذلك ذريعة لمرص أصعاف العنقات [ص ٤٧٠] المطلوبة للديوان الأعظم، ويسجلونها في الحسابات، ويستولون عليها لأنفسهم. وإذا لم يكن لسواب الديوان الرئيسى علم تفصيلي بالمخدمات اللازمة لكل موضع، فكيف يعرفون ما يذعيه الحكام في تقاريرهم وبياناتهم؟ كذلك الناس كانت هم مأرب خاصة صاروا يدفعون الحكام كى يشهدوا زوراً، وبهذه الوسيلة كانوا يبددون مبالغ طائلة من النقد العبي.

أما الآن فلأنه وردت تقارير وتفصيلات عن كل موضع بموجب قانون الديوان الأعظم لم يبق بعد مجال لأى شخص كى شتد يده إلى مثل هذا التحويل والتحليل، وتكون أيضاً مثل هذه الأمور المذكورة وغيرها سهلة وواضحة لدى ملوك العصر ووابدهم، ولا يستطيع أى شخص فى عهدهم أن يظلم غيره أو يشق عليه؛ إذ إن قواعد ذلك القانون مفصلة والإحصاءات المالية واضحة بينة لدى العقلاء والمطلعين، وتؤدى إلى الغرض المطلوب. وإذا لم يست هناك حاجة تدعو إلى التطويل والإسهاب فى شرحها وبيانها

ولما صار التوفيق حليفاً، وبحسب التجربة، وتحقق أن القانون قد بعد فى كل موضع وتيسر لهذا السبب غمير الحوالات بالتفصيل وصدورها عن الديوان الأعظم، مختومة بالختم الذهبى الرسمى للدولة. وقد ظهرت شرة ذلك؛ إذ استراح الرعايا، وعمرت البلاد وتحقق سر محوى الآية الكريمة: ﴿وترى الأرض هائمة وإذا أتربا عليه الماء اهتزت وربت وأثبتت من كل روج بهيج﴾<sup>١١</sup>. ولم يبق مجال لأى مستبد انتهارى كى يتصرف فى دائق

(١) الآية تنسبها «أما الناس إن كنتم فى ريب من قبلنا خلقناكم من تراب ثم من حطلة ثم من علقه ثم من صفة علقه وغير خلقه ليس لكم وهر فى الأرحام ما مشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم نعيدكم لكم وندعكم من بعد علم شياً وترى الأرض اهتزت وربت وأثبتت من كل روج بهيج» (سورة الحج، آية ٥)



دهي لو من واحد من الثمر. وقد علم رعايا كل قرية وموضع، مقدار المال المقرر عليهم وكل شخص يأخذ منهم ما يريد عليه، يكون صالحاً عديم الإنصاف. ولا سد له وعلاف حكم للرسوم وإجازة الديوان الرئيسي الذي لا يجي فائدة تذكر من ذلك الصلال وتلك الرهانة، ولا يشتر بعبطة وعلى الرعية أيضاً ألا يطعموا أوامر الظالمين، ويسندوا ما تقرر عليهم فقط بموجب الحوالات المختومة بالختم الذهبي الرسمي للدولة. ثم يعود مجموع ذلك النقد إلى الخزنة والجيش وبيت المال.

وفي هذا الوقت فكرنا قائلين: "حيث إن المرص من هذا التدبير والترتيب هو رعاية الخلق وويل الثواب، كان عليها أن تسعى بقدر ما نستطيع حتى تصير تلك القاعدة أكثر استحكاماً وثباتاً، فيرداد ثواب تلك الإصلاحات، ويستمر بقاؤها مدة أطول. [ص ٤٧١] ومع أننا قد حسبنا في كل ولاية كائناً في الديوان الأعظم لتحرير الحوالات المفصلة؛ وذلك حتى يقوم الثواب بتوضيح الحوالات المكتوبة بالتأثيرات النديانية، ويختصمها بحسب الذهبي فإن وصح الإشارات على الحوالات وحتماً يحتاج إلى وقت وتفرغ تام. وقد لا تيسر كتابة عدد وغير من الحوالات المفصلة، والتأثير عليها وحتماً بسبب تبدل الرماح والانتقالات وإبرام الأمور الضرورية للملك والنفور والاضطرابات والشقاق التي لا يمكن أن تخلو منها عالم الكون والعساد. وحيث إنه من المتوقع أن يتطرق إليها عائق أو يحدث إهمال، تدعو الضرورة لهذا السبب - إلى أن نكتب الحوالات المقررة على الولايات بصورة مجملة فيفسح المجال بهذا مرة أخرى - للاستهازيين ليكتبوا الحوالات ويعتمد إليها أيديهم ويتجرأون ويغريبون العالم بنص الطريقة، وجرئاً على المادة القديمة. وبهذا يلحق الكساد بيت المال على نحو ما كان عليه الحال سابقاً، ويعد ما فيه من نقد، ويؤجل أيضاً تدبير العقبات المقررة للبلاد التي يصرف منها على صروب الإصلاحات من قبل تشييد العمارات وتنفيذ المشروعات، وتوفير النسخ والإعانات والصدقات وغيرها بحجة أن الأموال لا تصل مطلقاً إلى الخزانة، ويسوقون أعداداً أخرى وحكايات مقعة جرئاً على عاداتهم. وبهذه الدرهم يمضون وقتهم سنة بعد سنة، ويمتد الجميع محرومين. ويترتب على هذا أن يظل هذه القاعدة التي كان قد مهد لها حلال مدة طويلة وبجهود بالغة؛ فكان أن استراح أهل العالم لهذا السبب. أما هؤلاء الاستهازيون فإبهم يحرصون على الظلم ويتجرأون ويسخرون

الرعايا العاجزين. ومرة أخرى تصدر تدارك الأمر، فتكسد كل الأموال والمعاملات وتستهلك، ويروى الحق على النحو الذى كان سائداً حتى الآن. ومن الطبيعي ألا يكون هذا الوصف ملائماً للحول المعصر ولا الجسد ولا الرعية. وقد فكرنا فى تدارك هذا الأمر فقررنا بموجب القانون ما على الولايات قرية قرية وموصعاً موصعاً، وذلك بالتفصيل والنظم. ثم أمرنا بجمع كل السجلات الخاصة بالولايات وإيداعها المكتبة الملحقة بالقبة والخانقاه وأبواب البر التي أقامها فى تبرير. وقد أودعت لدى المسئولين الثقات، وصلى الرسوم بالمحافظة عليها، وخصصنا للمكتبة وفقاً لما جاء فى شروط الوقفية. كذلك كتبت "وثيقة اللعة" نص فيها على لعة كل من يطل ما جاء فى هذه السجلات [ص ٤٧٢] التى يرجع إليها فى كل مشكلة تقع بعد ذلك وإذا ما فقدت نسخة أو لائحة كانت قد أعطيت لأحد الأشخاص، فإنه يرود بسحة أخرى من المكتبة؛ حتى يحصل بذلك الثواب. وقد أودعنا نسخة منها فى الديوان الأعظم، وواحدة مثلها فى كل ولاية. وتوجد بصوص النوائح والقواصى فى يد القضاة والملاك والرعايا كذلك أمرنا بكتابة هذه البيانات على النحو الذى قرر فى كل قرية وموصع على رقعة أو حجر أو صحيفة من الحاش أو الحديد حسب رغبة الأهالى، وذلك بأن يمشوها عليها. وإذا رغبوا، فلهم أن يكتبوها بالحصى المغمور، ويعلقوها على باب القرية أو المسجد أو المئذنة والمواضع الأخرى التى يقع عليها اختيارهم وتعلق هذه البيانات لليهود والنصارى على أبواب معابدهم، وفى القرى والمواضع التى يربطونها كذلك تقام لسكان البادية فى المواضع التى يرونها صالحة لذلك. أما المبالغ المقررة على الولايات، فتعلن بياناتها للأهالى دون زيادة أو نقصان بحضور القضاة والسادات والأئمة والعدول والإكابر فى المدينة، وتُلزم كل واحد من السكان فى كل قرية وموضع بأن يسدد سريعاً الأموال والرسوم وعق كل قائمة مطلة فى تلك الولايات، وذلك خلال عشرين يوماً. وكل ذلك بموجب القانون على النحو الذى سبق ذكره. ثم كتبت هذه القوائم بالحصى والسماير فى المواضع المختلعة؛ بحيث تبقى سنوات عديدة، لا يغيرها أو يبدلها أى مخلوق على أن يخصص موضع لبيان الأموال العيبة، وكذلك البصائع المقررة ومقدارها؛ بحيث يكون سند كل قسم من تلك الأقسام فى الوعد المحدد. كذلك نُغني رسوم الدفعة كى تسجل على اللوح وفى كل قسم من تلك الأقسام المسجلة

على اللوح، تكتب له مسودة الرسوم على ظهر هذا اللوح حتى يُعرف أن كل قسم خاص بالأموال المختلفة في الولايات المشابهة مقس ومعين وعلى أي نحو يجب أن يكتب، ثم يحدد موعد سداد كل نوع، وكيف يكون الإبداء والتسليم. ويبيّن أن يسجل كل قسم على لوح على نحو ما هو مذكور في المسودة [ص ٤٧٣] كي يتخذ وجوه القوم من الرؤساء والرعايا في كل قرية أماكنهم في موعد الموسم المعين، فيحصرّون إلى الميدان؛ إذ إن المقرر أن يقم المحصل خيمة وسط المدينة. وبعد بداية الموعد المحدد حتى اليوم الذي تنتهي فيه المهلة يقدّ القليل خمس مرات كل يوم ثم يستدعي موظف الخريبة والمستول عنها الذي عيّن في كل ولاية كي تسلّم له الأموال كلها أو بعضها. وقطعاً لا يتفصّل المحصل من أي موضع شيئاً آخر باسم المؤن أو الخدعة وغير ذلك. كما لا يرسل المستولون الخوالات من الديوان بأي وجه من الوجوه، ولا أي محصل إلى أي موضع أو ولاية. وإذا أعمل الرئيس والرعايا ونهاوينا، ولم يسلموا أموال الضرائب في الموعد المحدد، فإن المحصل يقيص عليهم ويأخذ منهم ديناراً واحداً عن كل مائة دينار من أصل الضرائب المقررة. وكل من يقصر في هذا الشأن يجلد سبعين جلدة إلى أن ينقضي هذه القاعدة مصبوطة وعكيفة، وتعم فائدتها الخاص والعام، وحتى لا يقع بسبب الإهمال والتعامل والجهل عدد من الناس مرة أخرى فريسة جور المستبدّين والمارقين والذين لا يتشؤون بهم.

والآن حيث إن مواعيد جمع الأموال العبية والمحاصيل قرّرت وحددت بمقتضى القانون المؤيد المخلّد على النحو الذي سبق شرحه فما يترتبها وتعيّنها على هذا النسق:

موعد سداد الضرائب العبية لكل ولاية تختلف أقسامها كي يكتب كل قسم معيّن منها على الأنواع في موضع خاص بذلك النوع الذي صار مقسماً، والممولون يستجيّبون لهذا النظام، ويسددون ما عليهم على النحو التالي:

١. الضرائب والرسوم التي يدفعها الرعايا من سكان القرى. وقد جرت العادة على أن يؤدوها على قسطين كل سنة.

٢. من حملة الرسوم السوية التي تقررت لكل موضع اشترط أن يؤدى نصفها من بداية حلول "الزورور الجلالى"<sup>(١)</sup>. وتستمر هذه المهلة عشرين يوماً بالكامل. أما النصف الآخر

(١) الزورور الجلالى نسبة إلى السلطان جلال الدين ملك شاه السلجوقي. يقول ابن الأثير في دبل حوادث سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٩م. "منها جمع نظام تلك السلطان ملكشاه جماعة من أملاك النجس، وجعلوا الزورور أول نقطة =

فيؤدي ابتداء من طلوع الشمس في أول برج الميزان، وتستمر هذه المهلة عشرين يوماً بالكامل.

### [ص ١٧٤]

٣ الصرائب والرسوم التي يدفعها سكان الصحراء التي جرت العادة على أن يستجيبوا لدفعها مرة واحدة في أول العام.

٤ حراج المال الذي كان مقررًا من قديم أن يدفع كضريبة عينية، تقرر سداده مرة واحدة في أول السنة من بداية (الزورور الجلال). وتستمر المهلة عشرين يوماً

٥ حراج الصرائب العينية تقرر أن تسدد في بعض المواقف مثل بغداد وغيرها وقت حصاد المحاصيل الصيفية.

٦ رسوم الدفعة بموجب ما تقرر أن تسددها كل ولاية على حدة. ويكون هذا مائياً لها، وذلك على النحو المكتوب على ظهر المشور الذي يوضع على باب كل موضع خاص بالدفعة حتى تسلم على لقساط وفق هذا الترتيب. وليس لأي محتلو أن يحدث بدعة أو يصيف رسماً جديداً، ولا يأخذ الجباة حاليًا أكثر من الرسوم المقررة بحجة أنهم أصافوا ربادة جديدة على الدفعة، كما لا يحدث رسماً جديداً

٧ موعد وكيفية تسلم وتسليم أنواع المحاصيل الخاصة بالمناطق الحارة والمناطق الباردة من صيفية وشتوية، وبعضها خاص بالصحراء التي ليس فيها صيف؛ وشروط ذلك على هذا النسق والنموذج المسجل والمشرح.

٨ الاتفاقيات الخاصة بالولايات الواقعة في المناطق الحارة من شتوية وصيفية وذلك على النحو الآتي:

---

« من الحمل، وكان الزورور قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار ما على السلطان مبدأ الظواهر. (الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ١٢٦، القطعة الأرمينية، تحقيق الشيخ عبد القريب النجار، القاهرة ١٣٤٨ هـ) وما هو جدير بالذكر أن شاعر الغراميات القانع الصبغت عبر الخيام كان من بين العلماء الذين عهد إليهم بوضع هذه الظواهر. (انظر برنود، تاريخ الأدب في إيران من القرموسى إلى السعدى، نقله إلى العربية الدكتور إبراهيم لصي، الشواري، ص ٢٢٦).

أ الشئونة: من القمع والشعر وغيرهما وكل ما تقرر لكل موضع من المواضع المشاة وهذه المحاصيل يجب نقلها على الدواب من أول الشهر إلى آخره من شهر إلى آخره، وتسلم للصراف وأقصى مهلة لتسليمها عشرون يوماً.

ب الصيفية من الأصناف المشاة بموجب القانون. ومن المقرر أن تنقل في شهر...<sup>(١)</sup> على الدواب إلى المحرن المعين في تلك المنطقة؛ حيث تسلم للصراف. وأقصى مدة لتسليمها عشرون يوماً.

٩ الاتفاقيات الخاصة بالولايات الواقعة في المناطق الباردة، ولها محاصيل صيفية، وتلك التي ليس لها محاصيل صيفية، فهي لا شك تدرج ضمن المحاصيل الشتوية بحسب، بموجب ما قرره القانون. وذلك على النحو الآتي:

### [ص ٤٧٥]

أ الشئونة: بموجب ما قرره القانون. فعلى المزارعين بعد حصاد محاصيلهم أن ينقلوها في شهر...<sup>(٢)</sup> بالتمام والكمال بدوابهم إلى المحرن المعين في تلك المنطقة، وذلك خلال مهلة أقصاها عشرون يوماً.

ب الصيفية بموجب ما قرره القانون. فعلى المزارعين بعد حصاد محاصيلهم أن ينقلوها في شهر...<sup>(٣)</sup> بالتمام والكمال بدوابهم إلى المحرن المعين في تلك المنطقة، وذلك خلال مهلة أقصاها عشرون يوماً وهكذا يكون الوضع في كل ولاية منح فيها الخواتم والأمرات والأحكام والأمرات وأراضي ومسارح أو إقطاعات أقطعت للجند. وكذلك ما أعطيها بمقتضى الرسائل والمراسم والإعانات، وما أعطي على سبيل الإحسان والإعانات والمبات والصدقات لتكون تحت تصرف كل شخص وبمقتضى القانون، عليهم أن يصعدوا لوحاً في كل موضع كفي لا يستطيع الحماية المذكورون أن يأخذوا - وفق أهولهم - زيادة على حقوق الديون، وأيضاً لا يتحمل أهالي ذلك الوضع مشقة تذكر ذلك أن عدل الملك يعني أن يكون كالشمس تسطع في كل مكان، وتعلو رؤوس أهل العالم.

(١)، (٢)، (٣) مكناني للنس

## (بيت من الشعر العربي في الأصل):

كالشمس في كبد السماء وصورتها يحشى للبلاد مشارقاً ومعارفها

وحيث إن المرص من هذه الجهود في العهد المبارك للسلطان كان رعاية الخلق، وضبط شئون الجسد، والمحافظة على الثمور، وترويح أسواق الغرامة وبيت المال، ودفع المفسدين والنصوص والانتهازيين أثبت التجربة أن الرعايا صاروا راضين ومستريحين وداعمين بالخير وقد نظمت هذه الأمور التي سبق ذكرها على هذا الوجه؛ بحيث إن ما يحصل الآن من الأموال صار أصناف ما كان يحصل سابقاً إلى خرائس آباءنا، ولم تعد هناك حاجة إلى المصادر والتشدد في المطالبة.

ومن المؤكد أن هذه الإنجازات التي مر ذكرها تكون ساسية لجميع السلاطين الذين اتبعوا بالعدل، ودوى الرأي السديد والتدبير الحكيم وكذلك بالنسبة إلى الأمراء والوزراء والواب الأماء المشفقين والأحكام المحكمين في كل عصر و زمان كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١)</sup>. «ما كان حليفاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء. وهدى ورحمة لقوم يؤمنون»<sup>(٢)</sup>. أما إذا ما تخاوروا ذلك، فإنه يصير موجبا لسوء سمعتهم، وإنزال العقاب بهم. وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَمِى وَرَدَهُ ذَلِكَ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾<sup>(٣)</sup>؛ فلا عرو أن صار الخير العام والترتيب والضبط مبادئ جارية وسائدة [ص ٤٧٦] وبسبب ذلك أيضاً عاش الرعايا وكافة الخلق في رعاية وأصبحت الأموال مقررة ومعينة وإذا استساغ طائفاً أيضاً أن يفر ويبدل، فإن عليه أن يخشى آلام القلب وتأنيب الصمير، والتنشيع عليه، وتفجع الخلائق منه؛ إذ إنه لا يتصور أن تكون هناك عاقبة أو غم وجحيم، أشد إيلاماً من ذلك. «وسيعلم الذين ظلموا أي مقلب يقبلون»<sup>(٤)</sup> كذلك لا يرضح أهل العالم لشل هذا التصرف، ويتلون قوله تعالى:

(١) الآية بتدويرها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ (سورة الزمر، آية ٢١).  
فراء مصر: ثم يحكى سلطاناً إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب (سورة الزمر، آية ٢١).

(٢) الآية بتدويرها ﴿لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكَ خُلَافَاءُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ (سورة يوسف، آية ١١١).  
وتفصيل كل شيء. وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (سورة يوسف، آية ١١١).

(٣) سورة المؤمنون، آية ٧. وقد وردت أيضاً في سورة العنكبوت، آية ٢١.

(٤) سورة الشعراء، آية ٢٢٢.

﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾<sup>(١)</sup>. فلا جرم أن كل شخص يعبر ويدل يكون مستحقاً للغة الخالق، وسخط الخلاق. ﴿فمن بدل به بعد ما سمعه فإسنه على الدين يبدلوه إن الله سميع عليم﴾<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا النوال أصدرنا مرسومًا إلى الملك وأرسلناه إلى ولاية<sup>(٣)</sup> حتى تكتب نسخ من كل قسم من الأقسام المتعلقة بالأموال والمعاملات في تلك الولاية على النحو المعين، وعلى المسئولين أن يسجلوا مسودة كل منها على ظهر المرسوم. ثم يكتب على اللوح ذلك القسم المناسب لتلك الولاية كما تم شرحه، ويجز ذلك بسرعة وكل من يقصر في ذلك يكون آثمًا

كتب هذا النشور في أواسط شهر الله الأحسم "رجب" سنة ثلاث وسبعمئة (١٣٠٣هـ/١٩٠٣م) في مقام لولجانهو "بهرق" بهولان موراد. والحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله.

وأما عن تلك الولايات التي تجبى منها حقوق ورسوم الديوان من المحاصيل الزراعية ولفقود العبيد، فإن أكثرها كان يحصل بالحيازة والجزة، وكان هناك محال واسع في هذا الباب لأهواء الحكام والعمال ولتصرص في الأموال. وكانوا قد أخذوا رسومًا وقواعد في كل عهد، وعيوا عمالًا كثيرين بأسماء مختلفة. وفي أكثر السنوات كانوا يطالبون بالأموال قبل حلول ليلهاد المحدد لتحصيلها. وعند وضع التسعيرة كانوا يشقون ويثقلون على الرعايا والمزارعين إلى أقصى حد؛ بحيث إن أنواع تلك المظالم وأساليبها كانت تفوق حد الحصر. وقد حدث هذا في بغداد وشيراز تلك المدهش العظيم.

غاص السلطان عازان في أعمال هذه الأوصاع، وأمر بتفادك وتلامي ما فيها من نقص فحدد المسئولون الرسوم طبقًا للقانون، وأسندت الماصب إلى القضاة والنجاة على سبيل التأييد والتخيلد. وذلك بطريقة تتيح للأموال أن تصل بصفة مسخرة، وبأصعاف ما كانت عليه سابقًا. وبهذه الإجراءات صار المزارعون والملاك والرعايا مستريحين شاكرين

(١) سورة البقرة، آية ٤٢

(٢) سورة البقرة، آية ١٨١

(٣) هكنا في ذلك

[ص ٤٧٧] رُكِنَتْ أَيْدِي الْحُكَّامِ مَهَاتِيًا عَنِ الْمَطَالِبِ عِيرَ الْمَشْرُوعَةِ، وَقَصَصَى عَلَى ظَنِّهِ  
الْمُسْتَدِينِ دَعْمَةً وَاحِدَةً وَقَدْ سَجَلَتْ أَنْوَاعُ الْخُلَلِ الَّتِي كَانَ مُسْتَشْرِبًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ وَإِنْ  
بَيَّانَ طَرِيقِ التَّخْلُصِ مِنْهَا مَشْرُوحَةً وَمُعْصَلَةً فِي الْمَرَامِيمِ الَّتِي كَتَبَتْ لِتِلْكَ الْوِلَايَاتِ. وَكَانَتْ  
وَاضِحَةً وَمَشْهُورَةً لَدَى الْجَمِيعِ وَلِهَذَا ذَكَرْتُ بِإِحْتِصَارٍ.

فَلْيَمْتَعِ لِحَقِّ تَعَالَى هَذَا السَّالِطَانِ الرَّاضِي وَالْبَاسِطِ الْعَدْلِ بِطَوْلِ الْعُمُرِ وَدَوَامِ الْإِقْبَالِ  
أَيَّدَ الدَّهْرَ، وَلْيَمْسَحْهُ مَثَرَاتُ هَذِهِ الْحَسَنَاتِ فِي عَهْدِهِ الْمُبَارَكِ، تِلْكَ الْحَسَنَاتُ الَّتِي يَحْسُدُ  
عَلَيْهَا دَارًا وَارْدُوَانًا وَيَحْطِطُ عَلَيْهَا أَرْدَشِيرُ وَالْبُوشَرُوَانُ. وَالسَّلَامُ.



## الحكاية السابقة عشرة

### فى المحافظة على الرعايا ورعايتهم ودفع الظلم عنهم

لما كنا قد شرحنا فى الفصول السابقة أنواع الظلم والجور والتجاوز، تلك المظالم التى كانت تُرل بالرعايا، ووصفا المتاعب من كل صف تلك المتاعب التى كانت تحمل بهم - تجنب الآل التكرار، وقياساً على تلك الحكاية تبي أنهُ كان للتواضع والمهملات أهمية كبيرة فى نظر الحكام وغيرهم على حث أن هذه الأهمية لم توجه للرعايا والواقع أن الأشواك الملقاة فى الطرق العامة لم تكن تجد ذلك الإعياء والتعب ما تجده القرية.

أما سلطان الإسلام عازان خان - خلد سلطانه - فإنه بسبب كمال عدله، سر عور الأحوال، نهض لتدارك هذا الخلل وبمصل يمس مصلته، استراح الجميع على الحو الذى سبق ذكره. وما يخصه بالذكر فى هذا الفصل هو أن السلطان كلما شاهد نفسه، أو عرص عليه أن أحدًا من المقرين أو الجنود قد ألحق بالرعية مشقة أو أدى، أو اعتصب شيئاً، أمر فى الحال بأن يستردوه منه بهريه بالعصى والمراوات؛ ليكون عبرة للعاملين. وعندما كان يركب باليمن للصيد، ويصل الركب إلى إحدى القرى، يأمر أتباعه بأن يشتروا بالعملة الذهبية الخراف والدجاج، وكل ما يحتاجون إليه مما يستعمله الخاصة [ص ٤٧٨] وكذلك ما يلزم من القطعان أو من بيوت المعول، وذلك بأن يدفعوا دينارين أو ثلاثة لكل ما يساوى ديناراً واحداً.

والمقصود من ذلك أنه عندما يرى الآخرون هذا السلوك يأتمون حدودهم، ويتجنبون الجور والطغيان، ويفتقدون بتلك الطريقة المحموده. وفى كل وقت يسنو للرأى الأعلى أن أحد الأمراء أو الجنود أطلق يد البطش فى إحدى الولايات، وبالحق فى استبداده، أمر بمؤاخذة الأمراء الصغار، وضربهم بالمراوة، وعتاب الكبار ووجههم. وذات يوم صرح بقوله: أما لا أحيى الرعية التاركة، وإذا كانت هناك مصلحة لأن أغير على الجميع، فليس هناك من هو أقدر منى على القيام بهذه المهمة. ولكن إذا توقعتم منى بعد ذلك رافداً أو طعناً، أو التمسع هذا أو ذاك، سوف أغلظ لكم فى القول، وأخذكم بالشدة والتعسف. وبمضى أن تفكروا

جيداً أنكم لو أثقتكم على الرعية، وأكلتم لحوم أبقارهم، واستولتم على بدورهم وغلالهم  
 فما عساكم تعملون بعد ذلك؟ كما أن عليكم أن تفكروا في أنكم إذا صرتم ساءهم  
 وأطعاهم وأذنبوهم فإن عليكم أن تفكروا كيف أن ساءنا وأباها أعرأ عليها وأن حال  
 فلدات أكبادهم تكون هي نفس حال أطفالا، وهم أبهاً أقديون مثلنا ضامناً. وقد فووص  
 الحق تعالى أمرهم إلياء، وسوف سأل عما يصيبهم من خير أو شر. فكيف يجيب، وعسى  
 عندما يؤدبهم تكون جميعاً شعي، ولي يعود عليها صرر نتيجة وجودهم. فما الداعي إذن  
 إلى إبدالهم وإلحاق الصرر بهم، وأية عظمة وشهامة تحصل لنا من وراء ذلك؟ ومادا يجسى  
 غير الشؤم الذي سوف يحق بها نتيجة سوء عملنا، ولي ننجح في أى عمل نقوم به. يجب  
 أن يظهر فرق واضح بين المطيع والمعاصي من الرعية والعرق بين الخائض هو أن الرعايا  
 المطيعين هي أساس من الحاكم، والعصاة صير آمنين. وإذن فكيف يجوز ألا يؤمن المطيعين  
 فيكونون ما هي عذاب ونصب؟ .. لا بد أن تستجاب دعوتهم بعلتنا والدعاء بالسوء  
 لنا.

وعلى هذا يعني التفكير في هذه الأمور، وأنا دائماً أسدى إليكم هذه النصائح، وأسم  
 عنها عاملون. ولكن بواسطة أمثال هذه النصائح بقي واحد من ألف من تلك الشاعب التي  
 كانت تلحق بالرعايا قبل هذا. فلا غرو أن ازداد جمهورهم هي مختلف الممالك توحها  
 بالدعاء للدولة فليكن هذا الدعاء مقروئاً بالاستجابة بحق الحق وعزته

## الحكاية الثامنة عشرة

### فى إبطال تصخير دواب البريد، ودفع أذى الرسل ومنع المتاعب التى ينزلونها بالظن

ولو أن إبعاد الملوك الرسل والسعراء إلى الأطراف والحوادث يكون أمراً ضرورياً، ويمكن أن تقوم وتنظم بهم شئون المملكة، لكس المضاد أن يوهى الرسل لإبلاغ أخبار الأمم والسلامة، وإبصال التحف والمجاهدات، ومن أجل مهمات الثغور وشئون الجند وأسرار للملك. ومن البديهي أن الحاجة كانت تدعو إلى إبعاد الرسل عدة مرات كل سنة لإنهاء تلك المصالح.

وقيل هذا كان الأمر قد وصل بالتصريح إلى حد أن جميع الخوارج والأمراء الأتباع وقواد الجيش وأمره، (نجومان والحرارة والصدمة)<sup>(١)</sup> وحكام الولايات والمشرعين على السلاح والبراة وسياس الخيل والمشرعين على الفخيرة، وذوى المناصب الأخرى الذين نُصِّبوا للقيام بكل عمل، كانوا يوفدون رسلاً قليلين أو كثيرين إلى الولايات لتصرف كل مهمة. وقد حرت العادة أن أحد الناس يقدمون أسامهم إلى الخوارج والأمراء الأتباع والأمراء ليكونوا علماء ومعاونين فى التجارة. وكانوا يرضون بأجر ضئيل. وكان كل واحد منهم يوفد رسلاً لإعجار مهماته بطرق مشروعة وغير مشروعة. هذا على حين أن مشيروهم قد بلغت روحهم الترافى من شدة المتاعب والتشريد، فكانوا يلجأون مضطرين إلى حماية آخرين، ويرسلون رسلاً، ويجارونهم على سوء أعمالهم. وهؤلاء بنورهم كانوا يوفدون رسلاً مرة أخرى. وبواسطة هؤلاء القوم كان الرسل يترددون على هؤلاء وهؤلاء. وكذلك يرسل حياتهم الرسل بعدة تام. وهناك أيضاً طائفة أخرى، كان إذا مات منهم شخص، واختلف ورثته مع بعضهم البعض، فإن كل واحد منهم طمعاً فى ريادة الميراث كان يختص بشخص قوى من ذوى النفوذ فيوفد هذا الرسل تباعاً الواحد تلو الآخر. وهكذا كانوا يشملون طوال حياتهم بذلك الأمر، ويفتدى بهم أناس آخرون بحيث إن ذلك صار عادة وحرفة لجميع.

(١) المقصود شرق المكونة من عشرة آلاف (نجومان) والألف (عزلة) والثلاثة (صدمة).

**[ص ٤٨٠]** وشة طائفة أخرى هم رؤساء القرى، كان كل منهم يبحث عن شخص يتخفى به. وبسبب خلافهم وتنازعهم على الرئاسة، كانوا يصحبون الرسل إلى الولايات. وهناك طائفة أخرى كانوا يأخذون الرسل بحجة أنه يمكن الحصول على النصف النادرة من الولاية العلانية. وبهذا كانوا يعقرون أصعاف أصعاف ما كانوا يصحبون. كذلك كان المشرفون على شؤون الخياري، يرسلون بعض الرسل إلى الولايات بحجة إعداد الذخيرة والطعام، وتقديم الخدمات؛ بحيث كانت الدواب في المدن تحتفظ بهم وكان هذا شأن أمراء السلاح والاصطبلات والدواب وغيرها، حتى وصل الأمر إلى حد أن الرسل في الطرق كانوا يربطون على أفراد القوافل وجميع المسافرين. ولو كان هؤلاء الرسل خمسة آلاف حصان في كل مرحلة لما كفاهم؛ فلا جرم أنهم كانوا يستولون على كل قطعان المول التي كانت ترعى في المصايف والمشاقي ويسوقونها. وكانوا يربطون جميع أفراد القافلة والمسافرين عن ظهور دوابهم عن يمينهم من جهات الخطأ والمحد والواحي الأخرى القريبة والسائية. كذلك كانوا يفعلون بالأمراء والحكام والملوك والكتاب والقضاة والسادات والأئمة ولرباب الحاجات الذين كانوا يترددون على المعسكر السلطاني، فيزولونهم عن ظهور دوابهم ويستولون على خيولهم، ويتركوهم على قارعة الطريق كما يتركون بعضاً منهم في الأماكن الموحشة.

ولكنة ما كان الرسل يمارسون هذه الأعمال وصل الأمر إلى حد أن اللصوص كانوا يظهرون على هيئة الرسل، ويقفون على قارعة الطريق قائلين: "إننا رسل". ثم يستولون على خيولهم، وفجأة يقبضون عليهم ويفتوتهم وينهبونهم. وكثيراً ما كان الرسل يستولون على حيول رعايتهم بحجة أن طرفهم أطول. وقد أدى الأمر إلى أن كل من له أتباع كثيرون، ويتمتع بنمو رائد، كان يستحوذ على حصان الآخر.

وحيث إن اللصوص قد اطماعوا على هذا الأمر، صاروا يقولون للرسل الموقدين الأقل منهم عدداً: "إننا رسل" ثم يترغون منهم خيولهم بالقوة وينهبونهم. **[ص ٤٨١]** كذلك يستولون على ما معهم من مراسيم وبنائات<sup>(١)</sup>. وقد انتهى الأمر إلى حد أن أكثر النصوص

(١) نظر ترجمة الحكاية الثانية والمشرى.

استطاعوا بما استولوا عليه من الهيازات والراسيم أن يوقصوا الخيول أناء سيرها وكانوا يذهبون إلى مئزق الطرق للسرقة، وذلك بالخيطة والمكر وبمجة أنهم موهدون لتبليغ الرسالة صاروا ينداهمون أفراد القبائل ويسلبون دوابهم وملابسهم وكان الرسل لا يمكنون بالخيول والعلف، بل يتدعرون بأنواع الخيل لا يترز ما يبد كل شخص منهما كان تافهاً، ويبرلون بالناس شتى الشعب، ويسلبون أموالهم. أما سياس خيولهم فكانوا يأخذون ملابس الناس وعملاتهم، وكل ما يرويه في أيديهم ويتعمدون الاستيلاء على المريد من الخيول، ثم يبيعونها، ويتصنون كل ما يملونه في القرى وإذا مروا ذات يوم هي الطريق بعشر من القرى أو عشرة اصطيلات فإنهم يطالبون بالثوبة من تلك المواضع عشرة أصناف ما يجره الشرع والقانون. ولما كان ما يستولون عليه يريد على ما يلزم لطعامهم، كانوا يبيعون العلف. وكان اهتمامهم دليلاً مصروفاً إلى التعامل ببيع العلف، بحيث إن تجار الخطأ والمسد لم يفتلوا مثل هذا في ذهابهم وإيابهم.

وبالكشف عن هذه الأمور تصح هذه الحقائق التي تدعو إلى التساؤل: كم العا من الرسل كانوا يروحون ويحيون كل سنة، وكم من الخيول وأطيان المؤن قد استولوا عليها بغير حق، وكم من الخلق صربوهم وعلقوهم وأتزلوا بهم الشعب والألم؟ ولما كانت الرعية طوع أمهرم صاروا يتحققون مطالبهم من المؤن، ويسلبون رعايتهم الأخرى، ويقومون ليلاً بمحاسة دوابهم وأمتعتهم. وعلى هذا فإن المرء ليعجب كيف يمكن أن يتصور أن هذا القدر من الزراعة يتوقف عليه قوت الناس يكون كافياً وميسراً اللهم إلا بالبركة التي تكرّم بها الحق تعالى على عباده؛ فلم يجرهم من الرق.

ومن بين حيل الرسل أيضاً أنهم كانوا يسرون متفرقين على غير هدى وعلى غير أساس، وأنهم حبسا حلواً كانوا يقولون: إنا أبناء أو إخوة الأمير الفلاني الذي يذهب لأداء مهمة دقيقة خطيرة. وكان موظفو البريد والحكام والرؤساء والرعايا يعرفون أن كل ذلك كذب محض لا طائل وراءه. [ص ٤٨٢] وإذا تصادف أن رسولاً عظيماً الشأن كان يذهب لأداء عمل هام، فإنه يماساً على الآخرين، لم يكن له وقع يذكر في نظر الناس، كما لم يكن له اعتبار في قلوبهم. ولهذا الأسباب لم يبن احترام قط للرسل. وكانوا هم أسوأ الخلق في نظر الرفاة. وحيث إنه بسبب هذا الليس لم يكن قد بقي قط وقع في

العموم للرسل الحقيقيين، ولم يكن أحد يعا بهم، ولم تعد لهم حيول للبريد، لو أنهم كانت تقدم لهم هزيمة عجماء. وكان المسافرون وسكان الصحراء قد صاروا غافقين مزعجين فاجتازوا الطرق على غير هدى، ولفاقوا سائرهم بين الجبال.

ولهذه الأسباب فإنه عندما يقوم رسول بأداء مهمة دقيقة تخص مصالح الدولة، لا يستطيع الوصول إلى الجهة المقصودة إلا بعد عوات الوقت يومين أو ثلاثة. ولا بد أن تنشأ أضرار عن ذلك. ودائماً ما يجب مؤاجدة سعاة البريد بسبب ما يصيب الخيول من هزال. ورغم أنهم كانوا يربطون خمسمائة حصان في كل محطة للبريد، لم يكن يوجد أثنان منها يصلحان لركوب الرسل. وعوضاً عن ذلك فإنهم كانوا يأخذون العديد من التومندات من كل مدينة لسد عيقات البريد ومتطلبات الرسل. ولهذا السبب فإن حكام الولايات كانوا يأخذون من الرعايا مبالغ أخرى من الأموال، يعتقدون بعضها، ويسلبون بعضها كذلك فإن حصيللة الدفعة التي كانت لوغر الأموال في البلاد، وعلى كبل الولايات، كانوا دائماً يخصصونها لسد عيقات الرسل، ولم تكن تكفي لتفلاتهم وكان الحكام يكتبون حوالات بعقات المؤن تصرف من أموال الدفعة ثم يهربون. ولما لم تكن حصيللة الدفعة كافية لسداد قيمة الحوالات، كان متعهد الدفعة يخصي أيضاً. كذلك كان الخصام يقع بين الرسل فتكون العاقبة أن من كانت له العلبة يستولى على الأموال. ولما كانت هذه العلبة تستلزم كثرة الأتباع، كان الرسل يسعون في أن يجتمع حولهم أتباع كثيرون، يختارونهم من أقرانهم وأصدقائهم وفي الطريق كانوا يستولون على كل ما في أيدي الناس من أصناف. وكان الرعايا والسفلة يتبعونهم. وقد أدى الأمر إلى أن الرسول الذي يعرفه لذلك والأمراء الكبار كان يصطحب معه في أقل مهمة كلف بها مائتي أو ثلاثمائة فارس، وبعض الرسل الذين كانوا أكثر ثراءً وظهره، [ص ٤٨٣] كان يذهب معهم حتى خمسمائة فارس بل ألف فارس. وقد يتصادف أن يصعوا ما يقرب من مائتي كرسى في الدبوان بإحدى المدن لجلوس الرسل وكان الحكام يقولون: "إننا نقدم في الجلوس هنا كل من نكون مهمته أكثر ضرورة". ولهذا السبب صار الرسل يأتزع بعضهم بعضاً، فمن كانت له العلبة يجد الحكام - اعتماداً على حمايته - الخلاص من أدى الآخرين. وعلى هذا يمهلون قليلاً، ومجرون له مهمته. على حين أنهم يمهلون سواء. وهكذا صار الحكام يمشون وقتهم، وفي نهاية

النية، كان جميع هؤلاء الرسل يعودون بمعى حتى دون أن يحجزوا أعمالهم. هذا على حدى أنهم يعفون عقبات باهظة. وهى الواقع فإن أنواع الخلل والضرر التى كانت تقع بسبب هؤلاء الرسل تنمو الحد الذى لا يمكن شرحه.

ولكمال معدلة سلطان الإسلام غلب سلطانه أوجب على منه ضرورة تدارك تلك العيوب، فقال فى هذا الشأن: إن أمرك استعمل ضرره بالتدريج حتى وصل إلى هذا الحد واعتاده الناس جميعاً، لا يمكن القضاء عليه دفعة واحدة، وإما علاجه يتيسر عن طريق التأسى. ثم بدأ بالفعل فى تدارك هذا الخلل. وهى العام الأول قال. بسعى أن يخصص لنا محطة واحدة للبريد، يقصدها الرسل مسرعين لتصريف عظام الأمور، والقيام بمهمات الثغور ولا يعطى أى شخص آخر جواز البريد حتى يتميز هؤلاء الرسل على الآخرين، ويضمنوا إلى مقصودهم سريعاً. ثم أصدر مرسوماً يقضى بإنشاء محطة للبريد فى الطرق الهامة. وعلى بعد ثلاثة فراسخ يربط فيها خمسة عشر حصاناً سميماً سليماً، ويقل هذا العدد فى بعض المواضع التى لا تدعو الحاجة إلى ذلك. كذلك أمر بالآلا يعطى أحد حصاناً ما لم يكن هناك تصريح عليه تأشيرة بالخط المبارك. وعتزم بالختم الذهبى الخاص. ثم عهد بكل محطة للبريد إلى أمير كبير يشرف عليها وترك للأمراء التصرف فى الإتفاق على مختلف المصالح فى تلك الولايات للمعية، بحيث تزيد هذه العفقات عما تدعو إليه الحاجة؛ وذلك حتى لا تبقى هناك حجة لأحد. وقال فى هذا الصدد. إنى أعطيتكم زيادة عن المطلوب من العفقات حتى لا يقع تقصير. فابعثوا هذه الزيادة لتصريف مصالحكم الخاصة، وحتى لا تصدر كل يوم وشدة مؤداهما أن العفقات كانت كثيرة عما تدعو إليه الحاجة، وهذا يؤدى إلى اختلال العمل، أو أن يقال. كان بسعى أن يوكل هذا العمل إلى شخص آخر. [ص ٤٨٤] يختل بهذا نظام البريد. وبما أنكم أمراء كبار، فإنه لا مانع من زيادة العفقات لكم. ويجب عليكم أنتم أيضاً أن تنظموا المهام التى نسد إليكم ولما كان من الضروري أن يرسل أمراء الثغور إلى محطة البريد بيئات عن أحوال الرسل كان على الأمير أن يعطى كل رسول عدة رسائل، وعليها التأشيرة المعهودة، وعتومة بالختم الذهبى. ثم يعطى بعض الرسل جوازين وبعضهم ثلاثة أو أربعة جياد. ويتبع على رجال البريد أن يعرفوا أنه لا بسعى أن يعطى الرسول حصاناً ما لم تكن التأشيرة مكتوبة على الرسالة التى يحملها. ثم قال: إن الغرض من إيفاد الرسول المعذاه هو أن يصل بسرعة لإبحار المهمة المكلف بها. وإذا كان أمراً لأحد الأمراء، فإنه لا يحصل على أكثر من أربعة جياد. وصرح السلطان أيضاً بقوله. إنه إذا كانت المهمة تستلزم

الإسراع إلى أقصى حد، فإنه يجب تحرير رسالة محتومة، ثم ترسل على يد رجال البريد الموجودين في محطة البريد كي يصلوا السيرة، ويكتب في أعلى الرسالة عبارة: "من الملك العلاتي إلى الملك العلاتي" كذلك أعطى كل أمير من أمراء الثغور الدفعة الخاصة بالمرسان كي يصحبها على تلك الرسالة. ورجال البريد السائرون في الطريق يعرفون أن هذه الرسالة قد أرسلت من قبل المحصرة. وحيث إنه توجد محطة البريد على بعد ثلاثة فراسخ، فإن سعاة البريد العدائين يقطعون عدوك في اليوم بأكمله ليل نهار ستن فرسخاً، فتصل الأخبار سراعاً من خراسان إلى نيريز في أربعة أيام. أما في السابق، فكان إذا قدم رسول، فإنه لا يستطيع الوصول قبل ستة أيام. كذلك حصص السلطان شخص من السعاة في كل محطة للبريد حتى إذا طرأت مهمات في الولايات، فإن عليهما أن يصحبا طابع دعة البريد على الرسائل. ثم يختم، ويكتبان عبارة تفيد أن الرسالة أرسلت من الموضع العلاتي إلى الموضع العلاتي. وقد أثبتت التجربة أن السعاة يعدون في اليوم بأكمله ليلاً ونهاراً من موضع إلى آخر ثلاثين فرسخاً وبهذا يبلغ كل حزم في رهن قصير ثم قال السلطان بعد مدة إن خراسا وملازمي حصرتها يلازموا ليلاً ونهاراً في الحر والبرد، أثناء الصيد والحرب، ويسمرون بحيلهم ومؤهبهم فلماذا لا يركب الأشخاص الذين يكلفون بأداء أعمال للدولة، ولا يحصلون على المؤن؟! وإذا ما حلوا بالولاية فإن عليهم أن يقدموا الكشف بالنفقات وحيث إن هذا يكون أمراً معقولاً، تعدت أحكام الرسوم الصادرة في هذا الشأن، ومضت سنة على تطبيق هذا النظام، وأقيمت محطات البريد الأخرى البالغ عددها عشرة آلاف وبذلك عادت إلى الخزانة، [ص ٤٨٥] الأموال التي كانت تنفق سلعاً، ولما لم تكن هناك خيول مخصصة للرسائل الذين يوفدهم السلطان، فإن علياً أن تصور. كيف يمكن للآخرين أن يأخذوا خيولاً؟! ولقد صدر فرمان السلطان أيضاً، ويقضى بالآي يرسل أي مخلوق رسولاً إلا أن يكون من قبل السلطان. ولهذا السبب صار إيمان الرسائل من قبل الآخرين أمراً مرفوضاً. كذلك صدر أمر ينص على أنه إذا أوفد شخص رسولاً - لمصلحته الخاصة - إلى إحدى الولايات أو الأمكنة الأخرى، فإنه لا يعطى علفاً وعلى الحكام أن يحتفلوا ذلك الشخص ويقيدوه ويحبسوه. وترك هذا العمل الأشخاص الذين كانوا يستعدون الرسائل لإنجاز مصالحهم.

بعد ذلك صرح السلطان قائلاً: إن الرسائل الذين يقدمون إلى الولايات بمعطيتهم نفقات السفر من الخزانة دهائياً وإياباً، حتى لا يأخذوا شيئاً من أحد في أي موضع. وعندما يصلون



إلى المكان المحدد، يتناولون الطعام في النسي للعين. وكل رسول أوفد إلى إحدى الولايات يعطي نفقات السفر نقداً من الخزانة. وقد دأب هذا الأمر واشتهر في كل الولايات والأماكن. وإذا كان الرسل الذين يوفدون بأمر السلطان غلب ملكه لا يملكون نفقات السفر فكيف كان الناس يحطون غيرهم؟! ولهذا السبب ألفت خلال هذين العامين نفقات حلب الخيل ومئونة الرسل من المدن والقرى والحظائر، بل إنه لم يعد أي مخلوق يرى رسولاً في البلاد؛ ذلك أن الرسل الذين يمدون السير بسرعة عاقبة ليلاً ونهاراً يكونون مشغولين بقطع المسافات، وليس لديهم فراغ لتناول القليل من الطعام. وبلا شك يسير من تلك الولايات ثلاثون رسولاً تقريباً. وحيث أنه ليست هناك لوائح بأن يأخذوا زاداً في الطريق لا يبرهم أحد عن المسافرين الآخرين.

يمثل هذا العدل الشامل، يكون كافة الخلق في راحة. فالممول والبيد يكونون هارغي البال في مواضعهم، ويصير التجار مطمئنين، وتكون البضائع الصادرة والواردة آمنة في الطرق، ويدعو جميع الرجال مع سائرهم ولطفاتهم من أعماق قلوبهم وأرواحهم بدوام إقبال السلطان فليستجيب الله هذا الدعاء وأمر السلطان أيضاً بأنه في حالة الضرورة وإذا لزم الأمر أن تعطى جماعة عدداً من الجياد أو الحمير [ص ٤٨٦] كي ينقلوا من ولاية إلى أخرى، فإنه يدفع لهم ثمنها كي يصير ملكاً لهم. ومن المقتطوع به أن اسم حيل البريد لم يكن وارداً من قبل. وقبل هذا كان الصيادون ومتعهدو الممر والأسود يحضرون الحيوانات والعهود من الولايات بواسطة حيل البريد. فأمر بأن يدفع لهم ثمن هذه الحيوانات، وكذلك نفقات الذهاب والإياب، حتى لا يأخذوا في الطريق شيئاً مطلقاً، وتصير الدابة التي كانت قد بقيت بعد الوصول ملكاً لهم.

بهذه الأنظمة عمرت البلاد ووجدت من جديد الرفاهية والنظام. والأموال التي كانت تنفق على دور البريد، والنفقات المخصصة للرسل كانوا يأخذونها إما بالبرادة وإما تنول إلى الخزانة. وما كان يصح على الرعايا بتلك الخيل يبقى لدى رؤسائهم.

فليرسل الله تعالى بركات هذه المصلحة إلى أيامه المباركة بمنه وجوده وخمسي لطفه وكرمه.

## الحكاية التاسعة عشرة

### فى القبض على اللصوص وخطاع الطرق والمحافظة على الطرق منهم

لا يخفى على أهل العالم إلى أى أحد بلغ قبل هذا تناول فطاع الطرق واعتداء اللصوص على الناس ورغم أن أحاسهم كانت كثيرة لا تحصى من قبل الغول والتاريك والترندى والكرد والور والشول والسورس، فإنه كان ينصم إليهم أخصاً العلمان الحاريون من سادتهم. ويدخل فى دمرتهم كذلك بعض القرويين وسكان الأطراف. وكانوا يذعنون بأنهم مرشدون وكان لهم جواسيس يهون إليهم أخبار كل طبقات الناس. وإذا ما وقع فى مأرقى فى وقت من الأوقات حيث ظلوا يهددون الطرق مدة طويلة ومالوا شهرة فى هذا العمل، فإن طائفة من الناس تسرع لحمايتهم فائلى عن كل واحد منهم كيف يمكن إعدام مثل هذا البطل؟ يسعى الإبقاء عليه ورعايته. ولهذا السبب صار اللصوص الآخرون يرددون وقاحة وجرأة ورغم أن القانون السابق كان يقضى بأن يتحد جميع أفراد القروايل والرسل وعابري الطرق فى مواجهة اللصوص عندما يظهرون ويقاوموهم، فى خلال تلك الحقبة لا تعاون تلك الأقوام بعضها البعض عندما يهدد اللصوص الطرق [ص ٤٨٧] وأكثر من هذا فإن اللصوص كانوا يعرفون أحوال تلك الجماعة بالتفصيل، يجاهرون بقوهم. ليس لنا شأن هؤلاء الذين لا يملكون شيئاً أو يملكون القليل، فكان أفراد تلك الجماعة يعصلون عن بقية الطوائف، ويتحون جانباً؛ فينتهر اللصوص الفرصة ويهاجمون الآخرين ويقتلونهم. وكان اللصوص إذا سطوا على بعض المواضع، وسهوا مجموعة من الخيول أو قرية أو مدينة، فإن سكان تلك النواحي لا يتحملون بل يلتزمون الحياد؛ رغم أنهم قريون بعضهم من بعض، ومن الممكن مقاومة هؤلاء اللصوص. وقد انتهى الأمر بأن صار للصوص أعوان وشركاء بين كل قوم من سكان الوداى والقرى. وكان هناك أناس كثير من مظلومين على أحوال اللصوص، غير أنهم كانوا يخشون الحقيقة. وأحياناً إذا انكشف أمر هؤلاء اللصوص فإن الناس لا يحرصون على الخصرة ما حدث فى الوقت المناسب ويمدد الرؤساء وبعض عمد القرى الذين كانوا مقربين إليهم وأصدقاء لهم، يحصل هؤلاء

اللمصوص على كل ما يلزمهم من نفقات. وكثيرا ما كانوا يذهبون إلى منازل تلك الجماعة ويربون ضيوفا عليهم كما كانوا يلجأون إليهم عند الخوف والعرع. كذلك كان لهم أشخاص مقربون إليهم في المدن ويعون بصالتهم للناس. وكانوا يعاشرهم أوقانا قد تمتد شهرا أو شهرين، وينقسمون الأموال المسروقة فيما بينهم وقد بلغ اعتناء اللصوص إلى حد أنهم كانوا يسطون حفاة أثناء الليل على مرل أحد الأمراء ويعيرون عليه. وكان رجال الأمن وحراس الطرق لا يفلون عن اللصوص ظلما؛ إذ كانوا يستولون على كل ما يربون من المسافرين وكانوا يسعون القوافل من السير بحجة أن بين أفرادها لصوصا وأوغادا ف يعرف اللصوص ذلك، ويسعون إليهم، ولا يتعقبهم الحراس مطلقا. وفي الحقيقة لم يلقئ الرائجون والفادون من اللصوص بقدر قلقهم من رجال الأمن وحراس الطرق؛ ذلك أن صرر اللصوص يقع أحيانا ومصادفة لكن هؤلاء الصحابا كانوا يفعون قربة في يد القائلين على الأمن والحراسة في موضعين في كل مرحلة [ص ٤٨٨] وما أكثر القوافل التي كانت تختار السير في الطرق المجهولة والناية إلى أقصى حد، والمليئة بالأهوال والمشقات كي تتخلص من رجال الأمن وحراس الطرق

إزاء هذه الأوضاع رأى سلطان الإسلام غلد سلطانه أن من الواجب عليه تدارك هذه الأمور، فقرر أولا أن كل مخلوق يعصل عن رفاهه وقت هجوم اللصوص، ولا يتعاون مع الآخرين في العمل على مقاومتهم يكون مدنيا، وتقع عليه إراقة دماء رفاهه وإرهاق أرواحهم.

وأصدر قرارا ثانيا يتلخص في أن كل موضع من المرباط والقرى يتعرض لسطو اللصوص تقع مسئولية اتقاء أثرهم والظور عليهم على عاتق من يكون أقرب إلى المكان الذي تعرض للسرقة خصوصا إذا أخروا بهجوم هؤلاء اللصوص؛ فإنه يكون لزاما عليهم أن يتعقبوهم عرسا ورجالا سواء آكان الوقت ليلا أم نهارا حتى يثروا عليهم.

كذلك أصدر قرارا ثالثا مؤداه أن كل مخلوق من الممول والرعابا المسلس يكون قد نراطا مع اللصوص في المرباط والقرى وللدن، وثبت عليه ذلك يقتل فوراً دون محابة.

وقد عهد السلطان غاراب حان بمهمة تنفيذ هذه الإجراءات إلى الأمير أيتقول أحد المقربين إلى الحضرة، والمشهور بصراحته وزلاته وهو لا يخافي أحدا على الإطلاق، فقبض

على كثير من طائفة اللصوص وأعدتهم جميعاً، وقد بعضهم بصغير، وجعل الشخص الذي كان يشي بهؤلاء اللصوص "طرخانا"، وأصدر أمراً بأن يكون شعله الشاغل التحري واستقصاء أخبار هذه الطائفة. ولما كان السلطان قد استحسن إقدام الأمير أيتقول على قتل هؤلاء اللصوص، منحه كل أموالهم ودوابهم، وأمر بإعدام كل مخلوق يسرق ولو بقدر دائق واحد.

بهذه الإحرامات ظهر الخوف والرعب في البلاد، بحيث إنه لم يجرؤ - بعد ذلك - أي عبق على التواطؤ مع اللصوص. ولما عرف هؤلاء أنه لن يتيسر لهم معين، ولن تنهبا لهم الوسائل والمقام، قتلوا سركاتهم وساد الأمر إلى حد كبير. [ص ٤٨٩].

بعد ذلك قرر أن يراعى حراس الطرق في كل البلاد، وفي كل موضع يكون مخوفاً موحشاً، وأن يؤخذ نصف درهم من القافلة عن كل أربعة من الحمير المحملة، وعن كل جملين نصف درهم أيضاً، وذلك باسم الصرية وقطعاً لا يؤخذ أكثر من هذا أما الغواب غير المحملة، وما ينقل من المأكولات والعلال، لا يطلب عنها شيء قط. وإذا حدث سطو فإنه على كل حارس للطريق يكون أقرب من مكان الواقعة أن يقبض على اللص، وإلا فعليه أن يسدد من ماله الخاص قيمة الشيء المسروق. وبموجب هذا أخذت منهم جميعاً بإقرارات خطية.

وقد عهد بالإشراف على جميع حراس الطرق إلى الأمير بورالمى وهو ابن الأمير جتقور الذى كان أميراً كبيراً للشرك في عهد أروعون خان. وأمر السلطان بأن يعهد الأمير بورالمى إلى شخص موثوق به لحراسة كل طريق. والباحث على ذلك هو اتخاذ الحيطه والحذر حتى لا يتوقف الحراس في المواضع الآمنة، ويرابطوا في الأماكن السهلة، ويتركوا المواضع المخوفة المحفوفة بالأخطار معطلة، ولا يرابطوا أبداً في المواضع مدة تزيد على الضرورة.

وأمر كذلك باتخاذ الحيطه والحذر، وذلك بإقامة أعمدة من الحجارة والجص في المواضع الضرورية. ثم يوضع على كل عمود لوح مثبت تثبتاً محكماً، ويسجل عليه عدد الحراس المكلفين بحراسة ذلك الموضع، وشروط القانون المخصص في هذا الشأن، وذلك حتى لا يتجاوز الحراس تلك المواضع، والعمد المعين للحراسة، ولا يتفادوا ما يزيد على الرسوم المقررة. ويطلق على هذا اللوح اسم "لوح العدل". وأمره واضح وظاهر.

وقبل هذا كان كل غلوق يدعى أنه من رجال الريد، ويرابط في معتوق الطرق. وكان يأخذ الإتاوات بعلة السماح بالمرور أما الآن في هذا الزمان، فإنه قد كتب صراحة على اللوح أن كل عنوق يربط خارج هذه الموضع المخذة يعتبر لصاً، لم يستطع أى شخص من الغول والتاريك أن يربط في مكان آخر [ص ٤٩٠] وخلال هذين العامين عندما أصدر السلطان هذا القانون، هاجم اللصوص طرقاً قليلة في البلاد وإذا اتفق أحياناً وحدث سطر فإن اللصوص يساقون ومعهم الأموال التي اعتصبوها وقتلون. وعلى هدى هذه الإجراءات، انتهج جميع أقوام الفرك هذا الأسلوب، هم الأمان، واستتب الأمن في الطرق.

كذلك أصدر السلطان قراراً آخر يقضى بأن أفراد كل قافلة وكذلك المسافرين الذين يرلون في الطرق الكبيرة بالقرب من إحدى القرى أو في دار الريد عليهم أن يسألوا أكثر أشراف القوم الموجودين في هذه الشاطئ، "هل يوجد لصوص أو لا؟" فإذا أجابوا: نعم يوجد، فإن على هؤلاء المسافرين أن يتزلوا في دار الريد أو في القرية. ويجب على المستوص ألا يسعواهم من الشرول هناك. أما إذا قالوا: لا يوجد لصوص، وهم يرلون في الصحراء وتصادف أن ظهر لصوص وسلبوا شيئاً، فإن المسئولية تقع على عاتق هؤلاء القوم لكن هذا الحكم لم يعد في أطراف المدن، لأنه يتعذر تنفيذ ذلك هناك.

وحيث إن الطرق نظمت على هذا النحو، وزود الأمير بورقلى بأسماء حراس الطرق ورؤسائهم بالتفصيل، فبلغ عندهم ما يقرب من عشرة آلاف شخص، بحيث إنهم صاروا يكونون جيشاً معاً إعداداً تاماً، وجود هذا الجيش يقومون بهذه المهمة خير قيام كذلك صدر أمر بالاشتغال بعمل آخر، وعليهم أن يملأوا على حياة جمهور المسافرين وأموالهم وذلك على نحو يتيح لهم أن يروحوا ويحبوا في أمان وأطمئنان. وهم فارغوا الهال مطمئنون الحاطر، يدعون لسلطان الإسلام بإخلاص تام

فليكن دعؤهم مقروناً بالاستجابة من الله ولطفه العظيم.

## المكايبة العشرون

### فى تقليص عيار الذهب والفضة من الشوائب بصورة لم يسبق لها مثيل مطلقاً وليس من الممكن أن يوجد أفضل منها

لا يمتنع أن السكة لكل الممالك مد قديم الأيام حتى الوقت الحاضر لم تكن فى أى عهد قد ضربت كلها باسم ملك واحد كان يسيطر على كل العالم؛ وخصوصاً فى العهود التى كانت هذه الممالك فى يد عدة ملوك وسلاطين. وكان عيار الذهب والفضة مختلفاً دائماً فى هذه المواضع وقد أرادوا أيضاً فى عدة ممالك أن يصبطوا المسائل الخاصة بالعملة وذلك بأن يجعلوا العيار فيها متساوياً ولكن هذه المحاولات لم تتحقق برغم الأحكام الصادرة بشأنها، ولم يستطيعوا صيغتها. [ص ٤٩١].

وليس هناك شك فى أن أحد أولئك الملوك أن تكون الخطة والسكة باسمهم. وحتى هنا الوقت كانت السكة تصرب فى بلاد الروم وفارس وكرمان وجورجيا وماردين بأسماء الملوك والسلاطين هناك وبعبارة مختلفة. وفى عدة مواضع فى عهد أرغون خان وكنجياتو خان صدر مرسوم يقضى بأن تصرب هناك سكة الفضة ذات عشرة عبارات بنسبة عبارات وكان هنا من الناحية الاسمية فقط؛ إذا الواقع أن العشرة عبارات لم ترد عن سبعة عبارات أو ثمانية. والعملة الرومية التى كانت أحسن بالنسبة إلى غيرها من المواضع الأخرى وصلت إلى حد أن عيار الفضة فيها لم يزد عن دينارين فى كل عشرة دنانير. وكانت البقية كلها نحاساً. وكان رسل المغول يذهبون مرات عديدة مع الكتاب التازيك إلى الولايات المختلفة لفحص العيار بناء على حكم المرسوم. وكانت تصرف نفقات طائلة فى هذا السبيل. وهم يؤدون واجبهم اسماً فقط دون أن يعاقبوا أى مجرم. ولم يستحووا من أن يسكوا مثل هذه العملة التى تبدو نحاساً فقط واحدة دون أن يظهر فيها أثر من زيادة تذكر من الفضة. ولأنها كانت ترسل بالعدد كانوا يقطعون من العملة الفضية حواشيها ولما كان العيار فى الولايات مختلفاً كان التجار يتاجرون فى الأقمشة الحريرة على سبيل الضرورة.

وكان يشترون الذهب والفضة من أى بلد يذهبون إليه حيث كان العيار فى الموضع الذى يقصده، لأن العائلة من ذلك تكون لهم أريد. ولهذا السبب لم تكن الأعمشة الخريبة موجودة فى أغلب المواضع. وقد أدى الأمر إلى حد أنهم كانوا يشترون النقود بأقل من قيمتها الحقيقية، وإلا ما كانوا يأخذون شيئا. وكل من أراد أن يأخذ معه مائة دينار لينفقها فى بلد آخر كان يخسر من هذا المبلغ ما يريد على عشرة دنائير. وكثيرا ما كانت الحسارة تصل إلى عشرين دينارا. وليس هناك عرامة أمدح من أن يخسر غير التجار من المال - الذى يملأ بحاجاتهم الضرورية - كل شهرين أو ثلاثة أشهر عشرة أو اثني عشر دينارا ومع هذا كانوا مضطرين إلى تحمل مشقات كثيرة حتى يستوفوا تلك النقود منهم لا سيما فى القرى ومنازل البدو وسكان الصحراء الذين لا يعرفون العيارات، ويترددون فى أخذها عاجزين عن إدراك ما هو أفضل لهم.

وعائلة وجود الذهب والفضة إنما تتمثل فى أن حاجات الناس تقضى بواسطةهما وسرعان ما يحصلون على الأشياء التى يريدونها وعندها يصير حال الذهب والفضة على هذا النحو [ص ٤٩٢] تروح الأثواب وتظهر الثعالب، ولا يقبل أحد هذه العملة وقت الصرف، فيكون ذلك خلاقا لوضع للعالم وطبعه.

فكر سلطان الإسلام خلد الله ملكه فى أن يتذكر هذا الخلل وذلك على الوجه الآتى:

أولا صرب السكة وفق طبعه، ووضع عليها علامة لا يتيسر لكل شخص تقليدها وأمر بأن تصرب السكة فى كل البلاد من الذهب والفضة كى ينقش عليها اسم الله واسم الرسول واسمه هو أيضا. وفى جورجيا<sup>(١)</sup> كذلك لم تكن السكة هناك تحمل على الإطلاق

(١) أصبحت إمارة جورجيا للمعول من إيران، وكانت تدفع لهم الخراج نقدا أو عبا، وتعمل جلعندة لقيى نلسى السياسة التى اتبناها للمول وكان على الكرج أن يمدوا للمول بحد من جودهم فى زمن الحرب وقد اعترف للمول الجيش القادم من جورجيا جيشا مثاليا وكفا كما أن للمول أظهرها ميلا دولما بالكرج بسبب مهارتهم العسكرية ولكرتهم إعراس العبيد للحدود القوقازية وفى مقابل ذلك سمح لهذه الدولة بنسب وفقر من الاستقلال فى الشؤون الداخلية والمالية، وكان باستطاعتهم أيضا البت فى شعوبهم العسكرية دون تدخل للمول (انظر كتاب العالم الإسلامى فى العصر العثماني، تأليف بروتك شيرلر، نقله إل العربية خالد اسعد عيسى، راجعه وقدم له سهيل ركاز، وقطعة الأول / ص ٦٨-٦٩، دمشق ١٤٠٢-١٩٨٢م ٤

اسم الله واسم الرسول، فسكت غارون على سبيل الضرورة على النحو المقرر عند النجر (المخرج)، إذ لم يكن يروج عندهم غير تلك العملة وكان نظام التعامل قبل ذلك يسير وفق ما تعارفوا عليه إلى أن دعت الضرورة إلى أن تصرف هناك أيضا هذه السكة المعمول بها في إيران، وإلا فإن نفدهم ما كان يتداول في أي موضع آخر. هذا على الرغم من أن السكان هناك كانوا عصاة متبردين. وهكذا تقرر ضرب السكة من الذهب والفضة وتداولها في كل البلاد على النحو المذكور.

ثانياً فيما يتعلق بتفريغ الميار، قال: إنا لو سحنا بإنقاص شيء قليل من عيار الذهب الشرعي المتداول كالقصد الخليع والمصري والمغربي، لأنقصوا كثيراً من العيار بمجرد الترخيص، وبالحيل والتليس يظهر أن ذلك الميار بشكل آخر ولم يكن معتشوا على علم بذلك، أو أنهم يتقاضون رشوى يهملون الأوامر.

وإذن فالمصلحة تقتضي أن تصرف النقود بصورة مطلقة من الذهب الخالص؛ بحيث يمكن سكه بالورق، وإما الفضة خالصة فيمكن تخليطها بالزئبق، حتى إذا دخلها تخليط ولو بقيد شعرة فإنه يمكن إظهاره ومعرفة إما من اللون، وإما من ..<sup>(١)</sup>، وإما من العومة وإذا صهرت بالنار فإن التخليط يظهر في الحال، ويسهل على كل شخص معرفة قيمتها. وحيث إن السلطان أراد أن يكون العيار في كل البلاد على هذا النمط، وكانت مواضع التعاون كثيرة في العبارات أمر قائلا: "إذا بعد هذا القرار حجة فإن كافة الخلق سوف يلحقهم الضرر، ويصجون بالشكوى فالأول إذن أن يسك كل درهم بأربعة دنانير من غير أن تكون هناك مصلحة من وراء ذلك، ولو بنصف أو ربع دنانير [ص ٩٣] ولم يكن هناك سكة يضيرونها في هذا الرمن بنصف مثقال بما كان يساوي نصف الدنانير خالصا، ونصفه الآخر مريفا. أما الآن يساوي نصف مثقال فضة خالصة. وحيث إن قيمة الذهب والفضة تكون بمقدار عيارهما فإن كل شخص يملك نصف نصف دنانير أي (ربع دنانير) خالصا والنصف الآخر مريفا، ثم يصرفه بدرهم واحد، أو يجعله خالصا في نصف مثقال، يصرفه بذلك الدرهم الواحد. وبالتفريق تبين أنه قريب من القيمة المحددة، ولا يحدث ضرر كبير ومن هنا أحد الناس يستبدلون راضين كل ثلاثة مثاقيل فضة خالصة مسكوكة بثلاثة مثاقيل

(١) حكما في الفن



وصف متغال من العصة التي كانت في أيديهم. وكان السلطان يستفسر عن قيمة الذهب المتداول ويأمر بسكه وتتميه على نحو مرضي؛ بحيث لا يحدث تفاوت قط. وأما الذهب المرموز الذي لا يستطيع أحد تغييره عن المذهب المطلق بالذهب، وكذلك أنواع الذهب الأخرى القليلة العيار، والأقل قيمة، فإنه أمر بأن يسمر بسمر أرخص ومقصوده من ذلك أن الصيارمة عندما يدركون أن في صهر الذهب ربما لم يشتروه كله، ويصيرونه ذهباً عالصاً. ومتى عرفوا تلك العائدة فإنه خلال عام واحد لم يعد أحد يرى في البلاد مثقالاً واحداً من الذهب القليل العيار.

ولما كان الذهب الأحمر (الإريز) الخالص يوجد نادراً في الأسواق فيما مضى فإنه إذا توافر منه قدر محدود فإنه مائة مشتر كانوا يظهرون لشراؤه. وكان المشهور أن الثياب والأقمشة المنسوجة وما شابهها تلك التي كانت توشي بالذهب، وتستهلك كثيراً من الخيوط الذهبية متوافرة في عصر الملوك. كما أنها من البضائع التي تروح في الهند وتعمل إلى هناك. ولهذا قل الذهب في ذلك الوقت. لما الآن فإن الذهب الأحمر يتداول بكثرة في الأسواق بيد كل قروي، ولا نهاية له، وبه تنجز كل المعاملات. وعلى هذا لم يبق في البلاد من الذهب والفضة غير المضروبين بهذه السكة.

ثالثاً: بالإصاصة إلى ذلك صلوا قرار يقضي بأنه إذا عثر على ذهب وعصة مرمية في يد أحد الأشخاص فإنه يجبر بحرماً. وجرماً على العادة القديمة لا يقولون: دلنا على ذلك الشخص الذي أعطاك هذا الذهب؛ إذ إنه في ذلك الزمان كانت أنواع [ ص ٤٩٤ ] الذهب المرمية موجودة. أما في هذا الزمان (أي في عهد غازان) فالأمر يقتضي ألا يتعامل أي مخلوق بغير الذهب والعصة. ومن لا يعرف الذهب يعرضه على شخص آخر كي يتناط لنفسه. وحيث إن الأمر يجري على هذا الموال لا يقدم أي مرمية على ترهيب الذهب؛ لأنه يعرف بالتأكيد أنه لن يقلب منه؛ ولأن الجميع يتناطون. وفي هذه المدة التي نقت فيها أمر عظيم كهذا في كل البلاد، لم يكن الأمر محتاجاً لأن يقتل أحد جزاء مخالفته. ولقد دأب الخبير وانتشر في كل البلاد، ويقضي بالأمر هناك سكة أخرى قط ولا عيار آخر غير المذكورين وأمر أيضاً بالتعامل بالفضة المسكوكة، بحيث يرد الدمار المتداول ثلاثة مثاقيل حتى لا يربطه أي مخلوق.

ولما صار النقد متساوياً في كل البلاد استراح الناس، وأحد التجار يستبدلون الأمتعة بالنقود التي كانوا يدعرونها. والآن يحملون أنواع البصائع إلى كل بلد وقد رخصت أسعارها، وتنفع جميع الناس بموالاتها، وانتشر اسم سلطان الإسلام. خلد سلطانه وذاغ بالاستحسان والثناء. وقد قرئت الخطبة وصريت السكة باسمه المبارك. كذلك أمر السلطان عازان بسك عملة من أجود أنواع الذهب، تزن كل واحدة منها مائة مثقال، ونقش عليها اسمه بخطوط كل الولايات، حتى يعرف الجميع عدداً يقرأونها في كل المواضع أنها من صريه. وقد نقش عليها آيات القرآن الكريم وأسماء الأئمة الاثني عشرية (رسمي الله عنهم). وكانت هذه العملة شتار بالجودة والظلف إلى أقصى حد بحيث إن كل شخص يحتر عليها، لا يميل إلى تركها. وفضلاً يريد أن يحتفظ بها. وعلى سبيل الشهرة وإداعة الصيت صرح السلطان قائلاً: "عندما نمن على أحد نعطيه من تلك العملة المتارة"<sup>١١٣</sup>. مثل هذه الاعمال العظيمة التي لم تنح لأى واحد من الخلفاء والسلاطين السابقين قد تيسرت ومهدت لسلطان الإسلام خلد سلطانه وهي لازمة لراحة الخلق. عليه الله تعالى أبد الدهر بمه وكرمه.

(١) يبدو أن هذه العملة كانت للإهداء فقط وليست للتداول. هذا ويذكر جوار أنه لم يحتر حتى الآن على شروح من هذه المسكوكتات (تاريخ مغول در ايران، ترجمة دكتور محمود ميرفتاب، ص ١٩١ - ١٩٥).

## فى تعديل أوزان الذهب والفضة والأحمال والمقاييس

## والمكاييل والمساحات والأوزان الأخرى وغير ذلك

قبل هذا كانت أوزان الذهب والأحمال والمكاييل والمساحات والأوزان الأخرى مختلفة فى البلاد، بل حتى هذا المزمع، كانت تختلف أيضا فى نواحي كل ولاية ولهذا السبب كان يقع خلل كبير فى محيط الأسعار. وكان التجار يفللون من شراء البضائع لأنهم كانوا كلما حملوا نقودا من موضع إلى موضع رادت قيمتها. وبمجرد ما كان الورد يتناولت كان يتحقق الربح للتجار وقد ترتب على هذا أن كسدت سوق البضائع فى بعض الولايات وانعدم وجودها فى بعضها كذلك وكانوا يتعاملون بالأصغر منها مع الغراء، وبالأكبر عينا بينهم. وإذا كان الغريب يعرف ذلك أو لا يعرف فإنه للصورة مرمى بالأمر الواقع وكان القرويون يشهد الواحد منهم للآخر كذبا وروا على أن المكاييل عدل وصحيح. أما مكاييل الحبوب التى كانت تعطى للحناء، أو تقدم كهدايا، والتى يبيع أن يرن كل مكاييل مائة من فإن ما يظهر منها سبعون أو ستون ما فقط، بل أقل من ذلك أيضا. لكن الأشداء يأخذون حقهم كاملا، بل وأريد أيضا، وذلك بضرب المرافاة. ولهذا السبب كان الناس دائما فى شقاق ونزاع.

عن هذه الأحوال المختلة قال سلطان الإسلام: "حيث إن كل المسالك طوع أمرا، فما الداعي إذن لوجود هذا الاختلاف؟! عليا أن تضبط تلك الأمور وبصلحتها بحيث تكون كل المواضع متساوية وتعمل حتى لا تبقى أوزان مختلفة فى الأسواق والولايات والقرى كى لا يستطيع التجار التلاعب والفسقة.

وبمصر من هذا الموضوع عمل السلطان فكرة الباركة، فأصدر مرسوما ينص على وجوب الإصلاح والتدبير والترتيب على النحو الذى نسجله وبوضعه ونينه فيما يأتى.

**[ص ١٩٦] نص المرسوم الصادر بشأن عيار الذهب والفضة  
الذى أمر به السلطان على التوجه الذى هو أفضل كل الوجوه**

**بسم الله الرحمن الرحيم  
بإذنه تعالى وبإمر المنة المحمدية  
فرمان السلطان محمود غازان**

ألا فليعلم الشحى والملوك والكتاب والسواب والقضاة والسادات والأئمة والصدور  
والأعيان والوجوه والمشاهير وكافة السكان والمسافرون وتجار الممالك أن كل أنظارنا  
وهمما السلطانية متجهة إلى رعاية أحوال الرعايا وجميع الخلق، وبشر العدل والصدق فيما  
بيهم وإقامة الأعمال الخيرية وتريد أن نزيل من بين سكان العالم الظلم والجور والبدع  
والأكاذيب التى انتشرت آمادا بمدينة بين الخلق. ذلك أن كافة الناس صاروا فى تعب  
ومشقة، ومثار اعتراض وجدال ودعوى باطلة، وحروب وحصومات؛ مرغب فى أن نرفع  
عن كاهلهم أنواع التروير والمظالم كي يتخلصوا فى هذه الدنيا من الفتن والمشقات، وفى  
الآخرة من العقوبة ومن نار جهنم.

فى هذه الآونة عندما كنا نحصى شؤون الملك ومصالح الخلق، وبصع قانونا لكل أمر  
تيسر لنا أن كل شخص بعد لمصلحته ومنفعة أوراننا من الحجارة واللبى والحديد وغير ذلك  
يستعملها فى أسواق المعسكرات والمدن. وفى كل وقت يربد ويتقص فى الورن حسب  
هواء. وهكذا يبيع ويشترى بهذه الطريقة، فبغير المقراء مقيوس ومتصررين. هذا التصرف  
لم يكن ماسيا لرأىنا الذى يرس الدباء، ولم يستحسنه، فصدر أمرنا بتعجيل أوران الذهب  
والفضة والأحمال والمكايل والمقاييس، وذلك فى كل البلاد المستنة من ضفاف نهر جيحون  
حتى حدود مصر، وأن تصنع كلها من الحديد. ثم تحتم وتضبط بحضور الشخص الذى  
عينه لهذه المهمة. وبموجب هذا النظام يباشر الناس أوصافهم فى كل البلاد، ولا يحيدون  
عه. وإن تفصيل وبيان ذلك إنشا يكون على هذا النحو الذى بشرحه فيما يأتى:

[٤٩٧] أولا: يجب أن يكون وزن الذهب والفضة في كل البلاد موازيا ومساويا لوزن

تبرير كي لا يستطيع أحد أن يتقص لو يريد فتحمل مظالم الناس، وأيضا لا يقل النقود من ولاية إلى ولاية أخرى بسبب تفاوت الوزن ومظنا يتساوى عيار الذهب والفضة في المملكة تتساوى الأوزان أيضا. وهذا السبب عينا الأستاذين فخر الدين وبهاء الدين كي يصعوا أوزان الذهب والفضة بالشكل للنسب وأن يصعوا من قبلهما في كل ولاية اثنين من الثقات وأما من قبل فاصي تلك الولاية كي يعدلوا الأوزان بمصور المختص، ويتم ترتيب وصبط ذلك، على نحو يراعى فيه أن تكون سحجات الذهب مشبة الشكل طبقا للنموذج الذي وضعه فخر الدين وبهاء الدين الخراساني. هأى شخص في كل ولاية يحتاج إلى أن يعد لعمه وزنا، عليه أن يصععه بالشكل المعين من الحديد الخام. ثم يذهب إلى الأربعة الثقات المذكورين الذين يصعوا في كل ولاية كي يعدلوا العيار باحتياط تام، ويضعوا عليه السكة، ويسلموها لأصحابها، ولا يصنع تلك السكة أى شخص آخر كائنا من كان، ولا يضعها على حجر الوزن. أما الشخص الذى يصنع تلك السكة وفق هواه، ويصنع العلامة على الحجر على سبيل التعمية فيحترم مجرما ويستحق الإعدام.

ثانيا: يجب على كل شخص يعطى السحجات والسكة أن يسجل اسمه في السجلات حتى لا يستطيع الآخرون تزيف الوزن حسب هواهم، وأن يصحص المسئولون كل شهر على سبيل الاحتياط كل السحجات لكافة الناس، ويقارمونها بالأصل، فإذا ما راد عليها شخص أو نقص منها، أو أخفاها أو وصع السكة خفية أو سرا حسب هواه، أو استعمل وزنا آخر ليس عليه ذلك الختم وتلك النقوش ثم تلتوله أو أنه زيف تلك الأوزان - فإنه يتقص على ذلك الشخص ثم يساق إلى الشحنة كي يعاقب بموجب حكم المرسوم.

ثالثا: أوزان الأحمال لها نفس الحكم والترتيب والطريقة ولكن المقرر هو أنه في كل موضع يكون الوزن أقل من وزن تبرير يعدل ليكون ماسيا ومساويا لوزن هذه المدينة [ص ٤٩٨] وكل ما كان حتى هذا الوقت - وهذا على وزن تبرير يطبق عليه القرار الشيع بالنسبة إلى السحجات ومراجعة الاحتياط حتى يتركوا وزن تلك الولاية لكن ينبغي أن تصنع كل تلك الأوزان من الحديد بشكل شمس طبقا للنموذج، وأن يراعى الاحتياط فتوضع عليه السكة، ثم يقر المسئولون الثقات الإجراءات على هذا النحو من الضبط والترتيب.

ويجوز أن تصنع أوزان الأحمال ابتداء من عشرة أمان حتى الدرهم الواحد في إحدى عشرة قطعة وفق هذا الترتيب: عشرة أمان خمسة أمان مائة من واحد نصف من ربع من شمس من عشرة دراهم خمسة دراهم درهمان درهم واحد وعندما يكون الحمل ثقيلًا ومكوبًا من قطعة واحدة يجب على موظفي الدفعة في المدن أن يصعدوا قبانًا معتمدًا عليه، يوزن به الحمل؛ بحيث لا تكون هناك زيادة أو نقصان في الوزن.

رابعًا: بسبب اختلاف المكاييل في كل بلد من كليل وفير وجريب وتعار قمح أو شعير ونظرًا لاصطلاحاتها الكثيرة فإنهم يربطون ويقيسون فيها، وكل شخص يصنع مكبالًا وفق هواه. ولا شك أن ضبط ذلك كله أمر صعب. ثم إن كل شخص لا يدرك ذلك، وبخاصة أفراد القوات المتطوعين من الممول. وكذلك التجار والبرباء الذين يصلون إلى كل ولاية. وقد يشب الخلفاء بسهم وبين الرعايا فيما يتعلق بشراء مكبال قديميوان وتسلمه على أن كل من له عليه وعود بأحد بالقوة ما يزيد عن المقرر. أما الأشخاص الصغار فيعطون أقل من المجهود وهذا من شأنه أن يسبب التفصيص والخسران والشقة والفيل والافعال بين الناس أجمعين.

هذه الأسباب أمرنا بأن يكون الكيل متساويًا في كل البلاد. وكل كيله تساوى عشرة أمان بورن تبرير، ويساوى المئ الواحد ٢٦٠ درهمًا وكل عشر كيلات تساوى تعارًا واحدًا وباستثناء الكيلة والتعار المذكورين لا يستعمل أى مكبال أو اصطلاح آخر بين الخلق حتى تكون للمعاملة والمحاسبة صحيحة، ولا يحتال الواحد سهم على الآخر. وعند تسليم التعار يقدر بالمكبال حتى لا تكون فيه زيادة أو نقصان ولما كانت الجيوب من القمح والشعير والأرز والقمح والبقول والسمسم والجوارس وغير ذلك، وبعضها أخف أو أثقل من بعضها الآخر، ينبغي أن يصنع لكل نوع من تلك الجيوب [ص ٤٩٩] مكبال خاص به، بحيث يعادل عشرة أمان بالضبط. ثم يكتب اسم محتوى كل مكبال على أربع جهات بمروان "مكبال الحب العلاتي"، على أن تفوض دار القضاء "المعتمد" للقيام بهذا العمل، إذ إنه الشخص الذى عهد إليه بالإشراف على أوزان الذهب والفضة والأحمال، وعلى المسؤولين أن يحتاطوا لتلك المكبال بالاتفاق مع المختص، وأن يصعدوا على أطرافه أيضًا علامة خاصة به، بحيث لا يمكن حدوث أى تزوير أو محاولة للنقصان أو الزيادة.

وكل شهر تتخذ الحيلة هي المدن والولايات؛ بحيث إن كل شخص يصنع ميكالاً بعير العلامة الخاصة به، ويكون هي حورته، يقص عليه ويسلم للشحنة، ويعتبر مجرماً، وتقطع يده، ويؤخذ بجرمه وجانيته. وبأى حال من الأحوال، ولأى سبب من الأسباب لا يكون هناك بعد ذلك هي كل الممالك ابتداء من صغاف مهر جيهون إلى غنوم مصر أى ميكال أو قعير أو جريب سوى الميكال دى العشرة أسان، واثنان دى المائة من وإذا وجد فإنه لا يهدم به، ولا يصنع ميكال لو مقياس آخر. وإذا أريد صنع نصف ذلك الميكال دى خمسة أسان فإنه يجوز ذلك؛ بحيث يتكون من العشرى ونصف الميكال تغار واحد

خامساً: يجب تحديد ميكال الذهب والفضة والسمن، بحيث يكون كل ميكال عشرة أسان مساو لورن تبرير. وإذا أريد صنع نصف ميكال فإنه يجوز ذلك؛ بحيث يكون خمسة أسان بورن تبرير. وأما قرب الذهب فما كان يقدم منها طعاماً للجود أو الإهداء فإن الواحدة منها تقدر بحمسة ميكالات، وتزن خمسين مثلاً. وأما ما يقدم في المآذب والحفلات فبها تكون أربعة ميكالات تزن أربعين مثلاً.

سادساً: تقاس كل الأذرع التي يقيسون بها الأقمشة بالأذراع التبريري، ولا يقيسونها بالأذراع الرومي الذي يختلف كثيراً عن الذراع التبريري. لكن يوضع على أعصى كل الأذرع الختم الذي صممه الأستاذان مخر الذي وبهاء الذهب الخراساني أما المودج الذي يعطى للمسؤولين، فإنه يوضع على طرفي الذراع ويكون تنفيذ ذلك على النحو الذي سبق شرحه وفي المدن يشرف على هذه العملية المعتمدون المذكورون وكل من يعير ويبدل في المقاييس بعد مجرمًا ويستحق الإعدام

أوصل الله تعالى بركات مثل هذا العدل والإنصاف إلى إمام السلطان المباركة الميمونة.

## الحكاية الثانية والعشرون

### في تنظيم شئون المراسيم والهيئات وتسليمها للناس

[ص ٥٠٠] بخصوص المراسيم قرر السلطان أن يعرض عليه في الوقت المناسب كل كلام في حالة صحوه و يقظته. ولو أن سلطان الإسلام خلد ملكه - حتى وقت تناوله الشراب أيضا لا يستطيع أى مخلوق أن يموه عليه على سبيل الخيلة والتليس والمغالطة. كما لا يستطيع الحصول على إذن يسمح له يعرض كلام غير مستساغ ولا جدير منه. ولا يمكن أن يعرض عليه موضوع غير منطقي لا فائدة منه، أو أن يطلب إليه البت في أمر على سبيل العجلة والتسرع؛ فلم يأت أن يعرضوا عليه كلاما في مثل هذه الأحوال.

كذلك أمر السلطان بأن يعد الأُمراء صور المراسيم يعد عرصها عليه، إذ إنهم يعرفون مصاح ذلك، ويتركون كل أمر. وإذا كانت هذه المراسيم غير معقولة وبعيدة عن العمل الذي يمارسونه، فعليه ألا يكتبوها بناء على التماس كل شخص. وهناك أيضا كثير من المهمات التي يعني أن تراجع بشأنها للسجلات الدنيوية مع ذكر المواضع والمبائع. ويجب الاحتياط عند كتابة المسودة، فيقرأونها لفظا بلفظ بحضور كتاب المعول، ثم يعرضونها على الحضرة. حتى إذا لزم إصلاح فإنه يصحح بقلم السلطان المبارك أو بلفظه المبارك. وبعد تبين المسودة يعرضونها عليه مرة أخرى، ثم يخطونها، ويقولون: إن الرسوم الفلاني الخاص بعلان قد عرض في اليوم الفلاني وقرئ في اليوم الفلاني، وذلك حتى يؤذن لهم بوضع الدفعة.

وقبل هذا كان مفتاح صندوق أختام الدفعة الكبيرة على يد الكاتب. أما الآن فهو في عهدة الحضرة المبارك، ويسلم وقت الحاجة كي يتختم به الكتاب المراسيم متفقين، ثم يعينونه إلى موضعه. كذلك عين السلطان أربعة أمراء من أربع فرق، وأعطى كل واحد منهم على حدة ختما أسود (قرا صفا) حتى إذا ختموا به الرسوم سجلوا ذلك على ظهره بحيث لا يمكن إنكاره مطلقا، أو أن يقولوا: إن ذلك لم يتم بمعرفتنا. بعد ذلك تعرض هذه المراسيم على الورداء وأصحاب الديوان مرة أخرى كي يتناطوا للأمر ويتأكدوا متسائلين: هل حدث تلاعب أو لا؟ وهؤلاء يصنعون أيضا دفعة الديوان على الرسوم، ويسلمونه



للشخص المعين. ثم عين كاتباً كي يكتب في السجل صورة الرسوم لفظاً بلفظ ويختتمه ويذكر [ص ٥٠١] اليوم الذي ختم فيه بالدمعة، ومن كتبه، ومن عرصه. وبعد انتهاء العام يشأ من جديد سجل آخر نسجل فيه المراسيم؛ بحيث يخصص سجل جديد لكل سنة. والمقصود هو ألا يتيسر حدوث تزوير أو تخليط، ولا يستطيع أحد قط أن يكرر عرص الرسوم أو كتابته ويختمه. وكذلك إذا أعطى أحد مرسوموا، ووجده شخص آخر، وأراد أن يحصل على حكم يخالف ما نص عليه الرسوم فإنه يرجع إلى السجل كي تعلم الحقيقة، ولا يحدث خلاف ما عرص. وإذا ما اتهم صاحب الرسوم فإنه من ذلك السجل، يمكن معرفة ما إذا كان قد أدخلت زيادة على ما هو مقرر له أم لا. وبما على هذا يؤخذ هو أو من اتهمه؛ وذلك حتى تنتظم أمور الأحكام بصورة دائمة، وتعلق أبواب الاعتراضات المرفوعة. وأمر السلطان كذلك ألا يأخذ الرسل من أحد شيئاً في مقابل ختم الرسوم بالختم الأحمر. والحق أنهم بهذه الإجراءات قللوا كثيراً من أولئك الذين كانوا يطمعون بالنسبة إلى ما كان عليه الحال قبل ذلك.

كذلك عين لكل أمر هام دمة خاصة؛ فالدمعة الكبيرة للصوغة من اليشم<sup>(١)</sup> خصصت للحكومات السلاطين والأمراء والملوك العظام ومعظمت الأمور. وخصصت للقضاة والأئمة والمشايخ دمة أخرى من اليشم أيضاً، وهي أصغر قليلاً. أما للأمور المتوسطة فقد خصصت دمة كبيرة من الذهب وهي أقل قيمة من اليشم. ومن أجل ركوب الجند وروهم تستعمل دمة خاصة من الذهب بنفس ذلك الخط وال نقش المهودين، على أن ينقش على أطرافها صورة قوس وهراوة وسيف. وينصي الفرمان بالأمر بركب الجند أو يتزولوا بناء على كلام الأمراء أو أي مخلوق ما لم يروا تلك الدمة، وذلك باستثناء جند الطليعة الذين يقومون بمباشرة مهمات الثغور وحراستها. كذلك هناك فئة قليلة من الجند لمراقبة الطرق على سبيل الاحتياط، فعلى هؤلاء أن يركبوا ويترزولوا بناء على أوامر أمرائهم. واتخذوا أيضاً ختما ذهبياً صغيراً يختم به حوالات الخزانة والولايات وملحقاتها والمواصات والرسائل الديوانية التي تكتب بمصوص للعاملات والرى والملاحة؛ وذلك بعد أن يكون كتاب الديوان قد كتبها بموجب التائشيرة، وكتبوا على ظهرها عبارة مختصرة بالخط المعولى حسب التعليمات حتى يختموها بتلك الدمة.

(١) اليشم مصطلح عام يشمل مجموعة من المعادن الصلبة التي تدرج أقرانها من الألماس تقريبا إلى الأحمر الأديس وتكون من سلكات الكلسيوم والفسفور غير القابلة. (انظر المجمع الوسيط، ج ٢ ص ١٠٦٥)

والآن عندما تتجمع الحوالات والرسائل الكثيرة [ص ٥٠٢] تعرض على المحصرة فيأخذ المسئولون محتاج الصنف ليختصها الورراء وسواب الديوان بمعرفة "صاحب الدفعة" (صفاحي). هذا على حين أن الآخرين يشتونها في السجل المحفوظ أيضا في ذلك الصنف حتى تنصح معرفة أى شخص يختص بالدفعة، وفي أى وقت تم ذلك. ومع توافر مثل هذا الضبط والترتيب كيف يبقى مجال يمكن معه كتابة حوالة بدائق من الذهب دون الإذن المبارك ١٩

وعندما قررت هذه الضوابط وبعثت خطر للمكر المبارك أنه لما كانت مهمات الملك ومصالحه ومناسبات الناس أكثر من أن تتيح الفرصة الكافية لقراءة كل مسوداته؛ يعني أن يفكر في اتخاذ قرار آخر في هذا الشأن حتى لا تشغل مصالح الناس، ولا تلحق مشقة بأرباب الحاجات لهذا السبب. وحيث إتهم أيضا بكون صورة لكل مهمة فلا بد ألا تبقى في ذهن الكتاب مصائبها لكثرة ما يكتبون؛ ومرة أخرى يحدث اختلاف في العبارات ويظهر الاختلاف في تلك الأحكام التي تكون قد كتبت لمهمة واحدة. ولتلافي هذا النقص أمر بأن تصبط أنواع المهام ومناسبات الناس بما قد يمكن وقوعه؛ وذلك اعتمادا على القياس وإعمال المكر، وأن تكب لكل منها صورة تشتمل على جملة الشروط اللازمة لتلك المهام بتفكير تام وعناية فائقة.

وعندما درست كل هذه القواعد والشروط، استدعى السلطان الأمراء وقال لهم: إن الأحكام التي تصدر إما هي بأمرى، وتعرض بواسطتكم. وحيث إنه يجب على كل مخلوق ألا يكون قادرا على إحداث تغير في هذه الشروط بسبب تلونه وعدم ثباته يلزم أن نقرأ هذه المسودات، ونعمل المكر في كل باب من تلك الأبواب، بحيث نحاط للأمور، ولا يبقى أى شيء مهما دق لو صغر، ونترك مهملا وغير مرعي. وبذلك يكون ما نقره موافقا لرأيها ورأيكم، ويجعله دستورا لنا. بعد هذا يت في كل القضايا على هذا النحو، ونحكم بناء على ذلك، حتى تجرى كل الأمور على موال واحد وقانون واحد، ولا يتطرق اختلاف إلى أقوالنا. ويجب على المسئولين أن يتشاوروا في الأمر. وعلى سبيل الاحتياط يصلحون ما يرونه في حاجة إلى إصلاح؛ بحيث يستقر رأيكم بالإجماع على قرار واحد. وبعد ذلك يقرأ ما كتب مرة أخرى بحضوركم؛ فإذا ما بدا لكم شيء من خلل فعليكم أن تشاوروا وتصلحوه. [ص ٥٠٣]

وبعد إتمام هذه الخطوات الإصلاحية استقر للرأى حسب الأوامر الصادرة على أن تكتب كل تلك المسودات فى سجل، سماها "قانون الأمور"، وأمر بأن تسح الأحكام فيما بعد من تلك المسودات دون ريادة أو نقصان وإذا اتفق - وهذا نادر - أن وجدت صورة لم تذكر فى السجل فإنه تعد لها مسودة ثم تعرض. وأحيانا إذا لزمّت إضافة جديده تتناول الشخص والموضع والخصائص الحال والوقت فإن على المسئول أن يكتبوا - على حدة تلك الألفاظ القليلة، ثم يعرضونها.

وحيث إن مثل هذا المضبط والترتيب لم يكن لهما مثل فى أى عهد سدت أبواب الجداول والمراجع التي كانت تحدث فى الأحكام نتيجة اختلاف العبارات. وبذلك انتهت حيرة أصحاب الحاجات، ونهيات لهم العرض المناسبة، واستراح الخلق، وتحقق للجميع وثوق تام فى مثون الأحكام، ورسخت حرمة المراسيم وعظمتها فى القلوب. وقد رال سعى وأراجيف المفسدين والعضولين الذين كانوا يستنبطون الأحكام وفق أمرائهم ووصحت مراتب الخواص والعوام والحكام والمحكومين والظالمين والمظلومين ولا شك أن صافح هذه الصواب أكثر من أن توصف.

أما بخصوص ترتيب وتبويب منح الأمانات<sup>(١)</sup>، فقد أمر السلطان بصنع بامرات كبيرة خاصة بالسلطين والملك والشحن، وهى مستديرة على هيئة رأس الأسد، ومكتوب عليها اسم ذلك الشخص الذى يمنح الأمانة ثم يسجل ذلك فى السجل، وتظل فى يده طوال مدة عمله. ثم تسترد بعد عزله؛ إذ إن الأمانة تظل سنوات عديدة مخصصة لتلك الولاية. ومن المقتطوع به أنها تمنح للملك بعبه، ولا تعطى شخصا آخر غيره. وكان المعتاد قبل ذلك أنهم إذا كانوا يرسلون - خلال عشرين سنة - عشرين حاكما إلى إحدى الولايات، فإنهم يمنحون كل واحد منهم أمانة. وكان كل حاكم يحتفظ حتى بعد عزله أن الأمانة أصبحت ملكا له، فكان يرسلها فى الخفاء إلى أحد الأماكن لإيجار مهماته الخاصة.

(١) الأمانة نوعا من الذهب أو الفضة أو الخشب حسب رتبة المهنة إليه. وهى تشبه الميثاق فى العصر الحديث وتكتب على وجهها اسم الله واسم صاحب الخزانة والملك. وحلقة خاصة. وقد أمر فخران بأن يكتب عليها أيضا اسم الشخص الذى يمنح الأمانة فسمى أمراءها ما كانت تزيه صورة الأسد. وهذه خاصة بالملك. وتهدى الأمانة إلى من يثق بهم الملوك من كبار الشخصيات ورجال الدولة، ويمنح حاملها بامتيازات خاصة فله الطاعة على كل من فى دولة الملوك.

وأما بخصوص الملوك والشحن دوى الرتبة المتوسطة، فقد خصص لهم بايرات أصغر من السابقة. وهى ذات نقش مخصوص ومكتوب عليها اسم الشخص الذى تسج له البايظة وفقا للصوابط المذكورة، ومنع ما كانوا يعطونه قبل هذا من وسائل كفى يصنعوا الباييرات فى الولايات وعين السلطان صائعا يلازم البلاط، وهو الذى يصنع الباييرات. وعد تسليم البايظة المصوعة من الفولاذ نقش عليها نقش معين بحيث لا يستطيع شخص أن يقلده بسهولة وبشرط أن يتم ذلك فى حصرة السلطان، ثم يطرق بالطريقة حتى يثبت عليها [ص ٥٠٤]

والنقص هو أن تظهر البايظة المزورة بواسطة تلك العلامة.

وبخصوص الرسل الذين يركبون خيول البريد فقد خصصت لهم نفس الباييرات المستديرة، ويكتب عليها بايظة الخزانة ثم يسجل اسم الرسول فى السجل. وعد عودته تسترد منه.

وأما بخصوص الرسل الذين يذهبون بالبريد الرسمى للدولة، فقد أمر لهم السلطان بايظة مستطيلة على رأسها صورة القمر، وتسج هذه البايظة أيضا وتسترد وفقا لهذه القاعدة وعندما تقرر إبعاد أمراء الثعور دعت الضرورة إلى استخدام البريد الرسمى، كما تقرر أن يصبح كبارهم خمس بايرات مصوعة من النحاس. أما ذوو الرتبة المتوسطة، فيسجون ثلاث بايرات يسلمونها للرسل الرسمى العلوي.

وقبل هذا كان أمام كل واحد من الأمراء الأتقياء والخوفاة والأمراء أنواع من الباييرات. وكان هؤلاء يسرون الرسل تباعا إلى الولايات لإنجاز كل عمل يريدونه وقد ثبت واتضح للجميع كيف ظهر أثر هذا التدبير المحكم وكيف ظفر الناس بأى نوع من الراحة.

أوصل الحق تعالى بركات هذا العدل والإنصاف إلى أبهام السلطان المباركة.

## الحكاية الثالثة والمشرون

### فى تدابير استعادة المراسيم والبايرات المكررة التي كانت فى أيدي الناس

نقتضي طبيعة العالم أنه فى عهد كل ملك توجد طائفة من الناس تناسب أساليب حكمه، وتتفق مع عاداته وميوله. وهؤلاء القوم صاروا مقدمين على غيرهم، وإليهم تفوض شئون تلك والولاية، وهم ينفذون الأحكام على طريقة ذلك الملك إن عدلا وإن جورا ويسلمون للناس المراسيم والفرمانات. وعندما ينتقل الحكم إلى ملك آخر فلا يمر من أنه يرغب فى إحالة تلك المهمات إلى أشخاص يسيرون وفقا لعاداته ورسومه، ويصدرون أحكاما بصورة تناسب مع طبيعة عهده؛ ذلك أن كل عهد يقتضى نوعا خاصا من الحكم. والمتشاهد قبل هذا أنه فى عهد آباء وأجداد سلطان الإسلام حلد ملكه أن كل ملك إذا ما أراد أن يجمع المراسيم والبايرات السابقة التي كانت فى أيدي الناس بالحق أو بالباطل فإنه يسيّر [ص ٥٠٥] رسلا مشهورين يحملون الأوامر المحكمة العظيمة والمصوغة فى أسلوب من المبالغة والتهويل. ويحمل الفرمانات هو أن من يخفى مرسوما من المراسيم أو بايرة من البايرات يعتبر مجرما. وكان هؤلاء الرسل ينفقون نفقات باهظة فى طريقهم إلى الولايات بحيث لا يحتويها الحصر والعد، وصاروا يعقلون جميع من عندهم مراسيم ومن ليس عندهم. وكانوا يضربونهم ويرتكبون فى ذلك المخالفات، ولكن حامل المرسوم الذى سحب منه فإنه على الرغم من أن هذا المرسوم لم يكن يصلح له، لكنه فى سبيل المحافظة على كرامته، وحتى لا يبدو فى نظر الناس حقيرا ينفق نفقات باهظة كي يعيدوا إليه المرسوم. وبذلك يتحقق له الإجلال والاحترام.

وبخصوص البايرات كان يحدث مثل هذه التصرفات. وكان الرسل يطوفون حول العالم بصورة مستمرة، ويحصلون بهذه الطريقة على أسواق طائلة. ومع هذا لم يكونوا يستطيعون إحضار مرسوم واحد من مائة مرسوم. ومع ذلك كانوا يحضرون هذه المراسيم فى تلك السوات. ثم يكتب الكتاب مراسيم أخرى لتأييد المراسيم التي بأيديهم. ومع أنهم كانوا يستردون المراسيم الباطلة صاروا يعطون كل شخص مراسيم كثيرة مختلفة متناقضة

لأن الطريقة المتبعة في ذلك الزمان فيما يتعلق بإعطاء المراسيم، كانت تتطلب لجوء كل واحد من الناس في العالم إلى أحد الأمراء، ويأخذ مرسوما حسب رغبته. وبسبب اختلاف المتابعين، وتعصب الجماعة كانوا يرسلون كثيرا من المراسيم المتتالية المتعاقبة مما لا يمكن شرحه وهكذا كانت تعصي الأوامر بتلك الطريقة، ويموت هؤلاء المخصوصون وهؤلاء الأمراء ثم يموت أبناؤهم، ويسلكون نفس السلوك، ويد كل واحد منهم يحسون مرسوما، بحيث إنهم إذا حضروا للتحقيق معهم فإنه - خلال عشرة أيام - لا توضع صورة أحوالهم، ولا كيفية حصولهم على المراسيم. وسة بعد أخرى لا يهتمونها، وإذا ما فهموها اتضح أنها كلها على غير أساس وباطلة. وقد كتبوا ببلغ التعصب، أو أنها عرضت عن طريق الرشوة، أو أنها صدرت بغير إذن السلطان، ودون إشارته. وكثيرا ما كان يحدث أيضا أن يتفق الأمراء الكبار، ويعرضوا مرسوما مميلا لمصلحة أحد الأشخاص، فكانوا يعطونه التأييد، وتكتب صورة المرسوم على وجه التحقيق ولكن ذلك الشخص يصيب عدة أخطاء مختصرة يدخلها على المرسوم، فيعتبر ذلك القرار الذي اتفق عليه الأمراء تعبرا كليا [ص ٥٠٦] يوافق مصلحته وكان يخال كفي يصيب هذه الريادة إلى الصورة، أو يعطي الكتاب هدية قيمة حتى يكتبها ثم يمسك بها. وكثيرا ما انتهر الكتاب الصغار الفرصة وأعطوا كل شخص مرسوما وفق رغبته دون مشورة الأمراء الكبار كذلك الحال عندما يعطي أحد مرسوما بأمر السلطان، ووجد شخص آخر يماثله في منزلته وصنفته، فإن الكتاب يتشبثون بذلك، ويعطون أيضا ذلك الشخص مرسوما على غرار رميته فكان يترتب على تلك القضايا الأغلب المتناقضة مائة ألف إشاعة وفتنة بين الناس. ولما كان المخصوصون جميعهم أصحاب مراسيم فإن المحققين والحكام والقضاة مهما أرادوا أن يتنوا في قضاة واحدة، ويحكموا فيها حكما قاطعا، اختلط عليهم الأمر وعمضى، وذلك لكثرة ما يد كل واحد منهم من المراسيم والهايزات. وقد أدت المنازعات إلى حد أنه في كل سنة كان يقتل كثيرون من الأشخاص بعضهم بعضا. بالإضافة إلى ذلك صار تجميع تلك المراسيم والهايزات المكررة واستردادها أمرا عسيرا. ومع هذا كانتوا يعطون الناس عددا كثيرا منها بنفس الطريقة المذكورة

أما الآن فقد أصل السلطان عزازي - خلد ملكه - فكره المبارك في تدارك هذا الخلل وأمر بإصدار المراسيم إلى كلمة للمالك، وكلها مصوغة في عبارة واحدة مضمونها أنه على

الشحن والملوك وحكام الولايات ألبا ألا يقبلوا على الإطلاق ما يقدم إليهم من الهيازات القديمة والحديثة التي في أيدي الناس، وألا يهتموا بها؛ إذ إننا أصدرنا أمرا بإلغائها كلها وكذلك المراسيم التي منحناها، وصدرت خلال الأعوام الثلاثة الأولى من حكمنا عندما كنا لا نلنا مهمكين في تدبير وترتيب شؤون الجند، وإزالة القواعد، والقضاء على الاضطرابات والعن التي حدثت، ولم نشغل بجزئيات الأمور ولا شك أن تنفيذ الأحكام السابقة كان أمرا ضروريا لتطهير خواطر الخلق كي تستقيم الأمور.

وبناء على هذا فإن المراسيم التي منحها الناس مورور وصدر الدين والشواب الآخرون وفق مرادهم وهواهم [ص ٥٠٧] كلها باطلة حتى هذا التاريخ الذي باشرنا فيه بأنفسنا ضبط أمور الممالك؛ فقررنا أن نعرض المرسوم علينا، ثم يسلم للناس. وبمجي أن يعترف الجميع بصحة كل ما يصدر من المراسيم بعد هذا التاريخ المذكور، وألا يهتموا فقط بالمراسيم الأخرى التي صدرت عنا وعن السابقين علينا، فتقدم كلها إلى حصرنا لنقرر ما فيه المصلحة. ولا شك أن مراسيم الملوك السابقين كانت حسة ومعتلة، وما دما قد وقعا على المراسيم التي ينبغي أن تكون حامية وسلا وماموسا وبركة، فكيف يجوز لنا أن نستردها؟ إننا سوف نضع دعة معينة على ظهرها، ونعطيتها الرؤساء لتكون في أيديهم وتكون أكثر تدعينا وسوف نعد هامة بشكل آخر. وكل من يجوز هامة، عليه أن يحضرها ويسلمها خلال ستة أشهر، وذلك حتى نعطى هامة جديدة كل من يسلك طريق الصواب. وبعد ستة أشهر سوف يقص على كل شخص تكون في حيازته هامة قديمة، ويعتبر مذبا ونسرد منه.

ولما أصدرنا هذا القرار دعت الضرورة جميع الناس إلى إحضار مراسيمهم لتجديدها وكل ما كان منها صحيحا يعتمد بالتوقيع، وكل ما لم يكن صحيحا يسترد من حيازته. وبهذا الإجراء ظهر الحق من الباطل والصدق من الكذب، وتخلص أرباب التواميس من عار خسة الدخلاء. وحيث إنه لم تعد هناك أهمية للمراسيم القديمة لا سيما المكرر منها، لم يستطع أحد أن يظهرها إذا كانت لا تزال في يده، فضلا عن أنه لن يلتصق إليها، توقع صاحبها في الدب. ونخضع الهيازات أيضا لكل هذا النظام. وما أن نفذ هذا القرار حتى اختفت مجموعة تلك المراسيم والهيازات؛ لأن أصحابها أخذوا بعضها مجددا، ولم يجرؤوا

على إبرار بعضها الآخر. ولقد ذاع القرار وانتشر، وبمصر صراحة على عدم الالتفات إلى المراسيم والهايزات القديمة في أى عهد من العهود؛ إذ إن الناس يطمون على وجه التحقيق أنه لو كان هذا الإجراء صحيحا لاتباع على الفور في عهد مثل هذا السلطان العادل. ولاشك أن هذه الطريقة الصحيحة هي دستور جميع الملوك والأمراء والحكام في كل عصر. وإذا كانت قد بقيت هائلة ذهبية أو فضية في حوزة أحد الأشخاص فإنه ما لم يسلمها فليس يعطي أخرى عوضا عنها. وإذا كان متبصرا بعواقب الأمور فإن عليه أن يبادر بتسليمها [ص ٨٠٥]، وإلا فإن عليه أن يصهرها وينفق ما يصهره

ومن المؤكد أنه سوف يصل الأمر عن قريب إلى حد أنه لن تبقى واحدة من الهيازات التي أحدثت خلال مدة سحيق سة بطل وأسباب مصللة. وهكذا بعد سلطان الإسلام مثل هذا العمل العظيم بتدبير مسير قرره يعطته وكهاسته. أدام الله ظل معدته والسلام.



## المكايبة الرابعة والعشرون

### فى منح جند المغول الإقطاعيات فى كل ولاية

قبل هذا لم يكن لكافة جنود المغول مرتبات وملابس وقطاعات ومؤن. وكان بعض الأكابر منهم يأخذون قسرا من الزاد، والأغلبية لا يأخذون شيئا. كما أنه فى العهد السابق عندما كانت عادات المغول ورسومهم لا زالت مرعية كان جميع الجنود يمنحون كل سنة مراعى للخيول والأعنام والأبقار، وتزود المسكرات كما يرود الجنود الفقراء المعدمون باللباد والملابس الخشيرة.

بعد ذلك فى أوائل عهد هذا السلطان كانوا يعطون الجنود المراتبين فى أقرب مكان قليلا من الكوتة، ثم ترداد تدريجيا، وأصاف إليها سلطان الإسلام - حمد ملكه - مقادير أخرى ولما كانت تلك المؤن تحول إلى الولايات، ويختال المتصهدون فى صرفها، كان المغول يتعصبونهم وبسبب مطالبة هؤلاء المتصهدين بالمؤن كان الظلم الفادح يلحق بسكان الولايات لأنهم يتحملون نفقات باهظة يدفعونها باسم القنواب والزاد والعلف. وعرضا عن أن الحكام والمتصهدين كان يلحفهم نصب ومشفقة من جراء ذلك فإن الرعايا كانوا يصيرون درعا بما يطالبون به من تقديم للمؤن ومع هذا لم تكن تصل مؤن كافية إلى الجنود وكان بعضهم فى نصب بسبب عمالة المتصهدين، وبعضهم بسبب الشرفى على شوى الجيش، إذ إنهم كانوا يأخذون هدايا شعبة ويحملون أداء واجبه، وبعضهم بسبب أن الكتاب العسكري لم يعطوا الحواتل فى وقتها المناسب، فيعجز الجنود عن التحصيل. [ص ٩٠٥]

وأخيرا كان المتصهدون يشتررون للمؤن لأنفسهم بصف النمس. وكانت الحواتل دائما بيد الجنود، وهم فى براع وجندال مع المتصهدين وكانوا دائما يعرضون تلك الأحوال على السلطان فزعج لذلك مسامحة المباركة، وتكون عاقبة الأمر أن أكثرها يسقط من الحساب ويضاف إلى القصباء القديمة هذا على حين أنهم كانوا يحوررون حواتل كثيرة مستحقة للصرف.

شاهد السلطان هذه الأوضاع مدة أربع سنوات أو خمس، فأمر بأن يجمعوا المؤن فى كل ولاية أثناء الشتاء والصيف، وقت جني الحاصل ويقوموا بتخزينها فى المخازن وتودع فى

عهدة شحنة الولاية، ثم تسلم من المحارن إلى السلولى بعد سداد قيمة الجوالفة نقدا، ولا يأخذ المشرفون على شؤون الجيش هديا في مقابل أداء واجبهم، ولا يطلبون زادا ولا علما. فكانت تسير الجوالفات على هذا السؤال وكان السلطان يعطي نقدا ذهبيا من الخزنة، بحيث إنه خلال ثلاث سنوات أو أربع لم يستطع أحد أن يقول: لقد بقي لي على الديوان من واحد من الثروة. وبعد ذلك في أوائل شهور سنة ثلاث وسبعمائة هجرية (٧٠٣هـ / ١٣٠٣م) هداه تفكيره المبارك إلى أن يصرح قائلا: إن كمية المؤن التي عينت للجنود لا تكفي شخصين من كل عشرة أشخاص. وبني أريد أن يكون إعانا عاما للجميع. كما أن الحد عند سير الاحتياطين منهم إلى الولايات يسبون المتعصب لسكان الولايات وأهبا يقول كل واحد منهم سواء بالحق أو بالباطل: إنني لا أملك شيئا؛ فيحدث الإحباط والمعجز. ويقول أيضا: لقد نفقت ذوابا بسبب العمد وانتشار طاعون الماشية والأفات الأخرى. وهذا تدعو الضرورة إلى جمع المال في كل وقت وإعطائه للتصديري؛ لأن العالم لا يخلو من الأحداث وقد يجيء وقت لا يتيسر فيه تحصيل المال بسرعة. وهذا ما يحتم العمل دائما على تدبير وترتيب نفقات الحد ومؤمهم وهناك ولايات في الممالك تقع على طريق عبور الجند، وفيها مصالحهم ومشابهم، ودائما ما يسلكون سلوكا معيا في تلك الولايات ويستولون على الثرى قوة واقتدارا، ويستبدون بالرعايا. وإذا فمن المصلحة أن تقطعها بأكملها للحد، وبمعي نصيبا لأفراد كل كنية، ليكونوا هم المتصرفين في هذه الأراضي ويحبرونها ملكا لهم. وبذلك تنح عيوبهم وقلوبهم

ولما كان أكثر الجنود في هذا العهد يميلون إلى اقتناء الأملاك والزراعة فلا شك أنهم يحققون رغبتهم عندما يملكون إقطاعا. وبذلك لا تكون هناك حاجة إلى الخزانة [ص ٥١٠] للإعناق على مصالحتهم؛ لأن كل واحد منهم يحصل على حصته ومعاشه من الإقطاعية، وتتوافر لهم عمارات كثيرة أخرى، ويكون لهم أتباع وخدم وأهبار وبذور ويحصلون على الثرى والشعر. وإذا حدث أيضا وباء بين الذواب فإن كل واحد يستطيع أن يربط اثنين أو ثلاثة من الخيول، يحتفظ بها بجهة قوية، حتى يستطيع - عند الحاجة - ركوبها في وقت أسرع؛ إذ إن أكثر الخلل الذي يلحق بجنودنا إنما ينتج عن هلاك الذواب لأنهم في هذا العهد لا يبدونها بالماء والملح بالقدر الكافي

وإذن نحن إذا سلمنا الولايات للجدد بوجه من الوجوه، وأعدنا محطات القوائم الضرورية، ووعدا الطعام للأسماء الأجيال والحوادث، وكذلك اللوائح الأخرى الضرورية وسلمناها لهم وأصبحت كلها تحت تصرفهم، فسوف نقل نفقاتنا، ونقل المتقاضون وأرباب الحاجات. أما الولايات الأخرى التي ليست معبرا ومقاما للجود فإنها تبقى في موضعها لسد النفقات الخاصة، وهذه يمكن ضبطها دون تمب أو مشقة، ويكون المال الذي يحصل منها كافيا. وعلى هذا النحو تضبط الأعمال للكسرة التي يقوم بها الجود وغيرهم. وبما بعد بقي الأمور مرتبة طبقا لهذه القاعدة، ونعم فوائدها كافة الملوك والأسماء والوزراء والجود والرعايا.

وعلى هذا النمط أصطل السلطان فكره، وعين لجميع الجود إقطاعيات من صغاف جيحون حتى غور مصر خلال شهرين أو ثلاثة، وفصلها تفصيلا. وفي هذا الصدد بعد حكم المرسوم ونسب صورته في هذا الفصل حتى إذا قرأه الناس، فإنهم يظنمون على الدقائق التي روعيت في هذا الباب إن شاء الله العزيز.

## نص المرسوم بخصوص منح جنود المغول الإقطاعيات

بسم الله الرحمن الرحيم

[ص ٥١١] بقوة الله تعالى وميلان الملة للمحمدية

فرمان السلطان محمود غازان

فلتعلم الأمهات، ولتعلم الأحباء والمحبين والبنون والبنات والأصهار ولقواد العشرة آلاف (نومان) والألف (هراره) والمائة (صده) والعشرة (دهه) والسلاطين والملوك والكتاب وعموم أهالي كل الولايات من صغاف جيحون حتى غور مصر أن جدنا الأكبر جنكيز خان اختص في بدء القطرة بالتأييد الإلهي والإلهام الرباني وكان يراعي دستور بهاية تامة أدق من الشعر، ولم يترك الجمال لأى مخلوق من بني آدم حتى يحرف برأيه عن رتبة أمره لو أن يخرج قدمه عن جادة الاستقامة، فلا جرم أنه استطاع - بهذه الوسائل -

أن يسخر ساحة الدنيا مشارقها ومغاربها، وأن ينتشر على صحائف الدهر اسمه الطيب وصيته الخالد. وقد تحمل كل أنواع المشقات والشقاء في سبيل ريادة رقعة المملكة وفسحتها، وأورث أبنائه ودرته جميع الطوائف والرعايا والممالك، وصيرها لهم مهددة مرتبة وذكرى حسنة منه.

بعد ذلك سلم أبائنا الحبرون تلك الممالك لأبنائهم على نفس النسق والترتيب، فاستطاع كل واحد أن يصبط قوانين الملك وعظمها، ويصن التكفل بإدارة شئون حكم العالم. بهذا خلد هؤلاء الأبناء لهم ذكرا خيلا على صفحات الدهر أما أولئك الذين لم يحافظوا على رعاياهم، ومارسوا الظلم والتعدي فإنهم بلا شك قد خلعوا لهم سمعة سيئة.

"إن آثارهم تدل عليهم فانظروا بعينهم إلى الآثار"، ولما كان صدق هذه المعاني ثابها ومقررا ومعينا لنا، وعلمنا أن النقاء الأبدى وخلود الحياة في هذه الدنيا أمر غير ممكن للجميع، وأنه لا يتصور أن تكون هناك عائلة من هذه الدنيا سوى ادخار الاسم الحسن. لما كان ذلك كذلك فكرنا عن أبنائنا في هذه الأيام القليلة المعنودة عندما وصلت بوابة الملك إلينا في ادخار السمعة الطيبة، فنشمل بمرهد من الراحة والرفاهية مجموع الرعايا الذين سلموا قيادهم لنا، حتى نكون [ص ٥١٢] قد سجلنا على صفحات الدهر الذكر الجميل والثواب الذي هو عبارة عن الحياة الباقية والعيش الخالد، ويتقى صيت معتلتنا على الأيام دائما ومزينا وباقيا ومخلدا. والله يوفقنا بلطفه ويؤيدنا بمصره. والآن لا يتبقى على الجميع أنه قبل هذا في عهد آبائنا الصالحين كان رعايا المعول مطلعين بكل أنواع المطالب والالتزامات والمشقات من قبيل سداد صرية المواشي والإيحاء بمحاجات دور النهر يد الكبرى وتحمل أعباء الياسا القاسية، ودفع لتنفقات اللازمة للمحافظة على سلامة الجبود، تلك الأعباء ألبهاها كلها دفعة واحدة في زماننا هذا.

في ذلك الوقت كان الرعايا محرومين مما احتوت عليه المخازن من الذخائر والمؤن. ورغم وجود تلك الأعباء كانوا يرحلون يرضاء الخياط، ويقومون بواجب الطاعة ويتحملون مشقات الأسفار البعيدة. ومع هذا كانوا فاضحين والأمر الذي لا شك فيه أنه حتى هذه اللحظة لم يتوانر لجد المعول ريادة ملموسة في الجاه والمال.

والآن وقد أنعم الحق تعالى علينا بالرعاية والممالك التي حكمها آبائنا، ومحا سرير ملك العالم وعاصمته الكبرى، بنسأ كل الجمعة، وصرفنا كل حرصا السلطاني في سبيل الإصلاح حتى نظم ورتب مصالح الرعايا الكثيرين على نحو بطمئن إليه؛ بحيث إنه بعد ذلك لا يسي أبدا جميع أفراد القوات الاحتياطية في جيوش المعول - ما نوالدوا وتاسلوا - هذه الجهود، ويقضون أهتمامهم في رفاهية ورغد من العيش. وبعد أن يحل دور غيرا يكون قد سلما له المملكة والجيش؛ بحيث لا يقب في سبيله أى عائق، ويعمل وصح يؤدي إلى الاستقرار واستقامة أمور المملكة والرحمة، ويؤدي إلى الخلود والذكر الجميل ودوام حسن السمعة، وازدهار دعوات الخير. ولا ينفي على الجميع أنه قبل عهدنا كان المسئولون يعطون جميع التطوعين من جنود المعول ممن يقيمون في المناطق الممتدة من ضفاف نهر جيحون إلى تخوم مصر قدرا محددا من المؤن، وينادوا ما كانوا يعملون على بعض سهم في كل وقت هذا على حين أن أكثرهم ظلوا محرومين بقوا يعمر نصيب [ص ٥١٣] ولعلاج هذا الوضع أمرنا في الوقت الحاضر بمعاملة أفراد قوات المعول الاحتياطية معاملة واحدة فتشملهم عاطفيا وتحمهم عظيمنا؛ حتى لا يبقى أى واحد منهم محروما من إعاننا. وعند رحيل الجنود ورحيل الجيش تتوافر لهم القدرة والحركة والطاقة للمحافظة على الممالك ذلك أن استقامة شئون الملك وانتظامها متوطة بهم

وبناء على هذه المقدمات أمرنا بأن يقطعوا لهم الأراضي في الولايات والقرى، ويؤمروا لهم المياه مما يكون قريبا ومسابا لهم من أسلاك الخاصة وأملاك الديوان والمرارح العامة والحرة حسب ما هو مثبت في السجلات والقوانين، ويعيها باسم الإقطاع في كل كمية مكونة من ألف جدى، ثم يسلمونها لهم كي يتصرفوا فيها؛ وذلك على النحو المفصل في الكمية المالية.

وأما عن الأحكام الخاصة بهذه الإقطاعية وشروطها وكيفية كل قسم من أقسامها فإنها تكون على النحو الذى نشرحه فيما يأتى.

أولا: ما يتعلق بأملاك الخاصة وأملاك الديوان من اللواصع: تقرر أن تبقى فيها تلك الجماعة من الرعايا الذين كانوا يقطنونها من قديم الزمان، وكانوا يزعمونها. فهؤلاء يستمرون في رزاعتها جريا على تلك القاعدة بشرط أن يعطوا الجسد التطوعين نصيبهم

بصدق وأمانة، وأن يسلحوا دون زيادة أو نقصان الضرائب والرسوم الديوانية، وذلك حسب التعهدات والتفصيل الذي مر ذكره.

ثانياً: يجب ألا يتدخل جلود الاحتياط في شئون أملاك الملاك ومياهم وأراضيهم وأصحاب الأوقاف، ولا يتصرفون فيما تنتجه، وأن يدفعوا بمصدق وأمانة الأموال والضرائب والرسوم الديوانية بموجب سجلات الخفانين وطبقاً للتفصيل المذكور.

ثالثاً: القرى والمزارع والمواضع التابعة للديوان التي تخرب، وتدخل في حيز مواطن هؤلاء الجلود، عليهم أن يخرجوا منها ما صار مراعاً صالحة للزراعة، ويتركوا الأراضي الباقية لأسراهم وعلماتهم يزرعونها ويحصدونها بحاصلها، ومعهم أبقارهم وثيرانهم ويدورهم. وإذا ظهر مالك لذلك الموضع الخرب، وأقام دعوى بملكه أو بتوليه وقبضته [ص ٥١٤]، وظل مدة طويلة تحت تصرفه، وثبت استحقاقه له بموجب الشرع المطهر. وكان هؤلاء المتطوعون قد زرعوها بواسطة أسراهم وعلماتهم، فإن عليهم أن يدفعوا العشر من عوائده للمالك، ويأخذوا الباقي لهم ولزراعتهم.

رابعاً: السكان الذين مسحوا قرى علمرة أو حرية، ثم تفرقت مد ثلاثين عاماً، ولم تدخل في حساب وقانون الولايات الأخرى ولا زال يحتفظ بها كل واحد منهم، عليهم أن يعملوها. وإذا كان سكان الولاية الأخرى يعملون عندهم أيضاً فإن عليهم أن يعملوها. ومن المقتطوع به ألا يقولوا بأي وجه سكان الولايات والمواضع الأخرى ألا يرتبطوا بالعرماء بحجة أنهم سكان الولايات البعيدة، ولا يجمعهم بأي وجه ولا يجمعهم، ولا يسمحوا لهم بالدخول في قرأهم. وعلى المتطوعين ألا يتركوا سكان القرى التي أنقضت لهم من غيبتهم في إحدى القرى إلى القرى الأخرى، ولا يقولوا إن كلنا المرعطين والقرعطين ضمن إقطاعنا، وسكانها هم رعائنا. وعلى سكان كل قرية أن يزرعوا في مناطقهم المحددة لهم، ولا يقولوا إن سكان هذه المناطق التي أنقضت لنا إنما هم أسرانا؛ إذ إنه ليس للجنود على الرعايا أكثر مما لهم على زراعة قرأهم، وعليهم أن يأخذوا سهم بالحق ما هو مقرر عليهم من المال ورسوم الديوان، وألا يسخروا السكان في عمل آخر سوى أن كلا منهم يزرع في الموضع المخصص له. أما السكان الذين لا يزرعون الزراعة أو لا يمارسونها فلا أصحاب الأراضي قد تسلموا حقهم من المال المعين المقرر لهم من الديوان لا يصح أن يخرجوا هؤلاء السكان على الزراعة بالقرع والعتف ولا يظلموهم، بل يعملوهم بالمسعى

خامسا: على المتطوعين من الجسد ألا يتدخلوا في شئون القرى الواقعة على حدود قراهم والمجاورة لهم، فلا يزرعوها، ولا يستولوا على الماء والأرض بحجة أنها واقعة في موطئهم، [ص ٥١٥] وألا يمتدوا ذلك المقتدر من الأعشاب التي هي مرعى لأبقارهم وأغنامهم وحميرهم.

سادسا: حيث إنا محبا للمتطوعين الأنعام والعطاء، وعيا لهم هذه المواضع باسم الإقطاع، وأنعمنا عليهم بها، يكون غرضنا هو راحة كافة الخلائق، وابتغاء الذكر الجميل والقانون والعدل وهم جميعا مؤيدون ومختطون بهذه النية وتلك الرعاية. وقد قدم قواد الفرق المكونة من عشرة آلاف وألف ومائة وعشرة، والمتطوعون الكثيرون وثيقة خطية يمتدنون فيها بأنهم بقدر ما في وسعهم وقدرتهم سوف يبدلون جهنهم في نعاد العدل ومشر الصدق، ولا ينحرفون من بعد عن جادة الصواب ولا يبدلون ولا يصطهون الناس، ولا يقدمون على أنواع الظلم والجور وتلك الأفعال التي كانوا يمارسونها من قبل هذا وبمعي أن يكونوا عند كلمتهم، ولا يطلبون من الرعية شيئا باسم الهدايا والمؤن والضرائب على السلع وغير ذلك

سابعا: نقرر كذلك ألا يكتبوا لأى سبب من الأسباب حوالات من الدهبوان على الإقطاعيات، وألا يحولوا إليه شيئا أبدا. وبموجب ما نقرر يسلم لكل شخص من الجسد المتطوعين خمس مائة بورن تبرير من المستودعات الخاصة، ولا يطلبون من الرعايا شيئا آخر غير ذلك

ثامنا: أمرنا كذلك بأن توزع الإقطاعيات وما يلزمها من ماء وما تشتمل عليه من أراضي خربة وعامرة على أفراد الكتبة المكونة من ألف جندي، وذلك على النحو الذى سبق تفصيله. ثم يحضر جماعة من تلك الولاية ممن هم أهل الخبرة مع هذا الكاتب فلان الذى عياه، وتقسّم هذه الإقطاعيات إلى عشرة أقسام ثم تجرى فرعة بالوسط. وبعد ذلك تقسم بين الفرق المكونة من مائة، وتجرى الفرعة أيضا بالوسط.

وهذا الكاتب الذى هو صاه باسم "العازم" يسجل في السجل نصيب كل واحد من المائة والعشرة خرابا كان أم عامرا، وذلك على انفراد وبالأسم، ويحفظ بالسجل، ويسلم نسخة منه للديوان الأعظم، وأخرى لأمر العرقة. ثم تسلم سجلات الفرق المكونة من مائة لأمرائها.

بعد ذلك يتعصر ذلك الكاتب المارص هذه السجلات كل سنة ويعرض عليها اسم ذلك الشخص الذى جد واجتهد فى الزراعة، أو اسم ذلك الذى قصر. كما يعرض عليها ما سجله عن حراب وعمران كل جرة عديد حتى يختص برعايتنا ذلك الشخص الذى أبدى اجتهدا وبشاطا أما ذلك الذى قصر وخرب، فإنه يؤخذ بدينه.

**[ص ٥١٦]** ولا يعمون هذا الإقطاع الذى منحناه إياهم، ولا يعطونه هذا أو ذاك، ولا العبد والكبار والصغار والأقارب والأصهار وغيرهم. وكل من يقدم على هذا العمل يعتبر مجرما ويقتل.

وإن صدائق المرأة بمقتضى الحديث النبوى الشريف كما بعدناه بصورة مستقلة بمقتضى المرسوم الصادر من هذا الباب، وهو ما تقرر أن يكون تسعة عشر دياراً ونصف<sup>(١)</sup>

ناسا. ليكن معلوماً أيضاً أن هذا الإقطاع قد خصص للجود للتطوعين الذى صاروا حراساً ثم رحلوا وإذا توفي شخص من تلك الجماعة، فإنه يقوم مقامه أحد أبناؤه أو أسرته فيقطع إقطاع المتوفى ثم يسجل وإذا لم تكن له ذرية فإنه يسلم لأقدم علمائه وإذا لم يكن له عَلام أيضاً فإنه يعطى من يكون أجدر من بين العرفة المكونة من مائة جندي. وإذا كان من بين المائة أو العشرة من غير القاتون، فإنه أمراء الألف والمائة يعتبرونه مديناً، فيعطون الإقطاع شخصاً آخر يستطيع التحمل ويسجل باسمه. ثم يعرض السجل عليها كل عام. كذلك أمرنا بأنه إذا طالب المتطوعون بشيء يزيد عما هو مفصل من الأموال والضرائب وغير ذلك، وعما هو مفصل من سجلات القواتين والتمهيدات، فإن المارص يسعهم من ذلك. وإذا ما أخذوا الإقطاع بالصف والقوة، فإن على المارص ألا يخفى الحقيقة، بل يسجل اسمه ويعرضه عليها.

عاشراً. عندما يسير هؤلاء المتطوعون بعد عرضهم بموجب حكم المرسوم بطلع الكاتب العلائقي أولاً أمير المائة، وبعد ذلك أمير الألف، ثم أمير التومان - على السجل المخصص الذى كتبه، ويواجههم ويعرضه عليهم. ثم يطلع عليه قائد المتطوعين. وتقرر أيضاً أنه عندما

(١) الحديث هنا عن صدائق المرأة به استطراد وبعد عن الموضوع الرئيس الذى يعالجه رشيد الدين، وهو الذى يتناول منح الخزانة من جود للفقر الإقطاعيات، هذا من جهة ومن جهة أخرى لم يرد نص صريح عن النبي صلى الله عليه وسلم بمقداره صدائق المرأة، وإنما معنى من المبالغة من الصدقات، وحث على المبالغة وانتظر فصية غلبت الصدقات، تكلف الشيخ عبد الله بن زيد كل محمود، ص ٦٦، (طبعة ١٣٩٦هـ).



يعني إقطاع أمير الألف ويخصص له، لا يتصرف في إقطاع المتطوع وحيث إننا أقطعنا المعارض كذلك من ولاية أخرى، لا يكتب حوالة على إقطاع المتطوع، ولا يحول إليه شيئا. لقد قررنا كل هذا، وأنعمنا على المتطوع بإقطاع على النحو المذكور. وإذا ما أخذ المتطوعون أيضا شيئا من المزارعين يريد عما هو مذكور ومدون بالتفصيل في سجل القوايس، [ص ٥١٧] أو تعرضوا للمزارعين الذين لم يدعهم تحت رحمة المتطوعين، أو أنهم حووا المزارعين في الولايات الأخرى وآووههم، أو أنهم اعتدوا على مواضع الماء والأراضي الواقعة على حدود قراهم أو اعتصموا الأراضي الزراعية ومراعى الأبقار والأغنام والحمر ولا يعلون كل سنة عدد الحيوانات وإنتاجها ويتكاثرون ويتحطون الأعشار، ويرسلون أشخاصا آخرين بدلا منهم تحت اسم المتطوعين. وإذا حدث شيء من هذا فإن هؤلاء أيضا يصيرون مجرمين.

وعلى الشخص العلامي الذي عياه للقيام بأعمال الكتابة في الكتبة المكونة من ألف جندى أن يهبط جيدا كل الأقسام التي ذكرت في هذا المرسوم، ويس كذلك المواضع التي لم تدخل فيها، وكل من قام بتعمير وإصلاح في عمال الإقامة، ويكتب أيضا بالتفصيل كل ما صار يوار تماما من الأراضي، وذلك على حدة وبالتحديد والتفصيل، ثم يحضر هذه المعلومات إلى الديوان كي يثبت في السجلات، وتجمع في قسم الإضافات.

ونقد سلما هذا المرسوم للكتبة العلامية حتى يعتبر الجميع من الآن مصاعدا نشاء مؤبدا ومخلدا، ولا يدخلون عليه تغييرا ولا تبديلا (فمن يقله بعد ما سمعه قابلا يشه على الذين يبدلون إن الله سمح عليهم) <sup>(١)</sup>

حرر هذا المرسوم في الشهر القلاني والسنة العلامية وفي المكان العلامي.

(١) سورة البقرة، آية ١٨١

### فى كيفية إعداد جيش خاص مستقل للسلطان غازان خان

قبل هذا كان جيش المغول أتل منه الآن مسييا، فراد سلطان الإسلام - خلد ملكه - بتدبيره وكفايته جنود المغول والتاريك، وقال إن حدودنا وثقور ممالكنا هي: غراسان وعارس وبعناد ودهار بكر وبلاد الروم ودرهند<sup>(١)</sup>، وهي متباعدة جدا الواحدة عن الأخرى، ورغم أنه قد أقيم في كل موضع من تلك المواضع جيش مستقل للدفاع عنه، فإنه إذا ما دعت الحاجة إلى انتقال جند من ناحية لخدمة ناحية أخرى يتأخر وصول [هي ٥١٨] القوات بسبب بعد المسافة وفصلا عن أن الجود كانوا يتعرضون للجوع والعري، وتهزل دوابهم وتنعى، لا يؤدي هذا بالقطع إلى نتيجة حاسمة ولذا السب أمر السلطان بتعيين شخص واحد أو اثنين إسمائين من كل منزل فيه ولذان وأح وسائل خيل، وكون من مجموعهم جيشا مستقلا، وعيهم مدنا للأطراف ليرابطوا مع الآخرين. كما عين جند التاريك للمراقبة على المصايف والأماكن الوعرة على الحدود التي يمكن أن يحافظ عليها المشاة، ومسح الجميع المرتبات والإقطاعات ولم يكن هؤلاء الجود يصنعون من قبل لأي نظام مع أن قوادهم كانوا يتقاضون عدة مرتبات وذلك بانتحال الأعذار المختلفة. هذا على الرغم من أنه لم يكن هناك جنود قط.

وفي هذا الوقت أيضا أمر بتعيين الكتائب والفرق منهم، وكتابة أسماء الجنود ورتبهم في السجل، وهم مطالبون بالعرض في كل شهر لتعقد عتادهم وعددهم من فرسان ومشاة بموجب الصبط والقانون الساريين، وبحكم المرسوم الصادر في هذا الشأن. كذلك أمر بإعداد جيش المغول على هذا النمط الذي يراه في الفصل السابق. وفي المرسوم الذي سجلناه بخصوص إقطاعات الجنود فما الحاجة إذن إلى التكرار؟

كذلك عين لكل ثمر عددا من الجند يمكن لحمايته أما الجود الذين لهم موطن ومحل إقامة في الولايات فقد عين منهم من يكون أقرب إلى الثغور، ليكونوا عونا للجود الذين

(١) "درهند" يسبها الغرب باب الأبواب، وتقع في أقصى شمال بلاد شروم. وهي أعظم موطن عمر قروم. (انظر

بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢١٤ ٢١٥).

يدفعون عنها وقت الحاجة. وهكذا نظم الأمور بحيث إنه في أى وقت لا يسرع طرف  
لجنة طرف آخر بشير ضرورة ملحة. وزيادة عن اليهود أعد جنودا آخرين ليكسروا  
مراطين وعلى أعباء الاستعداد.

بهذه الإجراءات استمال السلطان الحراس والقواد وحظهم على أن يختار كل منهم  
واحدا أو اثنين من إخوته وأولاده الذين ليسوا ضمن تعداد الجيش الرسمى، فزاد بذلك كل  
ألف جندى مائة أو مائتين، وأحصروهم جميعا خلال عام واحد. وقد أمر لهم سلطان  
الإسلام خلد ملكه بالإتعامات و المرتبات والإقطاعات [ص ٥١٩] ومنذ عدة سنوات  
نشأ نزاع وخلاف بين أعقاب جوجي و چتاي وأوكتاي الذين هم من أعمام السلطان  
خلد ملكه، فكان جنودهم يفر بعضهم على مواطن البص، ويأسرون أباءهم ويعتبونهم  
للتجارة، بل إنه بسبب الفقر كان كثير منهم يبيعون أولادهم أيضا فأحدث سلطان الإسلام  
العيرة من تلك التصرفات، وقال: كيف يجوز لأقوام المغول، وأغلبهم من نسل الأمراء  
العظام الذين رحلوا في عهد چنگيز خان، وأعقابهم في هذا الزمان ولا الرأيا يبيعون  
أنفسهم عبيدا للتاريك، أو أن أغلبهم يضطرون إلى التسول؟ ولإزالة هذه الأمور السيئة يلزم  
رعاية حقوق تلك الجماعة، والحفاظة على شرعهم؛ إذ إنه بدون هذا تنحطم الصلات  
وتضيع هبة جنود المغول التي كانت قد وصلت إلى نجم الميوق (أى إلى عباد السماء)  
ويصبحون محقرين في نظر التاريك، ويحمل أكثرهم أيضا إلى الولايات الثائرة.

لذا كله أمر بأن يشتروا لحساب الحضرة كل من يحصرونه من أباء المغول، وأن يدفعوا  
أثمانهم بالنقد الذهبي حتى يحصل الذكر الطيب، ويتحقق الثواب، ويتكون منهم الحرس  
للجيش الخاص الملازم للحضرة. وقد اشترى السلطان خلال هذه السنين كثيرا من أباء  
المغول، وعين لهم المرتبات والمؤن، وأمرهم في ولاية "مراغة" وعهد بإمارة كنيتهم المكونة  
من عشرة آلاف جندى إلى يولاد جينگسانك. كما عين قواد الفرق المكونة من الألف  
والمائة من المقربين إلى الحضرة. وبذلك اجتمع ما يقرب من عشرة آلاف جندى وهم  
يشترون وفقا لهذه القاعدة كل من يجلبونه معهم حتى كانوا منهم كنيه كامنة، بل ما يريد  
على ذلك، وصار جميعهم حرسا خاصا وملازمي السلطان. وفي أى عهد من العهود لم  
يكن هناك جيش يمثل هذا الإعداد والترتيب على النحو المتبع الآن في هذا الزمان. وقد

## المكايمة السامسة والمشرون

### فى منع إقراض المال بالربا والقضاء على التعامل بالربح الفاحش

عندما بسط سلطان الإسلام حلد ملكه ظل معدته وتمحص بظر البصرة مصالح الخاص والعام عرف على وجه التحقيق أن الإقراض بالربا وأنواع المعاملات غير المشروعة تؤدى إلى اختلال أحوال الجمهور، وعصفا فى هذا المرمى الذى اعرف فيه الناس دفعة واحدة عن جادة الإنصاف، واستند أبديهم إلى ممارسة الأعمال غير المشروعة. فقال فى هذا الصدد، إن تفارك هذا الخلط من الواجبات حتى لا يؤثر ولا يسرى شؤم هذا العمل غير المشروع، والمؤدى إلى الخلط إلى كل الشئون. وقد بعد المنطوق أحكام المرسوم المطاع فى العالمى حتى لا يقدم أى مخلوق على تلك الفعلة المدعومة غير المشروعة ولما كانت الفوائد العظيمة التى تصبها هذا الحكم ليست خافية على أبناء هذا الرمان وأنها إذا ذكرت فى الكتاب فإن الجميع يدركون أنها محض المصدق وسيمرون فى المستقبل أن حكم سلطان الإسلام حلد ملكه يقضى باستئصال مفاصد عديدة استحصلا كليا

هذا السبب سجل هنا عدة أنواع من المفاسد، حتى يعرف أهل العلم أن ارتكاب عمل واحد منها أمر غير مشروع، ويتولد عنه كثير من الخلط والفساد والاعتراف. وتوصيح ذلك على النحو الآتى:

أولا: فى عهد أبى قاضان الذى اشتهر بين الجمهور بأنه كان ملكا عادلا. وفى أيامه كان الناس أمنين مسترخين، لأنه أبقى على نظم والده هولاكو خان الذى كان فى الحقيقة "صاحب قران"<sup>(١)</sup> المهذب، وذلك من حيث مراعاة القوانين وتوخي العدل، وانتهاج سياسته. وكان الأمراء وأركان الدولة ووزراء أبيه، وبعض من دخل الخدمة فى أيام حكمه يزاولون

(١) لقب يوصف به من تشدد نطقه أو يولد عند اقتراف كوكبي للمشرى ورجل على حسب الأصول الملكية القديمة وتأثيرها فى الزوجات؛ فكانوا يظنون أن مثل هذا الولود سيكون له شأن عظيم (المفرد فى العصر الجديد، تأليف الشيخ أحمد النجى، جلد دوم (د) ص ٨٨٢، تهراف ١٣٥٤ هـ).

أعمالهم وفي ذلك الوقت أعد بعض التجار على نفقتهم الخاصة عدة مجموعات من الأسلحة تصمم الجواشن والخيول المدرعة وآلات الحرب [ص ٥٢١] وبعضاً من الخيول العارضة، وقدموها إلى حصرة أبلقاجان. وبواسطة أمراء السلاح والمشرقي على الاصطبلات أخذوا أنشائها بطريقة كان فيها ربح لهم. وعندما شاهد الآخرون تحقق ذلك الكسب اقتنوا بهم. وقد وصل الأمر إلى حد أن هؤلاء الذين لم تكن لديهم ثروة، كانوا يقتربون الأموال بالربا، وأخذوا ينفقونها في هذا العرض ظانين أنهم سوف يسددون الدين من الربح ويحققون من رأس المال مبالغ لهم. وقد جرت العادة أن كل ما يودعونه بحملة السلاح والمشرقيون على الاصطبلات إلى الديوان، ويأخذون به الخوالات ويطلبون بتحصيل قيمتها نقداً. وبهذه الوسيلة أتبع لكثير من الرعايا وكذلك الأشخاص الذين لم يكونوا يملكون شيئاً قط في عالم الله أن يحصلوا على أرباح طائلة سدّدوا بها ديونهم، وصاروا من حملة الأثرياء، وفجأة ركبوا الخيول العربية والعمال المربحة السريعة وارتدوا للملابس الفاخرة وجمعوا حولهم العلماء الملاح والخم الكثرين. وكانوا يسبّرون بالعمال والإبل المحملة ويطوفون بالطرق والمدن والأسواق، فكان الناس يتعجبون من أحوالهم ويسألون: من أين وكيف توافر هؤلاء بهذه السرعة. مثل هذه السلطة؟! وعندما يقومون على حقيقة الأمر تتحرك في عوس الشجاذي والمفسدين ولع ممارسة ذلك العمل، ويسيطر على رؤوسهم ذلك الهيام والولع وهناك عدة آلاف من المسلمين واليهود من الخصافين والبائعين الجائلي الذين كانوا يعلقون في أعناقهم العثرات المختوبة على الكمون والكبربرة والأشياء البالية ويبيعونها. وكذلك صغار الساجين الذين لم يكونوا قد رأوا مطلقاً بأعيانهم دابقاً واحداً من النقود، ولم تكن بطونهم قد شبعت من الخبز. هؤلاء أيضاً قد شغلوا بالقتراض المال بالربا ولم ينفقوا ما اقترضوه في تهيئة السلاح وإعداد الخيل، بل صاروا يصرعون كل أموالهم في شراء ملابسهم والاهتمام بمظهرهم، أو يقدمونها رشوة إلى الأمراء المذكورين، ويأخذون صكاً ينص مثلاً على أن ألف مجموعة كاملة من السلاح وعدداً كبيراً من الخيل قد تم تسليمه. ثم يحملون ذلك الصك إلى المكتاب. [ص ٥٢٢] ورغم أن هؤلاء كانوا واقفين على حقيقة الأمر فإنهم التزموا الصمت، لأنهم أخذوا شئ صحتهم، فكانوا يكتبون المراسيم والخوالات بالأموال النقدية للولايات. ونظراً لأن الأمور قد تسرت لتلك الجماعة، وصاروا في نعمة

وثراء، شرعوا يقرضون الآخرين بالربا. ولهذا السبب اغتدوا أغلب الناس هذا العمل حرفة لهم وسلموا كل ما كان لديهم من الدراهم والدينار والمشعولات الذهبية والآلات والملابس، وأنواع الأموال من "صامت وناطق"<sup>(١)</sup> للناس الذين كانوا يطعمون في تحقيق الفائدة. وما كان يرعى الشحاذون بيعة بعشرة تومات أي مائة ألف دينار، وصل إلى درجة أنهم لم يرصوا بيعة بمائة تومان. ولولئك الصابون الذين أطلقوا على أنفسهم اسم تجار ورجال أعمال أخذوا يجلسون في الدار كل مخلوق كان له إلمام بمعرفة الخط المولى كبي يكتب هم الصكوك كما يريدونها، ويصع تأشيرة كل أسر كانوا يطلبونها، ثم يوصلونها إلى الكتاب الذين كانوا على علم بمقدار ما يتخذه هؤلاء الناس عن كل تومان حتى يكتبوا لهم المراسيم والحوالات. وقد تصالحت قيمة التومان بحيث إنهم اعتبروه لا شيء.

بعد ذلك كانوا يقدمون تلك الدعاوى إلى الديوان، وعرضوها على حاضرة آباقاجان. وكانت الحوالات والصكوك من الكثرة بحيث إنهم لو جمعوا كل ما في ممالك العالم من الذهب والفضة، وضموا إليه كل ما هو في باطن الناجم لما رعى بهذا المقدار والمجيب في الأمر أننا إذا فرضنا أن ألف رجل يجمعون في إحدى الصحارى مجموعة من الأسلحة تبلغ ارتفاع جبل فإنه لا يستوعبها مائة مستودع، لو أن عشرة آلاف حصان تكاد تستوعبها إحدى الصحارى والمزارع، فكيف أن مائتي أو ثلاثمائة ألف رجل مسلح، ومائة ألف أو مائتي ألف رأس من الخيول، وهم كانوا يدعون أصناف ذلك مائة مرة ومائة، وكانت يدهم المراسيم والحوالات؟

ولما كانت علو القمة والمظمة من شيم الملوك، لم يفكر آباقاجان في أن يسأل أي عرضوا كل هذه الخيول والأسلحة التي لا حصر لها؟ [ص ٢٢٣] وعنى أي الجيوش وروعها؟ و هي أي خزانة؟ أودعوها؟ وفي أي مرعى يرعونها؟ أما الأمراء وأركان الدولة الذين كانوا واقفين على حقيقة الأمر فقد رصوا بحق السكوت المختصر، ولم يكن هم مجال لتذكرك الأمر بسبب ثلوثهم. وكان كل واحد من أولئك الأتقيى قد تشبث بأحد الأمراء

(١) فصامت: الذهب والفضة، والناطق: الإبل والقمم (انظر الصحاح للجوهري، ج ١، إصناف وتصنيف ملهم مرعشلي، ولجنة مرعشلي، ص ٧٣٢، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٤م).

أو بإحدى الخواتين، وصار يؤدي لها أحقر الخدمات كي يتال رضاها بما يقدمه لها من حروف أو قبة شراب. ولما تجاوز الأمر حده، أراد الصاحب السعيد الخواجة شمس الدين صاحب الديوان - رحمه الله عليه - أن يتذكر هذا الخلل، فجمع هؤلاء الأماقي، وقال لهم: إن هذه الأموال التي تطلبون بها، لا توجد في العالم كله. وأنا أعرف أنكم لم تنفقوا شيئا أكثر من تقديم الهدايا والآن أصبح شريكاً لكم، وسوف آخذ من الملك المقصود أباقاجان) مائتي دينار في مقابل كل ألف دينار تنقسمها فيما بينا وحيث إنهم لم يكونوا قد صرفوا نصف دينار في مقابل كل ألف دينار، وصي الجميع بذلك. واسترعى هو نفسه الأمراء، وعرض عليهم قتالا سوف لوفر ثمانية توماتات، وأكتب حوالة على الولاية بتوماتين، بحيث تسلم لتجار، فوقع هذا الحل موقع الاستحسان وكان صاحب الديوان يتسلم مراسيم ويكتب في الحوالة توماتين في مقابل كل عشرة توماتات بالنسبة إلى المبالغ التي يأمل تحصيلها ولما كان يصعب عائلته إليه كان يعطيهم حصتهم من البضائع التي لم تكن تساوي ربع ثمنها، ويتسلم هو نصيبه نقداً أما الجماعة الذين كانوا يقرضون النصيب بالربا فقد ظنوا يطلبون مئة بترويض أخرى، حتى إذا استوفوا مطالبهم من المال، سندوا ما عليهم دفعة واحدة، لكن الدائنين كانوا يأتين من الحصول على الربح ورأس المال، فلم يدفعوا لهم شيئا.

في هذا الوقت الذي حدث فيه هذا السلوك مع صاحب الديوان وراجت هذه الإشاعة التي تقول: إن الأموال تصل تباعا، فسر جميع التعاملين، وأعطوهم كل ما معهم من البضائع بالمشاركة. فكان هؤلاء المحتالون لشدة حرصهم وجرائهم يكتسبون في بيوتهم، ويحرمون الصكوك ويحولونها إلى كتاب المعول، ويأخذون المراسيم والحوالات فأدرك صاحب الديوان هذا الأمر ولكنه ظل عاجزا. ومن بين تلك الجماعة، كان هناك رجل يهودي يعمل خصافاً<sup>(١)</sup>، التجأ إلى المعسكرات في عهد هولاكو خان [ص ٥٢٤] وأحضر معه جمعا من المعول إلى صاحب الديوان يطلبون بأموال المشاركة فسأله الصاحب: كم مستحقاتك؟ أجاب خمسمائة تومان وأطلعته على المرسوم والحوالة، فتعجب صاحب الديوان، وسأله: أملك منزلا في تبريز؟ قال: بلى. فبادر وسأله: أكبر هو أم صغير؟ أجاب: صغير. فقال

(١) الخصاف من تصف النمل. (الجمهورية، ج ١، ص ٢٣٨).

المصاحب لو حمل مبلغ بمائة تومان من الذهب إلى سطح منزلك لسترها عليه فهل يستوعبها لو ١٢٧ فاعترف اليهودى بأنه لا يستوعبها، وهكذا كان تصف هؤلاء القوم على هذا النمط. وقد أخفق صاحب الديوان أيضا فى معالجة أمثال تلك القضايا، ولم يستطع تداركها. ولما انتشرت هذه الإشاعة كان الناس ينقون يوما بعد يوم كل ما فى أيديهم فى هذا الشأن. وإذا لم يكن لديهم مال كانوا يقرضون إلى أن صار أكثرهم فقراء معدمين وعلى أمل الحصول على تلك الترميمات المثبتة فى الحوالات، حصاروا يصيرون وقتهم عشا وبعد مدة نظرا لأن تلك الأموال لم تكن تصل إلى التجار بشى التعاملون معهم، وكموا عن مساعدتهم لسد حاجاتهم، وذلك بالحصول على قرص أو نقد. وأخيرا انتهز الصابون هذه الفرصة وقالوا لعملائهم: إنا لا نعى عليكم شئنا، ولأن لكم أنواعا من الحقوق علينا لن نسب لكم ضائقة مالية. لقد أعطونا بموجب الرسوم حوالات مختومة بالدعوى لصرف مبالغ كبيرة من الأموال العيبة محولة على حساب الممالك، فشارككم فيها. وسوف بأحد رسولا من الخاتون العلاتية أو من الأمير العلاتى حتى يحصل على أموالنا، ونعطىكم نصيبكم. ولكن الخرص كان يسيطر عليهم عندما يرون للراسيم والحوالات التى كانت تتضمن أصناف البائع التى اقترضوها، والتى انفقوا على مشاركتهم فيها فصاروا يذرون ما يحتاج إليه هؤلاء القوم. ولما كان يتحتم عليهم أن يقرضوا بالزيادة باعوا أملاكهم، وذهب معهم أكثر عملائهم إلى الولايات. وهكذا اتبوا هذه الطريقة، فكانت عاقبة الأمر أنهم لم يصلوا إلى شئ قط وحسروا ديارهم ومفومات حياتهم، وظلوا مفلسين مدميين.

وبعد عهد السلطان أباقاخان أى فى عهد أحمد (تكو دار) وأرعون وكيحاتو استمرت تلك الجماعة تحت وتسمى فى طلب الأموال. وكان كل من الخواتين والأمراء الأفعال والأمراء يتعد رسلا يقبلون عروضاً جوعاء، وينهيون إلى الولايات، فكانت الأموال النقدية اللازمة للارتحال إلى الممالك تستهلك فى توفير قطع لدوابهم وسداد نفقاتهم. كما أن حكام الولايات راحوا يدافع الطمع يعطون الصنف الذى يساوى عشرة دنانير بثلاث ديارا أو أربعين. ويسعى أن تسدد الأموال نقدا للخزانة. [ص ٥٢٥] ومن مظاهر طمعهم أيضا أنهم كانوا يعطون العملاء الأحرمة المرصعة واللؤلؤ والأصناف الأخرى بأثمان مرتفعة وهؤلاء كانوا أيضا يرصون بذلك لأنهم إذا كانوا يأخذون حتى الحجارة والحزف لسداد



تلك التعقيدات، فإنهم يحضرون ذلك بلا مقابل. ولهذا السبب كانوا هم أيضا يبيعون تلك المرصعات بشئ عيس، وكانوا يرهونها في مقابل شئ عقيم. وقد ترتب على شؤم تلك التصرفات انحطاط قيمة الجواهر وكساد سوقها كسادا تاما، ومع هذا لم يستطيعوا الحصول على دخل أكثر من هذا؛ بحيث بقي بسداد مفاات الرسل وتعهداتهم.

وعاقبة الأمر أن التجار المحرفين وعملائهم ظلوا جباعا عراة. ولهذا السبب كانوا يحجرون عن القيام بأى عمل يحصلون به على الكفاف لمعيشتهم. وكانت أموال الخزانة تعرض للتلغ والتبديد، ولم يستطع شخص قط أن يتدارك هذا الخلل.

وعندما وصلت نوبة الحكم إلى سلطان الإسلام عازان خان خلد ملكه أمر لولا. بعدم إقراض المال بالربا، فكفت تلك الجماعات أيديها عن التعامل به، ولم تكن لديهم أية حيلة أخرى يندجلون إليها. وفي هذه السنوات القليلة اخضى المرابون العديدون مع كل المراسيم والحوالات، وتركوا تلك المعاملات التي لم يكن لها سد ولا أساس على الإطلاق، ولم يذكرها أحد. وهكذا انصرفت تلك الجماعة التي كانت تراول هذه الأعمال وعاد كل منهم إلى حرفته الأولى، وظهر الفرق بين الكريم والشحاذ، والشريف والوصيع. وقد اتحدت تلك الطوائف الفسقة شعارا لها، وهم يتوجهون بالدعاء للدولة سلطان الإسلام - خلد ملكه .

وبعد، فهذه كانت إحدى مساوئ التعامل بالربا على النحو الذى شرعناه. ثانيا: الأشخاص الذين كانوا يتعاملون بالربا خلال هذه الفترة الطويلة أكثرهم من المعول والأويعور. والحقيقة أن الناس إذا افترضوا فلان بالربا، فكيف يستطيعون أن يكونوا سعداء؟ عاقبة الأمر أنهم كانوا يحجرون عن أداء ديونهم، فيظلون في دأ أسر مدعيهم مع سائرهم ولولادهم. ولكن يمين معتلة سلطان الإسلام خلد ملكه زالت تلك المذلة عن أهل الإسلام.

ثالثا: مسألة أخرى تتعلق بخلل حطير كان يحدث خلال هذه الفترة الطويلة حينما لم يستطيع الملوك وحكام الولايات من كانوا أباسا يتصمون بالأصالة والشرف - أن يتعهدوا بتحصيل أموال الولايات حسب المقرر. [ص ٥٢٦] وكانوا يتجنبون تلك الأعمال. وإذا كان الشحاذون والأشرار يستطيعون أن يعيشوا عشرة أيام في تيمم الملوك بدلا من عشر

صوات يقصونها مجلس فإنهم كانوا يأخذون المال بالربا، ويقدمون الهدايا الثمينة ويتسلمون الحكم في الولايات، ويصلون إلى مصاص الملوك والسلطين المشهورين ويجمعون لأنفسهم صرايب باهظة من الولاية. ولما كان عليهم أن يقدموا نفقات المعسكر وشن العلمان والذواب والملابس الفاخرة والكعالمات الأخرى كان من الضروري أن يقتصروا المال بالربا. وحيث إن ذلك الشخص الذى كان يقرض المال يعرف أنه يمرض ماله للتلف فإنه لا يعطى هذا المال إذا لم يتصور أنه يحقق له ربحا كثيرا إلى أقصى حد. فلا شك أنهم كانوا يستطيعون أن يأخذوا ثلاثة دنائير أو أربعة نظير كل دينار يقرضونه وعندما كانوا يذهبون إلى الولايات كان مجموع إيرادات الديوان لا يعنى بسداد فروضهم. ولهذا كان من الضروري أن يأخذوا من الرعايا أصحاف المقرر عليهم؛ فتقع آلاف عديمة من الناس من عباد الله وممولي الصرايب فى نصب ومشقة، ويقولون معدبين. ولما كان أصحاب الديوان مطلعين على عدم استقامة تلك الجماعة ولأنه كان يعنى أن تكون الأموال موجودة، فيدعها كلها هذا الحاكم، ولوث سمعتهم. وما دام ذلك كذلك فإنهم ما كانوا يستطيعون معه. وقد كان هو أيضا شخصا معسلا وبالإضافة إلى ذلك سمح مضطرا للرعايا العديدين بأن يأخذوا مالا أزيد مما يستحقون. وقد أبدى فى ذلك إهمالا وتعاقلا. كذلك كان يلزم أن يقدم هدايا شبة للشحنة وكتاب الولايات حتى لا يتمتعوا. وإذا لم يأخذوا لما تيسر الدفع. ومع هذا لم يكن يصل مطلقا أى مبلغ من النقد إلى الخزنة وإذا أحصروا أحيانا بعض البضائع فإنه لم يكن شها يساوى ربع قيمتها. ولهذا السبب كانت شئون الجيش مضطربة بسبب ندرة الثوبة. وسنة بعد أخرى كانوا يتسلمون منهم الولاية بهذه الطريقة. وكان الكبار المحترمون مطلعين على أفعال أولئك المفسدين الأحساء، ومع هذا لا يسد إليهم عمل مطلقا. وقد قال كبار الحكماء. إن الملك يفتل ويرول عندما يحى الأشخاص الأكفاء عن مزاوله الأعمال المناسبة لهم، وتسد إلى غير الأكفاء. [ص ٥٢٧]

وقد ظلت هذه الطريقة متبعة فترة من الزمن. وعندما صار صلبر الجلاوى ورياء وصل أمر الإقراض بالربا إلى حد يصعب تصديقه إذا حلولنا الشرح والإنفاضة. بيد أننا نرى أن ذكر بلة عن الموضوع أمر ضرورى، إذا ما أردنا الإحاطة به. وحيث إن جميع أهل الزمن الحال قد شاهدوا هذه الأحداث لا يمكن أن نقول جزئيا أما بالنسبة إلى القراء فى الأزمان

الثقل، فسوف يبدو لهم ذلك أمرا مستحيلا وتصبح ذلك أنه في عهد الوزير صدر الدين كان المتعهدون في الولايات أعرض أباه عصرهم وحيث إنهم كانوا يعرفون عادته، وهي أنه يبيع بقره بمعدل صمير. وكان المتعهد يقترض المال بالربا، ويقدم الهدايا على سبيل الرشوة؛ فما كان يساوي عشرة دنانير يأخذه صدر الدين بعشرين ديناراً. ثم يعطيه له بثلاثين، فكان يرضى بذلك. ثم يقول له: يعني أن يدفع قسط من المال للديوان، فيطلق المتعهد قاتلاً. هنا يقترض المال بالربا. وإن ذلك المقدار الذي أعطيته على سبيل الهدايا قد تيسر بصعوبة بالغة (بالحيلة)، فكان الورير يقول له: لن يصيبك ضرر. وإذا أخذت مالا فسلمه لنا وبمجرد أن كان ذلك الشخص يسلم القبالة وبموجب الأصل والربح من المال يأخذ بسهولة كل ما يساوي عشرة دنانير بثلاثين ديناراً. ثم يعطيه إياه بأربعين. وفي الحال يصرف تلك الدنانير العشرة للمتوفاة. ولما كان صدر الدين يريد الحصول على المال بسرعة قال بوابه إن هذا الشيء يساوي عشرة دنانير، لكنهم لن يشتروه بأربعين من ستة دنانير ويحصلون لأنفسهم على الدنانير الأربعة الباقية.

والخلاصة أنه لم يكن يصل إلى صدر الدين أزيد من ستة دنانير من أربعين ديناراً هو أصل المال. وذلك أيضا هو مال الديوان الذي كان ينده. وكان من بين عملائه شخص اشترى من أحد التجار عدة آلاف من العم خفاصة صدر الدين، ثم كل رأس منها خمسة دنانير. وقد أعطى التاجر مهلة شهرين لسداد الثمن ولما حل ميعاد الدفع لم يكن النقد موجودا وكان أكثر ما تبقى من تلك الأعمام قد صار هريلا عجيبا فأمر ببيعها كلها بثمن بخس، وإعطاء التاجر ربح شهرين بالإضافة إلى ثمنها. ثم أحالوا القبالة الأصلية وفق هذا القرار إلى شهرين آخرين. فلا جرم أنه يشؤم تداول مثل هذه الأرباح تبذرت أموال الممالك، ولم يسلموا للخزينة شيئا منها قط. وكل حوالة أصدرها جيخاتو باسم المروءة والسخاء لم يكن يصل منها مطلقا دانق واحد [ص ٢٨٥] لشخص من الأشخاص. وكذلك الحال بالنسبة إلى المؤن والمرتبات والتعقات المقررة. ولهذا السبب أمر الجنود من جيخاتو ورغم كل هذا ظل صدر الدين مطلقا دائما. ولما قتل كان في عقه الآلاف المؤلفة من مظالم الخلق. وما أكثر الدمار الثلثة بالأموال والعم التي صيرها خاوية على عروشها. أما ولاية الأتراك من السلاطين والمثوك الذين كانوا يقصدون البلاط فقد صاروا

بهذه الطريقة مدسّن يقترضون من مائة ألف مسلم ومضول. وعلى هذا النحو تبدلت أموالهم جميعا. ولقد توفى بعض هؤلاء القوم والمطالم في أساقبتهم. وعلى هذا المنوال حسر بعضهم أهلهم وأموالهم وأثاثهم مثلما رأى الجميع بأعينهم وسمعوا بأذانهم. وقد أدرك الجميع أنه لم تكن هناك مبالغة بل إن هذا القول إنما هو مثال وقيل من كثير بالنسبة إلى الواقع.

وعلى هذا النحو صار من الصعب تشارك مثل هذه الأمور العظام التي رسخت في أدمغة الخواص والعوام. وبسبب الأغراض والأهواء المذكورة، فإن جميع الأمراء الأتباع والخوارج والأمراء والوزراء والكتّاب والأكتابر والأتباع كانوا يرفعون هؤلاء القديسين وكان بعضهم ديون عليهم، وكان بعضهم يقبل الهدايا منهم. وليس هذا فقط، بل إن بعضهم صاروا شركاء لهم. ومهما يكن السلطان عادلا وذا سياسة وصاحب شوكة فإنه يكون من الصعب أن يستطيع التعلب على هذه الصعاب إلا إذا كان مرودا بالحكمة والكفاءة والعقل الكامل.

أما سلطان الإسلام خلده ملكه فقد فكر في فكرة مباركة؛ إذ عرف أن أس كل هذه المعاهد هو التعامل بالربا. فإذا منع ذلك فإنه يكون قد غوى للشرع الإسلامي من جهة، وأخرج الخلق من ورطة الضلال إلى جادة الهداية من جهة أخرى. وبمكة مع الربا قصى السلطان على كثير من الأضرار الجسيمة.

وعلى أثر اعتدائه إلى تلك الفكرة أصدر مرسوما في شعبان سنة ثمان وتسعين وستمائة (١٢٩٨هـ/١٨٨١م) يقضي بالألا يتعامل أي شخص بالربا فاستكر ذلك أكثر الناس الدين كانوا قد اعتادوه، وصار بعض الأكتابر من دوى النعوذ يقولون. إنه يصحور هذا المرسوم سوف يعلق طريق المعاملات نهائيا. فرد عليهم سلطان الإسلام - خلده ملكه - إنما قررنا إغلاق طريق المعاملات المنعومة. كذلك قال بعض الجهال من أصحاب العرض والهو [ص ٥٢٩] إنه يلزم للخزينة أموال نقدية في كل وقت، وإذا لم يقرصوا حكام الولايات فسوف يصجزون عن أداء المال، فقال سلطان الإسلام وورثاه: إنما لن ندع أي شخص يتعامل بالربا في مصالغ الديون، أو أن يأخذ أي شيء من أصل المال أو ربحه. وقد به السلطان مرارا على الخوارج والأمراء الأتباع والأمراء بالألا يقرصوا على الإطلاق تلك الجماعة.

وعلى هذا أمر المشوئين بأن يتأدوا صراحة بألسن مدع أحدا قط يفرض هذه العنة مالا، أو أن يطلب شيئا منهم أثناء حياتهم أو من تركاتهم بعد مماتهم؛ لأننا لا نريد منهم مالا بأعده كسلفة وإذا ما بددوا أموال الديوان، فسوف تصادر أمصتهم وأموالهم في مقابل ذلك.

رابعاً، مسألة أخرى هي أن المعارضين قالوا: إن القروض ضرورية لأرباب الحاجات لإعمار مهماتهم، وقد رد عليهم السلطان بقوله: لماذا يبيع الشخص الذي لا يملك نفقات الطريق وما يحتاج إليه السمر؟ أية فائدة تعود علينا منه، أو تعود عليه ما؟ يجب أن يخلص مستثمنا من سرله لا يبرحه. وحيث إنهم كانوا يسوقون تبريرات أخرى من كل نوع، كان يرد عليهم بقوله: إن الله تعالى والرسول عليه السلام يعلمان مصالح العالم أفضل منا أو كان يسعى أن يرد عليهم عن الضرورة بهذا المعنى فنقول. هذا ما أمر به الله<sup>(١)</sup> ورسوله، ونسأله أن يسمع قط كلاماً بخلاف ذلك. وسد ذلك التاريخ لم يعطوا مالا أى مخلوق أراد الافتراض بالربا وإذا ما استند شخص ذو تعود فإنهم يسعونه بحكم المرسوم.

ولأن الناس جميعاً في زماننا هذا لا يتعاملون بالربا بمحمد الله ومعه زالت كل الأضرار التي كانت تحدث، واستقامت المعاملات، وعم الإنصاف الناس، وصار أكثر الأموال النقدية يصل إلى الخزنة ذهباً أحر؛ لأن المقاتون لا يبيع تسليم الأموال العبية بدلاً من النقدية. كذلك ثبتت قيمة الجواهر والرصعات. وكل من يملك مالا لا يسلمه ليد مصد من المعدنين فيتزه بالهيلة وبذلك صار أكثر أوراق الخلق حلالاً، وعمت البركة، واشتعل **[ص ٥٣٠]** أكثر الناس بالزراعة والتجارة والحرف الباقعة. وبهذه الوسيلة انتظمت أمور العالم من جديد، ووجدت رونقاً وبهاء. ولا شك أن أهل هذا الزمان يدركون قيمة هذه الأمور؛ إذ إنهم شاهدوا هذه المفاسد. أما الذين يعيشون بعد هذا، ولم يروا حقيقة ما حدث فأنى هم أن يدركوا فائدة هذا القانون؟ وحلال هذه المدة التي بعد فيها هذا الحكم كان بعض الناس من سيطرت عليهم لذة التعامل بالربا يبيعون بالقروض كثيراً من البضائع بأشأن باهظة، بحجة أن ذلك من قبيل التعامل والبيع المشروع، ولأنه لم يتخذ شكل الربا.

(١) يبي الله خلقه عن التعامل بالربا فقال في حكم كعبه: ﴿لَيْسَ بِالْكَوْنِ رِبَاً لَا يَقْرَبُونَ إِلَّا كَمَا يَقْرَبُونَ فِدَى يَتَمَطَّى﴾ التيطلان من الناس ذلك بأنهم قالوا: إننا نبيع مثل الربا وأصل الله البيع وصرم الربا من حاد موعظه من ربه فأنهى فله ما سلف ولهم إلى الله ومن عاد فلو فلك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ (سورة البقرة، آية ٢٧٥).

وعاقبة الأمر أن هؤلاء العرماء كانوا يأتون إلى الدعوان ويقولون لقد باعوا لنا بضائع بهذه الطريقة، وأنهم يطلبون شهاها، فنصب السلطان خلد ملكه وقال إنهم إذا لم يتركوا هذه الخيل والتزويرات فإننا سوف بأمر بأن كل شخص بأحد قرضا بهذه الطريقة لا يعيد على الإطلاق رأس المال ولا ربحه وإذا وجد المال متوافرا إمام الناس عما الداعى لإقراضه؟؟ . . . يجي أن يشتروا به أملاكها، ويستثمروه فى التعمير والزراعة والتجارة فصار الناس خائفين من ذلك، وقلل التعامل بالربا، كما قلت المعاملات المصححة. ومن المؤكد أنه سوف يقضى نهائيا على هذه الطريقة وفى أسرع وقت.

فليرفق الحق تعالى هذا السلطان كى يقضى دائما على هذه الرسوم المذمومة، وحتى يعمل قواعد الشرع الشريف مجدية وواسعة.

## المكايبة السابعة والعشرون

### في منع المخالفة في صداق الزواج

قال سبطان الإسلام: إن الحكمة الإلهية في تشريع الزواج هو أن يكون هناك تناسل وتولد بين آدميين. ولهذا السبب فإن حكم الشريعة يقضي بأنه إذا تموه شخص بكلمة الطلاق سواء أكان جادا أم هارلا، وسواء أكان راعيا لم عاصبا فإنه يقع الطلاق في الحال لأنه إذا لم يكن هناك وفاق بين الزوجية وزوجها [ص ٥٣١] فالأولى أن يفصلا، وإلا سوف يؤدي عدم الوفاق إلى الحدة والعصب وإن استمررت الحياة مع العصب في عادة الوحوش، ولا محالة أن ذلك يؤدي إلى الممور، ولا يتحقق التوالد والتناسل مع وجود الممور. ولهذا السبب أصبح طريق الطلاق معترجا دون مانع قط.

أما إذا عقد الكاح على امرأة بصداق باعظ على يستطيع أي مخلوق أن يبادر بطلاق زوجته، وذلك خشية أن يدفع المال الكثير وإذا كانت علاقة الزوج بزوجته ليست على ما يرام وغير مختلطة فإن الزوج يضطر إلى التحمل وهذا الأمر خلاف للشروع والمقول ذلك أنه بموجب ما تقرره تقتضي حكمة الشارع أنه إذا ما تردد شخص في إظهار المحبة لزوجته، ولم يحرص على اتفاق وجهات النظر بينهما فإنه يستطيع أن يفصل عن زوجته دون جدال أو تفكير أو مانع.

كذلك تقتضي حكمة الشارع أن تكون رعاية الناس لأبنائهم وتوفير مؤنهم ولوازمهم أمرا واجبا على الآباء. وهؤلاء الآباء معرضون في كل وقت لمسح الإعانات عنهم، أو أن يفصلهم بمرحل كعبود احتياطيين بعيدا عن أولادهم. فإذا ما استهلك صداق الزوجة من أيس يتوارى المال لتربية الأبناء، وسد حاجات الباقين ورعاية شئونهم؟

وبناء على هذه المقدمات، ولأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد استحسّن المهر القليل في الزواج يسعى أن يخفى الناس الصداق إلى أقصى حد بحيث لا تجب عليه الزكاة. وبما عني هذا تقرر ألا يبرء كل الصداق على تسعة عشر دينارا ونصف؛ ذلك أنه ليس هناك إثم قط في الصداق القليل ولا شك أن الشخص الذي يحب زوجته لا يمكن التبرق بينهما

مهما بلغ التحايل والإجبار أما الزوجان اللذان لا يوجد بينهما وفاق فليس الأولى أن  
ينفصلا بأسرع وقت ممكن كي يتحلصا من اللتاعب، ويستفيد كل منهما لأنه ثبت  
بالتجربة أن بعض الزوجات لا يحسن لزوجهن، فإذا ما طلقن فإن الآخرين يتزوجون منهن  
ويحبوهن، فتكون هناك فائدة للطرفين

لهذا السبب أصدر السلطان مرسوما بخصوص هذا الموضوع  
والسلام.



## الحكاية الثامنة والعشرون

### فى إقامة المساجد والحمامات فى القرى بكل البلاد

لا يخفى أن احتياج الناس إلى الحمامات والمساجد من الأمور الضرورية. وهى بمصر من ولايات الممالك لم يمس فى القرى شئ من كلا النوعين، ولم يهدر ملوك الإسلام ذلك من قبل. ومن المؤكد أن الأهالى فى تلك الأماكن لا يقيمون صلاة الجمعة، ولا يتيسر لهم غسل الجنبات والتنظيف، كما هو مشروط شرعاً، مما يسبب خطراً فى دينهم.

ولعلاج هذا النقص أمر السلطان وأصدر مرسوماً يقضى بإقامة مسجد وحمام فى كل قرية من قرى كل الممالك ويحظر عمداً ونشأ من لا يتعد هذا الأمر وخلال ما يقرب من عامين أقيمت فى كل البلاد المساجد والحمامات فى الأماكن التى لم يكن فيها مساجد ولا حمامات وفى هذا الزمان غُصِّلَ أجور مرتفعة من تلك الحمامات، فأمر السلطان بأن يعق منها على ما يارم ملك المؤسسات، وعلى مشيئة المساجد من تعمير وفرض وإدارة وصرف أجور للخدم.

وبمجرد أن تم هذا النموذج الدال على حسن التدبير الذى أمر به السلطان جرى مثل هذا العمل الخيرى فى عدة بقاع من بقاع الممالك، وظهر شعار الإسلام، وبعم الناس بالهدوء والراحة.

أوصل الحق تعالى بركات ومثوبات ذلك إلى أقدام السلطان المبارك.

## الحكاية التاسعة والمشرون

### في منع الناس من احتساء الشراب

حيث إن أكثر الخلق في الممالك يقيمون على شرب الخمر وتناول المسكرات وكانوا يهيمون في العريضة والعبث بسبب سكرهم في الأسواق والجمعات؛ فيؤدى بعضهم البعض، أو يُجرح بعضهم أو يجل بهم الإعياء والإرهاق مما يوجب محاكمتهم. والمسكرات حرام ومنهى عنها في كل الملذبات واللذات<sup>(١)</sup>. ويسبب ما تقرر عنها، وما ورد من ذمها بحصر المفاسد التي تنتج عنها، رى أنه لا داعى إلى الإطباب في ذلك. يكفي أن أطلق عليها "أم الخبائث".

وبخصوص تشارك هذا الخلل، قال سلطان الإسلام علد ملكه بما أن المشرع عليه السلام وسائر الأنبياء قالوا بتحريم الخمر [ص ٥٣٣] وأن النصوص قاطعة في ذلك الشأن هنا على حى أن الخلاق لا يهرجون ولا يتركون الشراب، وإذا غش أيضاً معاً الشراب مطلقاً، فمن المؤكد أنه لن يمتد ذلك. بناء على هذا قررنا أن مكفى حالاً بأن يقتص على كل شخص يحدونه شلاً في المدن والأسواق، وأن يصرى، ثم يربط إلى شجرة<sup>(٢)</sup> وسط السوق حتى يمر عليه الناس، ويؤجوه عتبه ويترجر.

وبخصوص هذا الموضوع أصدر مرسوماً وأرسله إلى أطراف الممالك. وفي هذا الرمان لا يجرى أى عتوق على أن يخرج إلى الطرق شلاً. وإذن فكيف يصل به الحال إلى حد الجون والهرمنة؟! وبهذا قضى السلطان على الفساد للتاجم عن احتساء الشراب وعلى مشاجرات السكارى وخصوماتهم في الأسواق والجمعات.

---

(١) ورد في الحديث الشريف قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "جنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر". روى البخاري والبيهقي عن ابن عباس ورواه الطبراني عن الحسن بن بشر بنقط. "جنبوا كل مسكر" (انظر كشف الغطاء ومزيل الإلهاس عما اشتهر من الأحاديث على لسان الناس للعلوي، الجزء الأول، ص ٤٩، حلب بدون تاريخ).

(٢) يذكر الوصاف أنه في عهد غازان بنا وتكب شخص شراب الخمر، فإنه يعذب في السوق، ويقام عليه الحد الشرعى، ويعلق في شجرة يطلق عليها قمل شير "مروس السكارى" (مروس مسكان) (انظر تاريخ الوصاف ص ٣٧٨، طبع بستان).

كذلك أمر السلطان ألا يدخل أى مخلوق منزل الناس للبحث عن السكاري حتى لا  
يسلث العسس سلوكاً يتجاوز حد الاعتدال، وحتى لا تغل المتاعب والمشقات بالمخلق.  
ليوفق الله تعالى هذا السلطان الخالص الدين حتى يصدر دائماً هذه الأحكام.  
والسلام

## الحكاية الثاثلون

### فى إعداء نفقات الطعام الخاص والشراب لجيش السلطان المعظم

لهكس معلومًا للجميع أنه قبل هذا كان يسود الجدل والفرار دائماً بخصوص إعداء نفقات الطعام. وكان الكتاب والمثقفون يوقع بعضهم بعض، ويتهمون بعضهم بعضاً. وكانوا يغالون فى ذلك الأمر، فكان على الأمراء أن يشعروا باستجوابهم ومحاكمتهم وكانت نفقات الشراب والطعام فى أهدى جماعة يتفقون مبالغ تزيد كثيراً عما صرفوه بالفعل. كذلك كانوا يصعبون بعض النفقات التى لم تكن لها صلة بتوفير الطعام وذلك من قبيل الصدقات ومعاشات الناس وعناء الحيوانات والعهود وكذلك العلف ومشروب الرسل ورواتب بعض الأمراء الأعيال والمخواتين ولوازم البيوت وأدوات المطبخ وأمثال ذلك وغيره الأسباب تصخم ثرواب طائفة من هؤلاء المستغنى يضاف إلى ذلك ما كان ينفق على شئون اللأذب وإقامة المعلات وأكثر هذه الأموال لم تكن فى الحقيقة تنفق فى هذا المرمى كذلك حددوا للأصناف المختلفة أسعواً مرتعة. [ص ٥٣٤] وكانوا يحلون كل تلك النفقات على الولايات لتتولى تدبيرها وفى نفس الوقت كانت الشئون المتعلقة بأموال الديوان غير مصبوة ومضطربة. وفى مية الحكام والمثقفين ألا يعطوا الديوان شيئاً قط وذلك على النحو الذى وصفا فيه أسباب تلك للفساد.

لكل هذا اختلت شئون الولايات اختلالاً كبيراً. ولم تكن النفقات اللازمة لتوفير الطعام تصل فى وقتها. وكان الرسل الدين يذهبون لتحصيل تلك النفقات يهملون أداء واجباتهم مقابل ما كانوا يأخذونه من هدايا على سبيل الرشوة كذلك كانوا يعطون المتعاملين معهم فرصاً كثيرة لسداد ما عليهم، وأيضاً كانت الحوالات تصدر مرة ثانية إلى ولايات أخرى، وهكذا سار الرسل على نفس الطريقة. وفى كل عام كان يذهب العديد من الرسل لتحصيل نفقات الطعام، وكانت تزيد نفقاتهم وعلف دوابهم على أصل المال المخصص للنفاء ومع هذا لم يكن المال يصل أيضاً رغم أن نفقات توفير الطعام قد حدثت؛ بحيث تكفى كل من يعمل لتحصيلها، بل كانت تكفى أشخاصاً كثيراً آخرين. ولكن حيث إنها

لم تكن تصل في وقتها، وكان المتعهدون يفترضون المال بربح فاحش. وقد قوموا بمائة مرة من الشراب بعشرة دنانير وإذا كانوا يعملون بتدبير، فإن المتحصل يصير خمسة دنانير. وأحياناً كانوا يشترون مائة مرة بعشرين أو أربعين ديناراً.

ونتيجة لذلك فإن المال الكثير الذي كان يصل إليهم، والمبالغ التي كانت تزيد على نفقات توفير الطعام، أصبحت غير كافية. إذن فكيف تكون قيمة الحوالات التي كانت في أيديهم، وتأخر سدادها عامي؟ ومن جملة ذلك ما كان لا يزال باقياً على الأساكين المختلفة. وأما الخلل الأكبر حقاً، فإنه يتمثل عندما كان الكتاب يسألون عن النفقات الخاصة بتوفير الطعام. عندئذ كان حكام الولايات يتدخلون بحجة أن أمر تدبير الطعام مسألة خطيرة، ويقولون إننا سادر بمصر تلك الأموال، ويكلفون الرسل بمهمة أخرى. وهذه العملية أيضاً لا تخرج إلى حيز التنفيذ. وهكذا كانت تصبح النفقات الأخرى، قطع الحسارة. وبسبب تعطيل الرسل وتأخيرهم كانت تصبح سدى المبالغ المخصصة للمصروفات. وإذا عزل الحاكم في نهاية العام فإنه كان يتحمل عتداً قائلاً: إن المال في عهدة الولاية، أو أنه صاع. وإذا لم يعزل فإنه يتحجج بالحساب والتحقق ومراقبة رؤساء الديوان بحجة مشاركتهم الرسل، وأخذهم الهدايا على سبيل الرشوة. وهكذا يمضي الوقت عبثاً.

ولا شك أن أثر تلك الفصاها وسوء التدبير إما كان يرجع إلى تصرف المتعهدين الذين كانوا في راع دائم مع موظفي الديوان. وكان كلا الطرفين يتبادل التهم، [ص ٥٣٥] ويلقى بالثبته والذنب على عاتق الطرف الآخر، وظلت الوشاهات والسمايات قائمة فيما بينهم. ولم يتفق مطلقاً أن تعد المؤن لمدة عشرة أيام متتالية ولو أنهم رجعوا إلى السجلات واحتاطوا للأمر، لوجدوا أن الأموال الكثيرة قد ضاعت بهذه الطريقة بحيث إنه لا يمكن شرح ذلك، وكيف يمكن أيضاً إدراك حال المؤن التي تعد بهذه الطريقة؟ كذلك كانوا دائماً يتفلقون الأطعمة والمشروبات مكرهين. وكانت تور المشاحات والمشايرات بشأنها. وعندما كانت تصل إلى الجند وقت معادتهم للعسكرات، كانت تبقى متروكة مهملة. وبعد الانتقال إلى المصاهب والمشايات كانوا يهتمون بتقديم الهدايا أكثر من اهتمامهم بتوفير المؤن. وفي أثناء ذلك كانت تصبح النفقات المخصصة لها وتذهب. وعندما كانوا يشترون

للمشروبات من بائعي الشراب، والأعلام من القصابين، فإنه كثيراً ما يحدث ألا يدفعوا لهم شهياً. ودالما كانت تلك الجماعة تصيح وتروح خلفهم. كما كانوا يركعون أمام الأمراء في دلة ومسكنة، ولكن دون جنوى. ولهذا السبب أشهر كثير من بائعي المشروبات والقصابين إفلاسهم. وهكذا فإن أمثال هذه للعائد كانت تزيد على الوصف.

ولتدارك هذا القصر قرر السلطان أن يكون الإصلاح على هذا النحو الذي يقصى بتوفير صفقات المؤن والأطعمة يوماً لمدة ستة أشهر، على أن تعطى هذه الصفقات بشدا من الخزانة كسلفة لشراء ما يحتاجون إليه من السلع ثم ينقل كل ما يكون معناه في إحدى الولايات. وكل ما يشتري بشئ أرخص يبقى مرقى السعر رصيدة للخزانة. ولا يتوقع أى محروق أن يستفيد من تفاوت أسعار المشروبات والأغنام والسلع وبسبب أن يشتروا أرخص من الأسعار المحددة في السجلات لما ما كانوا يأخذونه قبل هذا من الصفقات عبر الضرورية ومن المآذب والجماعات العديدة التي لم يبق عليها كثيراً، وكل ما يبقى من أيام تقل فيها الصفقات، فإن هذا كله يكون رصيدة للخزانة. ومن مهورات ذلك كله، تجمععت في مدة عامين أموال كثيرة اشتروا منها خمسمائة مائة وخمسمائة بعيل، وأودعوها لدى المحالين والسياس الرحاء حتى تكون دالما معدة لتلبية متطلبات المشروبات والأطعمة وكل ما كانوا يدفعونه كل سنة لتأجير الدواب، يعمقون بعضها منه في شراء العليق ورعاية الدواب، [ص ٥٣٦] ويشترون بأقل من خمسة دنانير الشراب الذي يقدر بمائة من وكانوا يتناغونه قبل ذلك بثلاثين أو أربعين ديناراً

والآن صارت المشروبات المؤن والأغنام والمحاريج والالوارم الأخرى معدة ومتوافرة وإذا أرادوا الحصول على أضعاف للقرر فإنهم يحضونه بسهولة ودون صراع أو نزال. وقبل هذا كان سعر الشراب الذي يشتريه المتعهدون من بائعي المشروبات مرتفعاً جداً. هذا على حين أنه الآن متوافر في الأسواق وفي حالة كساد. كذلك لا يدفع أى رسول أو محصل إلى الولايات للمطالبة بصفقات المؤن. ولهذا السبب لا تلزم مصروفات ولا تبذل أموال، بل يأتي النقد إلى الخزانة. كذلك أصبحت الشئون المتعلقة بتوفير المؤن ونهضة أسبائها وترتيبها ونقلها تتم بصورة منسقة ومضبوطة لم يسبق لها مثيل دون شك في عهد أى سلطان من السلاطين. ومن الملاحظ به أنه لا يصرف أكثر من ربع ما كان يتبدد قبل هذا. ولو وصع

في الحسبان أيضًا النفقات التي كان يتطلبها إيفاد الرسل، قلن تكون المصروفات الحالية أكثر من العشر.

ولا شك أن ترتيب هذه الشؤون إنما هو أمر بسيط باهتمام النواب ووزير البلاد الخواجه سعد الدين، فهو لا يدع دقائقًا واحدًا يتعرض للتلغ والضباغ.

ليسط الحق تعالى أهد الدهر ظل هذا السلطان الكامل العقل، الصائب الرأي.

والسلام

## المسألة العامة والثلاثون

### في إعداد نفقات المؤن للخواتين والجنود

في عهد هولاء كان كانت نفقات توفير المؤن للجنود والخواتين تجرى على مسن الممول وعاداتهم، ولا يمكن زيادة هذه النفقات وتلك المقررات. وعندما كانت تجلب الضرائب من حروبهم في ولايات الأعداء يعطى الجنود شيئا منها، وكان لكل واحدة من الخواتين عدد من التجار يقدمون لها شيئا من المال كربح أو أن شخصا يهديها هدية. وكانت تشتلك عدة قطعان ولها أيضا تاجها وماسمها. ومن هذه الأشياء كانت تتوافر للخواتين النفقات اللازمة لتوفير المؤن وما يحتاج إليه. وكان قناعات بذلك.

وفي أواخر أيام آباقاجان ظهرت زيادة طفيفة في المؤن. وبعد ذلك في عهد أروعون خصص لكل معسكر مبلغ من المال. وكانت هذه النفقات تحول على الولايات لتحويلها. [ص ٥٢٧] وعندما كان الرسل ورؤسائهم يذهبون لتحويل هذه المبالغ، لا يدفعها الحكام، متبرعين ببعض الأعتار التي شرحناها في عدة مواضع وكانوا يشعلون أوقاتهم بأخذ العلف والالتزام بتعميد الوعود وتقديم الهدايا وإذا حصلوا على مبلغ ضئيل، كانوا يندخونه فيما بينهم. وحيث إن نفقات توفير الطعام للجنود تجرى على هذا النمط، فإنه يتبين لنا كيف كانت تسير الأمور في ظل هذه الأوضاع وفي عهد جبهاتو كان الحال أيضا يجرى على هذا النمط. وهكذا صارت مبالغ كثيرة من الأموال على يد حكام الولايات وكبار الشخصيات.

أما في العهد المبارك لسلطان الإسلام خلد سلطانه فقد وقعت الخصومة بين قواد الجيش. ولهذا كان يؤكد الواحد منهم للآخر، فتمضوا للاتهامات والتحاكمات بسبب هذه التصرعات. وقد بقي بعض تلك الأموال دسا على الولايات، وتبدد بعضها بين كبار الموظفين، فكان السلطان يأمر بمعايشتهم، وعزل بعض منهم. بعد ذلك صرح قائلا: لا يصح أن تصيب الأموال بهذه الطريقة، أو تحتلها حكام الولايات. وبذلك لا تنظم الشؤون المتعلقة بتوفير المؤن للجنود، ولا تصل الأموال إلى الخزنة أو إلى الجنود.



FV1

## المكايمة الثانية والثلاثون

### في ضبط شئون الخزائنة وترتيب مهماتها ومصلحتها

قبل هذا لم يكن معتادا تلويح حسابات الخزائنة الخاصة بسلاطين العول، أو يكون لها دخل وخرج ثابته. ولقد تصبوا عددا من الخزنة كي يأخذوا سهم كل ما يحصلون عليه من أموال، ثم يودعونها متصامسين، ويدفعون كل ما يلزم من نفقات بمعرضهم جميعا. وعندما يتفد الرصيد يقولون. إنه بعد. وكان الفراشون يحرسون تلك الخزائن، ويحملونها ثم يلقونها بصف. وقد بلغت الأمور من عدم الدقة وسوء النظام درجة كبيرة إلى حد أنه لم تكن هناك خيمة توضع فيها هذه الخزائن، بل كانت تكندس في الصحراء، ويكتفى بتغطيتها بلباد. وهكذا يمكن القياس على سائر الأحوال. ومن جملة العادات المتبعة عندهم أنه عندما كان يذهب جماعة الأمراء ومعهم أصدقاء الخزنة ويطلبون سهم الغداها، كانوا يعطون كل واحد سهم شيئا على قدر مرتبته. كما أن الطهارة والسقافة والخدم وسياس الخيل، كان كل سهم يحمل إلى الخزنة كمية من للأكل وللشروب وغير ذلك [ص ٥٣٩]، ثم يطلبون شيئا، فكان الخزنة يتشاورون فيما بينهم، ويلبسون طلباتهم. ولأن الفراشيين كانوا حراسا للخزنة صار المسئولون بقبولون مئتمساتهم، ويعطون كل واحد سهم نفودا كذلك كان الخزنة يتبادلون الغداها، ثم يتشاورون فيما بينهم، وأخيرا يتفقون على أن يحمل كل سهم شيئا إلى مرله. وبهذه الطريقة كان يضح من تلك الخزائن كل سنة ثمانية أعشار ما تحتويه، ويصل فقط العشران الباقيان من النفود إلى الجهة المطلوبة، فكان السلطان يأمر بإتعالها. ولأن أحكام الولايات قد همها هذه الأمور جيدا، كانوا إذا سلموا أموالا لإبداعها في الخزائنة، فإنهم يأخذون بدل الشيء الواحد شيئين. وعندما يحصرون مالا أقل إلى الخزائنة فإن ما يحصرونه يجري ضبطه على هذا السط. ومن هنا يتضح الموقف فتساءل كيف يستطيع السلطان أن يعق عندما تدعو الحاجة إلى الإنفاق؟! وهكذا كان الحال يجري على هذا السؤال دائما.

وحيث إن حراس الطرق أمروا بالاحتياط، وباعتقال أى شخص يخرج ثوبا أو شيئا آخر من الخزانة، صاروا يتنقلون واحدا كل بصع سبي، وذلك أيضا لحرص خاص فى أنفسهم فكانوا ينتهرون الفرصة كى يوقعوه فى الدب، ويقدموه إلى المحكمة. وهذا لم يحدث فى كل المهود أكثر من مرتين أو ثلاث مرات ولهذا السبب يستولون على المرصعات والذهب الأحمر. وإن شرح تلك الأحوال يتجاوز حد البيان.

أما الآن فلنضبط هذه الأوضاع ونصحبها، قرر السلطان أن تكون الخزانة مستقلة فى إدارتها، وأن يصع بيده المباركة كل ما يوجد من المرصعات فى صدوق، بحيث إنه لو تحدث أى تصرف فيها، يعلمه فى الحال كما قرر أن يثبت فى السجل كل صغيرة وكبيرة بقلم الورير بالخير والمقتطير ثم أغلق هذا الصدوق بالثقل وحنمه بختمه، وعين شخصا من الخزانة ومعه أحد الخدم من المخصيان ليحافظا على الصدوق، ويكون فى عهدهما. وباستثناء هذين الاثنين لا علاقة لأى مخلوق آخر بهذا الصدوق.

أما كل ما يكون من الذهب الأحمر والذهب الخاصة التى تصنع فى المصانع، أو الأشياء التى يحصرها من الولايات البعيدة كالشعف والمنايا فإن الوزير يسجلها بالتفصيل جريا على القاعدة للثبته، وتبقى كذلك فى عهدة هذين الشخصين المذكورين، وقطعا لا يتصرفان فى أى منها قط ما لم يصرح بذلك سلطان الإسلام تعريفا مطلقا. [ص ٥٤].

وأما كل ما يكون نقدا قصيا، وكذلك أنواع الثياب التى تورع دائما فقد نصب السلطان حازما وخادما حصيا آخرين لتكون هذه الأشياء فى عهدهما، على أن يتولى الوزير إحصائها ثم يثبتها فى السجل. كذلك أمر السلطان بأن يكتب الوزير إذا بما يتقرر صرعه، ويعرضه حتى يؤشر عليه بقلمه المارك. ثم يثبت ذلك نائب الورير فى السجل. وما لم تكن التأشير مثبتة على أدوات الصرف، لا يصرف شيء قط لأى مخلوق. وتسمى الخزانة الأولى "ناريس" والثانية "بيدون" وحتى لا يلزم التأشير على الأدوات فى كل لحظة تقرر أن يكتب الورير كل شهر أدوات الصرف بالتفصيل جريا على المنبع، ثم يعرضها واحدا فواحدا على السلطان وقت الخلو وانتهاء الفرصة حتى يؤشر عليها

كما أن على الورير أن يطلب جرد الخزانة كل ستة أشهر أو كل عام حتى يتأكد من أن كل المبالغ موجودة بالخزانة أو لا؟ وذلك خشية أن تكون هذه المبالغ قد نفذت من الخزانة

لسبب من الأسباب الكثيرة. وقبل هذا كان بعض العظماء والأصدقاء يلتصقون أن يصرف  
هم قرص من الخزانة. ولكن لأن المرسوم قد صدر بعدم التصرف في الأموال بعير الإيد  
البارك، رفض ذلك الانتماس كذلك أمر السلطان بصح حتم خاص يختم به في الحال كل  
ثوب بمصروبه إلى الخزانة، حتى لا يمكن إبداله.

وعن السعاة الذين كانوا قبل هذا يتدخلون في شئون الخزانة، أمر السلطان بأن  
يشتملوا بالعرشة فقط، لأن الخزانة في عهدة هؤلاء الأشخاص الأربعة فقط. وتصعب  
الحساب يعني أن تكون بموجب الإيد الذي يعطى لهم. وأشار السلطان أيضا بألا يكون  
في الخزانة عيار الورن العادي، بل يكون فقط للمبار القانوني المحتوم الذي بموجبه يكون  
التسليم والصرف. وليس لأي مخلوق الحق في أن يعطى أصحاب الخواتم درعاً من  
الكرباس في مقابل نقد ذهبي، أو أن يماطل في النفع لحظة واحدة، بل يسعى أن يدفع المال  
في الحال نقدا لأصحاب الخواتم أو القماش. ويعني أن يسلم نفس الصنف المطلوب  
الدموع بدمعة الخزانة، ولا يتوقع المقاتلون عليها أن يبالغوا شيئا من أحد في سبيل تسهيل  
مهمته. [ص ٥٤١] وقد تقرر تحصيل دينارين كرسوم للخزانة عن كل مائة دينار من النقود  
التي بمصروبها من الولايات ولا يأخذون زيادة قط عن المطلوب.

كذلك أمر بتخصيص خزنة أخرى، نصب عليها أحد الحصان، وعليه أن يأخذ دينارا  
عن عشرة دنانير من النقود التي بمصروبها إلى الخزانة وأن يسلموه ثوبا واحدا على حدة  
عن كل عشرة أثواب ليضعه في الخزانة أيضا. كذلك أمر السلطان بإحصاء أموال  
الصدقات الموهلة إلى الخزانة كي يسلمها يده المباركة للمستحقين. وقد تم ضبط ذلك بعض  
الترتيب الذي سبق شرحه. وهذا النظام يطبق أيضا ونفس السق المذكور على الخزانة  
المخصصة لمستودع الأسلحة. ولا يمكن أن تحفظ بهذه الصورة وتلك الدقة أموال أي  
حاكم أو صراف أو تاجر كبير ممن هم مشهورون بالمحافظة على المال، فكيف بتزالي  
الملوك؟! وقطعا لا يمكن أن تتصور الحياة ولو بدائق واحد من النقد.

وعندما يتوجه السلطان إلى الصيد أو إلى المشتى تراجع الخزانة بنفسه عدة أيام قبل  
تحركه، ويشترى كل ما يريد نقله معها. ثم تسجل بالتفصيل الأثمان والأحمال بخط الوزير  
ويتركها في تبرير في صناديق مغلقة ومختومة. وعندما يريد السلطان أن يعرف أحوال

الحزنة من حيث الكم والكيف والدخيل والمخرج، يسأل الورع، فيرجع بثوره إلى السجلات، ويعرض المطلوب في الحال وحيث أن سلطان الإسلام حلد ملكه مؤيد بالتأييد الرباني. كما أن إمداد المواهب الإلهية بشأنه كامل ضاماً، واتفق أن ورعه أهدأ مع وجود كمال كفايته وكياسته وعلمه وعمله، لا يوجد لوثق منه، فلا جرم أنه لا يمكن أن يضيع دقائق واحد من النقد أو ذراع من الكرياس ولم يعد لأى مخلوق مجال للخيانة.

وإنه ليس وبركه هذا الصبط، وهذا الصديق اللذي أمر بهما سلطان الإسلام. ويعمل الأمانة والديانة، صارت النقود الذهبية تخرج من الحزنة بكثرة هائلة بحيث إنها لو كانت يوماً تُعد ماؤه وليس هناك في سجل قديم أو حديث مطالعة ذكر لثل هذه الأموال الطائلة والنياب التي لا حصر لها. كما أنه لم يعط أحد مثل هذه المقادير من عزانة أى ملك من الملوك

ليوصل الحق جل وعلا هذه البركات إلى أهبام السلطان المباركة بحق النبي وآله وسلم.

## في ترتيب شئون المؤسسات ودور الصلاح

قبل هذا كان يمس في كل مدينة وولاية صناع كثيرون من قبيل القواسم وشاحدى  
السهم وصاع الجعبات والسيوف وغيرهم. كما كان للممول مثل هؤلاء الصناع. وكان  
كل واحد منهم يصنع آلة أو كتين. وكانوا يتفاوضون أجورهم ومراتبهم. كما كانوا  
يتعهدون بتقديم كمية كبيرة من الأسلحة. وكانوا يأخذون شها من الخوالات المكتوبة  
على الولايات. وفي بعض المدن، كانت هناك مصانع يعمل فيها صاع مهرة. وقد  
خصصت مبالغ من الأموال لهذا الغرض. وكان على رأس هؤلاء نواب أمراء حاملي  
الصلاح. ومن كل الأموال التي تنفق، لم يستطيعوا أن يحصلوا منها على واحد من عشرين  
وذلك بسبب أن بعض هذه الأموال يتم صرفها بواسطة الخوالات. ومع أن مائة من اتباع  
الرسول يذهبون إلى الولايات لحصولها، كان يضيع أيضا ما يساويها أو ما يزيد عليها شأ  
للطف وسد نفقات هؤلاء الأتباع ونفقات دوابهم. وبواسطة الخيل التي ذكرناها كان يقى  
بعض تلك الأموال تنصرف فيها حكام الولايات، وبعضها يتبدد نتيجة أطماع وتصرفات  
النواب وكتاب المؤسسات، وبعضها يصيب هدرًا بسبب كثرة الأمراء المشرعين على هؤلاء  
وهؤلاء. وبأى على هذا كان كل واحد يتصرف حسب هواه.

ولما كان الصناع يرون الأمور تجري على هذا المنوال، تقاعسوا وصاروا لا يؤدون  
أعمالهم أداء كاملاً على نحو ما يملية عليهم الحق والموجب، وصارت أوقاتهم مستفرقة في  
النزاع والخصومة فيما بينهم. وكان يمس أن تنصرف في السعى والعمل كذلك دبت  
بينهم المشاحنات، وكثرت الرشايات. وقد وصلت مازعاتهم إلى حد أن الأمراء - بشؤم  
هذه التصرفات - اختلفوا فيما بينهم، وانقسموا على أنفسهم وخصاموا. وكانت  
التحقيقات تجري دائما مع الصناع، ويستخدم الصراع والجدل، فترتب على ذلك ظهور  
الجهود والمقاسد في شئون الملك. وعندما كانوا يذهبون لمراجعة الحسابات، لم يكن هناك  
شيء قط. فلا مر إذن من أن يبقى عجز في السجلات يقدر بثلاثمائة أو أربعمائة ألف  
دينار كل سنة، ولا يظهر ما يدل على إنفاق دائق واحد منها.

وعاقبة الأمر أن الثواب وكتاب المؤسسات كانوا يقتطون. وعلى أثر ذلك خرجت ديارهم. ثم أعقب ذلك القضاء على أسرهم. [ص ٥٤٣] وقد آل أمر المباشرين تلك الأعمال إلى أن صاروا مغلبيين وأشراراً وساءت سمعتهم؛ فتنازك ذلك كله سلطان الإسلام بخلد ملكه. وقرر على هذا الأساس أن ينضم أهل كل حرفة من الحرف في كل مدينة إلى بعضهم البعض، وأمر بالآل يعطوا شيئاً من العلف والملاص. وقرر كذلك إعداد كميات خاصة من كل نوع من الأسلحة وتقدير شهاها، وقال: رغم أنهم عمالاً وأسرى لنا ويبيعون ما يصنعونه في الأسواق بأثمان يتفادونها مثلما يبيع الآخرون إنتاجهم فإنهم يحاسبون على ما يصنعون، وذلك على نفقة الديوان. وكذلك نصب على رأس كل طائفة شخصاً أميناً وموثوقاً به يشرف عليهم ويكون صلحاً بإخلاصهم وأمانتهم. وهؤلاء يأخذون أجورهم ستة بسنة، ويسلمون الأسلحة حسب المقرر الفصل، ويسلمون بها إحصالاً. وقد حدد السلطان إحدى الولايات لتتولى سداد نفقات كل تلك الأسلحة حتى لا تدعو الحاجة إلى إبعاد الرسل إلى كل الولايات لتحصيل هذه الأموال

بهذه الطريقة تقرر أن تعد الأسلحة الكاملة لعشرة آلاف رجل كل سنة هذا على حين أنه قبل هذا لم يكن يرى أحد مطلقاً حتى لأعين من الرجال المسلحين. كذلك عين السلطان لحرسه الخاص خمسين رجلاً اختارهم من خواص خواصه. وبالإضافة إلى ذلك أعد عدة آلاف قطعة من الأقواس والأسهم والدروع على نفقة الخزينة لتستعمل عند الحاجة. وعندما غفدت مقارنة بين المأصى والحاضر، تبين أن ما كان يعق قبل هذا على بند العلف وأجور الحرفيين لا يزيد على نصف ما يدفع الآن شياً للسلاح. كما أنه لهذا السبب قد استعصى نهائياً عن النفقات التي كانت تحملها الولايات. ولكن قبل هذا وفي أوقات أخرى، لم يكن يوجد سلاح فط من هذه الأسلحة التي يتوافر وجودها وبجس التدبير هذا تجهيز المعدات كل سنة وفق النظام المذكور، وتسلم بموجب إحصال. وبهذا انتهى الصراع ورالت الخصومات، وقضى على محاكمات الحرفيين والكتاب الذين كانوا يعمدون هذا السبب. وهم الآن معتمرون وموفرون، ويعيشون في راحة وطمأنينة. أما الأمراء الذين كانوا - بشؤم هؤلاء - يمارع بعضهم بعضاً؛ فإنهم الآن جميعاً متصاضون متآلفون وأحباب أصفياء

وحيث إنه خلال هذه السنوات جرت الأمور على هذا النحو المقرر فكانت مرتبة جيدة، عررض أمر السلاخ على السلطان قائلين: [ص ٥٤٤] فإن أكثر الآلات التي

بصنعها الحرفيون موجودة في الأسواق، ويمكن أن تشتري منها بصورة أنسب وأفضل وقبل هذا لم يكن الصاع يعرفون رسم وتزيين الآلات للعلوية. أما الآن فقد عرفوها في الأسواق بعد أن كانوا مشغولين بالمعاهد والصراعات والخصومات طوال اليوم، وكانوا يستولون على الأموال والمزق، ولا يؤدون عملاً يذكر. وأخيراً رأوا من الضروري أن يشتغلوا بحرفهم عندما وجدوا أنفسهم معزولين وهم الآن في الأسواق يصنعون الآلات والأسلحة على نفقتهم، ثم يبيعونها ولهذا السبب فإن أنواع هذه الأسلحة موجودة في الأسواق على نحو أحسن وأفضل مما نصنع نحن الآن وما أحسن من أن ندفع أموال النعاس نقداً. وبناء على هذا يرى أنه بدلاً من أن نمد نحن الأسلحة ونعطيهما الجلود، نوزع عليهم المال كي يشتروا به الأسلحة اللازمة لاستعدادهم، وبأسعار رخيصة، ولا تنصف أبداً. فاستحسن سلطان الإسلام خلد ملكه هذا الرأي، وأمر بصنع عدة أنواع من الأسلحة يدر وجودها في الأسواق. أما باقي الأسلحة تشتري بالمال نقداً.

هذه الحالات من المعاهد والنفائس التي ذكرناها كانت منتشرة بين الحرفيين الذين كانوا يصنعون السروج واللجم ومعنات الإصطبلات وكذلك انتشرت بين الصاع الذين كانوا يصنعون آلات عديدة تتعلق بأصحاب المظلات والخزنة. وهؤلاء أيضاً قد تداركهم السلطان وأصلح شأنهم على النحو المذكور.

بهذه الإصلاحات استقامت الآن كل تلك الأعمال، وصارت مرتبة. وكانت العادة قد جرت قبل هذا أنه إذا احتاج السلطان إلى القليل من الآلات أو أدوات أخرى تبلغ قيمتها خمسين ديناراً أو مائة دينار، كانوا يوفدون رسولا لإنجاز هذه المهمة البسيطة. وما ينفقه هذا الرسول يربو على خمسة آلاف دينار لتوفير الشواب والعلف بالإضافة إلى مصروفاته الخاصة.

أما الآن فقد تقرر أن يشتري الخازن كل ما يلزم ثم يحضره، لو أن يدفع شئنا نقداً ليشتره شخص آخر، ويسلمه له، وبهذه الطريقة انقطع مجيء خمسمائة من أتباع الرسل والمحصلين كل سنة من الولايات، وبدلاً من خمسمائة ألف دينار [ص ٥٤٥] كانت تنفق مع مائة ألف من المشتقات والإضطرابات والتخريب. والأمر الذي لا شك فيه أن ما يلزم لا يتكلف ما يزيد على خمسة آلاف دينار لإنجاز تلك المصالح.



بذلك رالت مهالبا تلك العادات والرسوم، واستمرت القوانين المستحسنة. وإن موالد  
هذه الإصلاحات ليلو في أن هذه الطريقة سوف تنتهج من بعد، وتستمر سنوات عديدة.  
إن شاء الله العزيز.

## المكايبة الرابعة والثلاثون

### في ترتيب شئون دواب الخفان

قبل هذا كانت إبل الخفان وأغنامه في البلاد تحت إشراف العمال ولم يحس لها حساب وصبط. وكان ينبغي أن يحفظوا على كل ما سلم لهم بفضل ما توافر من أماكن جيدة وكثرة الخراس والرعاة المترعين لهذه المهمة. فكان من المتوقع أن تتكاثر، فيصبح كل منها أكثر من مائة. ولكن عندما تفحصوا الأمر وغروا الحقيقة لم يجدوا واحدا من بيها، فانتحل المسؤولون الأعشار مدعى أنها نفقت وهلكت بسبب البرد. فأمر سلطان الإسلام - حلد ملكه - بأن يظفروا فيما إذا كان يوجد لديهم عدد من إبل وأغنام الخاصة أم لا؟ فلما تفحصوا الأمر أئادوا بأن لديهم الكثير منها - فرد عليهم السلطان قائلا: إن دواب الخفان كانت أضعاف دوابهم، فكيف هلكت كلها. هذا على حين أن دوابهم لم تهلك بفعل البرد وطاعون الماشية؟ وبهذا تحقق أنهم يكذبون، وأنهم سرقوها كلها ثم باعوها

وبناء على هذا صدر المرسوم بإحصاء الدواب، ولكن لم يتيسر ذلك وترك العمال عملهم. ثم إنه بعد تلك التجربة أمر بأن تسلم الإبل والأغنام لأشخاص ثقات يعتمد عليهم. وحيث إنه توافر أماكن جيدة وعمال هم عبيد لنا ومترعون لهذه المهمة، أي عذر يمكن أن يتحلوه بعد ذلك؟ وعلى هؤلاء المشرعين أن يتعهدوا مع العمال بتنفيذ الأصول لهذه المهمة، وإعطاء نتاج تلك الحيوانات عدة مرات كل سنة وذلك على النحو الذي يحقق المنفعة بعد أن كانت صائلة. [ص ٥٤٦] والآن يكون للعمال الفائدة والوفر في الأموال. كما أن الأشخاص الذين ليس لهم مواطن خاصة، ولم يكونوا في زمرة العبيد يفضلون على الآخرين، وتلقى طلباتهم بشروط أحسن من غيرهم حتى لا يستطيعوا انتحال الأعذار. وعلى هذا النحو يقرر إقناعهم وسنة بعد سنة برداد نتاج هذه الدواب ويكثر تولدها. هذا وقد عيى السلطان الإبل التي يمكن استخدامها على حدة لنقل الأحمال. كما خصص مجموعات أخرى لنقل الخزائن والملابس وما تحتاج إليه المسكرات، وعهد بالإشراف على ذلك إلى أشخاص ثقات. وكذلك الأمر فيما يتعلق بنقل محتويات أماكن الشراب ولوازم المنازل. وقد بلغ ضبط هذه الأعمال وترتيبها بحمد الله تعالى وسه درجة لم يسبق لها مثيل

في عهد أي سلطان من سلاطين المغول والمسلمين من حيث التنظيم والتسيق. ولم يتوافر هذا المقدار من الإبل لنقل البضائع وتوزيعها. وكثير من الإبل ترعى في مراعيها دون الحاجة إليها في حمل الأحمال وهي ذكماً في ازدياد يوماً بعد يوم. كما أن ترويضها بالمعدات والآلات أصبح أمراً في غاية الحس والجودة.

إن شاء الله يكون تقديم العون إلى هذه الدولة دائماً متواصلاً.

## الحماية العامة والظئون

### فى ترتيب شئون الجازدارية وحراس القهود

قبل هذا كان الجازدارية وحراس القهود يصطادون الحيوانات فى الولايات وكان بعض  
لهم أس يدعون فى كل عام، وفى أى موضع يصيدون ثم يحضرون ها ما يصيدونه  
ويسلمونه لأمرأ الجازدارية وحراس القهود. وكان مقررا لؤلأه فى كل ولاية مبلغ من  
القود يتسلمونها باسم العلف والمثونة والملابس. وكانوا يربطون هذه المبالغ فى كل سنة  
عما قبلها عدد تحصيلها من الرعايا الأكثر رواجاً، وذلك بصرب العصا وعرض صفات  
إصابة على العلف والمثونة، وبأخذون منهم تعهدات يمدد ما عليهم. هذا على حى أنهم  
يحضرون عددا صغلا من الحيوانات إلى محطات البريد. وفى الطريق حبسا كانوا يصون إلى  
كل مدينة أو محطة للبريد أو قرية، يستولون على خيول كثيرة، فيركبون بعضها، ويحملون  
بعضها أمتعة خاصة بأتباعهم ومرافقيهم. [ص ٥٤٧] كما كانوا يسحبون أصدقائهم  
ومعارفهم، بل أيضا كل شخص مقرب إليهم من تلك الحيوانات التى يحضرونها. وبواسطة  
اتين أو ثلاثة من الطيور المأتمرة المدربة على الصيد أو ثلاثة من القهود يصيدونها، كانوا  
يحصلون على صفقات كثيرة يحتاج الناس إليها فى الولاية. ثم يدخونها فى الطريق متدرعين  
بمحجة الإنعاق على عدا خيول البريد وتلك الحيوانات، ولا نهاية لما كانوا يستولون عليه  
لأنفسهم زورا وبهتانا من القرى وطرق عبور المارة والمسافرين وكانوا يأخذون الأموال  
حسب إحصائهم للحيوانات. ولم يكن يحدد نوعها وعددها وما تقرر صيده منها.  
وعلى هذا لم يكونوا يحضرون كثيرا من الحيوانات والقهود. كذلك لم يحضروا عدد ما  
يملكون من حيوانات. وإذا ما اصطاد شخص صال حيوانا فى صحراء بإحدى الولايات أو  
أنه اشتراه، وأراد بهذه الطريقة أن يحصل على مرسوم يثبت أنه يملك حيوانا، أو يدعى أنه  
شخصية متميزة فإنه بهذه الطريقة يجوز على الناس، ويريد فى اضطهادهم، ويحصل على  
مرتب وعلف ومثونة. وفى كل عام كان يجيء عدة أشخاص يحضرون اتين أو ثلاثة من  
الحيوانات، وبأخذون مرسوما يثبت أنهم يملكون حيوانات، تنص لهم المراتبات والمؤن  
والعلف ثم يعودون. فأى إنسان يوجد، ولا يختار هذه المهنة؟

وهكذا كان هذا النظام يردد سوما مرة بعد أخرى. وكان كل واحد من هذه الجماعة يحمي مائة من الناس ويغضب ألفا. أما البازدارية وحراس اليهود وأمرأهم الدين كانوا يلازمون المسكر، ويبتلون طيوراً مغترسة مدربة على الصيد، فإن بعضهم كان يزود الحصرة السلطانية بالحيوانات دون حاجة إليها وكان هؤلاء يكمون عدة من الأمراء ومجموعة من الرجال والأشباع يضم إليهم بعض الطوائف من سياس الحبل والمكافين والحمالين والقرويين سكان القرى. وقد شد كل منهم عدة رهشات حول وسطه، وهم يضحون في أحزمتهم دحوا حديدية يصربون به رأس كل من يصادفهم عدة صربات، ثم يتحدثون إليه ويخطمون عمامته لو قنستوه. وكان بعضهم يقول ليس هناك قانون (ياسا) يسمح بأن يخط كل شخص ريش البوم على قنستوه، ويندفع بهذه الحجة، ويخطف الفلسوة. وكان بعضهم يفعل كل ما يريد دون انتحال أى عذر. [ص ٥٤٨] وإذا مر أحد بيوار حيام أو مارل أصحاب حيوانات الصيد، فإنه يرى بعينه ما يرى أما إذا مر شخص من أفراد القاطلة أو غيرهم بماوى البراة والبازدارية فى إحدى القرى، فإنه يتعرض لحالة لا تقل عن السلب والنهب. وفى كل قرية كانوا ينزلون بها، يستولون على الأغنام والطيور لطعامهم وطعام حيواناتهم كل على حدة. ناهيك عما كانوا يأخذونه من النسي والشعر للواهبهم.

وعند سيرهم إلى المصايف والمشتات، كانوا لا يرضون بتلك الكمية، بل كانوا يكتفون رؤساء القرى الواقعة على معابر الطريق بتقديم الأغنام والدقيق والشعر، وما يحتاجون إليه فضلا عن المثوبة والعلف. وكانوا يلقونها على أبواب الناس إلى مناطق إقامة هؤلاء السادة. وكانوا يحصلون على مبالغ من الأموال عن طريق اعتصابهم الدواب الكثيرة ثم يهبها. كذلك كانوا يطعمون فى الحمر من الفصائل الجيدة، ولا يعيدونها إلى أصحابها. وكانوا يهبون أيضا كل من رأوه فى الطريق. وحتى يشتهر اسمهم ويرهبهم الناس كانوا يملفون حتى بعض الرؤساء والعظماء فى القلاية لأى سبب ناه. وحيشما يوجد شخص فتان يتمتع بحمايتهم، كان له أن يخذ كل عمل يريد سواء أكان سليما أم معوجا حتى ضرب الناس بالعصا بمؤازرة الحكام ودوى التوخذ من الرعايا. وإذا اتفق أن طالب بعض الشح والحكام أتابههم بشيء كانوا يكسرون ليلاً جناح أحد طيور الصيد، ويدعون أن الرعاع هم الذين

جرحوا هذا الطائر. ويشهد الواحد منهم مع الآخر. ولا بد أن الملوك إذا ما سمعوا أن شخصا شاغب وكسر جناح طائر الصيد، فإنهم يعضون، فيكون ذلك حجة ودرعة للشحن والبواب والحكام لأن يقولوا لقد أقمنا خيمة قاصدين الصيد هي الموضع الملائم. لكن الزعاع شرعوا في الصيد في ذلك المكان أو أنهم مروا من هناك؛ ففرعت الطيور. وهكذا انتهروا هذه الفرسة فكان إذا مر شخص على تلك الخيمة، وكان بعيدا أو قريبا منها، يأخذون منه على الفور، ودون مناقشة - حصانة وملاسة - أو يستولون على مبلغ من المال على سبيل الهدية؛ فكان المسكين يخلص نفسه من تلك الورطة بعد صراع طويل ومشقة بالغة. وتوجد حكايات كثيرة من هذا القبيل بطول شرحها

فكر سلطان الإسلام خلد ملكه في تفكير هذه الأمور، فقرر أولا [ص ٥٤٩] أنه يكفى ألف حيوان من حيوانات الصيد وثلاثمائة من المهود مما يحضره من الولايات. ثم أمر الباردارية وحراس المهود بأن يبيعوا الأشخاص الذين يروهم لاقتنى لقيام بهذه المهمة في الولايات وأن يكتبوا ذلك بالتعصيل، ولا يؤذن لأى باردار آخر بممارسة الصيد في الولايات ثم حدد ملبعا من المال لما يأتون به من الحيوانات المدربة وغير المدربة؛ بحيث يكفى حاجتهم، ويدخل ضمن ذلك نفقات طعامهم أثناء إقامتهم ورحيلهم وما يلزم ذوابهم.

شرح السلطان هذا كله بالتعصيل بطريقة لم يبق معها أى عذر. وقرر بعد ذلك مرتبا لكل من يهديه ألف من حيوانات الصيد هذه، وثلاثمائة من المهود. ثم أصدر مرسوما يختموا بالختم الذهبي، وأعطاه تعهدا نص فيه على ألا يؤخذ من أحد في الطريق مثونة أو علف أو أى شئ آخر. ثم أرسل هذه الأحكام إلى كل الممالك حتى يساعدوا بضرورة تعييدها وصدا حسوا التكاليف، وجعلوا أن هذا القدر - الذى قرر لهذه المجموعة من الحيوانات والمهود والمؤن والعلف، وكذلك طعام البواب ويدخل في ذلك أيضا ما يحتاجون إليه - قد بلغ كل هذا نصف ما كان يجرى عليه الحال من قبل، رغم أنهم لم يكونوا يحضرون ثلث هذه الحيوانات. وكان ما يتفق على الطعام يبلغ ما يزيد على ضعفين أو أكثر مما عليه الآن. وإذا فكيف يمكن حصر المخالفات وريادة الأعياء التى كانت تقع على الرعية نتيجة هذا السلوك؟

أما الآن فإنهم يحصرون كل سنة دون مشقة كلما من حيوانات الصيد، وثلاثمائة من الفهود ويسلمونها. ولما ذاع في البلاد أنه لا يحق هؤلاء أن يطلبوا بشيء من الدواب والعلف والطعام سواء أكان هذا سرا أم علنا وعلى الرعية ألا يعطوهم شيئا، ولا يستطيع أحد المطالبة بشيء من أمثال هذا، فإحدى لا يساح له أحد الرهانات أنى يمكنه أن يسد الطريق، ويسمى السر به لو أراد؟! وإذا طالب بشيء من الناس، فالأمر الذى لا شك فيه أنهم لن يعطوه. ومن الضروري تسليم هذا المقدار للمعنى كل سنة، وإلا فسوف يصرفوه إلى ما تبقى عليهم ويسترد منهم ونتيجة لهذا تعطل كثير من البازدارية والصيدان، ولم يعودوا يمارسون هذه المهنة. ومن تاريخ صدور هذا القرار لم ينظم أحد مطلقا في سلك البازدارية والصيدان، ولم يستطع هؤلاء أن يقدموا ملتصبا في هذا الشأن؛ لأن هذا القرار قد شملهم جميعا. أما الذين كانوا في حمايتهم، فقد دخلوا في رمة الأثاع. والأمر الذى لا شك فيه [ص ٥٥٠] أنه إذا أراد شخص أن يبقى موقفه ثابتا، فإن عليه أن يهيى بما عليه من التزامات مالية. وقطعا ليس هناك أى استبداد أو مشقة. وقد نسبت تلك الطائفة هذه الأساليب المعوجة، وصاروا من حملة العقلاء المصنعين من الشر.

لما عن تدارك حال البازدارية المتردى فقد أمر بأن ينص بالتفصيل على مرتباتهم وطعام الحيوانات التي في عهدة كل منهم، وأن تدفع لرئيسهم مرتباتهم نقدا من الخزنة، وذلك سنة بسنة، وبالتمام والكمال. ولهذا السبب لم يبق لهم أى عذر أو حجة. وعندما يتسلمهم ويسيرهم للصيد في إحدى الجهات، فإنه يحس معهم عددا من البازدارية والطيور المعترسة للتدربة على الصيد، ويأمر بإعطائهم عيولا خاصة كي يستخدموها في حمل لوازمهم على أن يدربوها ويخربوها حتى لا تبقى متراخية مهكرة وغير مدربة. ثم عليهم أن يحسبوا ما يستغرقه من ربح في الذهاب والإياب كذلك قرر أن تكسب في الخريف والشتاء الحيوانات المختومة بالحنم الذهبي والخاصة بالعلف والمؤمن مما بهم تلك المواضع. ولما كانت الحيوانات بالإضافة إلى الطعام العادى تحتاج في تدربها على الصيد، وإبان مرضها - إلى الدجاج والحمام، فإنه قرر أيضا أن تهيا لها بقدر الحاجة هذه الطيور بموجب حوالات، وأن توضع هذه الطيور في الأقماس. وكذلك تكب الحوالات حيث تحمل هذه الحيوانات، موضحا بها العدد المقرر منها

وحيث إن الأمور تجري على هذا النحو، لم يبق أي سبب للانحراف عن الطريق المستقيم. ولما كانت هذه الأحكام قد انتشرت وداعت تبيع بأن كل المبالغ من الأموال التي يحتاجون إليها قد عيت وقررت، وأنهم يعطون نقدا من الخزانة، أو أنهم يكتبون حوالاات مختومة بالختم الذهبي لما كان ذلك كذلك فإن هؤلاء الصيادين لا يستطيعون أيضا مطالبة أهالي المواضيع المختلفة بشيء يريد عن المقرر وإذا طالبوا بذلك فإن الناس لوقوفهم على الحقيقة، لا يعطوهم شيئا. وفي أول الأمر حدث مرة لو مرتين أن بعض أمراء الصيد طالبوا بالزيادة أثناء سيرهم في إحدى الولايات على الرغم من أنه قد عيت لهم المؤن والعلف والشعير لإطعام الخيل. وكانت الحوالاات قد كتبت لهم وختمت بالختم الذهبي، وأخذ عليهم تعهد ألا يتقاضوا شيئا. ومع هذا وصل خبر يعيد بأنهم تقاضوا ما يريد عما هو مقرر لهم، فسير إليهم السلطان رسولا موثوقا به، ذهب إلى تلك الولاية التي وقعت بها المخالعة، وحقق معهم، وأثبت إدانتهم، وحرب كلا منهم بالعصا سعا وسبعين مرة، فاعتبر الجميع. [ص ٥٥١] وتركوا ذلك السلوك. والآن نادرا ما يحدث أن يسلك بزازدار أو حارس للمهود سلوكا معوجا. ومع أنه لا يمكن أن يتحول الذهب إلى حمل، إلا أن ظلمهم المادح قل كثيرا عن ذي قبل.

ولا شك أنه بفضل هذا العدل والوثوق التام سوف يسي سكان العالم وفي أسرع وقت الظلم والتعدي إن شاء الله وحده.



## الحكاية السادسة والثلاثون

### في ترتيب شئون كل الممالك

#### (الإصلاح الزراعي)

قل هذا كان ولاية الإقليم بصرحون دائما: إن أكثر الولايات قد صار خربا، والرهايا أصبحوا فقراء مستضعفين؛ بحيث لا يستطيعون أن يعتمدوا اعتمادا كليا في رراعتهم على ثيرانهم وبنورهم. وقد بقيت كميات كبيرة من المياه، ومساحات شاسعة من الأراضي مهتلة، ولا يهتم أحد بمطالب الزراع، ولا يتشارك أمورهم كما أن للمقادير المحدودة من البنود التي حصلوا عليها من الديوان في المجهود السابقة قد استهلكوها كلها أيام العلاء فكان هذا سببا في الإصرار بالديوان والرعية.

تذكرك سلطان الإسلام غلبه ذلك الأمر على هذا الوجه الذي يتخصص في أن يؤخذ من كل حاكم وصاحب إقطاع مقدار معين من المحصول شيا للمعدات والبنود، وما تحتاج إليه الزراعة، وذلك من مجموع ما يجب عليه تقديمه للديوان، وبأحد إيصالا بذلك حتى يباشر المسئولون للعمل في الولايات بموجب تلك العوامل، وحتى تريد الرقعة الزراعية. وقرر أيضا أن يكون للمزارع بلا مزارع النصف أو الثلث من الربيع والإشراج يد إن الحياكم أو الوالي كليهما يمكنه أن يروع الأماكن الأكثر صلاحية للزراعة. كما تناح له فرصة أكبر للحصول على لوازم الزراعة والمعمارة. ثم صرح السلطان قائلا: لكننا نلبي لرعية الناس، ولكي يكون للحياكم موارد إصافية قروبا أن يسلم له المزارع ثلث أو ربع المحصول. وكل ما يبرء على ذلك، يصبح ملكا له. وقد دفعهم الحرص والطمع من أجل الحصول على كسب ومير إلى بدل الكثير من الجهد والاجتهاد في باب التعمير والتشييد. وعندما تيسر الزراعة سنتين أو ثلاث سنوات، وتستقيم أمورهم عندئذ يعود ربح المحصول إلى الخزينة، [ص ٥٥٢] وذلك على النحو الذي ثبت في تعهدهم. كذلك راجت العملة النقدية

ومن حملة الذين استعملوا النفاذ، كان هناك بعض الحكام من يسرون على نهج الأقوام السابقين، ويتبعون بعض الأساليب الملتوية التي ورد ذكرها في عدة مواضع. وقد اعتادوا

ذلك، ولم يكونوا يذكرون مطلقاً في وجوب تسديد أموال الديوان. وكانوا يعتبرونها ملكاً خاصاً لهم لا يمارعون فيها أحد مطلقاً. وفي أول سنة يبدؤوا تلك الأموال. وفي النهاية عندما طولبوا بالسداد لم يبق هناك شيء قط لا من الربيع ولا من الأصل. وقد انصرف تمكيرهم في أنه إذا كان لراسا عليهم أن يسدّدوا شيئاً ولو اسماً بما عليهم، فإنهم يعتبرونه من ممتلكات الثيران والبدور<sup>(١)</sup> [ص ٥٥٥]<sup>(٢)</sup>

والخلاصة أنهم كانوا يتحلون الأعداء عن التقصص والخسائر بسبب حدوث الأزمات السماوية والأرضية. ولكن أكثر هذه الأعداء لم تكن تقبل منهم، وعود كل ما كان يملك هؤلاء من أسلاك ومناخ وبقيت طائفة منهم تحت الحراسة وكان للبعض الآخر أدوات وبدور. وقد حققوا لأنفسهم ربحاً وفائدة. وهذه الفئات لا زالت باقية وقائمة. وقد استراح بذلك كثير من الناس من الرعايا وغيرهم، وشغلوا بالعمارة والزراعة، وكانت تلك المواضيع هي التي جرت العادة بإملائها بالبدور ولكن دوى التعمد كانوا قد أتلغوها بالهليل أو بسوء التدبير ثم باعوها.

وقد هنا لم يحاول أحد تفادى هذا الخلل. لذلك أمر السلطان بأن تسلم البدور من جديد للزراع جميعاً ولهذا السبب راد الدحل في بغداد وشيراز عن خمسمائة ألف دينار على الأموال المقتصة. ولقد أشرب تلك البدور مرة أخرى كما تحقق للرعايا أضعاف مضاعفة من تلك الفوائد، وقوى شأنهم، وظهر العمران في كل مكان وعم الرخص ولما كان السلطان يسمح الجند الإقطاعيات عمر كثير من المواضيع بهذه الوسائل وقد وقر في ذهنهم أنه إذا لم تكن هذه الإقطاعيات موجودة، فإنه كان بمعنى مسح ولايات عديدة وأمالك كثيرة وقد ظل باقياً كثير منها حتى الآن تحت تصرف الديوان، ويصل إليهم ربحها. (يقول المؤرخ رشيد الدين) إنني لم أر ولم أسمع مطلقاً أن أحداً في أي عهد، قام بمثل هذا التدبير الحسن، ولم تكن لديه الرغبة والتصكير في إقامة مثل هذه العمارات، وفعل هذه الخيرات.

(١) حاشية مطروقة لتفادي صحاح ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤

(٢) الإعتقال هنا من صفحة ٥٥٢ إلى صفحة ٥٥٥ بسبب الحاشية للطول التي انحطت بقية صفحة ٥٥٢ وصحفي

٥٥٣، ٥٥٤ وهذه الحاشية زحمت ووضعت عقب ترجمة نص تاريخ غفران بأكمله.

وبخصوص الدواب والطيور التي أمر بتسليمها لكل شخص قرر أن تجري أيضاً على هذه القاعدة، أي أنها تعادل ثلث الإنتاج، لتحقيق لهم عائلة من ذلك وليورثوها لهم ثروة، وتكون الدواب والطيور ولكافة الناس في حماية تلك الدواب والطيور الخاصة بالسلطان. وبذلك لا يستطيعون أن يبنوا أمدبهم إليها مطلقاً، ولا يمكن لأحد أن يسمهم من ممارسة حقوقهم في النواصير والقلاع ومع هذا كان للديوان أيضاً عائلة من هذا الوضع وعندما تصل الرايات السلطانية إلى إحدى الولايات، ويلزم توفير بعض الدواب للباردارية وغيرهم. قرر أيضاً أنه لا ينبغي أن تؤخذ الحمير والخيول من الرعايا. وكذلك الحال إذا ما دعا الأمر إلى توفير الطيور والحمام لإطعام الحيوانات أو لاستعمالها في المطبخ فإنها تعد لازمة لخاصة الديوان. وكان حال هذه القضية مثل حال قضية الوسطاء، مرفست بذلك عبادة الاستيلاء **[ص ٥٥٦]** على الحمير. وقبل هذا كان كل من أراد شيئاً يستولى عليه دون حياء وإذا كانت هناك ضرورة فإنهم يتداركون الأمر من الديوان عن طريق هؤلاء الوسطاء، ولا يمكن شرح ذلك، ويمكن أنهم كل سنة، كانوا يستولون على عدد من الحمير يعصبونها من الرعايا والتجار وغيرهم. وكان الملاحون دائماً في دھول وحيرة خوفاً على دوابهم. وكان بعض الصيادين يأخذون الدواب بهاتيكاً ولا يردونها، ويتخلف بعضها في الطريق ويهلك، فينتج عن ذلك انصراف الملاحين عن الزراعة والفلاح.

وحيث إن سلطان الإسلام مع الباردارية من الاستيلاء على الحمام والدجاج من الناس وأباح لهم أخذها من طيور الخاصة، أصدر قراراً يوجب تطبيق الأحكام والقوانين على الأمور الصغيرة. وبالصورة تجري هذه الأحكام أيضاً على الأعمال الكبيرة ثم يقول: إذا لم نستطع مع الصيادين من الاستيلاء على الحمام، فإنه يكون من الشال أن نقدر على معهم من الاستيلاء على الأغنام. ويكون أكثر تعلقاً إذا ما حاولوا منعهم من الاستيلاء على الأبقار.

وعلى هذا النحو أصدر السلطان مرسوماً يقضي بالآي يلقى الصيادون شاكهم بتأثا حيثما يوجد الحمام وفي الحقيقة للسلطان في حق الناس الكثير من أمثال تلك التدابير الحسة والشفقة الوعيرة. يبدو ذلك واضحاً في اهتمامه بمنع شر الظالمين والقضاء على فساد المفسدين، وفي مراعاته مثل هذه الشكايات الدقيقة الصغيرة.

بكل هذا يتحقق ويتضح كمال حسن الأخلاق والميرة الحسنة والعدل والإنصاف لهذا  
السلطان الراعي العدل أبقاه الله أبدا الدهر ولا شك أن لكل العالم فيما بعد سوف  
يتعجبون من هذه الحالات.

فليستجب الله الدعاء الذي يطلقه كافة الخلق ليلا ونهارا بمر وإقبال دولة هذا السلطان

## في ترتيب الشئون المتعلقة بتحصين الأراضي البور

لا ينبغي على من تتبع التواريخ الصحيحة، وسلك الطريق المقبول، أنه لم تكن البلاد مطلقاً أكثر خراباً مما كانت عليه خلال هذه السنوات خصوصاً في المواضع التي وصلت إليها جيوش المماليك؛ [ص ٥٥٧] إذ إنه منذ ابتداء ظهور آدم حتى قيام جنگير خان ودرسته لم يتيسر لأى ملك مثل هذه المملكة المسيحة التي سخرها، وجعلوها تحت تصرفهم، ولم يقتل أحد من العالم من الخلق مثلما قتل هؤلاء.

وإن ما قيل عن الإسكندر إنه قد استولى على بلاد كثيرة، فهو خبر غير صحيح؛ فقد كان يفتح البلاد، ثم يرحل عنها ولا يقيم فيها. وعندما يبلغ الناس دموع صيته، كانوا يسارعون إلى الخضوع له والدخول في طاعته، وذلك لهيبته وصلاته. وكانت مدة عمره ستاً وثلاثين سنة. وفي السنة الرابعة والعشرين من عمره استولى على ملك إيران، وقتل دارا<sup>(١)</sup>. بعد ذلك أخضع العالم مدة اثنتي عشرة سنة. وبعد عودته توفي بالقرب من بابل. وقد استولى على بلاد كثيرة خلال فترة الاثنتي عشرة سنة، لكن لأنه كان دموياً على السير دائماً، ولا يتوقف، كان الناس يتورون عليه مرة أخرى بعد رحيله. وحيث إنه لم يكن له ابن ودرية لم يبق الملك في أسرته، وآل الأمر من بعده إلى ملوك الطوائف كما سوف يأتي شرح تلك الحكايات في تاريخه.

---

(١) هذه الرواية تتفق مع ما ذكره للمسعودي إذ يقول: لما قتل الإسكندر من قبل كيرا بن دارا، تغلب كل رئيس ناحية على صاحبه، وكانهم الإسكندر عنهم فارس وسيط وغرب. وكان مراد الإسكندر من ذلك تثبيت كلمتهم وغرضهم، وغلب كل رئيس منهم على المقضع الذي هو به منعم نظام تلك والأشياء إلى ملك واحد يجمع كلمتهم ليرجع إليه الأمر (سراج الذهب، تحقيق محمد يحيى القيس عبد الحميد، ج ١، ص ٢٢١، الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م).

وأما الطبري فيذكر أن الإسكندر حارب دارا وحربه. فلما رأى تلك رجلاً من حرسه ضللاً ليدلاً المخطوطة عند الإسكندر إلا أنه لم يصر ربانها وصلبها، وأن ينادى عليها هذا حواء من اجترأ على ملكه، وعش لعل يلقه [تاريخ الرسل والملو، الجزء الأول، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف ص ٥٧٤ - ٥٧٧، القاهرة ١٩٧٩ م].

أما وضع چنگيز خان فقد كان على تقيضه؛ إذ إنه فتح البلاد، وسخر العباد بشأن وحذر، بقى جميعهم مطيعين ومقادير له. ثم حافظ على هذا الملك أساؤه ودرجته وأحصاه لمشيتهم وكما هو معروف استولوا على ثلاثين مملكة أخرى بالإضافة إلى ما كان قد استولى عليه چنگيز خان. وعندما استولوا على الولايات والمدن العظيمة ذات الطول والعرض، قتلوا كثيرا من الخلق، بحيث إنه لم يبق منهم أحد إلا نادرا وهذه المدن من قبيل بلخ وشورغان وطالقان ومرو وسرخس وهراة وتركستان والرى وهمدان وقسم وأصفهان ومرغه وأردبيل وبردع وگنجه وبعدها والنوصل وإربيل، وأكثر الولايات التي ترتبط بهذه المواضع. أما بعض الولايات التي كانت تعثر شعورا، وصارت طريقا لصور الجنود الكثيرين فقد قصي على أهلها قضاء ميرما، أو أنهم هربوا. وقد بقيت هذه الأماكن خرابا مثل ولايات ايجورستان والولايات الأخرى التي صارت حلا فاصلا بين الخاقان وقابندو. وكذلك بعض الولايات الواقعة بين درسد وشروان وبعض أقاليم أيلستان ودبار بكر [ص ٥٥٨] مثل حران وروحه وسروح والرقه، ومدن كثيرة على جانبي العرات كلها صارت خربة وغير صالحة وكذلك ما دمر من بلاد تقع بين الولايات الأخرى، ونتيجة للقتل والسلب مثل خراباب بعند وأقريبجان وغيرهما في تركستان وبلاد إيران والروم من المدن والقرى المخربة مما هو ماثل أمام الناس وكل هذا يزيد عما يمكن حصره

وصعوبة القول أنهم إذا أرادوا القياس عن طريق النسبة فإنه لن يكون العمران في الممالك واحدا من عشرة، والباقي كله خراب. ولم يكن أحد في هذه المجهود يعكر في سد التعمير وهو أمر نادر إن شرع البعض في تعمير أحد المواضع إرضاء لأهوائهم مثل هولاكو خان وأباقاخان وأرغون خان وگيخاتو خان، فإنهم عندما أرادوا تشييد عدة قصور في الاتاع وأرمية وسقورلوق وسجاس وجوجان وزبحان وسراي المنصورية في أران، وتعمير تلك الأماكن، أو أنهم يشقون سوقا أو مدينة ويحسرونها، أو يجرون فيها نهرا من الماء، فإنه نتيجة لهذا صارت ولايات كثيرة أكثر خرابا مما كانت عليه رغم ما أنفق عليها من أموال بغير حساب. كما برح عن الولايات الأخرى رعايا كثيرون دفعة واحدة. وقد خرجوا منها مجبرين، ولم يعمروا واحد من تلك الأماكن ولم يقف الأمر عند هذا الحد كما مشاهد بل إنه إذا نتت تلك العمارة فإنه يظهر إلى جانبها ارتفاع نسبة الدمار الذي يلحق بالولايات

ثم أراد الحق تعالى أن يكون إحياء الملك وتقوية دين الإسلام بواسطة الوجود المبارك لسلطان الإسلام عازان خات خلد الله ملكه. وعي الأزل جعل الحق تعالى على يديه تحقيق الخير العميم وإتمام العمل العظيم وقد أعلى بحمد الله وجهه شئون الإسلام على النحو الذي أوردنا شرحه. وأما ما يتعلق بشئون العمارات والخيرات بصمة خاصة، فقد سجلناها على حدة على النحو الذي مر ذكره. وكذلك أخبر صبط أمور المملكة ورعاية الرعية وبشر العدل والإنصاف حسب ما يباه. ولا بد أن السبب الأكبر لعمران الولايات يمكن أن يكون نتيجة لتلك الأمور، كما أننا نعاين ومشاهد في المدن التي صارت خربة أنه لم يكن في كل عشرة منازل خمسة منها مسكونة. [ص ٥٥٩] وهذه أهيما خربت رعم أهيما كانت عامرة.

والآن يمس عدل السلطان الشامل يشهد في كل سنة، وعي كل مدينة ما يريد على الألف مرل. فالنار التي كانت تقوم بمائة ديار، تساوي الآن ألف ديار وريادة. ولقد شرحنا هذه الأمور في الفصول السابقة.

وأما حال الأملاك الخربة فلم يكن أحد يميل إلى تعميرها، ولا تتوافر لشخص قط القدرة على التعمير من ماله الخاص بسبب واحد من ألف من تلك الخرائب هتاراك لسلطان تلك الأوصاع برأيه الصائب وحسن تدبيره، فكان أن أحصر الأمراء والوزراء وأركان الدولة، وقال لهم إن هذه الولايات الخربة والمقرى القاحلة، والتي كانت ملكا لأبائنا هي الآن ملك لنا، ولها سمة أملاك الدولة والخاصة، وبعضها ملك للناس ومنذ عهد هولاءكو خات إلى الآن لم يمل أحد منها ما من الثمار أو دائقا من المال. ولو أراد أحد أن يعمرها يملون إبد، فإنها تنتزع منه بعد تحمل المشقات الكثيرة والعمقات الباعطة. وعلى هذا لا يقدم الناس على تعمير تلك الأملاك. وإبد فلم لا بعد خطة لتعمير هذه الخرائب بحيث تصل حصص معينة إلى الديوان مما يخص أملاك الدولة والخاصة، وتخصص حصص للمالك مما يعتبر ملكية خاصة. وكذلك يعطى حصص للديوان وللأشخاص الذين يقومون بالتعمير بحيث تكون لهم عرنا بصمة دائمة ومدخرها صالحا لأولادهم وأحفادهم، ويكون لهم في ذلك كسب موفور، ويملون على عملهم بصورة أتم وأفضل.

وهم إذا ما وجدوا في الزراعة فوائد كثيرة، فإنهم يتجسسون متاعب التجارة وتحمل مشقات السفر والمعاملات الأخرى، ويبدلون دفعة واحدة إلى التعمير والزراعة، ذلك أن جمهور الناس يهرون وراء ما فيه نفعهم وكسبهم. فلو نفذت الخطة على هذا النحو فسوف تعمّر أكثر الخراب في زمن قصير. وإنما يتيسر تعمير مثل هذه الخراب بقوة جميع أهل العالم وتضافرهم. ومحال أن تعمّر بحر هذا الطريق. وعندما تعمّر تلك الأراضي البور ترخص العلال، ويتيسر الحصول على لقّون الكثرة عند مسير الجيوش للقيام بهمام ضرورة [ص ٥٦٠] في المناطق المتناحرة للثغور، وتتدفق الأموال أيضاً على الخزانة، ويعود من جديد التقدم والازدهار على أصحاب الأراضي والملاك، وينعم الرعايا بالاستقرار والرخاء ويحصل لما الأجر والثواب كامليين، ويبقى ذكرنا الحس مؤبداً ومخلداً. فتعجب جميع الحاضرين وظلّوا متحيرين من هذه الأفكار الصائبة والكلام اللطيف وبعد أن أجمعوا على التناء والمدح، قالوا: إنه لم يخطر ببال شخص آخر في العالم في طريقة خير من هذه الطريقة وهي تدبير نهيد من هذا التدبير. فأنت تعمّر ما خربه أبناؤك. وإن العرق سي هذه المنة وتلك لمعلوم وعحقق عقلاً وعرفاً وشرعاً. فأنت تحيي ما أماته الآخرون بصورة مطلقة. وإن هذا القدر من الكلام فيه الكفاية فامنا نقول نزيد من هذا؟

بعد ذلك أمر السلطان بكتابة الشروط والرايسيم. وباء على هذا قرر أن ما كان قديماً البوار من أملاك الدولة، وما لم يكن مزروعاً من القرى والمزارع وقت جلوسه المبارك، تعتبر محتتما من الأراضي البور، وأمر بأن تكتب الشروط وتختتم بختم الدولة الذهبي، وتنص على أن كل شخص يرغب في امتلاك تلك الأراضي وتعميرها عليه أن يراعى الأقسام الثلاثة الآتية.

### القسم الأول:

ما كان موجوداً به الماء والظهر، ولا يستلزم ريادة في التعميرات والجهد، أو أنه يزرع بواسطة مياه الأمطار، وليس في حاجة إلى القنوات والأنهار والسدود. هذه الأراضي عندما يشرعون في تعميرها لا يعطون الديون شيئاً قط في السنة الأولى من زراعتها. أما في السنة الثانية فيدفعون دافئين مما هو مقرر من الحقوق الديوانية على أن تحسب لهم أربعة دوايق جزاء سعيهم وكدهم. ولما في السنة الثالثة فيدفعون أربعة دوايق ونصف من حقوق



الديوان كالمعتاد في كل ولاية، وما يريد ذلك فهو حق المزارع وكذلك ما فيه من ربح يكون كله ملكاً له. [ص ٥٦١].

### القسم الثاني:

ما يكون إعماراً من النوع المتوسط، وإصلاح الأمهار، واستخراج الماء منها قليل فيتكاليف، وشروطه على نحو ما ذكر، إلا أن المزارع يسلم الديوان أربعة دنانير من الرسوم المقررة.

### القسم الثالث:

ما يكون إعماراً صعباً وعسيراً. وبمضى أن يقام سد على نهره وما تكون فوائده خربة. وبمضى إعادة تعميرها. وذلك القسم أيضاً تطبق عليه الشروط المذكورة. ولكن على الشخص الذي يصلح أرضاً من ذلك النوع أن يسد بعضاً من حقوقي الديوان، ويكون له النصف الباقي تقديراً لجهوده. وقد اشترط السلطان أن تؤدي حصة الرسوم هذه باسم الخراج.

وكل شخص يقوم بإصلاح تلك الأراضي، تصير ملكاً له، وتبقى له عسى الديوان، ثم تنزل إلى أولاده من بعده. وإذا أراد أن يبيعها لشخص آخر، فإنه يجوز ذلك. وفي هذه الحالة يأخذ الديوان الخراج المقرر من المشتري. واشترط أن كل أرض بور لا تستمد ماؤها من نهر خاص بأرض عامرة، ما دام المالك لتلك الأرض لا يريد أن يعطى غيره الماء، حتى لا يقع نزاع بهذا السبب.

بعد ذلك صرح السلطان قائلاً: لما كنا قد أبطنا الحياة والمقاسمة، فإنه ينبغي أن تقدر وتعي حصة الديوان أيضاً على الأراضي البور في كل ولاية حسبما يحدد الخسراء، وتستند باسم الخراج. ولا يكون للمغتصبين والظالمين سلطة الاستيلاء والمشاركة والإتقال على أراضيها. وبهذا يقضى نهائياً على تلك للشقات. وحيث إن رقعة ممالك السلطان عظم ملكه عظيمة ومتنوعة وفسيحة، ففكر في أنه إذا كان على كل راعب يريد أن يأتي إلى الحميم كي يأخذ الوثيقة المبي بها الشروط، فإن كثيرين من هؤلاء الناس لا يقدمون على ذلك بسبب بعد المسافة وتحمل التبعات، وبعض منهم يسبب العجز وعدم القدرة على السفر، وبعضهم لا يعرف ما في ذلك من مائدة فيحجم عن الذهاب. لكل هذا أمر

السلطان بتعيين واحد أو اثنين من كبار الشخصيات الثقات، وسلموهما وثائق الشروط وعيّن لهما السلطان نموذجاً وقاعدة سيران عليهما، وأذن لهما في أن يعطيا كل رافق نسخة من تلك الشروط على أن تكتب على ظهرها صورة مرسوم الوثيقة وبذلك يكون ذلك الحكم مؤيداً ومُعزلاً ولا يكون لأى مخلوق اعتراض على ذلك حتى يتعد ذلك العمل بسهولة في كل ولاية.

وحيث إنهم باشرُوا الأعمال بموجب هذه التعليمات، توطدت هذه القاعدة، وسار هذا الأمر نحو العناية المرسومة، [ص ٥٦٢] وكانت له صفة الدوام والاستمرار. وقد سموا ذلك الديوان (ديوان التخليص) وحتى هذا الوقت أعطى نواب ذلك الديوان الناس كثيراً من سجلات الشروط، فتوافر العمران، وصار في ازدياد يوماً بعد يوم.

أما ما يخص أملاك الناس، فكل ما كان قريباً من العمران، قرر السلطان أن كل شخص يريد تعميره، عليه أن يشاور مع صاحبه. وأما ما كان قديماً البوار من الأراضي، فإنه يقدم على تعميره دون استشارة وإذا ما ظهر مالك الأرض، وتحددت ملكيته لها تماماً عن طريق الشرع والشهرة، فإنه يست في أمرها كما لو كانت عامرة. لكن مقدار ما يسدده من الرسوم، هو ما نص عليه في القسم المخصص بالديوان، وعليه أن يدفع للمالك نصف المبلغ المقرر، والنصف الآخر للديوان. وتلك الصوابط إما تنطبق على الولاية التي كانت قبل هذا وحتى الآن حكراً، وكان يدفع للديوان عشر شها. أما الولاية التي كانت في الأصل خالية من القيود، ولم يكن عليها رسوم وغير خاصة لنظام الحكر، فإنها تسلم للمالك بأكملها. وليس للمالك أن يعترض لأنها تكون في حكم من عمر الأراضي الديوانية، فهي باقية ومُعزلة.

أما المواضع الخربة التي تقع في مناطق المَعول، وقاموا بتعميرها بأنفسهم، فإنه يطبق عليها ما شرحناه في القسمين: الخاص والديوان.

لكن السلطان أصنافاً قاللاً: حيث إن المَعول هم الفلبون لس يؤدوا قطعاً حقوق الفلاحين في الولايات، ولن يقوموا بتعمير هذه المواضع سواء جاءت في عداد الأماكن الأخرى أم لم تأت، ولن يسمحوا لأى شخص من الفلاحين بطلبهم بأى حق من الحقوق بل إنهم سوف يعمدون بتعميرها إلى أسراهم وعبيدهم. وكذلك التاريك فإنهم لا يعمرونها

بواسطة الفلاحين الذين ورد ذكرهم في موضع آخر. وإذا لم يأت الفلاحون للدولة  
 أسماؤهم في القائمة إلى موضع من التوضيح، فإنه يجوز جمعهم. وطبقا لهذا القرار أصدر  
 سجلات الشروط للوثقة. ونحن لم نذكر أكثرها مراعاة للاختصار، وهي مذكورة بأكملها  
 في قوائم الشروط [ص ٥٦٣] والجميع مشغولون في كل البلاد في وقتنا هذا بتعمير  
 الأراضي، والعمران في إردنا يوم بعد يوم. وبهذه الإصلاحات يشتد أثر كثير من الناس  
 ويذهب بذلك شأن (ديوان التخليص) ثروتهما كبيرا وتزداد محاصيل الأراضي كل عام.  
 وعلى هذا سوف تقل الخراب في أسرع وقت.

كذلك أمر السلطان بأن تسجل في السجلات كل الأراضي البور في كل ولاية، ثم  
 يؤتى بها إلى الديوان حتى إذا سلمت للقاس، يمكن عرصها كل عامين للتأكد من أنها قد  
 عمرت بأكملها، أو أن بعضها قد بقي دون تعمير. وإذا ما موه أحد السواب، وحاول إفساد  
 الأمور، وأخفى بعض الأراضي البور، واعتصمها لنفسه أو أنه شارك أحدا، ولم يصر في  
 السجلات على نصيب الديوان، فإنه يكتشف أمره نتيجة المراجعة وإعادة العرص.  
 ليواصل الحق تعالى ثواب هذه الخيرات إلى عهد السلطان المبارك به وكرمه.

## الحكاية الثامنة والثلاثون

### صعود الفرمان بإقامة دور خاصة للرسل في البلاد ومنع النشع والحكام من النزول في منازل الناس

قبل هذا كان ينزل دائما في كل مدينة في سائر الأرباب والملاك ما يريد على مائة أو مائتين من الرسل. وكذلك الحال عندما كان يصل الوفود من غير الرسل إلى إحدى المدن، فإن النشع والحكام ينزلونهم في بيوت الناس بدافع الصداقة والمعرفة. وإذا ما وصل الرسل، فإن مهمة الأدلاء أن يصحبهم إلى بيوت الناس قائلين لأصحابها: إن هؤلاء الرسل ينزلون صيوفا عندكم. وفي مقابل ذلك كانوا يأخذون شيئا. وفي ذلك اليوم يستعرضون ما لا يقل عن مائتي مرل. وعاقبة الأمر ينزلونهم في منازل الأشخاص النشعيين منهم كي يتشبعهم الآخرون. وكانوا يأخذون للرسل من بيوت الناس السجاجيد وملابس النوم وأدوات المطبخ وأكثر هذه الأدوات كان يستولى عليها إما الرسل وأتباعهم وإما الأدلاء بحجة أن الرسل قد استولوا عليها ولم يردوها. وإذا أعيد بعضها [ص ٥٦٤] فآية قيمة لها بعد أن ظل الرسل يستعملونها مدة طويلة. وكان كل حاكم يتعجب إلى إحدى الولايات يسلب ما لا يقل عن مائة منزل. وكل هؤلاء الرسل كانوا ينزلون في سائر الملاك والأرباب وقد علم مؤلف هذا الكتاب أنه عندما عزل تعالى بن يسودر من شحنة يرد، فإن أعوانه وقت معادرتهم المنية احتاطوا للأسر، واحتل أتباعهم سيمالة وبضعا من المسارل وبالضرورة كانت دائما أحسن المنازل تلك التي اتخذوها مقرا لنزول الرسل والنشع. وقد ترتب على هذا أن أحدا لم يكن يقدم على بناء مرل من المنازل. وهؤلاء الذين شيدوا بيوتا حولوها إلى مقابر، وأطلقوا عليها اسم أربعة أو مدارس. ولكن لم يجد هذا قبولا. كذلك استعنى كثير من الناس عن استعمال أبواب منازلهم، واتخذوا لهم بمرات شائكة تحت الأرض حتى تكون سرا مجهولا. وكانوا أيضا يشقون الجدران، وينزلون بها. كما أن الرسل كانوا يسلمون دوابهم للأدلاء، وهؤلاء يرسلون أشخاصا لحمل أسوار حقائق الناس، ثم يسوقون إليها الدواب. وفي اليوم الذي يغادر فيه الرسول المنزل، كانوا يحملون آخر محله، وما ذلك إلا لأن الرسل كانوا دائما يصلون تباعا، ولا ينقطعون. وحشما ينزل رسول في إحدى

المحلات، كان السكان هناك يقعون في عذاب ومشقة إذ إن غلمان هؤلاء الرسل وخدمهم يدخلون منازل الجيران عن طريق أسطحها، ويستولون على الأشياء التي يربوها، ويرشقون حمامهم وطيورهم بهائمهم وكثيرا ما كانت هذه الهوام تصيب أطفالهم. وكانوا يستولون على كل ما يجنبونه من المأكولات والمشروبات وأصناف علف الدواب مما يمتلكه أي مخزون. وبسبب ذلك يتعرض الناس للمشايخ والمشتقات. ومهما كانوا يصرخون ويتوحدون، لم يصل صياحهم إلى أي من الأمراء والوزراء والحكام.

ودأت يوم قدم إلى الدهقان رجل هرم من الأعيان من ذوي الشرف والهمة، وشرع يقول: أيها الأمراء والوزراء والحكام: "هل تسيحون أن أكون رجلا هرمًا، ولي روجة شابة وأولادى مسافرون. وقد ترك كل منهم روجة شابة حساء. كما أن لي بيت. وهما هم الرسل قد رلوا في منزلي، وجميعهم شباب قوى شيط [ص ٥٦٥] يتصنعون بجمال الوجه. وقد مصى عليهم رمل يقيهم عدى جيشائهم أولئك السوء، ولن يستطيع أن يقنع بي وأولادى المسافرين. وحيث إننا في دار واحدة مع هؤلاء الرسل، لا أستطيع مراقبتهم ليلا ونهارا. وكما أرى فإن أغلب الناس معرضون لهذا الموضع. وحيث إن الأمور تجري على هذا النمط، فإنه لعدة سنوات أخرى لن يوجد طفل شرعى في هذه المدينة، وسيكون جميعا أبناء أتراك غلغلين.

ولقد ذكرت عدة حكايات في هذا الفصل على سبيل التمثيل، ففي عهد أحد سلاطين السلاجقة، كان السلطان مقبلا على غنم يسابور وكان الأمراء والأثراك يتركون في دور الناس، ليس على هذه الشاكلة التي تحدث في هذه الأيام. ودأت يوم مرل تركي في أحد المنازل، وكانت روجة رب الأسرة عروسا جميلة وعذبة، وهي لأول عهدها بالزواج، قطع فيها التركي، وأراد أن يتدرب بحجة لإخراج الزوج من الدار حتى يخلو له الجوى، فصرف الرجل قصده التركي، ولم ينادر منزله. فأخذ التركي يضرب الرجل قتلا: "سر بجوادى ولرو ظمأه. ولم يكن الزوج يستطيع أن يخلص زوجته، ولم تعد هناك حيلة يلجأ إليها. وأخيرا قال لزوجته: "أنا سوف أبقى في المنزل. ادعى أنت بالجواد إلى شاطئ النهر لتسقيه. وجريا على عادة العروس في الأيام الأولى من حياتها للزوجة، كانت ترتدى ثيابا أنيقة، وازدانت أحسن ربة. وتصادف أن السلطان كان يمر، فوقع نظره على تلك المرأة، فاستدعها وأسأها

فأثلاً. كيف أنك امرأة حديثة العرس، وتقودين الحواد كى تسقيه؟! أجايت المرأة، بسبب جورك وظلمك أنت أبها السلطان، فتجب من قولها وسأفها عن السب، فأعادت عليه شرح قصتها فأثر ذلك الكلام، وثارت غيرته بسبب تلك الحالة، وأمر على الفور بالآ يرل أى مخلوق منهم منزلاً على الخنود هاك [ص ٥٦٦]. ولهذا السبب أقاموا شاذهاخ التابعة ليسابور التي أصبحت مذبذبة فى هذا الزمان. كان ذلك الشيخ يتحدث عن تلك الهى وهو يبكى دون أن يؤثر ذلك فى الأثراء والورراء قط.

وقصارى القول أنه عندما كان سلطان الإسلام يدير شئون الممالك كان أول قرار له فيما يتعلق بموضوع الرسل هو أنه أمر بالآ يرسل رسول واحد من كل مائة أو مائتين من الرسل والأنباغ الذين كانوا من قبل يذهبون عيشاً إلى الولايات إلا إذا كان إيماده لتصريف مصالح الملك الضرورية، وأن يذهب لأداء هذه المهمة الرسل العداون وسعاة البريد الذين لا يرون غربة ولا مدينة، ويكون توقفهم فقط لطعام يتناولونه على عجل، أو لركوب حواد آخر، أو لقضاء حاجة. وإذا دعت الضرورة إلى إيقاد أحد الرسل لتحصيل الأموال وهذا نادراً ما يحدث فإنه أمر بتشييد دور خاصة لصياغة الرسل كى ينزلوا فيها فى المدن وقد رودت هذه الدور بالفراش وملابس النوم، وكل ما يحتاج إليه. كذلك خصصت مبالغ من الأموال تنفق دائماً على هذه الدور وتعمرها. وأصدر أيضاً مرسوماً يقضى بأن يقيم الحكام لأنفسهم ولأتباعهم مساكن خاصة بهم، أو يستأجرونها.

وبحمد الله وسه رالت تلك الشاعب، واستراح الناس، وسوا ذلك العذاب وتلك المشقات، ولم يجر أى وسيط على أن يطلب من أحد رعيها واحداً من الخير أو ما من التين. وبهذا قضى قضاء مبرماً على اسم الوسطاء. ونتيجة لهدوء البال ورعاية الخاطر شيد الناس قصوراً رائعة، وخططوا لها الإبنانات وشغلوا بالتعمير وإقامة الحدائق الفناء. وقطعاً لم يجر أى مخلوق على أن يدخل دابته فى حدائق الناس والدار التي كان نشأ قبل هذا مائة دينار، صارت تباع الآن بألف دينار. أما جمهور العالمين من السكان الذين كانوا قد رحوا عن أوطانهم منذ أكثر من خمسين سنة، وكانوا يتقلون مشردين من مدينة إلى أخرى، فإنهم جميعاً قد أخذوا يصودون بسحس إرادتهم إلى مدنهم وديارهم القديمة، [ص ٥٦٧]

والستهم تلجج بالدعاء لدولة سلطان الإسلام بإخلاص تام من جميع قلوبهم.

قلبتجب الله دعائهم.

## الحكاية التاسعة والثلاثون

### فى منع المكاريين والجمالين والسعاة من إيذاء الناس

قبل هذا كان كل رجل شريف أو سيد يريد الذهاب إلى السوق لينادل المافع أو للاستحمام، يلتفت حوله عدد من المكاريين قائلى له "يهي أن تعطيا مالا كثيرا سعة اليوم على عشيقاتنا وسقاتنا ومطربينا وغربا ولحسا وحواجنا ولوارسا الأخرى. فأنت عليك أن تدفع الثمن". فإذا لم يعطهم أو اعتذر لهم، يادروهم بالسماحة والرفاحة وتكون عاقبة الأمر إما أن يأخذوا منه مالا، وإما أن يصرهوه صرعا مريحا. وكثيرا ما كان هذا الرجل المسكين لا يملك مالا، فيضطر إلى الاقتراض وبذلك يخسر ماله وعرضه وكرامته، ولا يستطيع معاداة السوق.

وكان هؤلاء الصعاليك يقومون على معترك الطرق بأوجاج أوجاج ومن استطاع من الصحابة التخلص من فوح، وقع فى يد فوج آخر. وكان الحال يجرى على هذا الموال فإذا ما وصل إلى طائفة الجمالين، وجد نفس السلوك، وكذلك الحال إذا ما وصل إلى فريق لرسل والسعاة، فإنه يجد منهم أسوأ مما وجد من الآخرين. وكثيرا ما تصادف أن شخصا واحدا يقع فى يوم ما فريسة لجميع هذه الطوائف؛ لأنهم احترقوا هذا العمل [ص ٥٦٨] وكان هؤلاء يقومون مترصين صيدهم. كما كانوا جميعا على صلة بالخوارج والأمراء الأتباع والأمراء، وإذا كان لأحد القدرة على مقاومتهم والتعب عليهم فإنه لم يكن يرى من المصلحة مبارعتهم ومجاہنتهم؛ لأن هؤلاء الكبار كانوا يتصالحون ويعكرون فى إيجاد ماصب تنبج هؤلاء المكاريين والجمالين والسعاة ممارسة هذه الأساليب وهم قادرون على ذلك. وكانوا يزبون الدواب فى أيام الأعياد ومسبات التورور والحفلات وأمثال ذلك. ثم يذهبون فوجا فوجا إلى سائر العظماء. فإذا ظهر لهم رب البيت، فإنهم كانوا يأخذون منه بلحاح كل ما يطلبون. وكانوا يتلعطون بالماض غابة فى الرفاحة والمهديان، ويكيلون له الشنائم والسباب حتى يحصلوا منه على مطالب أكثر وبالضرورة كانوا يسلبون كرامة الناس كما يستولون على الأشياء التى تخصهم. وإذا لم يكن رب البيت حاضرا، أو أنه اختفى خوفا منهم، فإنهم يرهنون كل ما يقدونه بمبالغ كبيرة لدى السكارى المدمنين

أو أنهم بأخلاقها بالإلحاح والإصرار. وفي بعض البلاد كان هناك رسل كثيرون وعلماء وضباط بحيث إنه في الواقع وحقيقة الأمر كان كل واحد من الرعايا يقابله انسان من هؤلاء

وأنا عبد اللوة ومؤلف هذا الكتاب أذكر أنه في سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م كان اللعين علي خواجه بن عمر شاه السمرقندي حاكما على ولاية يزد، فذهب إلى قرية تدعى فيروزآباد من أكبر القرى هناك والتي بسبب ارتفاع أبنيتها وفخامتها يمكن الاستعادة منها واستغلالها. ورغم ما بدله هذا الحاكم من جهد خلال ثلاثة أيام كاملة لم يستطع أن يجد شخصا قط من الرؤساء. وقد رابط في القرية سبعة عشر محصلا من محصلي الحوالات والسدات. وأخيرا اعتقلوا من الصحراء أحد الحراس وثني من الرعايا، وأحصروهم إلى القرية مقيدس بالحبال، وصاروا يصرونهم كي يحضروا أشخاصا آخرين ليرودهم بالأطعمة الكافية وقطعا لم يتيسر لهم هذا

كذلك كان يعني توفير العلف والمؤن والشراب وللمشوقات لجموع هؤلاء المحصلين وأتباعهم. وقياسا على هذه التصرفات كيف يمكن الوقوف على الأنواع الأخرى من المظالم التي كانت تقع على كامل الرعايا؟!!

كذلك ينبغي التفكير في أن البدع العديمة والرسوم السيئة إذا تعود عليها الناس الأشرار على مر الأيام، فكيف يمكن تداركها في زمن قصير؟! خصوصا أن المراسيم قد أرسلت إلى كل الأطراف في كل مكان لامتثال الرعايا ومنع بعض هذه المظالم عنهم. ولكن لم ينفذ هذا بأى وجه من الوجوه، ونس الخلق جميعا من تعيد ذلك.

**[ص ٥٥٣]** أما في هذا الوقت الذي حل به العهد المبارك لسلطان الإسلام خلد الله سلطانه، وأدام عدله وإحسانه - فإنه يكون تفكيره المبارك مصبا على ما هو محض خير ومستهدفا العدل. فبدل كل همته كي يتفكر الخلل الذي تطرق إلى شئون المملكة، وعمل على أن يقضي قضاء مبرما على البدع والفساد، وسعى في أن يكون الناس دائما في راحة وطمأنينة. وفي هذا الصدد صرح قائلا: "إن فوائد محصول العمر الإنساني في الدنيا هي تحقيق هذه الأمور".



ولقد تعهد السلطان غازان خان بأن يهدى في هذا الشأن سعيًا حديًا واجتهادًا تامًا فعمل على تدارك هذه العيوب في البلد الذي يدفع الضرائب وقال في هذا الشأن: إنه في الوقت الذي عدل فيه عن اتباع نصوص الياسا وتطرق للخلل القائم إليها، ينبغي المبادرة بإصلاح تلك الأوضاع، والبدء بمعالجة الأمور الصغيرة، حتى يعلم الخلق أنه ما دامت المؤاخدة والمساواة تجري على الأمور الصغيرة وتوقع العقوبة على المقصرين، تكون هذه العقوبة بالضرورة أضعاف ذلك في الأمور الكبيرة، فيكون أهدمهم عن ذلك مرغمين. وكان يقول أيضًا: "حيث إن الإحاطة بكل عمل تقتضي الوقوف على أصله ومكوناته، تصير كل جريئاته داخلة فيه ولو يشغل الناس بإصلاح حرياته واحدة واحدة، فيصلحون واحدة ثم يصلحون الأخرى، فإنه يختل مرة أخرى، ولا يمكن ضبطه. كذلك صرح قائلًا: إن القوم الذين تعودوا هذا الأسلوب مدة طويلة، وصار مألوقًا عندهم لن يستطيع معهم من ذلك الأمر مرة واحدة، ويكون إقلاعه عن أمر أصاب للمائة كذلك الولاية والحكام قد أصموا آذانهم في هذه السوات، ولم يحاولوا الإصلاح، بل شقوا على الرعايا، مراحوا يريدون عليهم الأعباء ويأخذون منهم الضرائب، ولا يعطون الدينار شيئًا. ثم يحاكمون هؤلاء الرعايا المساكين كل سنة، فيضطر هؤلاء إلى تقديم الرشاوى للخلاص منهم، ويسردون عدة حكايات عن كل ما يحدث لهم. وإذا قتل منهم أيضًا عدة أشخاص، فإن الآخرين يتصورون أن المسألة حدثت بسبب الصدقة، وأن الشخص الفلاني لم يهتم بهم. وإلا إذا كان هناك حرص على المال والمحافظة عليه، فإنه كان يسعى لن تطبيق هذه القاعدة على الطوائف الأخرى.

وقصارى القول أنا إذا عاقبنا بعضًا من هذه الجماعة، فإن ذلك لن يكون ممكنًا؛ إذ إن الآخرين يسلكون نفس السلوك، ولن يكفوا أهدمهم عن الظلم والتعدي. وهكذا يبقى الرعايا في عذاب، ولن يصل مال قط إلى الخزنة. وإذا نال للصلحة تقضى بأن نذكر في طريقة نكف بها أيدي حكام الولايات نهائيًا عن التصرف في الأموال وتبديدها، وحتى لا يجدوا قطعًا أي سبب يمتنع طريق الاعتداء؛ فيكون مثلهم مثل الثعلب الذي قال: "سوف أستطيع الخلاص من الكلب بألف حيلة ولكن من المستحسن ألا أراه أنا وهو لا يراني". وإذا فالأفضل في هذه القضية أيضًا ألا يستطيع الولاية أن يكتبوا حوالة حتى ولو بدائق واحد. ثم أمر بأن يسر إلى كل بلد كاتب جلد يكتب بالتفصيل كل ما يضمنه ذلك البلد

من قرى واحدة فواحدة. وبموجب الحصر السابق تحدد الضرائب عليهم، ولا تكون خاصة للخصم والتجرة. وهكذا يعمل على أن يكون الرعايا مرميين مطمئنين كذلك أمر بأن تفحص كل أملاك الخاصة والأوقاف والملاك الذين احتفظوا بملكيتهم مدة ثلاثين سنة بلا مازع، وأن تكتب موضحة بأسماء المحصلين، ثم يثبت ذلك في سجلات القباون حتى إذا فقدت أيضا حجة لأحد الأشخاص؛ أو أن شخصا يريد أن يستولى عليها، فإنه يرجع إلى هذا السجل، ويتم التصرف بموجب القانون المثبت في السجل. وبذلك لا يبقى مجال للتلبيس والتعدي.

وعلى هذا سار الكتاب إلى البلاد حسب تلك الأوامر وعلى الرغم من أن الساس الثقات المستقيمين قليلو الوجود، فإنهم سعوا بقدر الإمكان في تسجيل قوانين البلد في سجلات خاصة ثم إحضارها إليها.

بعد ذلك أمر بالآي يكتب على الإطلاق أي ملك لو وال أو كاتب حوالة أو سدا عبي ورقة من الأوراق. [ص ٥٥٤]. وإذا حررت حوالة فإنه يعهد الحاكم الذي أعطى التصريح. كما تقطع يد الكاتب الذي كتبها حتى يراه الكتاب الآخرون فيتعطلون ويعتبرون. ثم عيّن لكل بلد كاتبًا يلازم الديوان الكبير، وعليه أن يكتب في أوائل كل عام المبالغ التي دخلت ذلك البلد، وذلك بمقتضى القانون، ويكتب ذلك بالتحديد والتعصيف في كل قرية، ويؤشر على هذا السجل بواب الديوان الكبير، ثم يوثق بحتم الدولة الذهبي ويرسل إلى البلد حتى يسلم الرعايا ما عليهم على قسطنطين مع نصف العشر ورسم الخزانة وذلك عن طريق المحصل الذي عين في كل بلد. وهذا المحصل يعطى أصحاب الولايات بعضا من المال نقدا بمقتضى الحوالة المختومة بالخطم الذهبي، ثم يرسل الباقي إلى الخزانة العامة، ويسلم الخزانة هذه المبالغ بالإصافة إلى الرسم المقرر. وإذا حصل - أحيانا - أحد المحصلين أو الرؤساء مبلغا أكبر فإن عليه أن يسلم الخزانة نصف دينار كرسوم للخزانة عن كل مائة دينار وعشرة دنانير، وإلا فإن على المحصلين أن يحضروا المبالغ التي حصلوها ويودعوها مع رسم الخزانة لدى الخزانة.

وأمر كذلك بأنه عندما يحصل مبلغ نقدي من الرعايا في البلاد، لن يسمح مطلقا بأى وجه من الوجوه أن يسلموا الخزانة شيئا من البضائع العيبة ولو بقدر دينار واحد. وإلا فإن

على الشخص الذى يحضر بصائع عبية لأد يحملها إلى السوق ويبيعها، ثم يودع فى الخزانة مالا مقدما. ويراعى أن تدفع المبالغ مقدما للمرتبات واللعنات والتمنقات التى يجرى العمل بها فى كل مكان، ولا يقصر المسئولون فى تائق واحد حتى يريد الخلق جميعا من دعائهم للثولة طالت أيامها.

وبواسطة الحوالات المفصلة والمختومة بالختم الذهبى، واتى تحمل من هنا إلى البلاد صار جميع الرعايا فى الأماكن المختلفة مطلعين على المبالغ المقررة عليهم، وهم يعرفون جيدا أنه لا ينهى أن يدفعوا دائما واحدا زيادة عن المطلوب. وأيضا لديهم رسالة رجال القانون الموضح بها المبالغ التى عليهم وكيفية سدادها.

ولما نعد هذا القرار المسجل، طس ملك رود أور من أعمال همدان أنه من قبيل الأحكام السابقة التى صدرت ولم تعد، فصرح لأحد الكتاب بأن يكتب - مع إيقاف التنفيذ - عدة حوالات على إحدى الولايات مصدر الحكم بقتله، ويقطع يد الكتاب الذى حرر الحوالات فلما علم الكتاب بذلك القرار لاذ بالفرار. وبعد ثلاث سنوات توفى فى الموضع الذى هرب إليه كذلك قبض بعد مدة على أحد الكتاب فى سهاوند وقطعت يده. وفى همدان كتب أحد لبقائى من الأثرياء حوالة على شريكه بسى من السحاق<sup>(١)</sup>، فقبض عليه، وصدر الأمران بقتله وبمريد من الشعاعة، جمعت عه عقوبة الإعدام، وحسب مائة وعشرين عصا، ودفع ألف دينار عرامة جراء جرمه

وقريبا من هذا الوقت، كانوا يحلون للحصرة قبلة من الهند. فلما وصلوا إلى همدان حل الشتاء، ولم يكن يوجد علف، فقال الحكام هناك: يجب أن يحصل على العلف من الحدائق. فلما بلغ هذا الكلام السمع الأشرف للسلطان، قال: إنا دائما نحتاج للأشجار، وبعد فى حسابها ما يلزم من العلف والمؤن لليلة، فكيف تؤخذ من حدائق الناس؟ ولكننا نتجاوز هذه المرة. أما إذا أقدم المسئولون بعد ذلك على مثل هذا التصرف فسوف نعاقبهم.

وصفوة القول أنه خلال هذه السنوات لم يكن هناك مجال ولى يكون لأى مخلوق أن يكتب فى حوالة شى من واحد من اثنين وبهذا سد نهائيا طريق تحرير الحوالات. وقد علم

(١) حسب يوضع فى بعض النسخة لكسبها حوصة.

في العام الماضي أنه لما لم يكن في مقدور الحكام أن يريدوا شيئا على المبلغ المقرر، صار  
الرؤساء وعمد القرى يلتزمون بسداد الريادة، ويقسمونها فيما بينهم،  
وهكذا عندما يعلم كل واحد من الرعايا المبلغ المقرر عليه، لا يعطى شيئا ريادة عن  
المطلوب. كذلك لا يستطيعون مطالبة الفراء والأشخاص الآخرين الذين لم ترد أسماءهم  
في الكشف.

## حكاية مسير الأمير نوروز إلى تركستان لدى قندوغان

[ص ٥٧٧] عبر نوروز مع بحر ضليل من المطرودين نهر جيحون عن طريق بدخشان وصمم على المسير إلى الأمير قاندهار<sup>(١)</sup> بن قاشي بن فوكتاي قآن وقال لنفسه، "إن الراجل لا يصير خيرا وعمرها ما لم يسافر ويرحل". وعندما وصل نوروز إلى حضرة الأمير قاندهار أظهر له الصدق والطاعة والإخلاص. ولما سأله قاندهار عن سبب جلالة عن وطه المألوف وترك مسكنه المعروف وعن الياغت على قنومه ووصوله إلى هنا أجاب قائلا: "إن أميتي ورغيتي ودعائتي إلى الله أنا العبد للمخلص والمحجب دون إكراه هي أن أتشرف وأسعد بمشاهدة صاحب البلاط الملكي ومطلعة عرته الليمومة. وحمدا لله ومه فإن آثار الرعدة وعلو الشأن وأجبار رعاية الرعية وآيات السياسة والكماسة وذكر العظمة وصيت الملك لهذا البلاط العالي القدر قد طلق الآفاق". ثم شرح أحواله دون تردد ودعشة وبحشية، وختم كلامه قائلا: "إن علام الميوب مطلع وعليم يأتي من اللدب والحيانة اللذين اتهمت بهما أكثر من براوة اللدب من دم يوسف. كما أنني أظهر من صفاء السماء.

(بيت من الشعر الفارسي ترجمته:)

لم يمر علي لساني ولم يمر بمخاطري

ولم تكن قسط هذه نيتي أنا العبد

(١) يكتب أيضا قندوغان، وهو ابن قاشي بن فوكتاي قآن، ربي في معسكر چنگيز خان، وبعد وفاة جده فوكتاي لازم منگوقاغان وبعد كان يلزم أريق بوكا، وسى في إجلاله على عرش الخانية فلما خضع أريق بوكا لأخيه قوبلاي قآن وأطاع امره، استدعى قاندهار عروفا من قوبلاي، كبار عليه، وطني وبني، وأرتكب عدة ظالمتات وقد حصر دهر طويلا إلى أن توفي متأثرا بمرضه من إحدى الأمراض التي غاصها حد تسمم قآن حين قوبلاي قآن (انظر جامع التواريخ. تاريخ خلفاء چنگيز خان من فوكتاي قآن إلى تيمور قآن، الترجمة العربية، ص ٣٢١ ١٣٢٢ رحلات ساركوپولو، ترجمها إلى الإنجليزية وشرها وتلهم مترسدة، وترجمها إلى العربية عبد العزيز توميق جاويد، ص ٣٥١، ٣٥٢، قبل نشر الترجمة المصرية المطبوعة للكتاب، القاهرة ١٩٧٧ م).

عندئذ قال قابلو: "إدع ما سب الإهزام والفرار والاضطراب؟" أجاب بورور: حقاً إنها مثل أسطورة الثعلب الذي كان يفر هارباً مسرعاً. فسأله أيس آوى عن سبب انهزامه. فأجاب الثعلب: إن الملك قد يكون عيباً سادجاً كالخمار فقال ابن آوى. حيث إنك لست حميراً فماداً تهرب؟ قال يا صاحبي إلى أن يثبت أنني لست حميراً، لا بد أن يصيبني كثير من الجراح المؤلمة القاسية. [ص ٥٧٨] فأعجب قابلو بهذه القصة إعجاباً شديداً، وشمله برعايته الثامة وأجلسه إلى جانبه، وقدم له كل ما يلزم للإقامة والتكريم

وهكذا ظل نورور حائراً مدة ثلاثة أعوام متتالية في إقليم تركستان كالخمار في الوهل والحرمان في الماء وكان يرجئ أباهم التي لا نهاية لها. ولما كان مجيئاً على العباد والكبراء، لم يكن يسجم في غريته ووحشته وكريته مع أمراء قابلو وخواصه جرباً على قاعدة العرباء والصيوف. والسبب في ذلك أن بورور عاش ثلاثين سنة كاملة وسط ممالك إيران، وقُلب ديار خراسان في هاء وبعم وحرمة وتعظيم في دولة خانات المغول وكان الطي والنشر والقبض والسطر والخل والعقد في الإقليمين الثالث والرابع في قصة والده أرمون آقا<sup>(١)</sup>. وكان قد ترك له الشيء الكثير من الناع والأمالك والنفود والنفود والحواسي واللواسي التي لا حصر لها

لكل هذا رعم دوال الحرمة والحشمة وضياع الأمالك والأساليب والجللاء عن الأهل والديار، لم يعد يحتفل صولة أمراء قابلو ومسلطتهم. وهم أيضاً لم يكونوا يسكنون معه طريق العزة والحرمة، وجادة الوفاق والرفاق. ورغم وجود كل هذا لم يحط أحد من قدره، بل ظل يعيش موفراً ومعظماً حتى مل طول الإقامة وسأمة البقاء؛ فاستأنذ في العودة.

(١) هو من قبيلة أويراب وأبوه تاجور الذي كان أميراً لألف جندي وتعد قبيلة أويراب من أشهر قبائل المغول. نزل أرمون حاكم إيران من قبل علاقات النور قبل مجيء هولاكو خان، فقام بسببه بغير قيام، وألقيت عليه مرقعة الكفاء كان منهم المؤرخ عطا ملك الجويني. قام أرمون بعدة إصلاحات، وخفف الضرائب عن كاهل الرعايا وخرجوا في عهد بالأس والأمان، وأنشأ قبايلهم بسببهم منعمي غنمات مفرصة من قبل الحلفاء الخاسمين الطامعين في منصبه، ولكنه كان يأرمهم الحجة وينصر عليهم. وهكذا استمر يؤدي واجبه إلى أن قدم هولاكو بحمله على إيران فاستقبله أرمون استقبال، وأقام له سرهماً دعماً مسجناً بتخبط الذهب. وصار واحداً من أعظم أئمة. تحدث عن أرمون قفا المؤرخ عطا ملك الجويني في صفحات عديدة ومتفرقة من كتابه تاريخ جهانگشاى (انظر ترجمة الدكتور محمد قزوینی لهذا الكتاب، المجلد الثاني، طب ٥ ١٤١٠ هـ - ١٩٨٥ م).

وبعد أن شمله قابدو بقطعه ورعائته، سَيرَ لمساعدته ثلاثين ألف فارس مع الأميرين  
الحجيين أبوكان وأركتمور والأميرين بساور وكوهك وغيرهم، وذلك بقصد الذهاب إلى  
ديار خراسان وقمع أعداء نوروز. ثم أوعز أيضاً إلى الجيوش التي تقيم في منطقة نهر  
جيحون بتقديم المساعدة له. كذلك أرسل مع نوروز جنوداً بقيادة ابنه ساربان وكانوا  
بمضون الشتاء والصيف على مصاف نهر جيحون، وفي بادغيس وشورغان بعد ذلك سار  
نوروز في الطلبة.

## إسلام غزان وكيف تم ذلك

[ص ٦٠٤] كان غزان المبارك النظرة، الميمون لتقديمه يتشاور مع الأمراء في تدبير النصاء على الأعداء وقهرهم وقمعهم، وبأية وسيلة يمكن ذلك حتى يصير الخصم قريباً للبرار ومقضيّاً عليه بالنصاء. وكان كل أمير يذل بملوه في هذا الشأن بقدر وسعه وطاعته وبحكم أن الأمير نوروز سبق أن لقم هدية لغاران - إجلالاً وتعظيماً - عرض على رأى السلطان ملجأ العالم قاتلاً:

(شعر فارسي، ترجمته)

هكذا قال: أيها الملك السعيد المقدم  
بعتلك بصير الجو ربيعاً في شهر "ردى"<sup>(١)</sup>  
فلتبقي دائماً موقفاً في العالم  
وليكن هذا العالم مثلي عبداً مطيعاً لك

لقد أثر عن علماء الإسلام والمجمعين وأرباب التصوف أنه سوف يظهر خلال مئة سنة ثمانية وتسعين هجرية (١٢٩١م) سلطان عظيم يكون ظهيراً للدين الإسلامي، يصير الإسلام - بعصل رعايته وعنايته - ناصراً مردهراً بعد أن كان مدرساً ويسبب عدل هذا السلطان في ملكه نصير الشاه آمة ومستريحة من بطش الذئب، ويتخلص الغرال من حور الفهد. ولشعول إنصافه تسلم الصعوبة<sup>(٢)</sup> الضعيفة من صلاية الصقر، ويسجو (القيح)<sup>(٣)</sup> من شوكة ومهايته ويظل التاج وعرش الملك لسنوات عديدة في مكانهما اللائق بهما. وأحياناً كان يحول بخاطر العبد أن يكون ذلك المعامل هو غاران عان إذ أن أسرار هذه العلامات ومخائل هذه الشمائل تدل في صورة الحال وصفحة آثار الجيش المبين للأمر النجل المانع الشر.

(١) دى: الشهر العشر في السنة الإيرانية. فيه يقصد البرد، وهو يقابل شهر ديسمبر وأيضاً من شهر يناير من السنة الهلالية.

(٢) الصعوبة والصعوبة واحد، وهو طائر صغير أبيض الرأس.

(٣) (القيح) الجمل، مربي كيك ونظر كتاب الأكلات الفارسية القديمة، تأليف السيد داني شير، ص ١٢٣، بيروت ١٩٠٨.



وإنه لظاهر وواضح أنه لو تقلد الأمير النجل قلادة الإسلام، والترم عقائد الإيمان وطريقه، فلا بد وأن يكون مثلاً لأولى الأمر في عهده فيمسخ رعاياه المسلمين - الذين ظلوا قابعين في حصص المدة وهبوط الوبال - مشو الإيمان وشاء الرعاية؛ حتى يتيسر لهم بعد ذلك نصر الموال وقهر الأعداء عن طريق مشر الذي وبسط العدل بعد بدل الطاعة التي لا مفر منها، والتي تكون في الأعمال فرص عين، بل عين فرص. ويصير جميع المسلمين مرهدين ومحبين. وبسبب صلته وإخلاصه هتته وتوجه القلوب إليه [ص ٦٠٥] ينصره الحق سبحانه وتعالى. وإن الدين الإسلامي الذي اندرس وانطوى بسبب تطلب كفار النصار واستيلاء الظالمين والعاسقين لحيا يمس تقوية الأمير النجل.

وحيث إن الحق سبحانه وتعالى كان قد رهن وأثار في الأزل قلب الأمير النجل بمور التوحيد، وصارت داته الشريعة مخزن أسرار القدس وحاملة المعرفة، وطلع عليه صبح السعادة الأبدية، وراح عن بصيرته غشاوة العيوب والريب - أثر في قلبه المبارك كلام نورور المعقول، وتفتحت رحمة قلبه لحديته، وظهرت "يد موسى البيضاء من جيب العيب"، وأزال عن عيه وأدنه حجاب الظلمة وغطاء العلة، واختار الور بدلاً من الظلمة، فقال. إن حديث هذا الدعية وشعشة هذا الباحث كانتا نصب عيني وصميري إذ كيف يقتضى العقل أن يسجد رجل عاقل لجماد مصوع موصوع على الأرض ولا يتوسل إليه مباشرة، بل يستمد النعمة من شخص آخر يمرر إليه بهذه الصسم. وإن الخصوع أمام جماد وشروط لئمة ومراسم تقبيله لأمر مستكف.

وإذن فعبادة الأصنام والسجود للأوثان كلاهما أمر في غاية الضلالة والجهالة ومادة للاحتقار والاستهزاء. وإن الدين الإسلامي هو ردة جملة الأديان وخلاصة البواميس الإلهية؛ لكن العلائق والعوائق المتواترة والمتوالي كانت حائلة دون هداية نور الإيمان. وحيثما يوجد الماء قريباً لا ندعو الحاجة إلى حبل طويل.

وهكذا صار اقتراح نوروز مسموعاً ومقبولاً ثم طلب إحضار قطعة اللؤلؤ التي كان قد أودعها خزائنه. وفي اليوم الرابع من شبان سنة أربع وتسعين وستمائة (١٢٩٤م)، في جوسق كان يوجد فيه عرش أرغون "بهرغزار لار دوماند" أعملوا حفلاً كبيراً، ثم اختلص الأمير النجل وفق الشريعة الإسلامية، وليس ملابس مطيعة. بعد ذلك صعد فوق قصر مرتفع

ووقف على درجة العرش، مظهرًا الخضوع لحضرة الربوبى. ثم لفته كلمة الشهادة الشيخ  
 "صدر الدين إبراهيم" خلف صدق الشيخ صدر الدين حمويه - رحمه الله .  
 وهكذا أخذ عازان بعزم صادق يظم من صميم قلبه الصادق كلمة الإخلاص. وقد ردد  
 عدة مرات كلمة التوحيد بلفظ التكبير.

(بيت من الشعر الفارسى ترجمته)  
 رقم ذلك الأمر النجل أصبحه  
 فذكره بوحشاته الله

وقد أسلم معه جميع الأمراء والجنود، وعددهم يقرب من "مائة ألف" <sup>(١)</sup> مشرك متسرد.  
 ورغم أن الالامات (بحشيان) قد علموه أيام الصبا ورمات الطفولة عبادة الأصنام وتقديم  
 الأوتان، وكان ثابتا وراسخا في هذه العقيدة فإنه عندما دخل في الدين الإسلامى، أصمى  
 بأذن العقل وصنع الرضا إلى أمة الإسلام والدين الحنيف، واستقر في سكية صدره. وكان  
 في الإخلاص [ص ٦٠٦] أصدق من لويس وسمعان، وصار الجميع مشغولين بهذه الأفرار  
 والمسرات الكثيرة وإقامة المحفلات والمآدب وكان كل الأمم من الترك والعجم يثرون على  
 عرشه المبارك الدراهم والدنانير وفتائس الجواهر ورعائب التماس و كانوا يمشون  
 (شعر فارسى ترجمته)

ليظل يلقا بلقيًا فى ملكك على الاستقرار والحوام...  
 المال والخال والرمز والمآل والأصل والنسل والحظ والعرش  
 وليبق المال الوافر والخال المحس والمآل السعيد والمآلة المباركة  
 وليسدم للأصل - ثلاثين نسلاً - الحظ الباسم والعرش المطاع

ثم وقف الأمراء والقبائل (يوهان) والأئمة والمشايخ. وافتداه بسلطان الإسلام، وباعتقاد  
 صادق مبركاً من شوائب الكفر ومعضى من الرماء، دخلت - في دين الإسلام أفواجاً -  
 طوائف الثار من الأطراف والقرى والبوادي والضيواحي؛ من الكافر والكافرة ابتداء من  
 من السابعة إلى سن التسعين، وذلك بدافع فرحة ومحس الاختيار، وشرافاً بشريف هداية

(١) يذكر ملازغ عبد الله الفهرى اللقب بوضاف المحصرة في كتابه "تاريخ وضاف" ص ٣١٧ طبع بمصر أن من  
 أسلم من الملوك يزيد على مائة ألف مشرك.

مور الإيمان، ليظل توالدهم وتاسلهم مؤمنين ومؤمات حتى تُفخ الصور وصار اعتقاد الموحدين بإعجاز أمة أحمد وإظهار دين محمد عليه الصلاة والسلام أكثر شهيداً. كما صار صدق إخلاص المؤمنين أكثر تأكيداً.

وهي ذلك اليوم أمر لجماعة الأئمة والمشايخ والسادات بالإدراوات والإنعامات والمزريات والمناصب. كذلك بدل الدور والصدقات في حق الفقراء والمساكين. ثم توجه إلى قبور الأولياء ومزارات "الأبدال"<sup>(١)</sup> وكان يطلب بتصرع وبتهال من - حضرة دى الجلال - القوة للانتقام من الأعداء ودفع الحساد. كذلك أنشأ الخواص والقبور.

بعد ذلك سهر - بهذه البشري - العناني وسعاة البريد إلى أطراف البلاد وأرجائها وأعانتها وإن حلالة هذه السعادة التي هي أصل الحياة وثمرتها شجرة التوفيق الخالدة بالية. وهكذا أوصل هذا البأ إلى سكان الآفاق. فتوجه إلى حضرة عازان من أطراف العراق وغراسان المشايخ والأئمة في خضوع تام. ثم استقبل شهر رمضان ركس الصيام بدلاً من الأصنام، وكل ليلة كان الخلق الكثيرون من التاريك والترك والأصنام يتناولون طعام الإفطار على بساط سباطه.

وهكذا فإن عروة حل الدين اللتين كانت قد وجدت الانعصام والانصرام عادت إلى التنظيم والقوة، وصارت همة عازان مقصورة على تأسيس قواعد الدين وشهيد مباني اليقين، وتقوية أساس الشرع ورعاية قوانين الأصل والفرع وكانت همته باعثة على الترم طريق الورع وبهيمته متجهة إلى القمة والتقوى

جعل الله سبحانه وتعالى الوجود المبارك لسلطان الإسلام غاران خان - في طوقان الطوارق والحدثان - [ص ٦٠٧] كتيباً لمصالح العباد ومجاهم وسيباً لأمن الخلق وأمانهم

(١) الأبدال جمع بدل. وعند المتصوفة أن خلق تعالى جعل الأرض سبعة عالمين واختار لكل إليم من عباده الصالحين وفيه يسمى "بدلاً" ليحلظه. وبذلك إنهم صور روحانية محبة يدون فيها وهم أولياء إنا سات أئمتهم خلفه غيره فكان بدلاً منه. كما أن حجاب قلعة الخواري مرفوع عنهم. ولذلك يدون في شكل مختصة مديانة، وهم معروفون باستقصاء الورع وتصحيح الزيادة وسلامة الصدر للخلق والتصحية لهم. (انظر دكتور حسني عيسى نصري، المجموع الفارسي العربي المجمع، ص ٢٧، نقله ١٩٨٣ دكتور سيد جعفر سجادى، فرغت لكلمات ومصطلحات وتسميات عرفاني، چاپ دوم، ص ٩، تهران ١٣٥٤ هـ ش.)

حتى تصان آلاف النفوس الطاهرة من أذى الحناب والخوف من مغالب التتار الكفار؛ فلا  
 جرم أن صار صيت أبيهم معلته وسمعة سوق مكرته طين أذان العالم.  
 وصموة القول أنه بعد ذلك صارت طاعته واجبة ولازمه على ملوك الإسلام وسلاطينهم  
 بموجب قوله تعالى: ﴿... وأول الأمر منكم﴾<sup>(١)</sup>.  
 (نص الترجمة بحمد الله وفضله)

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة ﴿يا أيها الذين آمنوا اطعوا الله واطعوا الرسول وأول الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ﴾  
 فرموا إلى الله والرسول فإن كنتم تنازعون بالله والنبوة والآنسة ذلك غير وأحس تأويلها ﴿سورة النساء الآية ٥٩﴾.

## قائمة المراجع أولاً: المراجع العربية

- ابن الأثير الجزري (علي بن أحمد أبي الكرم):  
- الكامل في التاريخ، تحقيق الشيخ عبد الوهاب النجار، القاهرة ١٣٤٨ هـ = ١٩٢٩ - ١٩٣٩ م.  
ابن لباس الخطي (محمد بن أحمد):  
- بدائع الزهور في وقائع الدهور، الجزء الأول القسم الأول، تحقيق الدكتور محمد مصطفى، الطبعة الثانية، لجنة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.  
ابن حبيب (الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر)  
- تذكرة السيه في أيام المنصور وبنه: حوادث وتراجم (٦٧٨ - ٧٠٨ هـ / ١٢٧٩ - ١٣٠٨ م)، حققه دكتور محمد محمد أمين وراجع دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٦ م.  
ابن حجر العسقلاني (الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد):  
- الدرر الكامنة، نشر دار الجيل، نسخة مصورة من طبعة دائرة المعارف بمبشر الدكي، بيروت ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م.  
ابن زيد آل محمود (عبد الله) الشيخ:  
- قضية تحديد الصداق، فطر اللوحة ١٩٧٦ م.  
ابن شاعر الكشي (فخر الدين محمد بن أحمد):  
- فوات الوفيات، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥١ م.  
ابن العبري (غريغوريوس أبو المرح بن أمرون الطيب للطلبي):  
- تاريخ مختصر النول، بيروت ١٩٥٨ م.

ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى):

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. دولة المماليك الأولى (٧٠٠ هـ / ١٣٠١ - ١٣٤٩ م): دراسة وتحقيق دوروتيا كراشولسكي ترجم التمهيد المطول عن الألمانية الدكتور عصوان السيد، الطبعة الأولى، الناشر المركز الثقافي للبحوث، بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.
- ابن الفوطي (كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين أحمد):
  - الحوادث الجامعة والتجارب الساقطة في المائة السابعة (٦٤٢ - ٧٢٣ هـ / ١٢٤٤ - ١٣٢٣ م)، وقع على تصحيحه والتعليق عليه مصطفى جواد، بغداد ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.

أبو الفداء (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل):

- المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء) نشر مكتبة النشئ، القاهرة بدون تاريخ.
- تقويم البلدان، تصحيح رينود مدرس العربية ولبازون ماك كوكين ديسلان، باريس ١٨٤٠ مسيحية.

إدريس (محمد محمود):

- رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٣ م أرنولد (سير توماس):
- الدعوة إلى الإسلام، ترجمه إلى العربية الدكتور حسن إبراهيم وآخرون الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٥٧ م.
- الإصطخرى (ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي):
- المسالك والممالك، تحقيق الدكتور محمد جبار عبد المال الحنسي، مراجعة محمد شفيق غربال، القاهرة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.

## بارتولد (فاسيلي فلاديميروفيتش):

- تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة الدكتور أحمد السعيد سليمان  
راجعه إبراهيم صبرى، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة  
١٩٥٨م.

- تاريخ الحصار الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، الطبعة الثالثة، الناشر دار  
المعارف بمصر، القاهرة ١٩٥٨م.

- تركستان منفتح العربى إلى العزو المغولى، نقله عن الروسية صلاح  
الدين عثمان هاشم، الناشر قسم التراث العربى بالمجلس الوطنى للثقافة  
والفنون والآداب، الكويت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

## بدر (مصطفى طه) دكتور:

- مغول إيران بين المسيحية والإسلام، القاهرة بدون تاريخ  
البيليسى (شرف خان):

- شرفنامه. ألّفه بالعربية شرف خان البيليسى، ترجمه إلى العربية، محمد  
على عونى، راجعه وقدم له يحيى الخشاب، القاهرة ١٩٦٢م.

## براون (إدوارد جرانفيل):

- تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى، نقله إلى العربية  
الدكتور إبراهيم أمين الشواربى، القاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

## بروكلمان (كارل):

- تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية الدكتور نبيه أمين فارس  
ومنيّر البعلبكي، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٤٩م.

## الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر):

- الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الجزء الأول، الطبعة  
الثالثة، بيروت ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

الجراحى (إسماعيل بن محمد العجلوني) الشيخ المفلس:

- كشف الخفاء ومرهل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، الجزء الثاني، دار إحياء التراث العربى، بيروت ١٣٥٢هـ.ش.  
جرجى زاهدان:

- تاريخ آداب اللغة العربية، الجزء الثالث، القاهرة ١٩٣١م.

جمال الدين (محمد السعيد) دكتور:

- علاء الدين عطا ملك الجوى حاكم العراق بعد انقضاء الخلافة العباسية الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

جيد شيرازى (معين الدين أبو القاسم):

- شد الإزار فى حظ الأوزار عن زوار المنار، بتصحيح وتحشية محمد قزوینى وعباس إقبال، طهران ١٣٢٨هـ.ش.

جنى (فيليب): دكتور

تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمه الدكتور جمال اليازجى أشرف على مراجعته وتحريره الدكتور جبرائيل جبور، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٢م.

الخميرى (محمد عبد المنعم):

- الروص المعطار فى غير الأقطار، حققه إحسان عباس، الطبعة الثانية بيروت ١٩٨٠م.

عصبةك (جعفر حسين) دكتور:

- العراق فى عهد الإيلخانيين ٦٥٦ - ٧٣٦هـ / ١٢٥٨ - ١٣٣٥م:  
الفتح الإدارة الأحوال الاقتصادية الأحوال الاجتماعية، بغداد ١٩٦٨م.



## تحليل أهم:

- تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، نقله عن التركية الدكتور أحمد السيد سليمان، الناشر دار المعارف، القاهرة ١٩٧٢م.

المواد (مصر):

- التهمة المملوكية في الدولة التركية: تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من ٦٤٨ ٧١١ هجرية، تحقيق دكتور عبد الحميد صالح حمدان، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

- رتبة العسكرة في تاريخ الهجرة، الجزء التاسع، تحقيق الدكتورة ريمدة محمد عطا، المملكة العربية السعودية، بدون تاريخ

مختار الأخبار: تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢ هـ، تحقيق دكتور عبد الحميد صالح حمدان، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

المواد (أبو بكر عبد الله بن أبيك):

كثر الدرر وجامع الفرر، وهو الدرر الفاخر في سيرة الملك الناصر تحقيق هانس روبرت روبر، القاهرة ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠م.

ديماند (م س):

- الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم الدكتور أحمد فكري، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٨٢م.

رشيد الدين (فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير بن موفق الدولة):

- جامع التواريخ، تاريخ المعول المجلد الثاني الجزء الأول تاريخ هولاكو مع مقدمة كاترمير، نقله عن الفارسية إلى العربية الأستاذ محمد صادق شأت والدكتور محمد موسى هداوي والدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد، وترجم مقدمة كاترمير عن الفرنسية الدكتور محمد

محمد القصاص، القاهرة ١٩٦٠م.

- جامع التواريخ، تاريخ المعول، المجلد الثاني، الجزء الثاني: تاريخ أساء هولاءكو خان من أباخان إلى هجراته، نقله عن المارسية إلى العربية الأستاذ محمد صادق مشأت والدكتور مؤاد عبد المعطى الصياد القاهرة ١٩٦٠م.

- جامع التواريخ، تاريخ خلفاء چنگيز خان من أوكتاى قان إلى تيمور قان، نقله عن المارسية إلى العربية الدكتور مؤاد عبد المعطى الصياد الناشر دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٣م.

زكى محمد حسن (دكتور):

- التصوير في الإسلام عند العرب، الناشر دار الرائد العربى، بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

- فنون الإسلام، الناشر دار الرائد العربى، بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.  
الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، الناشر دار الرائد العربى، بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

- التصوير وأعلام المصورين في الإسلام، مقالة نشرت في هدية المقتطف السوية بعنوان "نواح مجيدة من الثقافة الإسلامية، القاهرة ١٩٤٨م.  
السباعى محمد السباعى (دكتور).

- عطا ملك الجوى وكتابه جهانگشا، القاهرة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.  
مشتن ونسيان:

- تاريخ الحروب الصليبية، الجزء الثالث، ترجمة الدكتور السيد البار العربى، الجزء الثالث، بيروت ١٩٦٩م.  
هولر (بروتولد):

- العالم الإسلامى في العصر المغولى، نقله إلى العربية خالد أسعد عيسى راجعه وقدم له سهيل زكار، الطبعة الأولى، دمشق ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

الصياد (فؤاد عبد المعطي) دكتور:

- مؤرخ المصول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمداني، الطبعة الأولى  
القاهرة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م.

- المصول في التاريخ (من چنگيز خان إلى هولاكو خان)، القاهرة  
١٩٧٥م.

- الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين (أسرة هولاكو خان)، منشورات  
مركز الوثائق والدراسات الإنسانية بجامعة قطر، الدوحة ١٤٠٧هـ  
١٩٨٧م.

- النورور وأثره في الأدب العربي من منشورات جامعة بيروت العربية  
بيروت ١٩٧٢م

الطيري (أبو جعفر محمد بن جرير):

- تاريخ الرسل والملوك: الجزء الأول، تحقيق "محمد أبو الفصّل إبراهيم"  
الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩م.

المود (نافع توفيق) دكتور:

- الدولة الخوارزمية: نشأتها علاقاتها مع الدول الإسلامية نظمها  
العسكرية والإدارية ٤٩٠ هـ/٦٢٨ - ١٠٩٧ / ١٢٣١م، بغداد  
١٩٧٨م.

العزاوي (عباس):

- تاريخ العراق بين احتلالين، الجزء الأول، حكومة المصول، بغداد  
١٣٥٢هـ / ١٩٣٥م.

- التعريف بالمؤرخين في عهد المصول والتركمان (١٦٠١هـ / ١٢٣٤م إلى  
١٩٤١هـ / ١٣٥٤م)، بغداد ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م.

عطا ملك الجوينى.

- تاريخ فاتح العالم (جانگشای)، نقله عن الفارسية وقارمه بالسحة الإنكليزية الدكتور محمد التوجى، المجلدان الأول والثانى، الطبعة الأولى، حلب ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

على إبراهيم حسن (دكتور):

- دراسات فى تاريخ الممالك البحرية، وفى عصر الناصر محمد بوجه خاص، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٤٨م.

الفراز (محمد صالح) دكتور:

- الحياة السياسية فى عهد السيطرة المغولية، الجف ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م.

القروى (زكريا بن محمد بن محمود):

- آثر البلاد وأخبار العباد، نشر دار صادر، بيروت ١٣٠٨هـ ١٩٦٠م.

القلقشندي (أبو العباس أحمد):

· صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، القاهرة ١٣٣٣هـ ١٩١٤م.

كراتشكوفسكى (الغناطيوس يوليانونفش):

- تاريخ الأدب الجغرافى العربى: القسم الأول، نقله إلى اللغة العربية صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة ١٩٦٣م، والقسم الثانى نقله نفس المترجم، القاهرة ١٩٦٥م.

كراتشكوفسكى (دوروتيا):

- العرب وإيران: دراسات فى التاريخ والأدب من المنظور الأيديولوجى ترجمة الدكتور رصوان السيد، الطبعة الأولى، دار المنتخب العربى للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

## السرائح (كى):

- بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية، وأضاف إليه تعليقات بلدانية وتاريخية وأثرية، ووضع فهرسه: بشر فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

## ماركو پولو:

- رحلات ماركو پولو، ترجمها إلى الإنجليزية ومشرها "وليم مارسدن" ترجمها إلى العربية عبد العزيز توفيق جابود، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٧م.

الماوردي (أبو الحسن بن محمد بن حبيب البصري):

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م  
- المجتمع العربي، تأليف مجموعة من أساتذة كلية الآداب بجامعة عين شمس، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٦م.

## محمود نجيب حسنى (دكتور):

- الموجز في قانون العقوبات: للقسم الخاص، القاهرة ١٩٩٣م.  
- المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين بن على):  
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد الطبعة الثالثة، القاهرة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.

## المقرئى (قلى الدين أحمد على)

- المخطط للمقرئى السمة الواضحة والاعتبار، طبع بمطبعة الساحل الجنوبي، الشياح، بيروت ١٩٥٩م.  
- السلوك لمعرفة دول الملوك، نشر وتحقيق الدكتور محمد مصطفى زهادة القاهرة ١٣٥٣ - ١٣٥٨هـ / ١٩٣٤ - ١٩٣٩م.

المؤرخ الإبرائى الكبير شهاب الدين خوالص كما يبدو فى كتابه دستور الوزراء، تأليف وترجمة وتعليق الدكتور حرمى أسى سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠م.

النسوى (نور الدين محمد بن أحمد بن علي بن محمد المنشي):

- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، نشر وتحقيق حافظ أحمد حدى  
القاهرة ١٩٥٣م.

نظام الملك الطوسي (مواجه):

- سياستنامه أو سير الملوك، ترجمة للدكتور يوسف حسين بكار، الطبعة  
الثانية دولة قطر، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م.

ليندهام (جوزيف):

- موجز تاريخ العالم والحضارة في الصين، ترجمة محمد غريب جوده  
المهبة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٩٥م.

هارولد لام:

- تشيغيو نحاو وجحافل المغول، ترجمة مئري أنيس، مراجعة وتقديم  
الدكتور ركني مجيب محمود، القاهرة ١٩٦٢م.

هنتس فالتر:

- المكايل والأوزان الإسلامية، وما يعادلها في النظام المئري، ترجمه عن  
الألمانية الدكتور كامل العسيلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان  
١٩٧٠م.

ياقوت الحموي:

- معجم البلدان، نشر دار صادر، بيروت ١٣٧٦ هـ ١٩٧٦م.

## ثانیہ: المراجع الفارسیة

القبال (عباس):

- تاریخ معصل ایران استیلای مغول تا اعلان مشروطیت، جلد اول: از  
حملة چنگیز تا تشکیل دولت تیموری، طهران ۱۳۱۲ ه.ش.

- مقاله بهسوان: "چساو چاپ اسکناس" نشرت ضمن مجموعه  
مقالات عباس اقبال آشتیانی: شامل یکصد و یک مقاله باسقمه  
و تصحیح دکتر محمد دبیر سیاقی، تهران ۱۳۵۰ ه.ش

القبال یغمائی:

- بسطام و بایزید بسطامی، تهران ۱۳۱۷ ه.ش

پارتولد

- تذکره جغرافیای تاریخی ایران، ترجمه حمزه سردادور (طالب راده)  
طهران ۱۳۰۸ ه.ش.

براون (ادوارد):

- از سعدی تاجلی: تاریخ ادبی ایران از سده قرن هفتم تا آخر قرن نهم  
هجری: عصر استیلای مغول و تاتار، ترجمه و حواشی بقلم علی اصغر  
حکمت، تهران ۱۳۲۷ شمسی = ۱۹۴۸ میلادی.

بیانی (طبرین: اسلامی للوشن):

- دی و دولت در ایران عهد مغول، جلد دوم: حکومت ایلخانی. نبرد  
میان دوفرننگ، چاپ اول، تهران ۱۳۷۱ ه.ش.

پطروشفسکی:

- کشاورزی و مناسبات ارضی در ایران عهد مغول، ترجمه کریم  
کشاورز، تهران ۲۰۳۵ شاهنشاهی.

## پیکر لومسکایا (ن.و) وآخرون:

- تاریخ ایران اردوران بامستان تالپایان سنه هجلم میلادی، ترجمه کریم کشاورز، تهران ۱۳۵۴ ه.ش.

جروسیه:

- امراطوری صحرانوردان، ترجمه عبدالحسین میکده، چاپ سوم تهران ۱۳۶۸ ه.ش.

جوزجانی (أبو عمرو منهاج الدین عثمان بن سراج النین، معروف به منهاج سراج):

- طبقات ناصری (ألف می الفتره ما بین ۶۵۷ - ۶۵۸ ه) تحقیق عبدالحی حبیبی قندهاری، کابل ۱۳۴۳ ه.ش.

الجوبی (علاء الدین عطا ملک بن قاء الدین محمد):

تاریخ جهانگشای (ألف ما بین سنه ۶۵۰ - ۶۵۸ ه) بشر وتصحیح

محمد بن عبد الوهاب القروی، لندن ۱۳۲۹ / ۱۳۵۵ ه / ۱۹۱۱ م.

۱۹۳۷ م.

حافظ آبرو:

- دیل جامع للتواریخ رشیدی (ألف سنه ۸۳۳/۱۴۲۹ م شامل وقایع

۷۰۳ - ۷۸۱ هجری قمری)، باهتمام دکتر خانبابا بیانی، تهران

۱۳۵۰ ه.ش.

خوالنعمیر (غیاث الدین محمد بن همام):

- حبیب السیر فی أخبار أفراد البشر (ألف سنه ۹۳۰ ه / ۱۴۲۳ م چاپ

أول، تهران ۱۳۳۳ ه.ش - چاپ دوم عکسی، تهران ۱۳۵۳ ه.ش.

- رجال حبیب السیر: از حمله مغول تا مرگ شاه اسماعیل أول، نگرده

آوردۀ عبدالحسین نوائی، با مقدمه و سه فهرست، طهران

۱۳۲۴ ه.ش.



رشید الدین فضل الله بن عماد الدوله أبی الخیر بن مؤلف الدوله همدانی:

- تاریخ مبارک غارانی (داستان عازان خان) بسمی و اهتمام آقل العباد  
"کارل یان"، هرتفورد اربلاد انگلستان سنة ۱۳۵۸ هجری مطابق  
سنة ۱۹۴۰ مسیحی.

- جامع التواریخ، جلد دوم در تاریخ پادشاهان مغول از اوگتای قاآن  
تا تیمور قلآن، نشر و تحقیق ادگار بلوشیه، لندن ۱۳۲۹هـ/۱۹۱۱م.

- جامع التواریخ: مغول ایران، جلد سوم، متن علمی و انتقادی فارسی  
بسمی و اهتمام عبد الکرم علی لوعلی علی راده، نشر معهد  
الدراسات الشرقية بأذربيجان السوفیة، باکو ۱۹۵۷م.

- جامع التواریخ، جلد اول از آغاز پیدایش قبایل مغول تا پایان دوره  
تیمور قلآن، نشر و تحقیق بهمن کریمی، طهران ۱۳۲۸هـ.ش.

- جامع التواریخ رشید الدین فضل الله همدانی، به تصحیح و تحشیة  
محمد روش مصطفی موسوی، جلد اول، تهران ۱۳۷۳هـ.ش.

- جامع التواریخ: قسمت اسماعیلیان و فاطمیان و زاریان و داعیان  
و رقیقان، بکوشش محمد تقی دانش پژوه و محمد مدرسی (رجایی)  
بگناه ترجمه و نشر کتاب، چاپ دوم، تهران ۲۵۳۶ شاهنشاهی.

- تاریخ افریج بالفصلی از جامع التواریخ، با مقدمه و حواشی و فهرس  
بکوشش محمد دبیر سیاقی، مدخل کارل یان، تهران ۱۳۳۹هـ.ش =  
۱۹۶۰م.

- جامع التواریخ، جلد ۲، جزء ۵: ذکر تاریخ آل سلجوق، بسمی  
و اهتمام أحمد آنش، انقره ۱۹۶۰م.

- مکاتبات رشیدی، بسمی و اهتمام و تصحیح آقل العباد محمد شفیع،  
بإضافة حواشی و فهرس، لاهور ۱۳۶۴هـ ۱۹۴۵م.

- وقصاه ربع رشیدی: الوقیة الرشیدية بحط الواقع فی بیان شرائط  
أمور الوقف والمصارف. اثر رشید الدین فضل الله بن ابی الخیر بن  
علی الممغانی مشتهر برشید الطییب، جاب عکسی از روی نسخه  
أصل، زیر نظر محبتی میسوی ایرج افشار، سلسله انتشارات انجمن  
آثار ملی، شماره ۸۷، تهران ۱۳۵۰ ه.ش.

زاده (هاشم رجب) دکتر:

- آئین کشور داری در عهد و راورت رشید الدین فضل الله همدانی،  
تهران ۲۵۳۵ شاهنشاهی:

ستوده (منوچهر):

- قلاع اسماعیلیه در رشته کوههای البرز، تهران ۱۳۴۵ ه.ش.

شباتکاری (محمد بن علی بن محمد):

مجمع الأنساب به تصحیح میر هاشم عدت، تهران ۱۳۶۳ ه.ش.

شپولر (برتولد):

- تاریخ معول در ایران: سیاست، حکومت و فرهنگ ایلخانان، ترجمه

دکتر محمود آفتاب، تهران ۱۳۵۱ ه.ش.

صفای (ذبیح الله) دکتر:

- خلاصه تاریخ سیاسی واجتماعی وفرهنگی ایران تا پایان عهد صفوی

تهران ۲۵۳۶ شاهنشاهی.

القاشانی (أبو القاسم عبد الله بن محمد)

- تاریخ اولجایتو (پادشاه سعاد صیانت الدین والدین اولجایتو سلطان

محمد - طیب الله مرقد - به اهتمام مهین همیلی، بکاه ترجمه ونشر

کتاب، تهران ۱۳۴۸ ه.ش.

لوی (حبیب)

- تاریخ یهود ایران، نشر کتابروشی بروخیم، تهران ۱۳۳۹ شمسی =

۱۹۶۰ میلادی.

- مجموعه خطابه های تحقیقی دربارهٔ رشید الدین فضل الله همدانی که در مجلس علمی مربوط به او از ۱۱ تا ۱۶ آبان ۱۳۴۸ هـ.ش در دانشگاه های تهران و تبریز خوانده شده است، طهران ۱۳۵۰ هـ.ش. الخجوانی (محمد بن هندوشاه):
- دستور الکاتب فی تعیین الترتیب، جزء اول از جلد یکم، نشر و تحقیق عبد الکرم علی اوعلی راده، مسکو ۱۹۶۴ م. نصیر الدین طوسی (خواججه):
- تنسوح نامه ابلخانی، با مقدمه و تعلیقات مدرس رضوی، تهران ۱۳۴۸ هـ.ش.
- وصاف (أدهب شرف الدین عبد الله بن فضل الله شیرازی الملقب بوصاف الحضرة):
- تاریخ وصاف، طبع بمبای، ۱۲۶۹ هـ.
- تحریر تاریخ وصاف، به قلم عبد المحمد آجی، انتشارات بنیاد فرهنگ ایران، تهران ۱۳۴۶ هـ.ش.

## ثالثاً: المراجع الأوروبية

Arberry:

- Classical Persian Literature on Rashid Al Din, London 1958.

Barthold.W.

- Mir Islama, St Petersburg, 1912.

Berthold Spuler:

- Die Mongolen in Iran, Leipzig, 1939.
- The Cambridge History of Iran. Vol 5, The Saljug and Mongol Periods, edited by J.Boyle, Cambridge 1968.

M. Le Baron.

- Histoire Des Mongols depuis Tchinguiz-ikhan Jusqu' à Timour Bey ou Tamerlan, Paris, 1824.
- Encyclopaedia Judaica, Vol 13, Second Printing, Jerusalem, 1973.

Grousset Ren:

- L'Empire des Steppes. Paris, 1948.

Howorth H.H:

- History of the Mongols. London, 1875.
- Proceedings of the Colloquim On Rashid Al Din Fadlallah: Tehran, Tabriz, II - 16 Aban 1348 (2 - 7 November 1969), Tehran 1971
- Rashid al Din,s Knowledge of Europe, by Karl Jpan.
- Rashid al Din Fazl Allah and India, by k. A Nizami.

Walter J. Fischel:

- *Jews in Economic and political Life of Mediaeval Islam*,  
Royal Asiatic Society Monographs, Vol. XXII, London, 1937.



صفحة

٧

مقدمة

المراصة

١٧

لولا: رشيد الدين وكتابه جامع للتواريخ

التعريف برشيد الدين المؤرخ

تأليف كتاب جامع للتواريخ

أقسام هذا الكتاب

أهميته

٣٢

ثقلها: رشيد الدين وتاريخ غزوان خان

الأقسام الرئيسية الثلاثة التي اشتمل عليها هذا التاريخ

٣٤

القسم الأول

مشاة غزوان وتربيته تعيينه حاكما على خراسان اعتناقه

الإسلام

توليه العرش وانخاضه الإسلام دينا رسميا للدولة النتائج

التي ترتبت على ذلك تدليل المؤرخ على صحة إسلام

غازي

٣٨

القسم الثاني

التاريخ السياسي للفترة التي حكم فيها غازان

موقفه من مورور الحملات التي شنّها على الشام

٤٧

القسم الثالث

الإصلاحات التي قام بها غازان خان بوحى من إسلامه

وإحلاصه لعقيدته

## الترجمة

٧٧ تاريخ غازان خان بن أرغون خان بن أيلقاخان بن هولاكو  
خان بن تولوي خان بن چنگيز خان  
وهو يشتمل على ثلاثة أقسام:

٧٨ **القسم الأول من تاريخ غازان خان:**

في تقرير نسبه العظيم، وذكر أحواله منذ الوقت المبارك  
لولادته حتى رمان جلوس والده أرغون خان على عرش  
السلطنة، وذكر روجاته وأبائه وجدول شصهم الشريفة

٨٧ **القسم الثاني من تاريخ غازان خان:**

في مقدمة جلوسه المبارك، وصورة العرش والخواتيس  
والأمراء الأتجال والأمراء عند جلوسه على عرش السلطنة  
وتاريخ زمان حكمه، والحروب التي قام بها، والفتوحات  
التي تسرت له

مقدمة جلوسه المبارك منذ أن عهد إليه والده أرغون خان  
بأن يكون نائباً عنه في حكم خراسان إلى وقت تعله على  
بأيدو

وهذا القسم يشتمل على عدة حكايات

١٠٢ - حكاية حاله في خراسان بعد وفاة أبيه أرغون خان حتى  
وقت مسيره إلى ناحية آدرينجان في عهد كيخسرو ثم  
عودته من تبريز إلى خراسان

١٠٦ - حكاية توجه غازان إلى ناحية آلتاغ قاصداً مقابلة  
كيخسرو وعودته من تبريز وهزيمة نوروز وفتح نيسابور

١١٠ - حكاية غصوع نوروز ومثوله مرة أخرى أمام غازان  
والاحتفال بهذه المناسبة وتقديم الهدايا



- ١١٣ - حكاية توجه غاران من ناحية خراسان إلى عراق العجم وعمارته باهيو في منطقة "هشترود" و"قربان شير"
- ١٢١ - حكاية انشراح المصدر المبارك لسلطان الإسلام عاران بخان بور الإيمان، واعتناقه الإسلام هو والأمراء بحضور ابن الشيخ صدر الدين حمويه الجوهني دامت بركته
- ١٢٥ - حكاية توجه الرهايات المباركة لسلطان الإسلام عاران بخان للقاء باهيو للمرة الثانية، وحضور أمرائه
- ١٣٠ - حكاية الشروع في ترتيب شقون الجيش والبلاد، وذلك عقب الجلوس المبارك لسلطان الإسلام
- ١٣٢ - حكاية تمرد "سوكا" و"بارولا" ووضوح ذلك وتوجه الجيش للقضاء عليهما ومآل تلك الحال
- ١٣٦ - حكاية أحوال "نوريس نقا" وموقف الأمير نوروز منه وبداية اختلال أمور نوروز
- ١٣٩ - حكاية توجه الرهايات السلطانية إلى بغداد وإعدام "أفراسياب لير" و"جمال الدين المستجرداني ومولانا عز الدين مظفر الشيرازي وولادة الأمير النجل "تولخاي"
- ١٤٢ - حكاية حال "قيصر" غلام الأمير نوروز، وقتل أبناء نوروز وإخوته، والقضاء على نموده نهائيا، وقتله في هراة
- ١٤٩ - حكاية ارتفاع منزلة صدر الدين الزنجاني، وازدهار شأنه بعد قتل الأمير نوروز، ووصول الرهايات السلطانية من ألاتاغ إلى تبريز، وتشديد القبة العالية في "شم تبريز"
- ١٥١ - حكاية اختلال أحوال صدر الدين الزنجاني وإعدامه

- ١٥٥ - حكاية توجه الرايات السلطانية من دار الملك تميز إلى  
مشتى بغداد وتقبض منصب الوزارة إلى الخواجه سعد  
الدين، ووصول حير شرد "سولاميش" ومسير الجيش  
لإخضاعه
- ١٥٩ - حكاية توجه سلطان الإسلام إلى الشام ومصر، ومحاربة  
المصريين وهزيمتهم، وفتح بلاد الشام
- ١٦٧ - حكاية توجه سلطان الإسلام إلى الشام ومصر للمرة  
الثانية
- ١٧٠ - حكاية تكريم الخواجه سعد الدين صاحب الدهوان  
وإعدام حاسديه
- ١٧٢ - حكاية توجه سلطان الإسلام غازان خان إلى ناحية  
"الأتاغ" ثم تحركه من هناك عن طريق نخجوان إلى مشتى  
"أران"، ووصول المرسل الذين كانوا قد أوفدوا إلى مصر
- ١٧٤ - حكاية الحفل العام لدى إقامة سلطان الإسلام في المخيم  
الذهبي بموضع بستان أوجان، وختم القرآن هناك  
والإنعام العام
- ١٧٧ - حكاية توجه الرايات السلطانية من مدينة الإسلام  
"أوجان" إلى بغداد، وشرح الأحوال التي حدثت في  
الطريق، ثم الوصول إلى واسط والحلة، والتصميم على  
السير إلى الشام
- ١٨٤ - حكاية وصول قلعشاه توبان للقاء جيش مصر، ثم  
رجوعه من هناك، وعودة الرايات السلطانية إلى أوجان
- ١٨٦ - حكاية محاكمة الأمراء والجوذة الذين هادنوا من الشام، ثم  
عقد مجلس الشورى (القروريلتاي) بموضع أوجان وتشرف  
الأمراء بقاء غازان

- ١٨٧ - حكاية إصابة سلطان الإسلام بالرمم، ووصول الأمراء  
الأنجال من حراسان، ثم توجه الرمايات السلطانية إلى  
بغداد، وتزوجها في "هولان موران"
- ١٨٩ - حكاية اعتكاف سلطان الإسلام في مشفى "هولان مران"  
وظهور "الأفرنك" وشرده، وإعدام جماعة للمثبرين للفتنة
- ١٩١ - حكاية إقامة الحفل في عيتم "أهلوزميش خاتون"  
للاحتفال بعيد ميلاد الأمير النجل "أبى زهد"، وخروج  
سلطان الإسلام من معتكفه الأربعى (جهله)
- ١٩٢ - حكاية تكريم الخواجه سعد الدين صاحب الدبوان لما  
أبداه من إخلاص في قضية "الأفرنك"
- حكاية وفاة "كرمون خاتون"، ونقل جثمانها إلى تبريز  
والكلمات العديدة الحكيمة التي تنوه بها سلطان الإسلام  
في شتون الخلق والحياة

#### ١٩٩ **القسم الثالث من تاريخ غفران خان:**

- في أخلاقه الحميدة وسيره المستحسنة، وآثار عدله وإحسانه  
وعبراته ومبراته وتون أدابه وأفضل عاداته وكلماته التي  
صرح بها في كل وقت، يحتاج الأمر فيه إلى تحقيق وتلخيص  
والحكم الرصينة والقوانين الساقطة للتفصية رعاية مصالح  
كلية الخلق، والتي تغلبها في كل شأن من الشئون، ونواجر  
الحكايات والأحوال مما لم يذكر في القسمين السابقين.  
وهذه ينضمها موضوعان: أحدهما تم تبويه وتسجيله  
وهو عبارة عن أربعين حكاية وثانيهما يقرر حسب القضايا  
والحوادث المختلفة والمتفرقة
- ٢٠٢ **الحكاية الأولى -** في فنون كمالات وعلوم سلطان الإسلام  
خلد ملكه وعرضه الصناعات  
للمختلفة، ووقوفه على أسرارها

- ٢١١ الحكاية الثانية في عفة سلطان الإسلام وعصمته
- ٢١٢ الحكاية الثالثة في فصاحة سلطان الإسلام وبلاغته،  
وحس سؤاله وجوابه للقريب والبعيد والنازيك
- ٢١٤ الحكاية الرابعة في صبر سلطان الإسلام وثباته وصدق  
عهده وميثاقه
- ٢١٨ الحكاية الخامسة في أن كل كلمة تجرى على اللسان  
المبارك لسلطان الإسلام تكون دقيقة  
وفصيحة
- ٢١٩ الحكاية السادسة في بدل سلطان الإسلام وعظاته وجوده  
وسخطه على وجه مستحسن قائم على  
المعرفة
- ٢٢٥ الحكاية السابعة في إبطال الديانة اليهودية وغريب معابد  
اليهوديين ونحطيم كل الأصنام
- ٢٢٧ الحكاية الثامنة في عجة سلطان الإسلام لأسرة الرسول  
عليه السلام
- ٢٢٨ الحكاية التاسعة في شجاعة سلطان الإسلام وإعداد الجيش  
للقتال، والمثابرة والفتاة في الحروب
- ٢٣٣ الحكاية العاشرة في إبداء سلطان الإسلام النصح إلى  
القضاة والمشايع والزهاد وأهل العلم  
والتقوى
- ٢٣٦ الحكاية الحادية عشرة في منع سلطان الإسلام الجود  
وغيرهم من التفوه بكلمات الكفر
- ٢٣٨ الحكاية الثانية عشرة في ميل سلطان الإسلام إلى التعمير  
وحث الناس على ذلك

- ٢٤٣ الحكاية الثالثة عشرة في أبواب البر التي أنشأها وأحدثها  
سلطان الإسلام في تبرير وهمذان  
والولايات الأخرى، والأوقاف التي أوقفها  
عليها، والفتريات التي أعدها لذلك
- ٢٥٢ الحكاية الرابعة عشرة في القضاء على التزوير والدعوى  
الباطلة ومنع حياة الخائنين والمارقين  
- نص للرسوم الخاص بتفويض القضاة  
- نص المرسوم الخاص بعدم النظر في  
القضايا التي مضي عليها ثلاثون سنة  
وذلك بالشروط المقررة في هذا الشأن  
- نص الوثيقة المكتوبة على ظهر الرسوم  
- نص للرسوم الخاص بإثبات ملكية البائع  
قبل البيع  
- نص للرسوم بخصوص تأكيد الأحكام  
السابقة وتسهيل الشروط اللاحقة
- ٢٧٣ الحكاية الخامسة عشرة في إتلاف القبالات غير القانونية  
وإبطال الجميع البالية
- ٢٨٠ الحكاية السادسة عشرة في إبطال الحكر والاستيلاء بهير  
الحق على ملك الفقير والقضاء على أنواع  
المصادرات  
- نص المرسوم الخاص بتحويل مقررات  
الولايات التي كتبها الديوان الأعلى  
بالتصويل، ومنع حكام الولايات منعا  
بائنا من تحرير الحوالات

- الحكاية السابعة عشرة في المحافظة على الرعايا ورعايتهم  
وَدَفْعُ الظُّلْمِ عَنْهُمْ ٣٠٦
- الحكاية الثامنة عشرة في إبطال دواب البريد، وعدم إيفاد  
الرسل وكف أناسهم عن الخلق ٣٠٨
- الحكاية التاسعة عشرة في القضاء على اللصوص وقطاع  
الطرق وتخليص الناس منهم ٣١٥
- الحكاية العشرون في تخليص عيار الذهب والفضة من  
النش بطريقة غريبة لم تكن موجودة من  
قبل على الإطلاق، ولم يكن من الممكن أن  
يكون هناك ما هو أفضل منها ٣١٩
- الحكاية الحادية والعشرون في تعديل أوزان الذهب  
والفضة والأحمال والمقاييس والمكاييل وغير  
ذلك ٣٢٤
- الحكاية الثانية والعشرون في ضبط الأمور المتعلقة بشئون  
المراسيم والبايزات التي تفتح للناس ٣٢٩
- الحكاية الثالثة والعشرون في تدبير الشئون الخاصة  
باسترداد المراسيم والبايزات المكررة التي  
كانت موجودة في أيدي الناس ٣٣٤
- الحكاية الرابعة والعشرون في منح جنود المغول  
الإقطاعات في مختلف المواضع من كل  
ولاية ٣٣٨
- الحكاية الخامسة والعشرون بخصوص كيفية إعداد جيش  
خاص للسلطان ٣٤٧
- الحكاية السادسة والعشرون في تحريم التعامل بالربا والغبن  
الفاحش ٣٥٠

- الحكاية السابعة والعشرون في منع المغالة في دفع مهور  
الزواج ٣٦١
- الحكاية الثامنة والعشرون في إقامة المساجد والحمامات  
في جميع القرى التي تضمها البلاد ٣٦٣
- الحكاية التاسعة والعشرون في منع الخلق من احتساء الخمر ٣٦٤
- الحكاية الثلاثون في إعداد الطعام الخاص والشراب  
للمتهم للعظم ٣٦٦
- الحكاية الواحدة والثلاثون في إعداد النفقات الخاصة  
بمعام الخواتم والعسكرات ٣٧٠
- الحكاية الثانية والثلاثون في ضبط شئون الخزانة وترتيب  
مهامها ومصالحها ٣٧٢
- الحكاية الثالثة والثلاثون في ترتيب شئون المؤسسات  
المسكية ومصانع الأسلحة ٣٧٦
- الحكاية الرابعة والثلاثون في ترتيب شئون دواب الخاقان ٣٨٠
- الحكاية الخامسة والثلاثون في ترتيب الشئون المتعلقة  
بالبصادين ومروضى الفهود ٣٨٢
- الحكاية السادسة والثلاثون في ترتيب شئون كل الممالك  
(الإصلاح الزراعي) ٣٨٧
- الحكاية السابعة والثلاثون في إعداد الشئون الخاصة بتعمير  
الأراضي البور (تابع الإصلاح الزراعي) ٣٩١
- الحكاية الثامنة والثلاثون بشأن صدور الرسوم المتعلقة  
بإقامة دور في الممالك خاصة بالرسول  
ومنع الشحن والحكام من النزول في  
بيوت الناس ٣٩٨
- الحكاية التاسعة والثلاثون في منع الكافرين والجمالين  
والسماعة من إيذاء الناس ٤٠١

- ٤٠٤ الحكاية الأربعون في منع إجبار الجوارى على الإقامة في  
دور البغاء

### **النصوص الإضافية**

- ٤١٠ النص الأول -حكاية مسير الأمير نوروز إلى تركستان لدى  
قيدوغان
- ٤١٤ النص الثاني -حكاية اعتناق غازان الإسلام، وكيف تم  
ذلك
- ٤١٩ قائمة المراجع



هذه ترجمة كاملة لتاريخ غازان خان الذي يكون  
قسطها مهما من كتاب جامع التواريخ، تأليف رشيد  
الدين فضل الله الهمداني، مؤرخ المغول الكبير  
والكاتب الموسوعي الذي احاط علمه بكثير من أنواع  
المعارف والثقافات. ولكن شهرته كمؤرخ كانت تأتي في  
المقدمة دائما.

وتبرز أهمية الكتاب فيما نقرؤه عن المغول في  
الأحداث التي كان يعايشها المؤرخ؛ فقد عاصر هذا  
المؤرخ دولة المغول في أبعى فتراتهما. وشاهد حصار  
بغداد وفتحها على يد هولاكو خان، والتحق بخدمة  
أعظم سلاطين الإيلخانيين وبلغ أسمى المراتب في  
عهد غازان وأولجايتو وفترة من حكم أبي سعيد بهادر  
خان، ولعب دورا هاما في سياسة دولة المغول وإدارتها.  
فإذا جاء هذا المؤرخ وأرخ لهذه الفترة، فإنه يؤرخ  
لأحداث كان يعاصرها ويشهد لها بعيني رأسه، ويصفها  
وصف المثقف الخبير بشتون الحياة. كذلك استطاع  
الاطلاع على الوثائق المكتوبة والإفادة منها. وهذه  
ميزة كبيرة لم تتوافر لغيره ممن كتبوا عن تاريخ  
المغول من السابقين أو المعاصرين له.

Bibliotheca Alexandrina



0413741

ISBN 977-3618-70-8



90000



9 789773 875709